

إمارة الرها الصليبيّة

دكتورة عليّة عبد السمّيع البحتوري



الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير

محمود الجزار

دكتورة عليّة عبد السمیع الجنتزوری

استاذ تاریخ العصور الوسطی
بكلية البعث جامعة هین شمس

إمارة الرها الصليبيّة

صلحة لها خطورتها في تاريخ الجهاد الاسلامي
والمحاولات العديدة التي بذلها الصليبيون في إمارة الرها
لتزريق وحدة المسلمين وإقامة حاجز بين بلاد العراق من
ناحية وبلاد الشام ومصر من ناحية أخرى .



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

الاهـداء

« إلى زوجي العزيز الذي كان لتجنيده
والسفر في ركبه أثر في إتمام هذا البحث »

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن «إمارة الرها الصليبية، للأستاذة الدكتورة عليّة عبدالسميع الجنزوري، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس. وقد صدر الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٩٨٦، ونفدت طبعته. ونظراً لأهميته أعدنا نشره في هذه السلسلة.

وقد سبق لنا أن نشرنا للدكتورة عليّة الجنزوري بعض أعمالها العلمية، مثل: «هجمات الروم البحرية على سواحل مصر الشمالية»، «الحروب الصليبية، المقدمات السياسية».

والكتاب الحالي يتناول تاريخ إمارة الرها في عصر الحروب الصليبية، وهي أولى الإمارات التي أسسها

الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨ ، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة ، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤ م .

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب ، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام ، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية ، إذ أصبحت عقبة فى طريق قيام أية وحدة إسلامية بين شمال العراق والشام ، وفى الوقت نفسه فسبب ما اتصفت به هذه المنطقة من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى ، فإن دراسة هذه الإمارة كانت من الصعوبة بمكان حتى تصدت لها الدكتوراة عليّة الجنزورى ، فأمكن تقديم هذه الدراسة الممتازة التى تسد فراغاً كبيراً فى المكتبة العربية .

وأملئ أن ينتفع بهذه الدراسة الباحث المتخصص والقارئ المثقف .

والله الموفق ، ،

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« تقديم »

ما زالت الحركة الصليبية بدوافعها الحقيقية واحداثها المثيرة ونتائجها المتباينة ، تستأثر بجهود كثير من الباحثين في ميدان التاريخ وخلاصة تاريخ العصور الوسطى . واذا كان معظم هذه الجهود قد انصب على نشاط الصليبيين في بلاد الشام بوصفها الهدف الاول للحملات الصليبية — فان هناك من بلاد الشرق الأدنى مثل مصر والعراق وآسيا الصغرى واطراف شبه الجزيرة العربية — ما تأثر تأثرا مباشرا بتلك الحركة ، بل لقد كان بعضها ميدانا كبيرا لنشاط صليبي واسع المدى ، لا يقل في بعض مراحله عن النشاط الصليبي بالشام .

من ذلك ما شهده اقليم الجزيرة في بلاد العراق من نشاط صليبي واسع النطاق في النصف الاول من القرن الثاني عشر . ذلك ان الظروف شاعت ان تقوم اولى الامارات الصليبية التي أسسها الصليبيون في الشرق الأدنى في الرها وما حولها من اراض وبلاد ، وهي منطقة ذات طبيعة معقدة من ناحية التركيب البشرى في ذلك العصر . وجاء قيام امارة الرها الصليبية سنة ١٠٩٨ ايذاناً ببداية مرحلة جديدة في تاريخ تلك المنطقة ، وهي مرحلة شهدت صراعاً عنيفاً — يظهر حيناً ويستتر أحياناً — بين مختلف العناصر والأجناس على اختلاف بلاتها ونحطها ، من ارمن وسريان ، واثراك وتركمان وعرب ، فضلاً عن الوافدين الجدد من الصليبيين الغربيين الكاثوليك وهم الذين جعلوا من اتساعهم ارسطراطية حاكمة تتمتع بكثير من الحقوق مقابل نهوضها بعبء وحملية الكيلن المسيحي وسط المحيط الاسلامي الكبير .

ولا شك في ان الموقع الجغرافي لامارة الرها الصليبية اسهم الى حد كبير في اضعاف قدر من الاهمية على الدور الذي قد تلعبه تلك الامارة ان تلعبه على مسرح الاحداث حتى سقوطها سنة ١١٤٤ . وحسب هذه الامارة انها تقع على الطريق الرئيسي بين الموصل وحلب

وهما أكبر قوتين إسلاميتين في شمال العراق والشام في ذلك الدور .
جعل منها مقبلة في طريق قيسامية وحدة اسلامية تربط بين شمال
العراق والشام . هذا الى ان تطرف موقعا في الشمال الشرقى
بالنسبة لبقية الامارات التي اسمها الصليبيون في الشرق الأدنى جعل
منها حاجزا وخطا دفاعيا يحمي البناء الصليبي في ذلك الاتجاه . ماذا
اضفنا الى ذلك قريبا من المجتمع المسيحي في ارمينية وشرق الأناضول من
ناحية ومن بغداد مركز الخلافة العباسية من ناحية ثانية ، ادركت
الدور الذي نهضت به امارة الرها الصليبية في النصف الاول من القرن
الثاني عشر للميلاد .

ومن الواضح انه ليس من السهل علاج هذا الدور بسبب ما اتصفت
به المنطقة التي قامت فيها امارة الرها من إختلاط عنصرى وتعدد ديني
ومذهبي وتداخل حضارى . على ان حسن الحظ شاء ان تتصدى لعلاج هذا
الموضوع الدكتوراة عليه الجنزورى ، فوضعت هذا الكتاب الذى تقدمه
اليوم للباحثين في حقل تاريخ العصور الوسطى . ذلك ان الدكتوراة عليه
الجنزورى — التى تبلخت علينا في الحصول على درجتى الماجستير
والدكتوراه — اتصفت بكل ما يمكن ان يتصف به باحث ناجح ، من حيث
الجرأة في التصدى لاختلاف الآراء ومناقشتها وتنفيذها ، مع التحلى بروح
الصبر والمثابرة في تقصى الحقائق واستخلاصها وتنقيتها ، والمقدرة على
حسن عرض المادة التاريخية وترتيبها وتنسيقها . ولعلنى لست بحاجة
الى التوبيخ بالجهد الذى بذلته الدكتوراة عليه الجنزورى في تأليف هذا
الكتاب تحت اشرافنا ، وهو جهد استغرق سنوات طويلة من الكفاح
الصامت ، قضتها الباحثة بين صفحات الوثائق والمصادر والمراجع .

ولا يسعنى اليوم سوى ان ابارك هذا الانتاج العلمى الثمين داميا
للدكتوراة عليه الجنزورى بالتوفيق في مواصلة طريق البحث . وانى لعلنى
بعتين من اثنا — بفعل ما توافر لها من عزم وفكاهة وخلق متين — ستقدم
للمكتبة التاريخية الكثير من الزاد الاصيل ان شاء الله .

دكتور

سميد عبد الفتاح عاشور

استاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب — جامعة القاهرة

مقدمة

اجمع المؤرخون على أن الحروب الصليبية كانت حدثا هاما في تاريخ العصور الوسطى وخاصة منطقة الشرق الأدنى . فبالنسبة للعالم الاسلامي كانت هذه الحروب بمثابة زلزال مروع حل بيناء قديم ، فاصابه بشرخ عميق . ذلك أن الحملة الصليبية الاولى وصلت الى الشرق في وقت اشتدت فيه المنازعات بين حكامه حتى بلغت حد الشقاق بسبب الخلافات المذهبية والسياسية والعنصرية ، مما يسر للصليبيين أن ينشبوا مخالبهم في الأرض العربية ويقهوا عليها فترة من الوقت .

وقد تمخضت الحملة الصليبية الاولى عن اقسام اربع امارات صليبية في كل من الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس . لعبت كل منها دورا كبيرا في الصراع الذي دار بين المسلمين والصليبيين على مسرح الشرق الأدنى في عصر الحركة الصليبية ، حتى انتهى الامر في نهاية القرن الثالث عشر للميلاد بطرد الغزاة الدخلاء وتطهير الأرض العربية منهم .

واذا كانت الامارات الثلاث الاخيرة السالفة الذكر تقع في أرض الشام ، فإن امارة الرها تميزت بوقوعها في أرض الجزيرة بين النهرين ، مما جعلها تشكل خطا دفاعيا بالغ الاهمية بالنسبة للجبهة الشرقية للكيان الصليبي في الشرق الأدنى . ومعنى هذا أن امارة الرها صارت بالنسبة لباقي الامارات الصليبية بالشام بمثابة درعها الواقى من ناحيتي الشرق والشمال الشرقي ، ويشبهها من بعض النواحي في هذه الصفة امارة انطاكية في شمال بلاد الشام مع ملاحظة أن الخطر البيزنطي الذي تصدت له امارة انطاكية كان لا يقارن بخطر السلاجقة والتركمان الذي كان على امارة الرها أن تتصدى له .

ولا يخفى علينا أن جزء كبيرا من تاريخ الحروب الصليبية في الشرق الأدنى إنما يدور حول نشاط تلك الامارات . ولكن علينا في الوقت نفسه أن نذكر أن هذا النشاط لا يقف عند حد الحروب ضد المسلمين فحسب ، وإنما امتد ليشمل آفاق مجتبع صليبي قدر له أن يعيش عدة أجيال وسط أرض غريبة لها اوضاعها التاريخية والحضارية البعيدة كل البعد عن اوضاع المجتبع الصليبي . مما يتطلب منا دراسة كل من هذه الامارات

دراسة مستفيضة . وإذا كانت ملكة بيت المقدس الصليبية قد حظيت -
بحكم مكانتها - بالقسط الأكبر من جهود الباحثين ، فإن أمارتي إنطاكية
وطرابلس مازالتا تحت أضواء البحث ، وظهرت فعلا بعض الدراسات
العلمية عنهما .

أما « إمارة الرها الصليبية » موضوع هذا البحث فالملاحظ أن نصيبها
كان ضئيلا من عناية الباحثين ، وإن ظهرت بعض الدراسات المحدودة
التي تعرفت لجوانب من تاريخ هذه الإمارة أنصب أغلبها على النواحي
السياسية والعربية دون الاهتمام كثيرا بالنواحي الحضارية ، ولعل هذا
هو الذي أثار اهتمامنا بحاجة إمارة الرها إلى مزيد من الضوء على
تاريخها ، مما دفعنا إلى دراستها دراسة متكاملة متخصصة في هذا
البحث .

وربما كان من الأسباب التي لم تشجع الباحثين على الخوض كثيرا في
تاريخ إمارة الرها الصليبية هو أن هذه الإمارة كانت بمثابة جزيرة أرمنية
وسط بحر إسلامي بيزنطي واسع ، مما جعل مصادر الدراسة الأصلية لها
لا تقتصر فقط على مصادر صليبية لاتينية ، بل أيضا تتطلب الرجوع إلى
مصادر عربية إسلامية ويونانية بيزنطية ، هذا فضلا عن المصادر الأرمنية
والسريانية .

وقد حاولت في هذه الدراسة أن أسقي المعلومات التاريخية الخاصة
بإمارة الرها من كافة المصادر الأصلية المتنوعة السابقة الذكر ، فضلا عن
الاستفادة من آراء المؤرخين المعاصرين الذين كتبوا في تاريخ الحروب
الصليبية بالفرنسية والانجليزية ، وبخلت في ذلك جهدا كبيرا لرسم صورة
تاريخية واضحة لإمارة الرها من كل جوانبها السياسية والحربية ،
الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مع الإشارة إلى
الدور الحيوي الذي قامت به هذه الإمارة القصيرة الأجل (١٠٩٨ - ١١٤٤)
- ١١٤٦م / ٤٩٢ - ٥٣٩ - ٥٤١ هـ) في الصراع الإسلامي الصليبي طوال
مدة تقرب من نصف قرن .

والحقيقة أن موضوع « إمارة الرها الصليبية » كان موضوع
رسالتي في الدكتوراه . ولما ولّقت بمون الله في الحصول عليها ، رأيت
أن من لولي واجباتي تجاه حقل تاريخ العصور الوسطى ، أن أنكر جدوا
في نشر هذا الموضوع حتى يتسنى للمهتمين بهذا الفرع التاريخي الوقوف

على حلقة هامة من حلقات تاريخ العصور الوسطى في فترة الحروب الصليبية . وبذلك تكون قد أسهمت بقدر - هو أقصى ما سئحت به طاقتي وجهدي - في سد إحدى الثغرات التي كانت بحاجة الى دراسة علمية متكاملة .

ولا يسعني الآن قبل البدء في طبع هذا البحث العلمي 'لتواضع ، الا ان ابدأ برفع اسمي آيات الشكر للعالم الجليل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ كرسي تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها ، الذي أشرف على هذا البحث وساعدني في اختيار موضوعه . ولا يخفى ان الأستاذ الدكتور سعيد عاشور من رواد الدراسات التاريخية في العصور الوسطى في مصر والعالم العربي . وكان لي الشرف ان أحظى بإشرافه وأن أنهل من علمه وأدبه وتوجيهاته في المنهج العلمي وفي الرجوع الى المصادر الأصلية ، وإن ظلم لي مجر عن اظهار مدى تقديري لسيادته . والحقيقة انه كان باستمرار مخلصا في مسيحته ، عالما في نقده ، والدا في حلمه ، قويا في صبره ، مؤمنا صالحا في علاقته ، قاسيا أمام الخطأ ، رحيما عند القدرة .

كذلك لا أنسى أيضا في هذا المجال أن أتقدم بخالص شكرى وعرفانى بالجهد الى استاذتى العاضلة وأمي الروحية الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف أستاذة كرسي التاريخ الاسلامي والوسيط ورئيسة قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس - والتي اشتركت في الاشراف على بحثي هذا - لما قدمته لي أيضا من توجيهات كثيرة وارشادات جمة ولما ذللته لي من معاب واجهتني خلال اعداد هذا البحث بالاهتمام الى رعايتها الكاملة لي ما شجعني كثيرا في اتمام هذا البحث .

وفي النهاية لا يفوتني أيضا ان أتقدم بشكري الوافر الى بعض من كان لهم الفضل في تذليل الكثير من الصعوبات التي واجهتني أثناء جمع مادة هذا البحث وأخص منهم بالذكر الزميل الدكتور حلمي عبد الواحد خفهره مدرس اللغة اللاتينية بالكلية الذي تفضل بشكورا بمساعدتي في ترجمة النصوص اللاتينية الجديدة القيمة المعاصرة لهذا البحث والتي أمدتني فائدة جمة في سد الكثير من الثغرات أثناء كتابة هذا الموضوع . كذلك أقدم شكرى الجزيل لسيادة الأب منصور مستريح - عضو معهد الدراسات الشرقية المسيحية بالقاهرة والمتخصص في الدراسات الأرمنية - الذي تفضل بشكورا بترجمة قصيدة رثاء الرها عن الأصل الأرمني الى اللغة العربية

وهذه القصيدة تعتبر من النقاط الجديدة المعاصرة لموضوع البحث والتي
تتشر لأول مرة ، حيث أننى قد أوردتها بالكامل كملحق في نهاية هذا
الكتاب ، لقد كنت شرعت فعلا عند عثورى على هذه القصيدة - ضمن
مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية .

— (Documents Arméniens, T.I.)

في ترجمتها بنفسى عن الترجمة الفرنسية الموجودة الى جانب
الأصل الأرمينى . ولكن الأب ديسان - أحد آباء معهد الدراسات
الشرقية للدومنيكان - اشار على بانه من المستحسن الاتصال بالأب
ملصور بمطرح ليقيم بترجمة القصيدة عن الأصل الأرمينى حتى لا تغير
الترجمة الفرنسية بعض معانى والفاظ النص الأصلي ، وبالفعل
تولى سيادته مشكورا مهمة تقديسى للأب منصور فرحب بتلك المهمة .
لذلك نقلت لسيادته نسخة من القصيدة ميكروفيلم حتى تسهل مهمة
الترجمة . وهكذا استطعنا في النهاية الحصول على ترجمة سليمة لهذه
القصيدة الجديدة الهامة في هذا البحث .

ولا أننى أيضا ان أقدم بشكرى الجزيل الى السادة العاملين بمكتبة
الآباء الدومنيكان الذين أمدتنى مكتبهم افادة كبرى وأخص بالذكر الابجورج
شحاته فتواتى مخير الدراسات الشرقية للدومنيكان والأب ديسان والأب
كورتيلاريه . كما أقدم شكرى الى العاملين بمعهد المخطوطات وعلى
راسهم الأستاذ رشاد عبد المطلب ، هذا الى جانب العاملين بدار الكتب
المصرية . كما اشكر ايضا العاملين بمكتبات جامعة القاهرة وعين شمس
والاسكندرية .

والله ولى التوفيق ،

القاهرة يوليه ١٩٧٤

مكتورة عليه عبد السميع الجنزورى
مدرسة تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

دراسة تحليلية لمصادر البحث

اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مصادر ثقة أصلية ، لاتينية وبيزنطية ، وأرمينية وسريانية ، وعربية مطبوعة ومخطوطة . هذا الى جانب عدة مراجع حديثة عربية وأجنبية استفدنا منها في نقل بعض الآراء بل وفي الوصول الى بعض الحقائق التي أخذتها عن مصادر لم نستطع الوصول اليها .

وقد أفادتنا بعض هذه المصادر في غالبية اجزاء الرسالة اما البعض الآخر فقد أفادتنا في اجزاء محدودة دون غيرها .

ياتى في مقدمة هذه المصادر مجموعة المصادر اللاتينية التى كتبها المؤرخون الغربيون المعاصرون لامارة الرها الصليبية او من نقلوا عنهم مباشرة . وعثرنا على غالبيتها في مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية *Recueil des Historiens des Croisades* وسنكتفى هنا بالإشارة الى أهمها :

أولا : *Gesta Francorum* او *Historia Iherosolymitana, Iherusalem Expugnantium*

للمؤرخ الفرنسى فولشردى شارتر *Foulcher de Chartres*

وكان فولشر هو التأسيس الذى حضر مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥ م . وصحب روبرت الثانى دوق نورمانديا في الحملة الصليبية الاولى ١٠٩٦ م . (١) ثم انضم الى بلدوين البولونى-مؤسس امارة الرها الصليبية وقد اشار فولشر الى ذلك في كتابه (٢) - واصبح تسييسا لحملة (٣) . ويعتبر كتابه من اهم التواريخ المعاصرة للحملة الصليبية الاولى - فهو يغطى الفترة ما بين

(١) *Encyclopaedia Britannica*, V. 9, p. 908. (1960).

(٢) *Fulcheri Carnotensis ; Historia ... (R.H.C.), Hist. Occid.*

T. 3, p. 337.

(٣) *Runciman : A History of the Crusades*, V. 1, p. 201.

بمؤتمر كليرمونت حتى وفاة فولشر ١١٢٧م وبالتالي فقد حاصر قسطنطين امارة
الرها وشهد ارضى ايام تاريخها ثم روى في تاريخه الاحداث التي شاهدها
بنفسه (٤) . والكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول من ١٠٩٥م الى
١١٠٠م والثاني ينتهي ب١١١٨م . والثالث ١١٢٧م (٥) .

اما المصدر اللاتيني الثاني فهو : *Historia Hierosolymitane Expeditionis* او *Chronicon Hierosolymitanum de bello Sacro* .
الذي لاه البيرت د/ اكس او الاكسي Albert d'Aix وهذا المؤلف
يتبع في اقتباسه عشر كتابا . كتبه البيرت في الفترة الممتدة من ١١٢٥ الى
١١٣٠م . وهو يعتبر من اهم مصادر الحملة الصليبية الاولى ومملكة
بيت المقدس اللاتينية حتى ١١٢١م (٦)

حقبة ان البيرت لم يحضر الى الشرق ؛ لكنه استعان في تدوين كتابه
بالمصادر المعروفة في ذلك الوقت كما نقل عن اصول اخرى اندثرت
ولم تصل اليها واستمع الى عدد من اشتركوا في الحملة واطلع على بعض
المراسلات المتعلقة بها .

وبعد ذلك ياتي المصدر الثالث الذي اماننا بدرجة كبيرة في كل اجزاء
الرسالة تقريرا وهو كتاب وليم الصوري (*William of Tyre*)
(١١٣٠ - ١١٨٦م) واسمه *A History of Deeds Done Beyond the Sea*
(٧) وهي الترجمة الانجليزية التي رجعنا اليها .

يعتبر كتاب وليم الصوري هذا موسوعة في تاريخ الحروب الصليبية
عامة (٧) . بدأ تدوينه من ١١٦٦م ويعتبر مصدرا أصليا من الفترة
الممتدة من ١١١٤ حتى ١١٨٤م (٨) .

اما الجزء الاول من الكتاب فقد اعتمد فيه وليم على كتابات الكثيرين

Encyclopaedia Britannica ; V, 9, p. 908. (٤)

جوزيف تسيم : العرب والفرنج واللاتين : ص ٧ . (٥)

Encyclopaedia Britannica ; V, 1, p. 524. (٦)

William of Tyre ; A Hist. of Deeds p. 4. (٧)

William ; Ibid., V. 1, p. 37. (٨)

من المعاصرين للأحداث التي رواها مثل : كتابات المؤلف المجهول صاحب
 كتاب Raymond d'Aguiers. (Gesta Francorum.)
 Fulcher of Chartres, Albert d'Alx. (٩)

هذا الى جانب اعتماده في بعض اجزاء الكتاب على الرواية الشفوية
 وكذلك على الكتابات الاثرية على المباني (١٠) ونقل كتاب وليم الى الغرب
 من طريق (Matthew Paris) على احدى حواشي مخطوطة الأخير
 المسماه (Historia Alinor) ذكر انه نقل مؤلف وليم عن بطرس
 أسقف ونشستر Winchester الذي أحضرها من الأرض
 المقدسة ١٢٢١ م (١١) .

كان وليم رئيس أساقفة صور من ١١٧٥ - ١١٨٤ - ١١٨٥ م . وكان
 أصلاً مواطناً من مملكة بيت المقدس : ولد حوالي ١١٢٠ م ربما في بيت المقدس
 نفسها . والراجح أن والديه كانا من الغرب ، وبالرغم من انه قد
 اسهب في الكتابة عن انساب الآخرين الا انه قد صبت صباً تاماً عن
 نسبه هو . وبذلك ظل نسبه دون أي سبيل الى فهمه حتى الوقت الحاضر .
 اتقن وليم العديد من اللغات أهمها الفرنسية التي كانت لغة
 البلاط في مملكة بيت المقدس الى جانب العربية التي شاركت الفرنسية في نقل
 التجارة ، ثم اليونانية التي كانت أيضاً تستخدم استخداماً واسعاً في
 الشرق . كذلك اتقن اللغة اللاتينية — لغة الكنيسة والمدارس — وذلك
 بحكم تربيته الدينية في الكنيسة . هذا بالإضافة الى الملمه السطحي ببعض
 اللغات الشرقية مثل العبرية والفارسية (١٢) .

أما المصادر البيزنطية فيأتي على رأسها كتاب (الالكسياد Alexiad)
 للأميرة (انا كومنيننا Anna Comnena) وقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية
 لهذا الكتاب : والواقع أن هذا الكتاب ظل أمداً طويلاً مصدراً لمؤرخي
 الامبراطورية البيزنطية ولم يكتبوا عن الحملة الصليبية الأولى (١٣) . وقد
 ذكرت الأميرة (انا) أنها الفتى كي تذكر فيه الأعمال التي قام بها والدها
 « كي لا تضيع في سكون (١٤) » .

-
- | | |
|--------------------------------------|------|
| William of Tyre : Ibid., V. 1, p. 29 | (٩) |
| William : Ibid., V. 1, p. 30. | (١٠) |
| William : Ibid., V. 1 p. 42. | (١١) |
| William : Ibid., V. 1, p.p. 4 - 9. | (١٢) |
| Anna Comnena : The Alexiad. p. vii. | (١٣) |
| Anna : Ibid., p. 1. | (١٤) |

ثم تكثرت سبب تصميمها على كتابة الألكسياد فقامت « كان زوجي هو القيصر نيقفور برنيوس ، وكان جديرا بالاعجاب في كل شيء ، محب لأمي هنا - الإمبراطور - في حديد من الحملات الحربية . . . ولما كان نيقفور غير قادر على ترك عمله الأدبي ، لذلك فقد كتب العديد من المذكرات اليومية المتارة ، وقد أصبحت الملكة كثيرا بكتاباته وطلبت منه كتابة تاريخ لعصر الإمبراطور الكسيوس - إبي - يوضح فيه الأعمال التي تمت في عهده . فكانت فرصة طيبة عاد بها نيقفور إلى الدراسات التاريخية والأدبية التي كان يهواها وبدأ نيقفور فعلا في تدوين هذا التاريخ بداية بمكة منذ عهد الإمبراطور رومئوس الرابع ، ولكن عندما وصل إلى عهد والدي وأمه سمودة لتلك الفترة وعاد بها إلينا من الخارج نصف ممتلئة ، كل للأسف قد عاد أيضا محملا بوزم خبيث داخلي كان يملأ منه بشدة ، مما جعله غير قادر على رواية القصة الحزينة لخبراته (١٥) لذلك قررت (أنا) تكملة عمل زوجها ، وبذلك أبرزت أعمال والدها الإمبراطور الخالدة بالانسان إلى انتصارات زوجها العظيمة .

والمعروف أن الأميرة (أنا) ولدت ١٠٨٣م وتوفيت ١١٤٨م وكانت ذات معرفة واسعة بالأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، وجمعت كتاب الألكسياد باللغة اليونانية وهو يغطي الفترة الممتدة من ١٠٦٦م إلى ١١١٨م بدأت في تدوينه بعد ١١٣٧م وأنهته حوالي ١١٤٨م (١٦)

وقد أفادنا كتاب الألكسياد كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات البيزنطية الرومية .

أما المصادر الأرمنية الهامة التي اعتمدنا عليها ، فكان مركزه في :

Recueil des Historian des Croisades : Documents Arméniens, T.1

وهي حسب ترتيبها الزمني : مقتطفات من حوالية متى الرهاوي وحوالية الكاهن
Extrait de la Chronique de Mattieu d'Edesse.
جرجوار Chronique de Grégoire Le Prêtre
نيرسيس Elégie sur la prise d'Edesse par Saint Nersès
Schnorhali

Anna : Ibid, p.p. 2-3.

(١٥)

(١٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٩
Encyclopaedia Britannica, V. 1, p. 992,

وتعتبر حولية متى الرهاى من أهم المصادر التى خدمتنا فى غالبية أجزاء بحثنا اذ تنقسم تلك الحولية الى ثلاثة أقسام الأول من ٩٥٢م الى ١٠٥١م والثانى ينتهى بعام ١١٠١م والثالث بعام ١١٣٦م (١٧) .

ويتميز تاريخ متى هذا بالدقة فى تقصى الأخبار والاعتماد على المصادر الرئيسية فى استقاء معلوماته (١٨) ولد متى الرهاوى بمدينة الرها (١٩) . كما يظهر ذلك من اسمه ، ولكن يبدو أن حياته لم يعرف عنها الشيء الكثير (٢٠) وقد توفى ١١٤٤م أثناء استيلاء عماد الدين زنكى على الرها (٢١) . ومعنى هذا أنه عاصر إمارة الرها منذ مولدها حتى سقوطها على يد زنكى .

أما حولية الكاهن جريجوار فقد اكمل بها تاريخ متى الرهاوى وبدأت أحداثها بسنة ١١٢٧م . ويبدو أنه كان تلميذاً لمتى بدليل أنه حاكاه فى عاداته الشديدة للبيزنطيين ، كما سهرار على نهجه فى تقييم الأشخاص والأحداث . وهو كاهن أرمنى علمانى كان متزوجاً . أفادتنا كتاباته كثيراً فى النقاط الخاصة بحملات حنا كومنين ومائويل كومنين على قيليقية وسوريا ، وكذلك فيما يتعلق بالاستيلاء على الرها ونهايتها . والواقع أن قلمه لم يكن أقل نشاطاً من استاذة (٢٢) . وقد انتهى جريجوار فى كتابته الى أحداث ١١٦٣م (٢٣) .

ومن ناحية قصيدة رثاء الرها نرى من أهم المصادر الأرمينية المعاصرة لموضوع بحثنا والتي لم تنتشر بعد وقد أفادتنا فى غالبية نقاط البحث تقريباً . لذا أوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق

(١٧) Mattieu d'Edesse ; (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 63.

(١٨) 'عمر كمال توفيق : مقتربات العدوان الصليبي ، ص ١٦٣ .

(١٩) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

(٢٠) Chronique de Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm. T.1, p. 151.

(٢١) Michaud : Histoire des Croisades, V. 2, p. 107.

(٢٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

(٢٣) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

كتب نيرسيس قصيدته هذه على شكل ملحمة ، على طريقة هوميروس . كما ذكر هو نفسه في مقدمتها - وسرد فيها اثناء رئاسته للمدينة تاريخها القديم وامجادها وغناها الاقتصادي ، ثم اشار فيها الى كل من روما وبيزنطة والاسكندرية وانطاكية وآتى وعلاقة كل منه بالرها . ثم استطرد في ذكر حصار زنكي للرها بالتفصيل وموقف اهلها منه حتى سقطت في يده . مع ابراز دور رجال الدين في ذلك الحصار وموقف زنكي من كلئس المدينة .

وقد نشرت القصيدة التي كتبت اصلا بالارمنية بواسطة دولورييه Dulaurier بالفرنسية ضمن (R.H.C. Doc. Arm. T 1) طبعة ١٨٢٨ م .

ولما كانت تلك القصيدة من الاجزاء الجديدة في بحثنا فان هذا يدلنا الى التعريف بصورة مفصلة الى حد ما على مؤلفها .

كان سانت نيرسيس رابع البطارقة الارمن الذين حملوا هذا الاسم . وشنور هالي Schmorhali معناها (العذب) وقد لقب نيرسيس بالمحب لدمية اخلاقه وسلاسة شعره ، كما لقب ايضا جلايتشي (Glaitshi) نسبة الى قلعة الروم ، حيث اقام رجا من الزمن .

ونيرسيس هو الابن الاصغر للابير (Abirad) صاحب حصن (دزوفك Dzovk) في اقليم خربتيرت . ولد ١١٠٢ م ونشأ هو واخوه الاكبر جريجوار - الذي اصبح بعد ذلك Catholikos باسم جريجوار الثالث - في كنف اخى جده البطريرك جريجوار نجاساير Vgalacer . وعندما تولى اخوه الكرسي البطريركي ١١١٣ م اشترك معه في ادارة الشؤون البطريركية ، حتى توفي الاخ ١١٦٦ م وعندئذ خلفه نيرسيس على الكرسي البطريركي حتى وماته ١١٧٢ م . ويعتبره الارمن من اعظم قديسيهم فضلا عن انه في نفس الوقت من اعظم شعرائهم (٢٤) .

ويكمل تلك المصادر الارمنية مجموعة من المراجع الهامة الخاصة بتاريخ الارمن والتي احدثها كتاب Histoire de l'Arménie الذي

كتبه Hrand Pasdermadjian الذي ولد في تفليس عام ١٩٠٤ وتوفى في جنيف ١٩٥٤ عن خمسين سنة . كان أبوه من أسرة عريقة من أرضروم وكان وطنيا كبيرا ظل اسمه يدرج ضمن الأبطال الأرمن (٢٥)

أصبح (هراند بازدمادجيان) استاذاً بجامعة جنيف عام ١٩٥٢ وساهم في كثير من المؤتمرات فيها وفي لندن وباريس وبرلين وكوبنهاغن وواشنطن وبوسطن . بين المؤلف سبب تأليفه إكتارة هذا بقوله « انه باعتباره عاصر جيلين لذا كتب هذا التاريخ ليقدّمه للجيل الجديد . . ثم يقول « بهذا التاريخ أكون قد أكملت عمل والدي وأنهيت بقلبي ما بدأه هو بسيفه » (٢٦) .

وقد اعتمدنا على نسخة من كتابه الطبعة الثانية باريس ١٩٦٤ .

أما المصادر السريانية فاهمها حولية ميخائيل السرياني Chronique de Michel Le Syrien. وقد ترجمها الى الفرنسية J.B. Chabot

كان ميخائيل هو البطريرك اليعقوبى لأنطاكية من ١١٦٦م الى ١١٩٩م (٢٧) . ويعتبر تاريخه مصدراً هاماً لتاريخ سوريا بصفة عامة في ذلك الوقت فضلاً عن تاريخ الكنيسة السريانية . وقد استخدم ميخائيل في كتابته المصادر النينية الأصلية للفترة المتقدمة من عصره (٢٨) . كذلك هناك تاريخ ابن العبري The Chronography of Bar Hebraeus. كتبه بالسريانية واطلعنا على ترجمته الانجليزية التي قام بها Ernest Wallis Budge الى جانب اطلاعنا على كتابه العربي (تاريخ مختصر الدول) الذي يعتبر اختصاراً لتاريخه المطول السرياني (٢٩) .

ويعتبر تاريخه المطول من أهم المصادر السريانية التي خدمت العديد من النقاط في بحثنا أيضاً . والواقع أن تاريخ ابن العبري يعتبر موسوعة تاريخية مليئة بالتفاصيل التاريخية والدينية واللغوية وعلقات الشعوب وتراجم الكثير من المحاربين والأطباء (٣٠) .

H. Pasdermadjian : Hist. de l'Arménie. p. 5. (٢٥)

H. Pasdermadjian : Ibid., p. 6. (٢٦)

Grousset : L'Empire du Levant, p. 312. (٢٧)

Burkitt : Early Eastern Christianity. n. 20-30 (٢٨)

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص و . (٢٩)

The Chronography of Bar Hebraeus. V. 1. p V (٣٠)

واستحدث ابن العبري في كتابته جولية ميخائيل السرياني . ويد
كتابه بنشأة الخليقة وانتهى بوفاته ١٢٨٦م (٣١) .

وابن العبري هو جريجوريوس أبو الفرج بن هرون . ولد في بلطية
١٢٢٦م . كان يجيد اليونانية والسريانية والعربية واشتغل بالفلسفة
واللاهوت والطب عن أبيه وغيره من مشاهير أطباء زمانه . عمر أبو الفرج
ستين سنة وتوفي في مدينة مراغة من أعمال أذربيجان ١٢٨٦م (٣٢) .

أما عن المصادر العربية المطبوعة فاهمها كتاب « ذيل تاريخ
دمشق » لابن القلاسي (ت ٥٥٥ / ١١٦٠م) وهو تاريخ لحفنة دمشق من
سنة ٣٦٢ هـ الى سنة ٥٥٥ هـ وهو ذيل لتاريخ هلال المداين .
ويذكر ابن القلاسي انه اعتمد في أجزاء منه على اللغات وفي أجزاء أخرى
على البحث والتلقيب بنفسه (٣٣) . والحقيقة أن الكتاب يعتبر
مصدرا هاما لتاريخ الشام وليس لدمشق فقط في عصر إمارة الرها
الصليبية .

ثم يليه كتابي ابن الأثير الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ / ١١٦٠
١٢٢٣م) وهما :

١ - الكامل في التاريخ .

٢ - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالوصل) .

أما الكتاب الأول فهو من أهم الكتب التي خدمتنا في بحثنا هذا
في غالبية النقاط أيضا . والواقع أن ابن الأثير نال شهرته من
طريق هذا الكتاب ، كمؤرخ من مؤرخي القرن السادس باعتبار مولده
وباعتبار نصف القرن الذي عاشه فيه ، ومن رجال القرن السابع
باعتبار وفاته وباعتبار مدة ثلث القرن الذي عاشه فيه (٣٤) . وفي كتابه
هذا جمع أخبار العالم الإسلامي شرقه وغربه وما بينهما ، وهذا ما لم
يسبقه إليه أحد . وقد بدأ تاريخه منذ نشأة الخليقة حتى سنة
٦٢٨ هـ (٣٥) .

The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, p. vii. (٣١)

(٣٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٥٠ هـ .

(٣٣) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢ .

(٣٤) مقدمة محقق التاريخ الباهر لابن الأثير : ص ١٤ - ١٥ منه .

(٣٥) نفس المختصر ص ١١١ .

ولما الكتاب الثانی فهو الذي عاصر المؤلف أحداثه . وفي نفس الوقت عاصرت أحداث الكتاب أحداث بحثنا وكان من أهم المصادر الثقة لنا عند تناولنا للعلاقات بين إمارة الرها الصليبية وبين الموصل وعلى وجه الخصوص عند الكلام عن لتابكة الموصل وعلى رأسهم عماد الدين زنكى مؤسس « الدولة الاتابكية » ، موضوع كتاب الباهر نفسه (٣٦) - كذلك عند كلامنا عن سقوط إمارة الرها سواء في المرة الأولى ١١٤٤م ٥٣٩هـ أو الثانية ١١٤٦م - ٥٤١هـ على يد عماد الدين زنكى ثم على يد ابنه نور الدين .

كذلك كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم (ب ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) الذي عني بنشره وتحقيقه ووضع فهرسه الدكتور سامي الدهان . اعتمد ابن العديم على الآثار الباقية والسجلات والمخططات المكتوبة واتخذ النقود سبيلا الى تحديد أسماء الولاة والحكام والقضاة واتخذ الاحجار والنقوش والأبنية مصدرا لمعرفة السنين والشهور . وبسط العادات واللبسه والتقاليد ونقل الكتب والتوقيعات والرسائل ليصل الى الغاية التي ارادها وهو في هذه الخطة لا يختلف عن مؤرخي العالم الغربي اليوم ، ومن الغريب ان يتبع المنهج الحديث رغم وفاته سنة ٦٦٠هـ (٣٧) .

والواقع ان من أهم النقائص التي افادنا فيها تاريخ ابن العديم ما يتعلق بالعلاقات الرهوية الاسلامية خاصة علاقة الرها بحلب .

هذا الى جانب الاستفادة من بعض اشارات وردت في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤هـ / ١٠٩٥م - ١١٨٨م) (٣٨)

اما أهم المخطوطات العربية التي افادتنا بصورة واسعة ، مخطوطة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات . الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١١٧ تاريخ . والتي جاء في مقدمتها انه يزتب الحوادث في تاريخه على السنين وذكر الوقايت في آخر كل سنة . بدأ ابن الفرات من أول

(٣٦) المصدر السابق ص ١٥ .

(٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب . مقدمة الناشر ص ١٠ - ١١ .

(٣٨) أسامة بن منقذ : الاعتبار . مقدمة المحرر فليبي جنى ، طبعة برنستون ١٩٣٠ .

القرن السادس الهجرى اى سنة ٥٥٠١ هـ وقيل انه وصل فيه الى سنة ٨٠٣ هـ . لكن الذى بهذه النسخة ينتهى الى ٧٩٩ هـ ، فيبدو ان المجلد الأخير مفقود .

ولد ابن اللوات عام ٧٣٥ هـ وتوفى ليلة عيد النضر ٨٠٧ هـ واعتبد في تاريخه على مجموعة هامة من مؤرخى التاريخ الاسلامى سواء العربىين للباحثين فى التاريخ أو هؤلاء الذين تقدمت مؤلفاتهم ولم تصلنا .

هذا الى جانب مجموعة كبيرة اخرى من المخطوطات اهمها مخطوطة (نهاية الارب وفنون الادب للنويرى (ت ٧٣٢ هـ) ، التاريخ المظفر لاهى الدم الحموى (٦٤٢ هـ) وهو ميكرو فيلم بالجامعة العربية وتاريخ ابو الليثاء (ت ٥٨٩ هـ) وهو ميكرو فيلم ايضا .

وبالافسالة الى هذه المصادر فالتنا رجعتا الى عدد كبير من المراجع الحديثة الانجليزية والفرنسية والعربية وكلها مذكورة في كتب المصادر والمراجع ، في نهاية البحث ، واستفدنا هائدة كبرى مما فيها من آراء ووجهات نظر .

المدينة

نصل المدخل الطبيعي لهذا الموضوع هو تفسير اسم الرها واعطاء فكرة موجزة من تاريخ هذه المدينة القديم واهمية موقعها ودورها في المسيحية وعلاقتها بالآرمن وبالدولة البيزنطية . . الى غير ذلك من النقاط التي تليق شوقا على احوال الرها عند استيلاء الصليبيين عليها سنة ١٠٩٨ م/٤٩٢ هـ .

اما عن اصل مدينة الرها ، فان ميخائيل السرياني يذكر في تاريخه نقلا عن باسيليوس (Basilius) مطران تلك المدينة انه « بعد الطوفان الذي حدث في عهد نوح ، بنى الملك (نمرود بن كفتان) هذه المدينة » (١) يشترك في هذا الرأي ابن العبري (٢) وان كان يبدو في نظرنا ان هذه الرواية لا تعدو افسطورة من الاساطير العبرية القديمة (٣) . كذلك يذكر باسيليوس ان نمرود لما بنى هذه المدينة اسماها (اورهاى Ourhal) وهو اسم مسمى للرها ناطق عليها اولا اسم (Our) اى مدينة ، ولما كان يستحب الكلدانيون افسك الى الاسم (hal) لتصبح مدينة الكلدانيين مثل (Our-Galem) اى بيت

(١) Chronique de Michel Le Syrien : T 111. F. 11, p. 278.

(٢) Bar Hebraeus : The Chronography of Gregory Abul Faraaj, V. 1, p. 8.

هو يذكر هنا « ان نمرود بنى ثلاثة مدن هي : الرها ونمسيون وسلوقية » .

(٣) Duval : Hist., Politique, Relig. et Littér. d'Edesse, p. 20.

E.R. Hayes : L'Ecole d'Edesse, p. 16.

وهنا يذكر ان تلك الاسطورة تتطابق مع سفر التكوين (L'Erek de

la Genèse) بل ان الاخير يذكر ان ابراهيم قد زارها وهو ما ذكرته

انها .

Encyclopaedia Britannica. V. 7. p. 989 (1768)

وان العرب قد اعطوا لبئر لا يزال موجودا حتى الآن اسم (بئر ابراهيم) .

(م ٢ - السليبي)

القدس (٤) :

أما ابن العبري فقد ذكر في مكان آخر من تاريخه : « أن اليونان القدماء قالوا أن (انوش Enoch) أو (هرمس Harmis Tris Maghistos) هو الذي علم الرجال أن يبنوا المدن ، وفي أيامه بنيت مائة وثلاثون مدينة ، منها وأصغرها (Urhai - Edessa) » ويؤيد هذا الرأي آخرون (٦) .

ومما يكن من أمر ، فإن الاسم شكل لاسم الرها هو (Urhai) الآرامي الذي يظهر في اللاتيني (Orrhai) (٧) وفي اليوناني (Orrhoeme) (٨) والمدينة في إقليم يسمى (أوسروين Osroêné) في السرياني (Bet' Urhâyé) الذي نطقه العرب الرها (er - Ruha) بل قبل أن العرب سموها كذلك تحريفاً من الاسم البيزنطي . (Callirrhoe) (١٠) . وهنا يشير دولورييه

Michel Le Syrien : Op. Cit. p. 278.

(٤)

وهنا يشير أحد القواميس
Dictionnaire (Orrhai) الأثرية إلى نفس الاسم بقوله
D'archéologie ... T. 4, Part 2, p. 2064.

وفي القاموس الجغرافي التاريخي الديني يذكر أن اسم الرها في السريانية الشرقية (Orhây) وفي السريانية الغربية (Orhoy)

R. Aubert : Dictionnaire d'Hist. et de Geog. Ecclésiastiques

T. 14, p. 1424.

(٥) هرمس هو رسول الإلهة عند الأفريق واليه الطرق والتجارة والكر (المنزل ، قاموس فرنسي عربي من ١٥٥٠) ويذكر نفس القاموس من ١٠٢٧ أن Trismégiste تعني عظيم ثلاثا وهو لقب كان اليونان يطلقونه على إلههم هرمس .

Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 5. القرمطي : أخبار الكول .

Duval : Op. Cit., p. 20.

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

Burkitt : Early Eastern Christianity, p. 6.

(٦) القرمطي : أخبار الكول .
(٧) وهو
يذكر أن الاسم ليس له معنى محين .
Encyclopaedia Britannica, V. 7., p. 953.

(٨) (١٠) Le Strange : The Lands of The Eastern Caliphate, p. 103.
ابن الأشتحة : الدر المنقب ، ص ٢٠٠ .

Dulaurier (١١) الى اسم الرها بقوله « أن البطريك السرياني ديونيسيوس Dionysius of Tell Mahré قال في تاريخه ان الرها تشتق اسمها من (اورهوى) وهو اسم ابن الامير خبيوا Hewyā اول ملوك الرها والذي بدأ ملكه عام ١٢٦ ق.م » (١٢) .

ما ياقوت الحموي الجغرافي الاديب الذي عاش في القرن السابع الهجري — الثالث عشر الميلادي (ت ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م) فيذكر ان المدينة سميت باسم الذي استحدثها وهو الرها بن الهندى ابن مالك ابن دمر . وقال ايضا عن ابن الكلبي في الانساب ، الرها ابن مسند بن مالك بن دمر ، كما قال : انها سميت بالرها بن الروم ابن لطفى بن سام بن نوح (١٣) . وفي موضع آخر ذكر انها سميت ايضا اذاسا (١٤) .

نعمت مدينة الرها للخراب بعد بنائها الاول ، كما ذكر ميخائيل السرياني ، وظلت مهجورة حتى عهد الاسكندر الاكبر (١٥) . وذكر ابن شداد انه « في السنة الاولى من تاريخ الاسكندر ملك سلوقوس على سوريا

(١١) هو المترجم الفرنسي لقسييدة رثاء الرها للشاعر الأرمني سيرسيس شنور هالي
Nersès Schnorhali : *Elegie sur la Prise d'Edesse* ; (R.H.C.)
والتي ستأتي مقتداً منها ضمن الملاحق
Doc. Arm., T. 1, p. 227 - 268.

(١٢) حاشية لدولورييه على البيت رقم (٤٠)
Nersès : *Ibid.*, p. 239.
Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953. هنا تعلق
بانه لا هذا الاشتقاق ولا اى اشتقاق آخر يعتبر مرضيا حتى اليوم .
(١٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠٦ . وقد سماها (الرها) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٧٥ .
(١٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٢٧ .
Michel Le Syrien : *Op. Cit.*, p. 278. (١٥)

ويابل وهذا الرجل بنى سلوقية وألغى الرها وحلب واللائقية « (١٦) ويؤكد هذا (دوسو Dussaud) فيقول « تبرز الرها بين المدن التي أسست في سوريا على يد Seleucus Nicator والتي أعطى كلاً منها اسماً مغربياً مثل سلوقية Seleucie ، اللائقية Laodicée الرها Edesse » (١٧) . والواقع أن سلوقس عندما أسس تشييد مدينة الرها سنة ٣٠٤ ق . م أسماها « ادسا الجديدة » تقديرًا لمدينة المقدونيين القديمة (١٨) . ويعتق ميخائيل النرياني على ذلك ويؤكد به قوله أن لفظ « ادسا » الذي أطلق على المدينة في ذلك الوقت كان معناه « عزيزي » (Cheris) (١٩) بما يحمل في طياته روح الأجلال لمدينة المقدونيين القديمة .

وقيل أن الرها عرفت باسم إيطليكية الكرونية في عهد انطيوخس الرابع — Antiochus IV Epiphanès (١٧٥ — ١٦٤ ق . م) والدليل على ذلك ما كتب على السكة التي ضربت في الرها في عهده (٢٠) وقد ذكر ذلك الاسم أيضا (Pliny) ولو أن دوفال يذكر أن الذي دفعه إلى ذلك الامتداد التباس اسم عاصمة (Osrhoëne) مع عاصمة سوريا (٢١)

(١٦) ابن شداد : الأملح الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجليرة ، ح ١ ق ١ ص ١٤ ذكر ذلك أيضا بقوت الحموى : معجم البلدان ، ح ١ ص ١٢٧ من يحيى بن جرير .

(١٧) Dussaud : Topographie de la Syrie, p. 103, Cam. Ancient. Hist. V. XII, p. 493 (1939).

(١٨) E.R. Hayes : L'Ecole d'edesse p. 16, Duval, Op. Cit., p. 23. ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشية ليوسف بن الياس مركيس الدمشقي) . وهنا تذكر

Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 993

أن ادسا اليونانية استحدثت اسمها من عاصمة مقدونيا (أيجيه Aigai القديمة والتي أصبحت بعد ذلك فودينا — Vodena) . ثم يؤكد هذا أيضا ما ذكر في Cam. Med. Hist.

Vol. IV, Part 1, p. 178, 185, 317, 318, 319.

أن ادسا فيها بين النهرين غير ادسا المسماة فودينا وهي إحدى بلدان البلقان .

(١٩) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.

(٢٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشية ليوسف بن الياس مركيس الدمشقي) .

Duval : Op. Cit., p. 23. (٢١)

وقد سميت المدينة أيضا (Justinopolls) (أى مدينة
 جستين نسبة إلى الإمبراطور البيزنطى جستين الأول Justin I
 (٥١٨ — ٥٢٧ م) الذى أعاد تربيعها بعد غيضان أصابها (٢٢) .
 أما المؤرخون اللاتين فيعبدون أسماءها فمنهم من يذكر ادسا Edessa (٢٣)
 وهو شائع لدى الكثير منهم . وهو ما ذكره التمامر الأرمنى نيرسيس
 فى مرقته عن الرها بعد سقوطها (٢٤) ، بل هو اسم لا يزال الفرنج يطلقونه
 عليها إلى أيلنا هذه (٢٥) . كذلك بعض المؤرخين اللاتين يسميها Edissa (٢٦)
 أو — Edyessa (٢٧) . والبعض الآخر يسميها (Rages) (٢٨) . ومنهم
 من يسميها — Callirhoe (٢٩) . أو (Rohas) (٣٠) أو (Roas) (٣١) .

- (٢٢) Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14 p. 1422 .
 كان ذلك الغيضان سنة ٢٥٠ م (Evagre ; Hist. Eccl.)
 Cafari Genuensis : Liberatio Orientis : Hist. Occid. T. 5, (٢٣)
 part I, p. 71, Documenta Lipsanographica IX Tractatus de
 reliq. S. Stephani, Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 317, 318,
 Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana,
 (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 80. (حاشية)
 (٢٤) البيت ٤٠١ (أيه ادسا ، مدينة الرها)
 Nersès : Op. Cit., p. 239.
 (٢٥) على سبيل المثال لا الحصر
 William of Tyre : A Hist. of Deeds, Vol. 2,
 p. 116, Setton : A Hist. of the Crusades, V. 1, p. 389,
 Archer : The Crusades, p. 147.
 (٢٦) Theodori Paldensis : Narratio Profectionis Godefridi
 Ducis : Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 194, Historia
 Gotfridi X - Anonymi Rhen. Hist. Et Gesta Ducis
 Gotfridi Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 504.
 (٢٧) Ad Historiam Gestorum : Viae Nostri Lemporis Hieroso-
 lymitanae, Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 752.
 (٢٨) وهو يضيف أيضا أنها كانت تسمى عند تدوينه للكتاب باسم — Rahasia
 Baldrici, Episcopi Dolensis : Op. Cit., p. 80 William of
 Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 189.
 (٢٩) Guiberti Abbatis : Gesta Del Per Francos: (R.H.C.), Hist.
 Occid. T. 4, p. 165.
 (٣٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. (R.H.C.) Hist. Occid. (٣٠)
 T. 4, p. 436, Liber III, p. 352.
 (٣١) Theodori Poldensis : Op. Cit. T. 5, Part I, p. 194.

أما الاسم الحالي للمدينة فهو أورفا Orfa أو Urfa (٢٢) الذى قبل أنه مستمد من اسمها الأرامى المبكر Urhai (٢٣) والواقع أنه مهما تعددت الأسماء فالشائع من أسمائها هو الرها العربية وادسا الأفرنجية وأورفا الحالية .

فإذا انتقلنا إلى تاريخ المدينة القديم ، بعد أن أعيد بناؤها بواسطة سلوقس فى القرن الرابع (ق . م) فأننا نجد الرها ظلت بعد ذلك هليستيه الطابع وعاصمة لمملكة أوسروين (٢٤) التى كانت المعتل الرئيسى بين ممالك الثقافة السريانية فى زمن الإمبراطورية الرومانية (٢٥). ثم كان أن انقسمت الدولة التى كانت تخص سلوقس بين الروم والفرس ، ووقعت أوسروين على الحدود بين الإمبراطورية الرومانية والفرسية (٢٦) وحتى نهاية القرن الثانى الميلادى كانت الرها خارج الإمبراطورية الرومانية وبالتالى داخل النفوذ الفارسى . وفى الحرب التى شنها الإمبراطور Trajan على الفرس قامت الرها كثيرا إذ حمرت ونهبت على يد القائد الرومى لوكيوس كيوئوس Lucius — Quietus سنة ١١٤م (٢٧) وقبل سنة ١١٦م (٢٨) وفى ذلك يقول جيبون : « صار حكم أوسروين الضعفاء بين شقى الزحى بين

(٢٢) Grousset : وحاشيه لدولورييه (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 259
Hist. des Croisades, V. 1, p. 52, Cam. Anc. Hist. V. XII,
p. 498, Le Strange : Op. Cit., p. 104.
(٢٣) Encyclopaedia Britannica, V. 7 p. 968, (1768), Le
Strange : Ibid. p. 104 (AR. Rūhā)

ويذكر الأخير أنه تحريف للرها العربية
(٢٤) L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888.
p. 519

وكانت هذه المملكة تقع فى شمال غرب الجزيرة بحددها نهر الفرات والخابور وأنها استقلت عن مملكة السلوقيين فى القرن الثانى قبل الميلاد وصارت مملكة مستقلة عاصمتها الرها .

(Cam. Anc. Hist., V. XII p. 493).
(٢٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969. (1768).
(٢٦) Cam. Anc. Hist., v. XII, p. 493.
(٢٧) Cam. Anc. Hist., V. XI, p. 249.

يذكر أن ذلك القائد الرومى خرب الرها ونصيبين وأحرقهما فى هذه السنة .

(٢٨) Burkitt : Op. Cit., p. 8, Encyclopaedia of Islam, V. 3,
Part 2, p. 994 عن (E. Honigmann).

الامبراطوريتين المتنافستين ، وكانوا يميلون الى جانب الفرس ولكن كنة روما كانت أرجح لماكرتهم على الخضوع لشيعتها .. وبعد انتهاء الحرب الفارسية على يد ماركوس Marcus تشككت روما في اخلاصهم وولائهم لها ، فاقبلت الحصون في اجزاء عديدة من البلاد وثبتت حامية رومانية في بلدة نصيبين القوية ، كما أرسل أبجر التاسع Abgar IX آخر ملوك الرها مقيدا في الأغلال الى روما ، يعد ان حددت مناطق نفوذه وصارت بلاده ولاية رومانية . وبهذا حصل الرومان على مركز ثابت ودائم فيما وراء الفرات « (٣٩) . وهكذا دخلت الرها تحت الحكم الروماني سنة ٢١٦ . (٤٠) وقد دخلت المدينة لفترة من الزمن ضمن مملكة تدمر (٢٥٧ — ٢٧٣ م) (٤١) تحت حكم ابنه Ogdainath وزنوبيسا Zenobia — وذلك منذ ٢٦٠ الى ٢٧٣ م (٤٢) .

لما عن مكانة الرها في ظل المسيحية فقد ذكر أبو الهيجاء ان الرها كانت من اشرف المدن عند التصارى واعظمها محلا وهي احدى الكراسى المطرانية (٤٣) . فائرمها بيت المقدس ثم بطليكة ثم رومية ثم القسطنطينية والرها (٤٤) .

Burkitt : Ibid., p. 8, 9. (٣٩)
Burkitt : Ibid., p. 9, Dictionnaire d'Histoire et de (٤٠)
Geographie, T. 14, p. 1422.

Lammens : La Syrie p. 12. وهي التي سماها اليونان بالميروا (٤١)
— Palmyra وهي تقع أقصى شمال دمشق في الصحراء الكبرى في واحة
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 1020.

Dictionnaire D'Archeologie, T. 4, Part 2, p. 2087.
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994, 995. (٤٢)

(٤٣) أبو الهيجاء : تاريخه ، ح ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث
٥٣٩ هـ .

(٤٤) أبو شامة : الروضتين ، ح ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابن الاثير : الباهر ،
تحقيق طليعات ، ص ٦٦ — ٦٧ ، ابن قسطنطين : شهابه : الدر الثمين ،
ميكروفيلم رقم ٢٣٧ . (١) البلب السابع ٥٣٩ هـ .

ويقال أنه من أسباب ارتفاع مكانه مدينة الرها الدينية ، أنها تضم رفات بعض الحواريين مثل توماس ولداوس (٤٥) ، هذا فضلا عما اثار اليه أبو زيب اسقف قيصرية في كتابه عن تاريخ الكنيسة من خطابه ملكها أبجر الى السيد المسيح (٤٦) .

وقد اشتهرت كنيسة الرها الأولى بأنها كانت مقر مطران ما بين القرنين (٤٧) وعندما قامت في الرها جالية مسيحية صارت أحد المراكز الأولى لهذه الديانة الجديدة ، واتخذت المسيحية نفسها طابعاً قومياً حيث أنها ظلت تتكلم السرياقية واحتفظت بحكاياها ولغاتها الوطنية (٤٨) .

لما عن الرسائل المتبادلة بين المسيح عليه السلام وأبجر ، وما يرتبط بها من صورة المسيح أو منحه له ، ثم اشتراك الرها في ترجمة الانجيل ملكها تقطع جديرة بالاعتبار . ذلك أن أبو زيب أكد أن الملك أبجر — الذي كان مصلياً يرفض زمن لا ليل في الشتاء منه (٤٩) — أرسل الى المسيح خطباً مع حسان — Hananya أو Hannan — قال فيه : « من أبجر حاكم الرها الى يسوع المخلص الصالح الذي ظهر في نواحي اورشليم ، السلام . لكنتى الى أهلك وما تصنعه من

- (٤٥) الانجيل متى الفصل العاشر (٣) ، العهد الجديد طبعة المرسلين اليسوعيين بيروت ١٩٢٧ .
Gesta Francorum : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 8 p. 543
William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 144, Archer : Op. Cit., (٤٦) p. 60.
Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 341. (٤٧)
Burkitt : Op. Cit., p. 10, 11. (٤٨)
E.R. Hayes : Op. Cit. p. 27, Burkitt : Ibid., p. 11 (٤٩)
وأبجر هذا هو الذي كانت كنيسة الاسود (Duval : Op. Cit., p. 83).
وعنها يذكر الدبس : تاريخ سوريا ، ٢ م ٢ ص ٥٢ — ٥٤ « أن الاسود من باب الاسداد لأن مرفقه كان الأرض وجسمه كله أبيض » ويشير نيرسيس في مرفقه للرها الى أبجر على أنه مؤسس مدينة الرها (البيتين ١٧٢ — ١٧٤) فهو يقول : إذ أن الملك أبجر قد هادنني هناك لكن دولورييه يخطئ على ذلك لأنه Nersès : Op. Cit., p. 282 ليس المؤسس لكنه من أشهر من اعترف بتمجدها واسماها . والراجح أن ذلك التطبيق صحيح لأننا لم نعلم على ما يبدو رأى نيرسيس ضمن مصادرنا .

الشفاء دون عقلية ودوية فقد ذاع انك تبرىء العميان وتشفى البرص وتطرد الشياطين والارواح الردية وتشفى المرضى امراضا عضالة وتقيم الموتى ، فلما يلقى هذه الامور منك رايت فى نفسى انك اما اله حقيقة هبط من السماء وضع هذه الآيات واما انك ابن الله حقا ، ولذلك كتبت اليك سائلا ان لا تائف من ان تزورنا وتبرىء امراضنا ، قد سمعت ان اليهود يفتنوك ويحولون قنك على مدينة جميلة وان صغيرة فتكلمنى وتكلمك « (٥٠) » .

وكان ان رد المسيح قائلا : « طوبك يا ابجر لانك آمنت بى دون ان تراى فقد كتب عنى ان من يرونى لا يؤمنون بى ومن آمنوا ولم يرونى فلهم الحياة » . قد كتبت الى ان اتى اليك ولكن يلزمى ان اكمل كل ما ارسلت من اجله واذا تمت لك عدت الى من ارسلنى ويمتد اليك حالا واحدا من تلاميذى يبرىء مرضك ويوليك وجميع ذويك الحياة « (٥١) » .

بل ان يوركيث يضيف فى آخر رد المسيح — الذى نقله عن ابو زيب — تلك الكلمات « سيحفظ بذلك ولن يسود عليه اى عدو ابدا » (٥٢) . اما المصدر الاخرى التزم لتاريخ متى الرهولوى فيشير الى ان خطاب المسيح لاجبر انتهى بتلك الكلمات « ان المجاعة والفناء لن يخطا ابدا تلك المدينة » (٥٣) . وهكذا تضمن خطاب عيسى المسيح الى ابجر بركة منعت خصمها لمدينة الرها مع الوعد بان لا يتمكن احد الاسداء ابدا من التغلب عليها . ويبدو ان هذا الوعد أصبح مادة مألوفة عند الرهوليين ، مما ضاعف من شهرة تلك المدينة (٥٤) .

لذلك سميت « الرها المقدسة » او « الرها المباركة » وقد سعى كثير من ملوكها باسم ابجر وعدد ديونيسيوس تسعة وعشرين منهم بهذا الاسم (٥٥) .

اما سورة المسيح التى تعتبر الاثر الثانى المقدس الذى زاد من مكانة

(٥٠) الدبس : تاريخ مسورية ، ج ٢ م ٣ ص ٥٤٤ .

(٥١) نفس المصدر والصفحة .

(٥٢) Burkitt : Op. Cit., p. 14.

(٥٣) Chronique de Grégoire Le Prêtre (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 159.

(٥٤) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 29 - 30, Burkitt : Op. Cit., p. 15

(٥٥) الدبس : تاريخ مسورية ، ج ٢ م ٣ ص ٥٤٥ .

الديانة فنقرأ عنها الكثير من التسميات ،البعض يسميها مندبل المسيح(٥٦) لو مندبل عيسى بن مريم(٥٧) والبعض يسميها الفيرونيكا (٥٨) أو للورنيقة (٥٩) .وهنا تختلف الآراء ، هل تلك الصورة كانت بيد بشر ؟ لم انها رسمت بطريقة الهية ؟

وفقا لراى بن العبرى ، يقول : « ان ابجر ملك الرها ارسل الى المسيح يطلب منه ان يراه فمصح المسيح وجهه في مندبل انطبعت فيه تقاطيعه وارسله اليه (٦٠) » ويتفق مع هذا الراى ما ذكره دولوريه (٦١) و — Ostrogorsky الذى يذكر « انه المندبل المقدس الذى لم يصنع بايدى انسان (٦٢) » . والواقع ان هناك تفسيراً آخر يقترّب من ذلك الراى وهو « انه صورة المسيح طبعت على القماش الذى قدمه له القديس فيرونيكا ليسج حاجبه حينها حمل صليبه وهو في طريقه الى مكان الصلب (٦٣) في حين اتفرد Bar, Bebraeus, Burkitt براى آخر هو « ان الملك ابجر ارسل رساما يسمى حنا لابلايوس John Labellarius فرسم صورة لوجه السيد المسيح على

(٥٦) القريشى : اخبار الدول وآثار الاول من ٥١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب من ٢٠١ ويذكر لوسترانج ان السعودى : Le Strange Op. Cit. p. 103. يسميه (مندبل المسيح الناصرى) اما Gesta Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 543 فيذكر انها « صورة المسيح ارسلت مع الرسول تايوس في منشقه » . (٥٧) ابن حوقل : صورة الأرض من ٢٠٤

Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) (٥٨) وهنا يمود (لوسترانج) فيذكر انها احد Doc. Arm. T. 2, p. 270 الفيرونيكات المحددة : لكن هل فيرونيكة الرها هي الموجودة الآن في روما او جنوا ؟ لم يستقر الراى بعد(Le Strange Op. Cit., p. 104) (٥٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 909 (1768).

(٦٠) ابن الأثير : الكامل Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 162 ح ٦ ص ٢٩٤ ، ابن السامى : اخبار الخلفاء ، مخطوط تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦١) في تطبيق دولوريه على البيت رقم (٤٠) ص ٢٢٧ .في قصيدة نيرسيس يذكر « ان ابجر ملك الرها سمع عن المسيح فارسل اليه رسالة يميز له فيها عن اعجابه واستياقه اليه طالبا في الوقت نفسه رسمه . ويقال ان المسيح اتخذ مندبلا وضبط به على محبسه فانطبعت فيه ثم ارسله لابجر » .

Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 246 (٦٢)

The American College Dictionary, p. 1351. (٦٣)

لوحة أحضرها لأبجر » (٦٤) ولو أن ابن العبري يشترك في الرأي الأول، فربما نقل الرايين في موضعين مختلفين .

ومهما يكن من أمر فقد ظلت تلك الصورة المعجزة ، موجودة في الرها حيث اعتبرت الحامية للمدينة Palladium (٦٥) . ويقال إن ذلك الأثر المقدس ظل موجودا في الرها إلى سنة ٣٣١ هـ . ٩٤٣ م في عهد الخليفة المتقي لله العباس حين أرسل ملك الروم يطلب منه التمدل الذي كان موجودا في كنيسة الرها . وقد أفراه أن فعل ذلك بإطلاق سراح عدد كبير من أسرى المسلمين . فاحضر المتقي لله القضاء والعقهاء واستفتاهم فاخطفوا فقال بعضهم إن تسلم وزاى الآخر إلا تسلم قاتلين : « أن هذا التمدل لم يزل من تقديم الدهر في بلاد الاسلام لم يطلبه ملك من ملوك الروم ، وفي دفعه اليهم غشاضة » (٦٦) وكان في الجماعة على بن عيسى الوزير فقال : « أن خلاص المسلمين من الأسر ومن الضر والضنك الذي هم فيه أولى من حفظ ذلك وإرسال إلى الملك من يتسلم الأسرى من بلاد الروم فاطلقوا » (٦٧) .

لما نور الرها في ترجمة التجيل ، فقد كانت المدينة مركزا لجلالية

Burkitt : Op. Cit., p. 13, Bar Hebraeus : Op. Cit. (٦٤)

V. 1 ; p. 48

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768). (٦٥)

وهنا يذكر المورد القاموس الإنجليزي عربي من ٦٥٢ تفسيراً لتلك الكلمة بأنها تمثال (بالاس اثينا) آلهة الحكمة عند الإغريق ، وكانوا يعتقدون أن سلامة مدينة طروادة مرهونة به .

(٦٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ص ٢٩٤ ، ابن السامى : أخبار الخلفاء ، مخطوط ، تاريخ تيمور ، رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .
(٦٧) المصدرين السابقين نفس الصفحات . وهنا يعقب ابن العبري في تاريخه :

« أن المتقي جمع الكتاب الموثوق فيهم وسألهم ، هل القاتلون يخول لهم مثل تلك الذريعة كما هو للمسيحيين أم لا ؟ فأجابوا ؟ « بالرغم من أنه أفرأط في حق لنا للتبرك بهذه الصورة المطبوعة على القماش ، ولكن يجب إعطاؤها لهم لأن المسلمين يفاسون من الجوع والعري »
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 163)

يهودية كبيرة قبل أن تتأثر بالمسيحية (٦٨) . ولما ذهب إليها (آديا) (٦٩) أوتداوس نزل عند أحد يهود فلسطين ونجحت مواعظه الدينية بين اليهود (٧٠) . ويروى أن (آديا) أرسل بعض المؤمنين إلى بيت المقدس لينرجموا العهد القديم من العبرية إلى السريانية (٧١) . وتشير شواهد مختلفة أن هؤلاء المترجمين لم يكونوا يهودا منسكين بمعتقدتهم ولا وثنيين وإنما كانوا يهودا تحولوا إلى المسيحية Judeo — Chretiens (٧٢) والواقع أن ترجمة العهد القديم إلى السريانية من العبرية وبوجه خاص الأسفار الخمسة الأولى منه توحى بأن هذه الترجمة عمل مردي قام به شخص على معرفة طيبة بالعبرية (٧٣) وربما تمت ترجمة العهد القديم إلى السريانية في الرها نفسها وليس من طريق بعض أهلها اليهود في فلسطين أو القدس . ويؤيد Duval هذا الرأي فيقول : « أن ترجمة العهد القديم تمت حوالي منتصف القرن الثاني في الرها نفسها » (٧٤) .

وفي حوالي سنة ٢٠٠ م أعيد تأسيس كنيسة الرها من جديد على أسس من الاتحاد الوطني مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية داخل الإمبراطورية الرومانية . وتم ذلك تحت رئاسة الأسقف بالوت ، ويعنى هذا أن كنيسة الرها اتخذت اتجاهها غربيا (٧٥) . قصد أن كانت محافظة على طابعها وكان أن حمل ذلك الأسقف إليها ترجمة من العهد الجديد — أو بمعنى آخر الأناجيل الأربعة الأولى من العهد الجديد

Duval : Op. Cit., p. 85 - 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, (٦٨)
Cam., Anc. Hist. V. XII, p. 494, L.J. Tixeront : Jour.
Asiatique, T. XII, Paris, 1888, p. 518.

Duval : Ibid., p. 86, E.R. Hayes : Ibid., p. 28 (٦٩)

أما كتاب الفريدة النلمية في تاريخ الكنيسة ، ص ١ ص ٦٣
مسيحية (يهودا أو ثاديوس أولبيادس) .

Burkitt : Op. Cit., p. 72. (٧٠)
أما (٧١)

E.R. Hayes : Op. Cit., p. 36. Cam. Anc. Hist. V. XII, p.494
مليكر أن الجالية اليهودية في الرها وفي نصيبين هم الذين ترجموا العهد
القديم إلى السريانية .

E.R. Hayes : Ibid., p.p. 36 — 37. (٧٢)

Burkitt : Op. Cit., p. 71. (٧٣)

Duval : Op. Cit., p. 110. (٧٤)

Dictionnaire d'archeologie .. T. 4, Part. 2, p. 2082, 2088, (٧٥)

L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888, p. 518,

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953,

==

مع سفر أميسال الرسل ورسالات بولس الانجيلية الاربعة عشر ونسخة من العهد القديم نحتت تنقيحا بسيطا عن اليونانية ، ووسعت بترجمات عن اليونانية (٧٦) ويبدو أن هذا الاتجاه نحو التقارب من الكنيسة الشرقية قد اثار كثيرا من الاضطرابات في الرها ومن الاضطرابات التي راح شحيتها بعض الشهداء ، أشهرهم الأسقف برسوما - Barsamya في منتصف القرن الثالث لكن الأسقف رابولا - Rabbūla (٤١١ - ٤٣٥م) أنهى تلك الاضطرابات في الرها (٧٧) . وهكذا يبدو لنا من هذا العرض الموجز أهمية الرها في تاريخ المسيحية المبكر .

أما عن دخول الرها في حوزة المسلمين ، فقد تم ذلك سنة ١٨ هـ (٧٨) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عياض بن غلم وتم ذلك صلحا ، فعندما نزل عياض بباب الرها واشتبك الجانبان أرسل بطرق المدينة يطلب الأمان « فصالحه عياض على أن أمن جميع أهلها على أنفسهم وذرائعهم وأموالهم ومدينتهم » (٧٩) وفي عهد معاوية الأول أُميد بناء جزء من كنيسة الرها القديمة كان قد دمره أحد الزلازل (٨٠) . أما في عهد عبد الملك ابن مروان فقد بنى هذا الخليفة الأموي كنيسة للتعبيد بالرها (٨١) .

== هنا يضيف الحناطيلوس افرام الثاني : مقلده في سورية ص ٢٣ (على السريان منذ القدم ينقلوا الى لغتهم الرهاوية جملة من التأليف اليونانية الدينية والفلسفية والتاريخية والأدبية وانتشرت على يدهم تصانيف القدمين الى العربية . واتصلت اليها كتابات شتى بالسريانية الرهاوية منقوشة بالقلم الاسطرنجيلي (نشر بعضها الممالك المستشرق يونيون في جامع الكتابات السالابية - Inscriptions Sémitiques في الماسة الاولى قبل الميلاد على حجر في جوار الرها . والخط الاسطرنجيلي هو خط المسيحيين الشرقيين Nestorians.

I.J. Gelb : A Study of Writing, Chicago, 1952, p. 187.

Burkitt : Op. Cit., p. 77.

Burkitt : Ibid., p. 49, Encyclopaedia Britannica, V. 7, (٧٧)
p. 969; (1768).

(٧٨) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٧ (مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩) ، الطبري : تاريخه ج ٣ ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥٧ - ١٣٥٧ هـ ولو أن الطبري في موضع آخر يذكر أن ذلك كان سنة ١٩ هـ (٣ ص ١٥٥) ولكن الراجح أن ذلك كان سنة ١٨ هـ .
(٧٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٧ .

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954. (٨٠)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 105. (٨١)

وفي عهد الخليفة أبى جعفر المنصور هدمت جدران الرها المتينة
التي كانت قد بنيت في عهد سلوقس ومارافريم — Mar Ephrem (٨٢)
لكن أهالى الرها أعادوا بناءها على نفقتهم في عهد الخليفة المأمون
سنة ٨١٤ م (٨٣) .

ظلت الرها تابعة للحكم الاسلامى حتى دخلت تحت نفوذ البيزنطيين
في بداية القرن الحادى عشر الميلادى عندما اعتلت الأسرة المقدونية عرش
بيزنطة (٨٦٧م — ١٠٥٦م) نكثت المرحلة الأولى من حكمها وهى التى
امتدت حوالى قرن ونصف من ٨٦٧ حتى ١٠٢٥م المدة فترة في تاريخ
الامبراطورية السيلس والحضارى حتى لقد اطلق عليها المؤرخون اسم
(العصر الذهبى) للامبراطورية البيزنطية (٨٤) .

والواقع ان البيزنطيين تحولوا في القرن العاشر من ناحية
حدودهم مع المسلمين من الدفاع الى الهجوم واعتبر هذا القرن عصر
صحوه بالنسبة لبيزنطة (٨٥) . وكان من أهم العوامل التى أدت الى انقاذ
البيزنطيين سياسة الهجوم في ذلك القرن هو رغبتهم في استعادة
مستعمراتهم القديمة في الشرق الأدنى ؛ تلك المستعمرات التى فقدوها
في القرن السابع الميلادى عندما قام العرب بحركة فتوحاتهم الكبرى ،
وازدادت شدة تلك الرغبة نتيجة لما شعر به البيزنطيون من نمو
قوتهم في القرن العاشر الميلادى (٨٦) .

ففى عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ — ٩٥٩م) وبالنحديد
سنة ٩٤٣ م استولى القائد حنا كوركواس — John Curcuas

(٨٢) فهو يذكر أنه عندما Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 279,
أراد الخليفة أبو جعفر المنصور — الدوانيقي — أن يبنى قصر في الرقة ،
أرسل الى الرهويين يطلب بعض اعمدة صغيرة من الرخام من تلك
التي كانت مكدسة في الكنيسة الكبيرة . فلم يعطوه شيئاً وجعلوه يتور
غذهب وأقام الحصار على تلك المدينة ودمر هيكل مارسرجيوس
Mar Sergius وفي اثناء الحصار سقط ذلك الجدار العجيب ولم
يبق منه سوى دور واحد .

Michel Le Syrien : Ibid., p. 279, Bar Hebraeus : Op. Cit. (٨٣)
V. 1, p. 125.

(٨٤) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي ص ٦ . وهنا يشير
Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine, p. 187, (1957)

ان العصر الذهبى للامبراطورية البيزنطية يمتد من ٨٤٣ — ١٠٢٥م .

(٨٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية . ج ١ ص ٥٨ .

(٨٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ .

على ميافارقين وآمد ودارا ونصيبين ثم توجه الى الرها فحاصرها ثم علاه الى القسطنطينية سنة ٩٤٤ م بعد ان اخذ من الرها مندبل المسيح الذي كان موجود بها منذ عهد الملك ابجر (٨٧) .

وفي سنة ٩٤٩ م استولى البيزنطيون على مرعش وفي سنة ٩٥٨ م استولوا على سميساط (٨٨) وفي سنة ٩٦١ استولوا على عين زربة ومرعش ورعبلان ودلوك (٨٩) .

اما في عهد الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩ م) فقد حاول هذا الامبراطور بنفسه الاستيلاء على انطاكية سنة ٩٦٦ م لكنه لم يستطع وعاد الى القسطنطينية لكن المدينة سقطت بيد قائدين بيزنطيين في ٢٨ اكتوبر ٩٦٩ م وهذان القائدان هما Peter Phocas وميخائيل البرجي — Michael Burtzes (٩٠) .

ثم استنجد قرغويه حاكم حلب بالروم ضد سيده ابي المعالي بن سيف الدولة وذلك في اواخر سنة ٣٥٨ هـ (٩١/٩٦٠ م وبالفعل قدم الروم في بداية سنة ٣٥٩ هـ لنجدة وانسحب ابو المعالي عن حلب (٩٢) وعقدت هدنة بين قرغويه وبين الروم (سفر ٣٥٩ هـ — يناير ٩٧٠ م (٩٣) كان من اهم شروطها تبعية حلب للبيزنطيين (٩٤) . وهكذا خضع شمال بلاد الشام

Ostrogorsky : Ibid., p. 245, Cam. Med. Hist., V. ٤, Part 1, (٨٧)
p. 718 — 719.

Ostrogorsky : Ibid., p. 250. (٨٨)

Ostrogorsky : Ibid., p. 252. (٨٩)

Ostrogorsky : Ibid., p. 257. (٩٠) كان الاستيلاء على انطاكية

في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ (يحيى بن سعيد الانطاكي : تاريخ الذيل ص ١٢٥ (باريس ١٩٢٤)

(٩١) ابن العديم : زبدة الحلب : د ١ ص ١٦١ « كان الحاجب قرغويه قد اتولى شئون حلب مع ابن استاذة ابو المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني . وذلك في ربيع الاول سنة ٣٥٦ هـ بعد وفاة سيف الدولة (ابن العديم : د ١ ص ١٥٥ ، الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٦٤) ثم استولى قرغويه على حلب وطرد منها سعد الدولة وذلك في المحرم سنة ٣٥٨ هـ (الغزى : المصدر السابق ص ٦٥) .

(٩٢) ابن العديم : المصدر السابق ص ١٦٣ ، يحيى بن سعيد الانطاكي : تاريخه ص ١٢٥ .

(٩٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية د ١ ص ٦٣ ، عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي ص ١٠٦ .

(٩٤) تناول ابن العديم شروط المعاهدة بالتفصيل في زبدة حلب ، د ١

=

في أواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجري — خاصة أنطلكية وحلب —
للنلوز البيزنطى (٩٥)

وفي عهد الإمبراطور حنا تزييمسكس (٩٦١ — ٩٧٦ م) في خلال الفترة
الممتدة من ٩٧٢ — ٩٧٥ م قسّم هذا الإمبراطور بلّرج حملات هامة في
الشرق الأدنى ، الثلاثة الأولى منها كانت في شمال العراق في إقليم الجزيرة
في الفترة الممتدة من ٩٧٢ الى ٩٧٤ (٩٦) .

أما حملته الرابعة على بلاد الشام سنة ٩٧٥ م فقد تميزت بروح
صليبية ظاهرة ، برزت من خلال الرسالة التي أرسلها الإمبراطور لحليفه
آشوت الثالث (٩٧) .

أما الإمبراطور باسيل الثاني (٩٨٧ — ١٠٢٥ م) فقد توحه مرتين
الى شمال الشام الأولى سنة ٩٩٥ م والثانية سنة ٩٩٩ م دون أن
يحقق أى نجاح يذكر (٩٨) وفي بداية القرن الحادى عشر الميلادى عقدت
معاهدة بين الفاطميين والبيزنطيين (١٠٠١ م) ولم يحدث بين الجانبين
أى احتكاكات تفكر حتى نهاية عهد باسيل الثانى (٩٩) .

وفي عهد الإمبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ — ١٠٢٨ م) يبدو
أنه لم يكن هناك أى احتكاكات أيضا أما في عهد الإمبراطور رومانوس
الثالث (١٠٢٨ — ١٠٣٤ م) فقد استولى جورج مانياكس George
— Maniaces على الرها سنة ١٠٣١م (١٠٠) أو ١٠٣٢م (١٠١) /
٤٢٣ — ٤٢٤ هـ . فغلّت ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين
في أواخر القرن الحادى عشر للميلاد (١٠٢) .

= من ص ١٦٣ : ١٦٨ ، تاريخ يحيى بن سعيد الأنطلى ص ١٣٦ ،
Vasiliev : Hist. of the Byzantine, V. 1, p. 309, (1952).

Vasiliev : Ibid., p. 309.

(٩٥)

(٩٦) مبر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١١١ وقد تناول تلك
الحملات بالتفصيل .

Otrogorsky : Op. Cit., p.p. 263 — 264. (1957). (٩٧)

Ostrogorsky : Ibid., p. 273. (1957). (٩٨)

Vasiliev : Op. Cit., V. 1, p. 311. (٩٩)

Michel : Op. Cit., p. 280. (١٠٠)

Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 285, Bar Hebraeus : Op. Cit., ... (١٠١)

V. 1, p. 193, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p.p. 725 726.

Cam. Med. Hist. : Ibid., p.p. 725 - 726.

(١٠٢)

وينهم مما كتبه ميخائيل السرياني مدى الحب الذي كان يكنه أهل الرها للعرب ومدى كرههم للبيزنطيين . وربما يرجع الى اختلاف المذهب الديني لمسيحي الرها عن مذهب البيزنطيين ، فبينما كان المسيحيون في الرها يؤمنون بأن للمسيح طبيعة واحدة، أخذ البيزنطيون بمذهب الطبيعة (١٠٣) . وقد ذكر ميخائيل « أنه عندما دخل البيزنطيون الرها ، هجرها العرب الذين كانوا بداخلها ومعهم أطفالهم ، كذلك هجرها أهلها من المسيحيين ومعهم أطفالهم ، فلما فعل العرب . ذلك أن أهل المدينة المسيحيين كانوا قد ألفوا العرب وعرفوا لغتهم وكتاباتهم في حين كانوا في رعب من البيزنطيين بسبب هرقتهم وميلهم للشر . وهكذا أخلى المسيحيون والعرب المدينة بعد أن أشعل أحد العرب النار فيها فأحرقت المنازل والكنائس وظلت المدينة خاوية في أيدي البيزنطيين » (١٠٤) .

ويبدو أن الرها استعادت حيويتها بعد أن دخلت في نطاق دولة فيلاريتوس الأرمني سنة ١٠٧٧م/٤٧٠هـ (١٠٥) .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع لتاريخ الرها حتى عصر الحروب الصليبية أن تلك المدينة لم تكن بمنأى عن التيارات السياسية والحضارية في العصور القديمة والوسطى . ويرجع السر في ذلك الى موقعها الهام في إقليم الجزيرة ، فقد كانت تكون مركزا هاما في الهلال الخصيب بحضاراته في العصور القديمة ، فضلا عن وقوعها على طريق التجارة بين الشرق وبلاد الشام ، وعلى مفترق الطرق بين الإمبراطوريات الكبرى التي عرفها العالم القديم مثل الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية . لماذا أضلنا الى ذلك كله خصوصية الأرض التي تقع الرها ومسقطها بين عدة أنهار شهيرة كالفرات ودجلة والبلخ ، أدركنا السر في نشاط تاريخ الرها وحيويته على مر العصور .

وظهرت أهمية هذه العوامل كلها من موقع وثروة طبيعية ، في عصر

(١٠٣) كانت بداية ذلك الخلاف في مجمع خلقدونية (٤٥١ م) .
 Charles Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T. II, Part 2,
 p.p. 844 - 846, Hubert Jedn : Brève Hist. des Conciles,
 p.p. 42 - 43, R.P. Janin : Les Eglises Séparées, p.p. 4-5.
 Michel : Op. Cit., p. 280. (١٠٤)
 (١٠٥) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة
 المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ص ١٢٨ عن (Brehier ; Vie Et Mort)
 Cam. Med. Hist : V. IV, Part 1, p. 628.

الحرب الصليبية عندما قامت في الرها أولى الإمارات الصليبية في الشرق ،
وهي الإمارة التي شكلت خطرا كبيرا على خطوط المواصلات الإسلامية
بين الموصل وحلب وبين بغداد وسلاجقة الروم في آسيا الصغرى (١٠٦)
ذلك أن إمارة الرها الصليبية لم تكن تسيطر على أهم الطرق التي تصل
بين الجزيرة والساحل فحسب ، بل كانت أيضا أقرب من أية إمارة
صليبية أخرى إلى 'عاصمة الخلافة العباسية في بغداد (١٠٧) هذا إلى أنها
قامت بدور الحاجز بين الجزيرة والأتراك السلاجقة في العراق وفي فارس
من ناحية وبين الصليبيين في بلاد الشام من ناحية أخرى (١٠٨) ، وبذلك
تحملت الرها شرقي الفرات وتل بالشر غربيه بثقة عبء الدفاع عن
الجهة الشرقية للوجود الصليبي في الشرق الأدنى (١٠٩) هذا كله فضلا
عن الصدمات التي تعرضت لها من جانب التركمان والأتراك من جهة الشمال
وخاصة بنى أرثوذكس الذين حكموا ماردين وحصن كيفا ونصيبين ودياربكر (١١٠)

وارتبط بتوسع السلاجقة في آسيا الصغرى في القرن الحادي عشر ،
دخول أعداد كبيرة من الأرمن إلى الرها . ذلك أن حركة انتشار
السلاجقة في آسيا الصغرى اتخذت اتجاها أفقيا من الشرق إلى
الغرب ، عبر أرمينيا وكبادوكيا وفريجيا وليونيا ، حتى شملت جميع
الجهات الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة . أما الأقاليم الجنوبية
والشرقية من آسيا الصغرى — حول طوروس وملطية ثم الرها
وأنطاكية — فلم يتجه إليها السلاجقة في أول الأمر مما أدى إلى عزل تلك

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175, (١٠٦)

سميد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ٢٠٤ (عن Stevenson)
حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ١٢ (عن Daussaud).

Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478, (١٠٧)

وهنا يذكر برييه أنها كانت الحد المتطرف للتوحيات اللاتينية

Brehier : L'Eglise et l'Orient, p. 90.

J. Prawer : Op. Cit. T. 1, p. 209. (١٠٨)

(Duval : Op. Cit., p. 279).

هنا يشير دوفال أنها حمت مجرى الفرات ومدخل سوريا من القوات التركية

Vasiliev : Hist. of the Byzantine. V. 2, p.p. 56, 69, (١٠٩)

Michaud : Histoire des Croisades, V. 1, p. 248,

Lammens : La Syrie, V. 1, p. 211.

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288. (١١٠)

المنطقة من بقية بلاد الامبراطورية البيزنطية ثم وقوعها بين فتى
الرحى فى الصراع القائم بين البيزنطيين والسلاجقة فى آسيا الصغرى .
وكانت الامبراطورية قد منحت ملوك ارمينيا وراثتها ضياعا واسعة فى
اقليم كابادوكيا . مما ترتب عليه هجرة اعداد كبيرة من الأرمن الى ذلك
الاقليم فى شرق آسيا الصغرى (١١١) . ولكن توسع الأتراك السلاجقة فى
كابادوكيا واستقرارهم فى ذلك الاقليم ، جعل أولئك الأرمن يبحثون عن
ماوى جديد ، فأنجسوا نحو اقليم قيليقية الجبلى فى جنوب شرقى آسيا
الصغرى ، وتركزوا فى الجهات المحيطة ببلطية والرها وانطاكية (١١٢) .

ولما كانت الرها قد غدت مدينة ارمينية بحكم الأرمن الذين نزحوا
اليها واستقروا فيها ، فان هذا يدفعنا الى التعرف على وضع الأرمن فى
منطقة الشرق الأدنى فى القرن السابق لوصول الصليبيين الى تلك المنطقة
أعنى القرن العاشر للميلاد .

أما عن موقع ارمينيا الجغرافى فيقول ياقوت : « ارمينيا الكبرى
خلاط ونواحيا ، ولرمينية الصغرى تغليس ونواحيا » . ويضيف أنها
« سميت ارمينية بأرمينا بن لظا بن أور بن يافث بن نوح عليه السلام
وكان أول من نزلها وسكنها (١١٣) » . وفى فى العصر الحاضر إحدى
جمهوريات الاتحاد السوفيتى (١١٤) .

(١١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٩٧ من (Setton)

(١١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٩٨ من (Iorga)

(١١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، د ٢ ص ١٦٠ .

وخلال هي البلدة الصامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار
البائعة، وهي من فتوح غياض بن غنم وهي قنبة ارمينية الوسطى، وبحيرة
خلاط من عجائب الدنيا (ياقوت : معجم البلدان د ٧ ص ٢٨٠ - ٢٨١) .

وتغليس بلد بأرمينيا الأولى (الأصلية) وبعض يقول بآران ، وهي
مدينة قديمة أزلية انتسحها المسلمون فى أيام عثمان بن عفان ، على يد حبيب
بن مسلمة وظلت بأيدى المسلمين حتى سنة ٥١٥ هـ ثم أغار عليها جيل من
الفرس من جيل أبخاز هم الكرج منتهزين بالخلافات بين حكامها السلاجقة
لملكوها عنوة . وظلت بأيديهم حتى أخذها منهم الخوارزميون سنة ٦٢٣ هـ
ولكن الكرج عادوا مرة أخرى لحكمها عن طريق الأهالى ولكنهم خافوا
من عودة الخوارزميين اليها فحرقوها سنة ٦٢٤ هـ (ياقوت : معجم
البلدان ، د ٥ ص ٣٥ - ٣٦) .

(١١٤) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، مجلد ١ (١٣٨٣ -
١٩٦٣) ص ٧٣ يذكر أنها تحيط ببحيرة فان ومن معالمها الجغرافية جبل

وللتعرف على أحوال أرمينيا الكبرى في النصف الثاني من القرن العاشر الميلاد ، نذكر أنه كانت هناك حوالى ست ممالك مستقلة في أرمينيا، لكن يبدو أن إمرائها كانوا متنافسين باستمرار مما أضعف قوتهم وأطعم نعيم كلا من العرب والبيزنطيين (١١٥) وكان أن أصبحت أرمينيا عند نهاية القرن العاشر في حال شديد من الضعف بسبب الحروب الخارجية والانقسامات الداخلية ، لذلك لم تعد قادرة على القيام بآلية مقاومة فعالة ضد البيزنطيين أو الأتراك السلاجقة وهم العدو الجديد الذى ظهر على حدودها الشرقية (١١٦) .

وقد شجع ذلك الوضع باسل الثانى امبراطور الدولة البيزنطية في عام ١٠٠٠م/ ٣٩١هـ على احتلال بعض الاقاليم الارمنية الواقعة على حدود دولته حتى اضطر الملك سنكيريم Senck'erim الارمنى الى التنازل عن مملكته عام ١٠٢١ - ١٠٢٢م/ ٤١٢ - ٤١٣هـ ، للامبراطور وتلقى بدلا عنها مدينة سيواس في آسيا الصغرى واقاليهما على امتداد الفرات وفي عام ١٠٤٥ م - ٤٢٧هـ اضطر الملك جاجك Gag الارمنى حاكم آنى الى التنازل عن ملكه للامبراطور البيزنطى ايضا وعوض عنه أرضا في داخل كبادوكيا . هذا بالإضافة الى جاجك صاحب قرص Kars الذى تنازل هو الآخر عن املكه للامبراطور البيزنطى عام ١٠٦٤ م/ ٤٥٧هـ ومنح في مقابلها منطقة في كبادوكيا . وبذلك اختفت الممالك الارمنية الصغيرة

= إرات الذى قيل ان سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان ويطلق عليها اسم جمهورية أريغان وعاصمتها أريغان قنرا

Armenia - Armenie - Ecrivain.

Sirarpie Der Nersessian : Armenia and the Byzantine (١١٥) Empire, p. 9.

Sirarpie Der Nersessian : Ibid., p. 10 هنا تذكر دائرة

المصادر الإسلامية المجلد الاول ص ٦٤٧ تحت مادة (ارمينية) : في عهد آشوط الثالث (٩٥٢ - ٩٧٧ م) بنيت قلعة آنى الصغيرة فاصبحت مقر ملكه ، واصبحت دوة الشرق . وحكم سبياط الشانى (٩٧٧ - ٩٨٨) واخوة جاجيق الاول (٩٩٠ - ١٠٢٠ م) حكما سعيديا موافقا وان كانت سياستهما الداخلية الخرقاء قد دفعتهما الى الاشتباك الدائم مع الامارات النصرانية المجاورة ، كما كان بينهم وبين امراء المسلمين الذين يحكمون الجزء الجنوبي من ارمينيا نزاع مستمر . وفي ٩٨٨م هزم داود المقدام امير قيق صاحب الجزء الاكبر من بلاد الكرج - ملون احد امراء المسلمين بالقرب من زيمو . ولما توفي جاجيق الاول تنازع العرش وارثه الشرعى يوحنا وخصمه القوى آشوط الرابع وزاد في تخرج الحالة تدخل أهل الكرج وغارات السلاجقة التى بدأت هجماتها الاولى في ذلك العهد .

الواحدة تلو الأخرى وابتد النفوذ البيزنطى فى أرمينيا غالبا حتى (دوين)
فى الشرق (١١٧) .

ولم يلبث السلاجقة أن انزلوا هزيمة كبرى بالجيشين البيزنطية فى
موقعة مانزكرت ، قرب بحيرة مان سنة ١٠٧١ م / ٤٦٤ هـ وهى الموقعة التى
أسر فيها الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع (١٠٦٧ - ١٠٧١ م) .

وقد نقل (جروسية) عن (متى الرهاوى) (١١٨) تصا يبرز لنا مدى
كره الأرمن لبيزنطه وشمايتهم لما حل بها على يد الأتراك السلاجقة . فى
ما نذكره ، فيقول بعد أن صمد الأرمن أمام المسلمين وعرفوا كيف يدافعون
عن استقلالهم أمام الضغط الاسلامى ، اذا بالامبراطورية البيزنطية اليوم
تصدر لحمة الدفاع ضد الأتراك ولكنها الهارت أمام الضربة الأولى
من جانب الأتراك المسلمين ان هؤلاء البيزنطيين لم يعرفوا كيف يدافعون
عن الأرمن ، بل لقد اضطروهم الى الهجرة من بلادهم فى أعداد هائلة . . .
ان الكوارث التى حلت بالأمة الأرمينية أفدح من ان يستطيع أحد
روايتها . . آلامها وبموها ، كل ما قاسته على يد الأتراك فى وقت ما
فقدت فيه مملكتنا سيادتها الشرعية التى انتزعها أولئك البيزنطيون الذين
تصدوا للدفاع عنا وهم عاجزون ، مخطئون متخئون . . . انها الدولة
البيزنطية الخسيسة ، تلك التى دمرت عرشنا القومى ، واستطقت ذلك
الجدار الواقى الذى كونه جيشنا الشعبى الباسل ومحاربيها
الشجعان » (١١٩) .

ولقد رأينا كيف أجبر البيزنطيون أعدادا كبيرة من الأرمن على
الهجرة الى كبادوكيا فى آسيا الصغرى . وهناك حلول البيزنطيون أن
ينسوا أولئك الأرمن مسائلتهم القومية الخاصة بضياع ملكهم الأول ، وأن
يسدلوا ستارا على عجزهم عن حمايتهم أمام الأتراك المسلمين ، واجأوا
من أجل ذلك كله الى ادخال الأرمن فى دوامة الخلافات الدينية .

(١١٧) عن Sirarple : Ibid., p. 11, Grousset : L'Empire, p. 173
(Mattieu)

أسد رستم : الروم ، د ٢ ص ١١٥ .

(١١٨) لم يرد هذا النص ضمن (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1

فى الجزء الذى كتبه متى الرهاوى واستطقت منه لذا أخذته عن جروسية .
Grousset : L'Empire ... p. 174. (١١٩)

وهنا يظهر مدى حقن متى الرهاوى من البيزنطيين من الأوصاف التى
وصلهم بها والتى أوردنا ترجمتها كما هى .

وهكذا « اقتصر جهود البيزنطيين على افساد العقيدة الحقيقية للارمن وهي العقيدة التي قامت على اساس المذهب المونوفيزيتي أو الطبيعة الواحدة على قول متى الرهاوى . واخذت الحكومة البيزنطية تبعد من يوجد في الشرق من الرجال الارمن الشجعان .. وتجبرهم على البقاء في الأرض البيزنطية وعلى ذلك فان الهجرة الارمنية الى كبادوكيا هجرة اصطنعها وفرضها البيزنطيون » (١٢٠) .

هذا الى ان جهاعات اخرى من الارمن اضطرت الى الهجرة الى مناطق اخرى مثل اتليم طوروس وقيليقية ، امام ضغط الأتراك السلاجقة المتدفقين بشدة من الشرق « فقد ترتب على توسع السلاجقة الأتراك ، في الاقاليم الواقعة شرقي آسيا الصغرى ، هجرة كثير من بلادهم الاصلية في ارمينيا الكبرى الى الاقاليم الواقعة غربي الفرات وشماليه ليستقروا في جهات كان بعض اخوانهم الارمن قد سبقوا اليها واسموا فيها جاليات في عصور سابقة » (١٢١) .

وازدادت تلك الهجرة قوة بعد موقعة مانزكرت السابقة الذكر ، اذ تحرك كثير من الارمن من موطنهم الاصلى القديم حول بحيرة فان Van في اواخر القرن الحادى عشر امام ضغط الأتراك السلاجقة الى شمالي انطاكية في جبال طوروس وسفوح تلالها الجنوبية حيث كونوا العديد من الامارات الارمنية (١٢٢) . وهناك انقسم المهاجرون الارمن الى قسمين : قسم خضع لنفوذ بيزنطة وقسم اعلن استقلاله عنها .

١٢٠) وهنا يشير جروسية في 175 - 174 p.p. : L'Empire Grousset نفس الصفحة الأخيرة في سطور قليلة الى مدى ما وصل اليه الخلاف الدينى أحياناً . لعلنا جاك في مناطق نفوذه الجديدة في كبادوكيا كان على سوء تفاهم مع المطران البيزنطى لقيصريه المسمى — Marcos الذى انزعج من اطلاق الهجرة الارمنية وركز عدوانه ضدهم الى درجة اعطاء كلبه اسم Arme . مما ادى الى غضب جاك وقام بكثير من عمليات النهب والضرب التى وصلت الى الحيوان نفسه ، وراح الاسقف نفسه ضحية تلك الشدة .

(١٢١) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمنية الصغرى ص ١٣٦ من (Iorga) فقد تحركت الهجرة الارمنية الى الاقليم الوحيد الذى ترك دون أن يحتله الغزاة وهو جنوب شرق آسيا الصغرى وشمال سوريا . حقيقة أن ارمينيا الجديدة في النفى كانت تكويناً غير طبيعياً لكنها في الواقع عاشت مدة اطول من أى دولة فرنجية في الشرق (Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 628) .

Setton: Op. Cit., V. 1, p. 371.

(١٢٢)

أما عن القسم الأول فيذكر — Pasdermadjian « أنه منذ أواسط القرن الحادى عشر قمعت جموع من الأرمن استقرت تحت زعامة نبلائهم ، فى إقليم طوروس . ولم تلبث هذه الجموع أن دخلت دائرة السياسة البيزنطية الخاصة بشحن المضائق الموصلة الى قىليقية — بوصفها إحدى الاتصاليات التى كانت أكثر تعرضا للخطر من ناحية هجمات المسلمين — بالعناصر المحاربة القادرة على الدفاع عن المضائق (١٢٣) . فقد فكر الإمبراطرة فى تقوية أقاليم دولتهم الواقعة على حدود قىليقية بأن وضعوا الأراضى والممتلكات المهمة فى أيدي نبلاء عرف عنهم الشجاعة العسكرية (١٢٤) .

أما القسم الثانى من الأرمن الذين استقروا فى قىليقية فهم العناصر التى اتجهت نياتها لا للخضوع لبيزنطة ، وإنما للبقاء مستقلين (١٢٥) .

ومن أمثلة النوع الأول — والذي لم يلبث أن تحول بعد فترة من الزمن ضمن القسم الثانى — شخصية فيلاريثوس الذى خدم لفترة طويلة فى الجيش البيزنطى « بل وتخلّى عن المذهب المونوفيزيتى — وهو مذهب الطبيعة الواحدة — الى الأرثوذكسية البيزنطية مما جر عليه اللبنة ليس فقط من جانب المؤرخين السريان أمثال ميخائيل السريانى وإنما أيضا من جانب مواطنيه . من المؤرخين الأرمن « (١٢٦) وقد عمل فيلاريثوس هذا فى خدمة الإمبراطورية البيزنطية فى عهد رمانوس الرابع حتى انهزم ذلك الإمبراطور وأسر فى موقعة مانزكرت ١٠٧١ م ١٠٦٤ هـ . وعندئذ رفض الاعتراف بالإمبراطور الجديد ميخائيل السابع دوقاس Michel VII — Doukas (١٢٧) (١٠٧١ — ١٠٧٨) ثم كان أن أخذ فيلاريثوس يدمر مركزه حول مرعش ورعيلن والإبلستين حيث أقام إمارة قوية مستقلة عن الحكومة البيزنطية ، زادت منعة بعد أن استولى على ملطية (١٢٨) .

Pasdermadjian : Histoire de L'Arménie, p. 198. (١٢٣)

(J. De Morgan : Hist. du Peuple Armenien). من

Sirarpie : Op. Cit., p. 12. (١٢٤) فإنه عندما تبين للأباطرة أن

الأرمن يكونون عنصرا قويا على الأطراف الشرقية لدولهم ، فكروا مختارين أو مجبرين فى اتخاذ أولئك الأرمن درعا حاميا وسيلة للدفاع عن الحدود الدولة من ناحية الشرق (سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ص ١٣٧) من (Ostrogersky)

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 198. (١٢٥)

Grousset : L'Empire, p. 177 (Mattieu) (١٢٦) عن

Serarpie : Op. Cit., p. 12, Grousset ; L'Empire, p. 177. (١٢٧)

(١٢٨) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ١٣٧ . الحركة الصليبية ،

ح ١ ص ٦٨ .

ولم يلبث فيلاريثوس هذا أن استطاع أن يكون لنفسه جيشا كبيرا من المرتزقة كانت عناصره من الأرمن والبيزنطيين فضلا عن ثمانية آلاف فرنجي (١٢٩) . بل قيل أنه كان ضمن جيشه «فرس وأتراك» (١٣٠) .

وقد تمكن فيلاريثوس بفضل هذه القوة أن ييسط شيطرته على كثير من المستقل في إقليم قيليقية . فلما سمع الإمبراطور البيزنطي بذلك أرسل اليه الهبات وذهب فيلاريثوس بنفسه الى القسطنطينية حيث ابتهج به الروم وأعطوه الذهب والأسلحة (١٣١) بل وأعطوه السلطة على قيليقية لكي يتسامم الأتراك (١٣٢) .

والواقع أن فيلاريثوس هذا كان قد مد نفوذه على الرها لنفسها عام ١٠٧٧م/٤٧٠هـ حين أرسل أحد ضباطه وهو باسل بن أبي خباب الى الرها ليحكمها ويدير شئونها ، مصده حاكمها من قبيل بيزنطة ، لكن الأهلى ثاروا وقتلوا حاكمهم وسلموا المدينة لمثل فيلاريثوس (١٣٣) .

وقد ظل فيلاريثوس هذا مواليا لبيزنطة وحاكما للرها حتى سنة ١٠٨٦م/٤٧٩هـ عندما توجه ملكشاه الى الشام لمحاربة الإراقة الذين قتلوا سليمان بن قطلبش . فلما وصل ملكشاه الى الرها سلمها له الأهلى بسبب بغضهم لفيلاريثوس . لما كان من فيلاريثوس إلا أن لجأ الى السلطان السلجوقي «ووعده بجزية يدفعها وأن يدعو للخليفة والسلطان (١٣٤) » .

-
- Grousset : L'Empire, p. 178. (١٢٩)
Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 229. (١٣٠)
Bar Hebraeus : Ibid., p. 229. (١٣١)
Michel : Op. Cit., p.p. 187 - 188. (١٣٢)
(١٣٣) أسد رستم : الروم ، ص ٢ من ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المالك ، ومملكة أرمينيا الصغرى ، ص ١٣٨ (من Bréhier : Vie et Mort الحركة الصليبية ، ص ٩٩ .
Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 628.
وقد كان باسيل هذا موظفا من جورجيا الأرمينية ، وهو الذى كان في عهد الإمبراطور روماتوس الرابع قائدا في الرها ونائبا عن الإمبراطور ، وعندما وصل باسيل آنذاك كان الموجود بالرها تافاداتوس - حاكمها باسم الإمبراطورليون - ولكن الأهلى ثاروا وقتلوه ووخموا المدينة في أيدي باسل. (Mattieu) من Grousset : L'Empire, p. 179.
Bar Hebraeus : Op. Cit. ; V. 1 p.p. 232 - 233, Duval : Op. (١٣٤)
Cit. p. 277

كان الخليفة آنذاك هو المعتدى العباس (١٠٧٥ - ١٠٩٤) .

بل قيل أنه أسلم بالفعل « وتحمل الختان » (١٣٥) ولو أن البعض يشير إلى أنه كان مستعداً لمقط — إذا استلزم الأمر — لظهور الاسلام خدمة لمصلحة (١٣٦) . لكن يبدو أنه اعتنق الاسلام بالفعل ثم ارتد للمسيحية قبل وفاته (١٣٧) .

وعندما لا حظ السلطان كره الرهويين له لم يعده إلى الرها بل منحه مرعى بدلاً منها ، حيث أنهى فيها حياته (١٣٨) .

والحق يقال أن فيلاريثوس هذا كان لا يبدو أن يكون مغامراً جسوراً ، فلم يدخر أية وسيلة للوصول إلى السلطان وفي ذلك يقول جروسسيه : « إذا صرفنا النظر عن روح البغض والكراهية التي كدسها له مواطنوه بسبب تحويله إلى مذهب الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية ، فإن فيلاريثوس يبدو بوضوح مغامراً دون شك ، لم يحجم عن ارتكاب أية خيانة ليدعم قوته وسط مظاهر الانحلال البيزنطي والغزو التركي . وهكذا اندس فيلاريثوس بين الإمبراطوريتين ، فظهر أمام البيزنطيين في صورة رجلهم ، المعبّر عن قوتهم ، وفي نفس الوقت ، ظهر أمام الأتراك في صورة المتسامح ، البعيد عن التعصب ، القادر على تنفيذ مشيئتهم مثلما كان يفعل مع المسيحيين » (١٣٩) .

وقد أقدم فيلاريثوس على التعاون مع الأتراك مرتين ، الأولى عند أحد الرؤساء الأرمن ، الذي رفض الخضوع لنفوذه ، فتعاون فيلاريثوس مع أمير ميافارقين ضد أحد أبناء جلدته حتى قتل الأخير ، فالتسم فيلاريثوس الغنية مع حليفه وذلك عام ١٠٧٣ — ١٠٧٤م/٤٦٦ — ٤٦٧هـ (١٤٠) ، والثانية وهي التي سبق ذكرها عندما توجه ملكشاه إلى الرها وعندئذ أظهر فيلاريثوس خضوعه لأرادة السلطان السلجوقي . وبهذا استطاع بفضل مهارته السياسية العالية أن يرض كلا الجانبين في الوقت

(١٣٥) Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٦) سعيد عاشور : سلطنة المالبك ص ١٣٩ (عن

(Michel Le Syrien :

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 231, Duval : Op. Cit., p.277 ١٣٧

Bar Hebraeus : Ibid., p. 231, Duval : Ibid., p. 277. (١٣٨)

Grousset : L'Empire, p. 178. (١٣٩)

(١٤٠) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ١١٥ — ١١٦

Grousset : Ibid., p. 177.

واسم الرئيس الأرمني الآخر هو Thornik Mouchel وكان يحكم في ساسون .

المناسب، بما جعله يحكم في وقت من الاوقات المنطقة الشاسعة المبتدة من خربت (١٤١) فيها وراء الفرات حتى المصيصة (١٤٢) وعين زرية وطرشوس في قتيبيقة ، مارين بملطية وكركر ورعبان وكيسون ومرعش « (١٤٣) .

وعلى ذلك كان قيام ارمينيا الجديدة التي وضع اسمها فيلاريتوس في سنواته الأخيرة هو الحدث الذي جاء بين كارثة مانزكرت ومجيء الحملة الصليبية الاولى التي الشرق (١٤٤) . واذا كانت نهاية فيلاريتوس قد جاءت في الوقت الذي اهتزت فيه قوته شيئا ما — كما رأينا — فان هذا لا يعني انتهاء سلطانه كلية من الأماكن التي كانت تحت نفوذه ، اذ استطاع نوابه وبخاصة في الرها وملطية ومرعش — ان يواصلوا سياسته .

ونكتفي هنا بالإشارة الى كل من ملطية ومرعش حيث اننا سنتعرض للرها في موضع آخر .

أما ملطية فان آخر نواب فيلاريتوس فيها كان جبريل (١٤٥) وهو احد المغامرين الأرمن ، ادى اعتناقه لمذهب كنيسة القسطنطينية الى ايجاد نوع من الصلة بينه وبين الدولة البيزنطية (١٤٦) . ومع ذلك فان، أخلاقه كانت شبة تقارب مع أخلاق فيلاريتوس ، فنجد انه عندما دعت الحساجة الى استرضاء الأتراك السلاجقة خوفا على ملكه من خطرهم ، فانه لم يحجم عن ارسال زوجته الى بغداد « للحصول على تأييد الخليفة العباس والسلطان السلجوقي لحكمه في ملطية » (١٤٧) . وقد ذكر ميخائيل السرياتي

(١٤١) — Khartabirt — الارمنية الآن معروفة أكثر باسم خربوت — Kharput وهي قلعة حصن زياد التي يشير اليها ابن خرداذبة بأنها تقع على مسافة ليست بعيدة عن سميساط

(Le Strnage : Op Cit., p. 117

(١٤٢) وهي من ضمن مدن الفغور بين المسلمين والروم قيل انه كان بها خمسة من قبور الأنبياء (ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، د ١ ق ١ ، ص ٥٨) . (١٤٣) (Laurent : Byzance et les Seljaucides) عن Grousset : L'Empire, p. 179

Grousset : Ibid., p 150

(١٤٤)

Michel : Op. Cit., p. 179.

(١٤٥)

Grousset : L'Empire, p. 184, Hist. des Crois. V. 2, p. 868

(L'Anonyme)

Michel : Op. Cit., p. 179, Grousset : L'Empire, p. 184 (١٤٧)

عن وليم الصوري

سعيد عائشور : الحركة ، د ١ ص ١٧٨ (عن ميخائيل السرياتي) .

ان جبريل هذا — هو الذى عاصر تقدم الصليبيين الى الشرق — وعدهم
ثلاث مرات بان يسلمهم ملطية (١٤٨) .

اما مرعش التى فكرنا انها شهدت خاتمة حياة فيلاريتوس فقد نجح
الأتراك فى الاستيلاء عليها حتى اذا ما قُدمت الحملة الصليبية الاولى
استعادتها منهم وردتها للامبراطور البيزنطى ، وقيل ان ذلك حدث فى
١٣ اكتوبر ١٠٩٧م وكان ان عهد الامبراطور الكسيوس كومنين الى احد
الارمن واسمه ثاتول Thatoul بحكمها نفل فيها حتى ١١٠٤م حين
اخذها منه الصليبيون (١٤٩) .

والواقع ان ثوروس — حاكم الرها والذى ستعود للكلام عنه —
وجبريل وثاتول ايضا — نواب فيلاريتوس والذين بدلوا مثله حياتهم
العامة فى الخدمات الادارية البيزنطية « كانوا منفصلين بعقائدهم الدينية
عن مواطنيهم ومكروهين من المسيحيين السوريين الذين ظلوا كثيرى العدد
فى اقليمهم » (١٥٠) .

وبالكلام عن فيلاريتوس ودولته نكون قد اعطينا صورة عن ذلك النوع
من تبعية بعض حكام الارمن للدولة البيزنطية من قريب او بعيد .

اما النوع الثانى من حكام الارمن الذين ظلوا بعيدين تماما عن
الخضوع لبيزنطة فمثله الاميران رويان ولوشين .

اما رويان (١٠٨٠ — ١٠٩٥م / ٤٧٣ — ٤٨٩ هـ) فقد استطاع بمن
انضم اليه ان يؤسس مملكة مستقلة فى قيليقية (١٥١) . وهو اقليم يقع فى

Michel : Ibid., p. 188 (١٤٨)

Grousset : L'Empire, p. 184, (١٤٩)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ١٧٨ — ١٧٩
Runciman : A Hist. of (Chalandon : Les Comnenes)

The Crusades, V. 1., p. 195.

Runciman : Ibid., p. 195 (١٥٠)

Fridtjof Nansen : l'Arménie et le proche Orient, p. 295 (١٥١)

Haytonus Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) وهنسا يشير
« لقيت ولاية قيليقية باسم ارمينيا Doc. Arm. T.2, p. 373

لانه بعد ان خلس المسيحيون الارمن تلك البلاد من يد البيزنطيين احتفظوا
بها فترة طويلة وقد واصل اهل ارمينيا المحافظة على ذلك الاستقلال الى
حد كبير » .

جنوب شرق آسيا الصغرى واشتهر بثروته وغناه (١٥٢) . واتخذ روبان مقرا له قلعة صغيرة على مقربة من سيس (١٥٣). وبذلك وضع نواة مملكة أرمينيا الجديدة (١٥٤) ، التي أطلق عليها اسم أرمينيا الصغرى تمييزا لها عن أرمينيا العظمى (١٥٥) أو الام .

ولم يلتبس روبان هذا الحباية من الامبراطورية البيزنطية وانما ظهر دائيا في صورة تفوق بقية البارونات الارمن حتى مات وترك خلفه ابنه قنستطنطين (١٠٩٥م - ١٠٩٩م/٨٩ - ٤٩٣هـ) الذي « كان اول الروبانيين الذين حملوا لقب امير اوبارون » (١٥٦) .

ويؤكد بعض المؤرخين أن وصول الصليبيين الى الشرق في اواخر القرن الحادى عشر كان من العوامل المساعدة التى هياتها العناية الالهية ، لتمكن تلك الامارة من النمو والازدهار (١٥٧) . ذلك أن الصليبيين دخلوا معها في علاقات ود وتحالف مما شجع أرمينيا الصغرى على اتخاذ موقف عدائى تجاه الامبراطورية البيزنطية (١٥٨) .

اما اوثنين (١٠٧٢ - ١١١٠م / ٤٦٥ - ٥٠٤هـ) فكان يحكم احدى القلاع القديمة في أرمينيا حتى اضطر الى الفرار منها تحت ضغط

(١٥٢) وهو يضيف فى نفس الصفحة أن الجنرال Bremond . يعتبر محددا جدا فى تسميتها مصر صغيرة ، لكن مصر التى امتلكت مراعى جبلية شاهقة Une Petite Egypte mais Une Egypte qui aurait des Alpes.

Pasdermadjian : Ibid., p. 198, Grousset : L'Empire, p. 397 (١٠٣)
وسيس هى أيضا سيسه وهى مدينة قريبة من عين زرية ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٨٩) .

(١٥٤) وهو يذكر أن Jacque de Morgan : Op. Cit., p.p. 166, 303 .
روبان اعتد فى الوصول الى هدفه على أحد الارمن ، كان يسمى باسيل وكان ذو شجاعة كبيرة وفكر ثاقب وكان يعرف كل استراتيجيات وكل خدع الحرب . ولما كان ينقض دائما فجأة على عدوه . سعى باسيل اللص Basile Voleur

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199. (١٥٥)

Jacque de Morgan : Op. Cit., p. 166. (١٥٦)

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199. (١٥٧)

Fridtjof Nansen : Op. Cit., p. 295, Vasiliev : History of (١٥٨)
the Byzantine Empire, V. 2, p. 65.

الأتراك السلاجقة عام ١٠٧٥م/٤٦٨هـ مجاء الى قيليقيا حيث اعطاه
صديقه أبو الفريب الارزرونى قلعة نمرون (Lampron) وهى
منطقة ذات أهمية كبرى لحماية كابادوكيا وأمنها (١٥٩) .

هكذا استطاع روبين الأول أن يؤسس الدولة الروبينية Roubenienne
كما استطاع أوثنين أن يؤسس الدولة الهيثومية Héthomienne —
وهما الاسرتان اللتان كونتا عظمة أرمينيا الجديدة (١٦٠) .

ويمكن أن نضيف الى هؤلاء الزعماء الأرمن كوغ باسيل أى اللص
باسيل (١٦١) وهو مغامر أرمنى بسط سيادته على كيسون وربعان (١٦٢)،
وظل فيها منذ حوالى ٨٢م — ٧٥هـ حتى وفاته ١١٢م — ٥٠٦هـ
ولعب دورا ايجابيا فى حروب الفرنج فى الرها وانطاكية ضد الأتراك (١٦٣) .

وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن :

وبوصول الحملة الصليبية الاولى الى قيليقية فى سبتمبر ١٠٩٧م ،
وجد الصليبيون فى الأرمن حلفاء طبيعيين لهم ضد السلاجقة من ناحية وضد
ادولة البيزنطية من ناحية أخرى ولم يلبث أن قدم الأرمن الكثير من
الخدمات للجيوش الصليبية المتهاكة بعد رحلتها الطويلة عبر هضبة

Morgan : Op. Cit., p. 163, Tournebize : Hist. Politique et (١٥٩)

القلعة اليوم هى نمرون — كاليسى Nimroun-Kalessi p. 168. Relig...
شمال خليج طرسوس .

Grousset : L'Empire, p. 388 عن (Mattieu) (١٦٠)
سعيد عاشور : الحركة

الصليبية ، د ١ ص ١٧٣ (وهو يذكر أن أوثنين سيطر على مدينة
اذنه) عن (Iorga) اما (ستون) فيذكر أن أوثنين كان يسيطر على نصف
اذنه عند قدوم الصليبيين (Setton : Op. Cit. V. 1, p. 301) ونحن احد
البرجنديين ضمن الحملة الصليبية الاولى استولى عليها (William : Op.
Cit. V. 1, p. 181

Iorga : L'Arménie Cilicienne ; p. 17, (١٦١)

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩
وقد اطلق عليه اللص لانه سرق مدة قلاع من الثغور فنهلكها الارمن بعده .
(١٦٢) Michel : Op. Cit., p. 198, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 299,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية د ١ ص ١٧٩ عن (Stevenson)
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 52,
Grousset : L'Empire, p. 184. (١٦٣)

الأناضول وخلال المرات المرتفعة في طوروس كما قاموا لهم بدور المرشدين ، ثم ساعدوهم خلال حصار انطاكية . وعدد البابا جريجورى الثالث عشر تلك المساعدات التى قدمها الأرمن ، بعد فترة طويلة حيث كتب يقول : « لم يقدم أى شعب أو اية امة مساعدات تلقائية للصليبيين أكثر من الأرمن. الذين أمدوهم بالرجال والخيول والسلاح والطعام » (١٦٤) .

والواقع أننا نؤيد ذلك الرأى الذى يذكر أن « الصداقة التى قامت بين الأرمن والصليبيين فى أول الأمر إنما كانت تستهدف مواجهة العدو المشترك ممثلا فى الدولة البيزنطية من ناحية والقوى الاسلامية من ناحية أخرى » (١٦٥) .

ففى مدن قيليقية ، وجد الصليبيون فى كل مكان مشايخين من السكان الأرمن الذين ساعدوهم فى كثير من العمليات العسكرية (١٦٦). وفى مريش قدم لهم حاكمها ثاتول الأرمنى « كل ما استطاع من مساعدة » (١٦٧) .

انفصال بلدوين البولونى عن بقية الجيش الصليبي واتجاهه الى الرها :

منذ وصول الجيش الصليبي الى قيليقيا كان بلدوين البولونى يرغب فى اقامة مملكة خاصة له فى الشرق وكان يشاركه فى تلك الرغبة أيضا تنكريد ابن أخت بوهيموند ، لذا انفصل الاثنان عن بقية الجيش الصليبي ليعملا لحسابهما (١٦٨). لكن حدث بينهما صدامان أمام كل من طرسوس (١٦٩) والمصيصة (١٧٠) — سنتناولهما فيما بعد — وفى النهاية توجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها (١٧١) . أما بلدوين فقد لحق بالجيش الصليبي

Sirarpie : Op. Cit., p. 12. (١٦٤)

(١٦٥) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص ١٤٣

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 207. (١٦٦)

Setton : Op. Cit., V. 1, p.298. (١٦٧)

F. Chalandon : Hist. de la Première Crois. p. 234, Zoé (١٦٨)

Oldenbourg : Les Croisades p. 111, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 180 - 181, Setton : Op. Cit. (١٦٩)
V. 1, p. 300, Zoé : Ibid., p.p. 137 - 138.

William : Ibid., p. 185, Setton : Ibid., V. 1, p. 301 Zoé : ١٧. , p. 138.

Setton : Ibid., Vol. 1, p. 301. (١٧١)

الأملى في مرعش وهناك. علم بوفاة زوجته (١٧٢). وبعد مضي حوالى يومين في ١٥ أكتوبر ١٠٩٧ م ترك بلدوين رفاقه من جسد ليبحث عن مستقر على ارض أرمنية (١٧٣) . ذلك بعد أن أخذ بنصيحة بلكراد الأرمنى — أخو كوخ بأسيل والذي ستركلم عنه بعد قليل — بأن قسره الحقيقى يرتد بعيدا في الشرق على الفرات (١٧٤) . لأنه هناك ان يلتقى بتكريد مرة اخرى (١٧٥) .

وبداية بلدوين البولونى رحلته هذه تبدأ مرحلة جديدة في تاريخه كمؤسس لامارة الرها الصليبية وهنا يؤكد أحد الأرمن ان بلدوين البولونى « اتجه تحت تأثير نصيحة الأرمن تجاه الشرق بدلا من الاتجاه الى السهل القليلتى واصبح بذلك على اتصال مباشر بالقوات الارمنية (١٧٦) » وأنه بفضل بلكراد الأرمنى نظم سيره في قيليقية (١٧٧) . وعندما توجه الى الجنوب الشرقى من مرعش دبر بلكراد اتصاله بجيرانه الأرمن وامرائهم « وفي كل مكان رحب به الأرمن كمنقذ ، اما العاقبة السوريون الذين كونوا بقية السكان ، فكانوا اكثر شكاً ولكنهم لم يعارضوه (١٧٨) » .

اما عن اتصال بلدين بلكراد فقد بدأ في نيقية (١٧٩) . وهنا يذكر ولیم المورى ان معرفة بلدوين بلكراد كانت بعد هرب الأخير من السجن الامبراطورى (١٨٠) . ولو ان هناك إشارة لأحد اللاتين تذكر ان « بلدوين اطلق سراحه (١٨١) » ولكن من المرجح ان بلدوين ربما حماه بعد اطلاقه من سجنه . ولكن ماذا كان هدف بلكراد من وراء تشجيعه الكبير لبلدوين ؟

Setton : Ibid., V. 1, p. 301, Zoé : Ibid., p. 138. (١٧٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 49. (١٧٣)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301. (١٧٤)

Zoé : Op. Cit., p. 138. (١٧٥)

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201. (١٧٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Albert) (١٧٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302. (١٧٨)

F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175. (١٧٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 188 (١٨٠)

يوسف الديس : تاريخ سوريا ، ج ٦ ص ١١

Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.) Hist. (١٨١)

Occid., T. 4, p. 353.

هنا يوضح Iorga ان بلجراد كان قد حبس كرهينة في القسطنطينية (Iorga : L'Arménie Colicléenne, p. 92).

هل كان صادقا في معونته له لخدمة مصلحة بلدوين نفسه لمصلحة هو ؟

هنا نرى ولیم الصوري يصف باكراد بأنه « كان محاربا شجاعا ولكنه كان مخلصا الى درجة كبيرة ومشكوكا في اخلاصه . . كان يحث بلدوين باستمرار على جمع القوات ليشركه في حملة على الأقاليم المجاورة وهي الأقاليم التي قال عنها أنه يمكن السيطرة عليها بسهولة وبقوة صغيرة ، مما جعل بلدوين يقبل رأيه في النهاية (١٨٢) » . في حين يذكر رنسيهان « أن بلجراد كان يود أن يضمن مساعدة بلدوين من أجل تثبيت أركان الإمارات الأرمينية القريبة من الفرات حيث يستقر أقاربه » (١٨٣) أما جروسية فيقول أن باكراد كان يرى « أنه بفضل الاعتماد على الفرنج يمكنه أن يفوز باقطاع كبير يحكمه حكما متحررا ، وعند اللزوم يستطيع أن يتقلب ضدهم ليتخلص من قبضتهم القوية ، وكانت هذه هي سياسة فيلاريثوس تجاه منافسيه إذ ناور بين البيزنطيين والأتراك (١٨٤) » . ولكن مهما تكن نوايا باكراد فإنه قدم خدمة جليلة لبلدوين بارشاده عبر الطرق الجبلية الوعرة .

وكان أن اصطحب بلدوين معه حوالي مائة فارس وعددا قليلا من المشاة وبدأ رحلته من ^{أمرعش} تحت إرشاد باكراد (١٨٥) . كذلك استفاد بلدوين من المساعدات التي قدمها له بعض أمراء الأرمن المحليين ، وبفضل هذه المعونة استولى على مقينتين هامتين هما تل باشر

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 188.

(١٨٣) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 54 عن (Albert)

(١٨٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 54 عن (Albert)

(١٨٥) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 188, Setton :
Op. Cit., V. 1, p. 302.

وهنا يذكر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ١٧٦ عن (Albert)
أن بلدوين اتشبق من بقية الجيش الصليبي تحت ستار حماية ميسرة
الصليبيين الزاحفين على أنطاكية ليبحث لنفسه عن إمارة جديدة صالحة
في البلاد الأرمينية .

وراوندان (١٨٦) . . وذلك في عام ١٠٩٧م — ٤٩١هـ (١٨٧) .

وقد سهل فتح الحيتين مساعدة الأهالي الأرمن فيهما بلديون وثورتهم ضد الحاييات التركية وطردها الأمر الذي ساعد عليه ضعف تلك الحاييات (١٨٨) . ويعد أن تم الاستيلاء على المدينة منح بلديون راوندان لبركاد وتل باشر لأمير أرمني آخر اسمه فير (١٨٩) .

ويهمنا أنه حدث في تلك المرحلة — أي أثناء وجود بلديون في تل باشر — أن استدعاء ثرروس الأرمني حاكم الرها لمساعدته (١٩٠) . وقبل أن يلبى

Setton : Ibid., V. 1, p. 302, Duval : Op. Cit., p. 278 (١٨٦)

وهنا ذكر دوفال أنهما .

شمال غربي حلب . أما المصادر اللاتينية فتذكر أن بلديون استولى على كثير من المعسكرات بالقوة تارة وبالحيلة تارة أخرى ومن بين تلك المعسكرات استولى على أفضلهم ويسمى تل باشر.

Fulcherii Carnotensis : Historia Iherosolymitana (R.H.C.)

Hist. Occid. T. 3, p. 337 Balduni III : Hist. Nicaena Vel

Antiochena — Cap. XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5 Part 1, p. 149.

أما عن راوندان فقد ذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٦ ص ١٩ أنها قلعة حصينة وكورة معشبة من نواحي حلب . وأضاف ابن العديم أنها قلعة صغيرة على رأس جبل لا يحكم عليها منجنيق ولا تصل إليها نبل (ابن العديم : بغية الطلب مخطوط بدار الكتب رقم ٤٢٣هـ تاريخ ص ٣٦٩) .

Grousset : L'Empire, p. 204,

(١٨٧)

اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨

عن (Albert) وهو يسمى القلعتين (رافنسل

وتربسل وهي ترجمة حرفية لأسمائهما اللاتينية Turbessel, Ravendel - هنا نجد (شالندون) يخطئ في ذكر تاريخ الاستيلاء على القلعتين حيث يذكر أن ذلك تم في فبراير ١٠٩٩م — ٤٩٢هـ)

Chalandon : Hist. de la première Crois. p. 175)

ومما لا يرجح صحة هذا التاريخ أن المدينتين سقطتا

في أيدي الصليبيين قبل الرها التي تم دخولهم لها ١٠٩٨م — ٤٩٢هـ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (William)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٠ عن (Michaud)

Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 302-303, Crousset. Ibid., (١٨٩)

V. 1, p. 54.

Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 35. (١٩٠)

بلدوين ذلك الطلب ويترك تل بالثر ، كتب اليه (فير) تقريراً بأن باكراد يتآمر ضده في راوندان (١٩١) ويبدو كما يقول (رنسيان) « انه ليس هناك شك في ان (فير) كان غيورا من باجراد الذي لم يرتكب كنبا اكثر من الاتصال سرا بأخيه كوغ باسيل . لكن بلدوين لم يحسب حسابا لسوء العقابة فدفع رجاله الى راوندان وقبض على باجراد الذي عذبه ليعترف فلم يصرح سوى بالقليل النادر ثم هرب فورا ليحتسب بأخيه . وهكذا بدا واضحا لعلاء الأرمن ان بلدوين جاء لا لكي يحرمهم ولكن لينى لنفسه ساطقا (١٩٢) .

وبعد ذلك اعد بلدوين نفسه لمعبور الفرات ، ليلبى طلب ثوريس الذي استنجد به (١٩٣) ولم تكن رحلته الى الرها آمنة ، اذ كمن له في الطريق اتراك سبيساط ، ولكنه نجا بفضل المساعدات التى قدّمها له الأرمن في تلك المنطقة (١٩٤) ، وربما نستطيع ان نتصور أهمية المساعدات الارمنية لبلدوين البولوى من خلال تلك السطور التى كتبها (ميشو) : « لم يكن بلدوين في حاجة الى مرشد ولا لنجدات في منطقة هرع سكانها من كل الجهات للالتفاف حوله ، وكلما تابع سيره ، ذاعت شهرته حتى في الأماكن البعيدة جدا حتى ان اخبار فتوحاته سبقتة الى ما وراء الفرات حتى مدينة الرها (١٩٥) » .

وهنا نجد انفسنا مضطرين الى الالتفات لشئون الرها لمعرفة أخبارها وحكامها منذ أن بارحها فيلاريثوس بأمر السلطان السلجوقى ملكشاه

-
- Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303. (١٩١.٢)
 Setton : Ibid., V. 1, p. 303 من (Runciman) هنا يخيف (١٩٢)
 الدبى : تاريخ سوريا ص ٦٤ ان باكراد استحوذ على بعض الامكن ولكن التاريخ لم يثبتنا ما آل اليه أمره .
 Alberti Aquensis : Historiae, Liber III (R.H.C.) Hist. (١٩٣)
 Occid., T. 4, p. 352, Balduni III : Hist. Nicaena,
 Op. Cit., T. 5, Part 1, p. 149.
 Fulcherli Carnotensis : Historia (R.H.C.) Hist. Occid., (١٩٤)
 T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.
 Michaud : Hist. des Crois., V. 1, p. 240. (١٩٥)

١٠٨٧ : ١٠٩٤ م (٤٨٠ - ٤٨٧ هـ) لتصبح اقطاعا للأمير السلجوقي
بوزان (١٩٦) .

يقول أبو شامة أنه حدث بعد مقتل سليمان بن قطلмыш على يد
تنش أن ملك تنش مدينة حلب دون القلعة وعندئذ أرسل أهل القلعة
إلى ملكشاه ليسلموها إليه وهو يومئذ بالرها . وكان سبب مبيره
إليها أن ابن عطية النميري كان قد باعها من الروم بعشرين ألف دينار
وسلمها إليهم ، فدخلوها وخربوا المساجد وأجلوا المسلمين عنها . وكان أن
سار ملكشاه إليها محاصرها وفتحها وأقطعها للأمير بوزان (١٩٧) الذي وعد
الاهالي الأرمن في الرها باحترام مصالحهم فسلموا له المدينة جميعا (١٩٨) .

وكان أن ظل بوزان هذا حاكما للمدينة إلى عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م
عندما قتل في الحرب بين تنش وعنه بركياروق (١٩٩) وعندئذ استولى
أحد رؤساء الأرمن وهو ثوروس بن هيشوم على الرها بوصفه تابعيا
لفيلاريقوس (٢٠٠) . وسار على نفس سياسته في التارجح بين أرضاء

Grousset : L'Empire, p. 183, Hist. des Crois., V. 1, p. 52, (١٩٦
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 3, p. 997.

وهنا يعدد لنا دفرميري اختلافات نطق اسم بوزان عن المراجع المختلفة
مثل « بوزان ، توزان ، بوزار » .

(M. Defremery : Hist. des Seljoukides, Journal
Asiatique, Avril, Mai, 1848, p. 455).

(١٩٧) أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٦٠

Grousset : L'Empire, p. 183. (١٩٨)

(١٩٩) الأثير : الباهر ، تحقيق عبد القادر طليبات ، ص ١٥ ،
أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٦٥ - ٦٦ ، ابن واسل : مفرج
الكروب ، د ١ ص ٢٥ : ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ١٤٤
- ١٤٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ، د ٩ ص ٧٧ / ٧٦ . وهنا يرجع
الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٧٢ : ٧٦ مقتل بوزان إلى
عدم اسراع بركياروق لنجدة قسيم الدولة آقسنقر وبوزان بسبب انشغاله
مع أتابكة الأمير الأسفهلار كمشتكين الجاندار بالشرب ويعقب على ذلك
ببيت للصدر عماد الدين بوضع ذلك فيقول :

قد غرقنا في الشرب والسكر حتى لم نفكر في سنقر وبوزان
The Cambridge Medieval History : V. IV, Part 1, p. 628. (٢٠٠)

كل من الأتراك السلاجقة من ناحية والبيزنطيين من ناحية أخرى « فقد تحصلى الدخول في صراع مع الأتراك ، ووفقا للملاحظة جيورجيت النوجنتى ، حفظ الرها من هجمات الأتراك بالمفاوضات ودفع الجزية في الوقت المناسب ، لابلالسلح (٢٠١) . وفي نفس الوقت فعل مثلما كان يفعل فيلاريتوس من قبل ، فجعل سلطته شرعية باعترافه بالتبعية للإمبراطور البيزنطى (٢٠٢) .

أما ثوروس فهذا فكان هو حاكم الرها عند وصول الحملة الصليبية الأولى الى الأطراف الشرقية لآسيا الصغرى ، وكان ذلك في وقت أحس ثوروس بأن أمارته الأرمنية انتابها الضعف . وأنها لم تظل على قيد الحياة حتى ذلك الوقت الا بفضل سياسة الهدنة التى اتبعها تجاه السلاجقة . والحق أن الرها كانت عندئذ مجاطة من كل الجهات بممتلكات السلاجقة ، بحيث بدا من المتعذر أن تفلت من القدر الذى ينتظرها على أيديهم . وهكذا كان وصول الفرنج الى الشام مما أوجد للأمير الأرمنى فرصة كان يتناها (٢٠٣) .

(٢٠١) سعيد عاشور

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 52-53.

الحركة الصليبية ، د ١ ص ١٧٩ عن (Guibert de Nogent)

(فقد أقره تنشئ آخر السلطان ملكشاه في حكم الرها سنة ١٠٩٤ م)

سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ١٠١ ،

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.

(٢٠٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (Mattieu, Michel)

Cruasades, p. 60.

(٢٠٣)

الباب الأول

قيام إمارة الرها الصليبية واحوالها الداخلية

رأينا كيف كانت الرها بمثابة جزيرة مسيحية وسط محيط من الأتراك المسلمين ، كما رأينا كيف نجح ثوروس الأرمني بمعجزة في المحافظة على ذلك الحصن المسيحي البارز على أرض إسلامية ، لكنه أخذ يفقد الأمل كلما تقدم به السن واشتد الخطر التركي على إمارته (١) . وجاء ذلك في الوقت الذي كانت شهرة بلدوين البولوني قد بلغت أمتاعا رحبة بعيدة (٢) وذاعت شجاعته في حروبه ضد كل أعدائه (٣) .

لذلك فكر ثوروس في طلب المساعدة من بلدوين البولوني ولكنه في نفس الوقت صمم على أن يستفيد من قوة الصليبيين دون أن يسمح لهم باستعباده (٤) . ومعنى ذلك أنه أراد أن يستغل بلدوين لخطة مصالحه أي بوصفه « جنديا مرتزقا على أن يكافئه بسخاء » (٥) . ولكن من المرجح أن ثوروس لم ينصح عن نيته هذه لأحد حتى اتشد المقيرون إليه بحلول ما سيتعرض له بعد ذلك من معارضة حين تتكشف سياسته لبلدوين ولاهالي الرها أنفسهم .

ومها يكن من أمر فقد أرسل ثوروس الى بلدوين في تل بلجر يتوسل اليه ان يحضر لنجدته ضد أعدائه الأمراء المجاورين « الذين اقلقوه كثيرا » (٦)

Grousset : L'Epopée des Croisades, p. 56. (١)

Fulchari : Carnotensis : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid, (٢)
T. 3, p. 337.

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, (R.H.C.) Hist. (٣)
Occid, T. 4, p. 352.

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 54. (٤)

C. Cahen : La Syrie du Nord, p. 210, Grousset : L'Epopée (٥)
p. 56, L'Empire, p. 204.

Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p. 35, Grousset : Hist. (٦)
des Crois., V. 1, p. 55.

بينما انفرد أحد المصادر اللاتينية بقوله أن ثوروس استدعى بلدوين « ليستكت معارضيه في الدولة (٧) » . ولهذا الغرض أرسل ثوروس سفارة من الرها تكونت من أسقف المدينة يرافقه اثني عشر كبيراً من كبار الإمارة ، طلبوا من بلدوين الحضور إلى مدينتهم لحمايتهم من الأتراك (٨) . ويقال أنه من أسباب تلك الاستفائة أو ربما كان السبب المباشر لها هو ما ذكر من أن كريوغا أتباعه الموصل كان يعد في ذلك الوقت جيشاً عظيماً لينجيه لنجدة أنطاكية ، مما أثار المخاوف من أن يستولى في طريقه على الرها وغيرها من الولايات الأرمينية (٩) .

ومن هذا يفهم أن استفائة ثوروس كانت غير مشروطة بشروط معينة وأنه كان يطلب النجدة فقط . وبعبارة أخرى فإنه لم يفهم من ظاهر هذه الاستفائة رغبة ثوروس في استخدام بلدوين كاجير مرتزق ، يعمل لحسابه ضد الأتراك ، وإن كان بعض المؤرخين ذكروا أن استفائة ثوروس كانت تتضمن موازنة بلدوين لثوروس ضد الأتراك مقابل أجر مجز (١٠) . والراجح أن بلدوين لم يكتشف هذه الحقيقة وهو في راوندان ، وإنما اكتشفها بعد أن وصل إلى الرها ذاتها (١١) .

ولا مبرر هنا بما جاء في بعض النصوص المعاصرة من أن بلدوين لم يكن يعلم شيئاً من الرها حتى وصوله إليها محبة رجاله ، وأنه تعرض لأطرافها بالنهب والسلب (١٢) . إذ لا يعقل أن بلدوين قام بعمليات أسر ونهب في منطقة أرمينية . مع أن مرشديه كانوا من الأرمن ، هذا فضلاً عما في هذا الرأي من تعارض مع ما ذكره وليم الصوري من تقرب الأرمن

Alberti Aquensis : *Historiae Liber III* (R.H.C.), Hist. (٧)
Occid., T. 4, p. 352.

Alberti : *Ibid.*, p. 352. (٨)

Setton : *Op. Cit.*, V. 1, p. 303, Runciman : *Op. Cit.*, V. 1, (٩)
p. 203. (Albert of Aix) عن

سعيد عاشور و الحركة الصليبية ج ١ ص ١٨١

C. Cahen : *Op. Cit.*, p. 210. (١٠)

C. Cahen : *Ibid.*, p. 210. (١١)

Baldrici, *Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana* (١٢)

(R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p.p. 80 - 81 حاشية

بلدوين وتمجيدهم له (١٣) . والأصوب هو ما ذكر فولشر ونصه « ما إن عبرنا أمام الأرمن واتضح أننا نتقدم ونحمل الصليبان والأعلام معلنين جنبنا المتواضع السيد المسيح ، حتى قبلوا أقداننا وثيابنا المزقة ، لأنهم سمعوا أننا في سبيلنا لحمايتهم من الأتراك (١٤) » .

ومهما يكن من أمر فإن بلدوين لم يكذب يتلقى سفارة ثوروس حتى استجاب لها في الحال لما رأى فيها من اتفاق مع طموحه ، فجد في المسير فورا ليمبر الفرات في نحو ثمانين فارسا فقط ، في حين ترك بقية أتباعه لحراسة القلاع والبلاد الواقعة على الضفة الغربية للفرات (١٥) .

وعند وصول بلدوين الى الرها في فبراير ١٠٩٨ م (١٦) (١٠٩٢ هـ) استقبل استقبالاً رائعاً صوره لنا المؤرخون (١٧) ، مما أثار شعور الغيرة والحسد في نفس ثوروس الذي أخذ يحس أن زمام الأمور سوف يفلت من يديه أمام

William : Op. Cit., V. 1, p. 188 - 189. (١٣)

Fulcheri Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, (١٤)
p. 387.

Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, (R.H.C.), Hist. (١٥)

Occid. T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 190. أما متى
الرهاوى فيذكر أن عدد فرسانه كان ستونا .

(Mattieu : Op. Cit., p. 36)

في حين يشير مصندر لاتيني آخر أنهم كانوا ثمانون .

Balduni III : Hist.

Nicaena Vel Antiochena — Cap XVIII (R.H.C.), Hist.

Occid. T. 5, Part 1, p. 149.

Grousset : Hist. des Croisades, V. 1, p. 55, Runciman (١٦)

Op. Cit., V. 1, p. 24 (Albert)

ذكر المرجعان أن ذلك كان في بداية فبراير أما

اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨ فيذكر « أنه دخل مدينة اذنا في العشرين من فبراير ١٠٩٨ م » . من (Hagenmeyer : Chronologie)

Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae (١٧)

Liber III T. 4, p. 352, William : Op. Cit. V. 1, p. 191,

Miehaud ; Op. Cit. V. 1, p. 242.

قوة شخصية هذا القائد وإلمام حب الأهالى الجارف له (١٨). ويروى بعض المؤرخين المعاصرين أن ثوروس « حشد بلدوين سرا وبعمق من كل قلبه » (١٩) . في حين يذكر وليم الصنوى أن ثوروس « بدأ يفكر في التخلي عن الترتيبات التي أقحم نفسه فيها . فعندما استجد بلدوين كان قد عزم على أن يقتسم معه إيرادات المدينة ، على أن ينفرد بلدوين بكل شيء بعد وفاة ثوروس . ولكن الأخير عاد بعد وصول بلدوين الى التفكير في أن يمد بلدوين المساعدة للمدينة وأهلها ضد ضغط الأتراك، ويحميها من عدوانهم مقابل أجر معين . وهنا أخذ بلدوين يتساءل كيف يقبل أن يعمل أجيراً مقابل مكافأة سنوية » (٢٠) .

ومن هذا النص نستنتج أن ثوروس كان لديه تفكير سابق بأن يجعل بلدوين شريكاً له في الحكم ثم خليفة له ، ولكنه عاد فعرض على بلدوين أن يحبيه هو وشعبه مقابل مكافأة سنوية محترمة .

ويبدو هذا بوضوح في النص اللاتيني الذي يشير الى أن ثوروس عرض « أن يقدم الى بلدوين كثيراً من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والآلاف من الخيل وكميات كبيرة من الأسلحة على شرط أن يثبت له ولأهالى والجهات المواجهة لكباتل الأتراك أنه سيدفع عنهم خطرهم » (٢١) . ويقول وإليم الصورى « أن بلدوين رفض باحتقار هذا الاقتراح الذى يعنى إعطاء بلدوين أجراً مقابل خدماته كأي جندي عادى ، وبدأ يعد العدة للنفود » (٢٢) . ويشير جروسية أن بلدوين حدد « بالتخلي عن مهمته » (٢٣) « بل اشترط » أما أن يقتسم السلطة مع ثوروس أو يترك

Cahen : Op. Cit., p. 210. (١٨)

Albert Aquensis : *Historiae... Liber III, T. 4, p.p. 352-353.* (١٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢٠)

Alberti Aquensis : *Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, (٢١)*
p. 353.

William : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢٢)

Grousset : *L'Empire, p. 204.* (٢٣)

الرها ويتنازل عن المدينة لهجعت الأترك» (٢٤) . -

وثمة رأى فى التاريخ خلاصته أن ثوروس تبنى بلدين . ولا ندرى هل ثوروس هو الذى ابتدع هذا الرأى ؟ أم أن بلدين هو الذى أجبره على ذلك ؟ أم أن هذه الفكرة كانت رغبة أهل الرها أنفسهم ؟ أم رغبة أعيان البلد المثلين فى مجلس الشيوخ المساعد لثوروس فى الحكم ؟

هناك اشارات فى المصادر المعاصرة الى أن هذا الاتجاه نبع من تفكير ثوروس نفسه حيث ورد فى بعض تلك المصادر أن « هذا الأرمنى كان شيخا لم ينجب اولادا ، ولذا تبنى بلدين ليتخذه ابنا له ، اذ رآه رجلا ذا شخصية جذابة وممتازا فى احساسه ويحمل شيم بنى جنسه» (٢٥). هذا فى حين جاء فى مصادر أخرى أن بلدين « أجبر ثيونور على تبنيه وجعله وريثه » (٢٦) . أما وليم الصورى فقد ذكر أن هذا الاتجاه جاء وليد الرأى العام واجماع اهالى الرها انفسهم ، وعندما أحس ثوروس بالحاحهم وافق واذعن على مفضض (٢٧) .

أما عن موقف أعيان الرها ومجلس شيوخها من بلدين فيقال أنه بمجرد أن هدد بلدين بترك البلد والعودة من حيث أتى « وأنه ليس فى الامكان الحفاظ على بلدين بالذهب أو الفضة أو بأية خدمات ذات قيمة عظيمة ، توجه الأعيان الى ثوروس وتوسلوا اليه بكافة الوسائل والرجاء الا يسمح لمثل هذا الرجل النبيل والمدافع القوى بالعودة وأن يتخذه شريكا لنفسه من أجل المحافظة على مصير الامارة» (٢٨) .

عندما لمس ثوروس اصرار الاثنى عشر شيخا وكل المواطنين وتعاطفهم

-
- Grousset : L'Épopée, p.p. 56 - 57. (٢٤)
Baldrici Epicopi Dolensis : Historia, (R.H.C.), Hist. Occid. (٢٥)
T. 4, p. 81.
E.R. Hayes : Op. Cit., p. 289, Duval : Op. Cit., p. 278. (٢٦)
William : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢٧)
Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. (٢٨)
T. 4, p. 353.

مع بلدوين استجاب لرغبتهم « عن رضى أو عن غير رضى » واتخذ بلدوين ابنا له بالتبني (٢٦) .

وهكذا تم تبنى ثوروس لبلدوين وفقا لراسيم التبني في الكنيسة الأرمنية في القرن الحادى عشر (٣٠) . وتم ذلك في حضور سكان المدينة وفي احتفال مهيب (٣١) . وهنا تذكر المصادر اللاتينية أن الثقة سرعان ما سادت بين بلدوين وثوروس وقويت صلة الأبوة والبنوة بين الاثنين (٣٢) . ولكن يبدو أن تلك الثقة لم تدم طويلا .

والواقع أن تبنى ثوروس لبلدوين صار يرمز الى حكم مشترك « أرمنى - فرنجى » على الرها (٣٣) . وبعد ذلك التبنى مباشرة خرج بلدوين الى سبيساط لمحاربة أميرها وكان بصحبة قسطنطين حاكم

Alberti : Ibid., p. 353, William : Op. Cit. V. 1, p. 191. (٢٦)

Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 337,

وبحكم هذا التبني أصبح بلدوين الوارث الوحيد للوروس

Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena

— Cap XVIII (R.H.C.) Hist. Occl., T. 5, Part 1, p. 149.

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 56, (٣٠)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ١٨٢ . من

(Guibert de Nogent)

Grousset : L'Épopée, p. 57.

وهنا يشير جروسية « انه بارتباك وطبقا للشعائر العصر مرر العجوز الأرمنى (ابنه) عاريين لحمة وقمصه . . الى آخر الشعائر ويؤيده في ذلك

(Zoé Oldenbourg : Les Crois. p. 140).

William : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢١)

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, Alberti (٢٢)

Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 353.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 58. (٢٣)

كركر لكنهما لم يوفقا وعادا سريعا(٣٤) . وما كاد بلدوين يعود من تلك الحملة حتى اخذ اهالى الرها يدبرون مؤامرة للتخلص من ثوروس ، وكانهم لم يكنهم ما حدث له ولسلطاته الذى اصبحت مناصفة بينه وبين بلدوين البولونى . والحقيقة ان هوامل الكره لثوروس ترجع الى اسباب عديدة اولها واحدها فى نظر الاهالى عقيدة ثوروس البيزنطية (٣٥) . ويفسر (اولدنبرج) ذلك بقوله « ان امراء الرها الارمن اجبروا ، كى ينجحوا فى العمل فى الجيش البيزنطى ، على تقبل مذهب القسطنطينية الذى اخذ بالطبيعتين ، وبذلك غدوا منفصلين معنويا عن شعبهم الاصلى ، فضلا عن انفصالهم عن السكان الوطنيين المتمسكين بالذهب اليعقوبى . ولم يشذ ثوروس عن هذه القاعدة . . فاصبح فى نظر المسيحيين الشرقيين ارمنى الجنس بيزنطى العقيدة(٣٦) » .

ماذا اضيف الى ذلك ان ثوروس كان بخيلا (٣٧) . ومكروها بسبب استبداده (٣٨) وانه ارق رعاياه بالضرائب ليرضى جشع الاتراك ويدفع لهم الاموال (٣٩) . فضلا عما يقال من ان سحق الاهالى عليه يرجع الى « دوافع خلقية » (٤٠) . ادركنا فى النهاية اسباب التأمر ضده فى ذلك الوقت . هذا وان كان متى الرهاوى يعتبر ان كل تلك الاسباب الصادرة عن الرهويين : « والى تمسك بها المؤرخون اللاتين ، لم تكن سوى ، عللا وضعوها لى يبرروا خيانتهم لثوروس وتأمرهم ضده ،

-
- Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p.p. 36-37, Setton : Op. Cit., (٣٤)
 V. 1, p. 304, Archer : Op. Cit., p. 61. Albert) عن
 Cahen : Op. Cit., p. 210, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208 (٣٥)
 Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 139. (٣٦)
 Cahen : Op. Cit., p. 210. (٣٧)
 Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Oseid., (٣٨)
 T. 4, p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.
 Grousset : Hist. des Crois. ; V. 2, p. 867 عن (Albert)
 Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245. (٣٩)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 193. (٤٠)

حتى قتلوه وسط هياج شعبي مفتعل (٤١) . وقد تناسى هؤلاء الثوار ان ثوروس هذا كان لا يستحق تلك النهاية بعد ما قدمه من خدمات عديدة للبلدية ، لانه « بسبب مهارته الحذرة وبمبقرته وشجاعته استطاع ان يجنبها مملا خطر السقوط في قبضة المسلمين » (٤٢) . ويقال ان اهالى الرها دبروا مؤامرتهم بمؤازرة قسطنطين حاكم كركر (٤٣) . ولكن الذى يعنيننا ويتطلب منا وقفة قصيرة هو دراسة الدور الذى اسهم به بلدوين في تلك المؤامرة . او على الاقل دراسة موقفه منها .

هنا نجد بعض المؤرخين المعاصرين مثل فولشر يصبت عن الادلاء باى اشارة عن هذا الموضوع ، في حين نجد متى الرهاوى ينهم بلدوين صراحة بالمشاركة في المؤامرة (٤٤) . هذا فضلا عن فريق ثالث يشير الى ان بلدوين « احبط بخفايا المؤامرة ولكنه رفض ان يشارك فيها » (٤٥) . ومن المرجح ان بلدوين كان على علم بالمؤامرة ولكنه ابتعد عن الظهور على

Mattieu : Op. Cit., p. 30. (٤١)

Mattieu : Ibid., p. 37, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 56. (٤٢)

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245. (Mattieu من
Mattieu : Ibid., p. 37, Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 304, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. (٤٣)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 من Alberti), Cahen : Op. Cit., p. 210, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 57.

Mattieu : Ibid., p.p. 37-38, Chalandon : Hist. de la 'première Croisade, p. 176. Augustine Fliche : Hist. du Moyen Age, T. 11, p. 570. (٤٤)

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 354, Zoë : (٤٥)
Oldenbourg : Op. Cit., p. 140 عن (Albert)

وهنا يذكر البرت انه (Albert) عندما طلب اهالى الرها من بلدوين مشاركتهم في التخلص من ثوروس قال لهم : يجب الا ارتكب خطأ باستخدام القوة ضد هذا الرجل دون سبب ، الذى اخذته والدا ووضعت ثقتى فيه . وانى اتوصل اليكم ان تسبحوا الى ان لا الوبت بموته وبدمه . وأن تجعلوا اسمى خسيسا بن قادة الجيش المسيحى .

ممرح الجريبة مع المتأمرين ، حيث ذكر أنهم « اجتمعوا معه وفكروا له انهم سيجعلوه سييدا لوحدا على الرهأ اذا تركهم يتخلصون من ثوروس (٤٦) » . اى انه « اخبر بها لكنه ابعد عنها (٤٧) » . .

كان بلدوين موجودا فى القلعة التى هاجبها الثوار وبمعه قواته المسلحة ، وكان من الممكن بسهولة ان يمنع الهياج المدبر ، اذا اراد ذلك ، لكنه لم يقدم على شىء وترك ثوروس يلقى مصيره (٤٨) .

وفى ٧ مارس ١٠٩٨ م (٤٩٢ هـ) قام الثوار بنهب منازل كثير من المتصلين من طريق الخدمة بثوروس واحتلوا الجزء العلوى من القلعة . وفى اليوم التالى تجمعوا ليحاصروا الجزء الداخلى حيث كان ثوروس محبوسا ، وشددوا الحصار بدقة (٤٩) . وعندئذ حاول بلدوين ان يقوم بحور الوسيط بين الثوار وثوروس . فذهب اليه وطلب منه ان يسلم خزانته للثوار فى مقابل التعهد بحمايته هو وزوجته . وقد نقل لنا البرت كلام بلدوين الى ثوروس فقال : « تأمر كل المواطنين وحكام هذه الامارة ضحك وهم يسرعون نحو هذه القلعة بكل انواع الاسلحة وفى هياج شديد وفى تهور وانفداع ، وهذا كله يسبب لى الالم والضيق الشديد . لكن اذا كان فى استطاعتك ان تطلق سراح نفسك بآية وسيلة ، او بالتنازل من كل سلطانتك ، فلن اتوان فى الاسراع اليك » . وكان ان استمع ثوروس بصعوبة الى كلام بلدوين (٥٠) . ثم قدم له صليبين من اكبر الآثار المقدسة تبجيلا فى ارمينيا القديمة ، لحلف بلدوين على تلك المقدسات المجله بالايصاب ثوروس باذى اذا نفذ ما طلب منه . وعندئذ سلم ثوروس القلعة

Mattieu : Op. Cit., p. 37, Alberti Aquensis : Ibid., p. 354, (٤٦)

Grousset : L'Épopée, p. 57.

Cahen : Op. Cit., p. 210, Runciman : Op. Cit., V. 1, (٤٧)
p. 205 - 206.

Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 140. (٤٨)

Grousset : Hist. des Crois , V. 1, p. 57, Michaud : Op. Cit. (٤٩)
V. 1, p. 245, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206.

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, (٥٠)
p. 354.

لبادوين فدخلها مع كل اميان المحينة (٥١) .

وثمة رواية أخرى تقول ان ثوروس استمدى بلدوين « وسكب امامه خزائنه بغزارة ملتهمسا منه التشفع لمصلحته لدى الاهالى (٥٢) » . ويصور لنا احد الصليبيين تلك الخزائن بقوله : « كشف عن خزائنه (ثوروس) الهائلة والتي لا مثيل لها في السماء بما فيها من آنية ذهبية وفضية وعملات بيزنطية » (٥٣) . ويبدو ان المتأمرين وافقوا بعد ذلك على ان يخرج ثوروس من القلعة ويرحل حرا غير مسلح (٥٤) . فينزع الى ملطية التي كان اميرها جبريل والد زوجته (٥٥) . ثم عاد الاهالى وندبوا من جديد على تركهم ثوروس حيا « وصاحوا بالاجماع الا يتركوا ذلك الرجل يخرج حيا او معافى حتى لا يحدث أى تغيير للظروف او استرداد للأشياء » (٥٦) . ويعبر (ميشو) عن ذلك بانهم اتهموه « بأنه لم يوقع على الصلح الا مخادعا (٥٧) » . اذلك اندفعوا نحو القلعة ونادوا بموت ثوروس اخزقوا القلعة في ضوضاء « وامسكوا بثوروس والقوا به من أعلى الاسوار (٥٨) » اما وليم الصورى والبرت فيذكران أنه في حالة شعور ثوروس باليأس . حاول أن يهرب من إحدى النوافذ عن طريق حبل ولكن عندما بدا ينزل

(٥١) Mattieu : Op. Cit., p. 38, Grousset : Hist. des Crois.,

V. 1, p. 57, L'Épopée, p. 57.

(٥٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

(٥٣) Albert Aquensis : Historiae Liber III, T: 4, p. 355.

(٥٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 355.

(٥٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert)

هنا يذكر ميشو (انه بمجرد ان استسلم ثوروس ووعد بالتنازل عن حكومة الرها وطلب الانسحاب ، ع مائلته الى ملطية حتى قبل ذلك الاقتراح بفرح وحلف الاهالى على الجلبب وعلى الانجيل باحترام الشروط)

Michaud · Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid.

T. 4, p. 355.

(٥٧) Michaud · Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٨) Michaud : Ibid., p. 246.

على الحبل رشق جسده بألاف السهام فسقط ميتا . (٥٩) . بل أنهم
سحلوا جثمانه في الشوارع وقطعوا رأسه وحملوا جثمانه للتشهير به
فوق الحراب خلال كثير من قرى الإمارة (٦٠) . والواقع أننا نطل
من وراء هذا النص على البداية المبكرة لعملية السحل والتمثيل
بالجثث .

هنا يكفى فولشم بقوله أن بلدوين « تملكه الحزن هو ورجاله فلم يكن
في استطاعتهم عمل شيء من أجله » (٦١) دون أن يشير إلى المؤامرة
بأى شيء، وربما يرجع ذلك إلى سدة قرية بلدوين حيث كان قسيسه
الخاص . وهناك رأى وحيد يشير إلى « أن بلدوين اشترك بالفعل في
المؤامرة وأن له بدا في مصرع ثوروس وأنه اشترك مع زوجة ثوروس
في تدبير المؤامرة ليخلو له الجو ، ثم يتزوج منها بعد ذلك لكي يضمن
على حكمه للبلاد صبغة شرعية (٦٢) » . وهو رأى قد يكون بعيدا
عن الحقيقة في نظرنا ، خاصة وأننا لم نجد ما يؤيده في المصادر المعاصرة

وفي ٨ مارس ١٠٩٨م « على الرغم من اعتراض بلدوين ، نادى
الاهالى به حاكما لهم وحلفوا بيمين الولاء له وقادوه في موكب عظيم
ولجلال إلى داخل قلعة المدينة حيث اغدقوا عليه كل الأموال والثراء
الواسع الذي احتزنه حاكمهم السابق خلال سنوات عبدة . وبهذا
عاد للمدينة الأمن والطمانينة (٦٣) » .

والواقع أننا حين نعلق على موقف بلدوين نستطيع أن نقول أنه
كان على جانب كبير من الدهاء والمكر والذكاء . فهو في بداية أمره كان
يتطلع — شأنه شأن باقى امراء الحملة الصليبية الاولى — إلى أن

(٥٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 355.

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 193 - 194.

Alberti : Ibid, p. 355, William : Ibid., p. 194. Martieu (٦٠)
Op Cit, p 38

Fulcherii Carnotensis : Historia . Hist Occid. T. 3. p. 338. (٦١)

(٦٢) جوزيف نسيم : العرب وانروم واللاتين ص ٢٠٥ .

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist Occid. T. 4 (٦٣)
p. 355, William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

تكون له إمارة يحكمها في الشرق . وعندما أراد ثوروس أن يجعل منه جنديا مرتزقا حدد بالانسحاب وهو واثق كل الثقة انه - وشعبه - لن يتخلوا عنه . ثم عندما دبرت المؤامرة ضد ثوروس رفض بلدوين المشاركة فيها جهرا ليظهر امام ثوروس في صورة الرجل الحافظ على عهوده ، ومن ناحية أخرى حتى لا يكون مثارا لشك الاهالى بعد نجاح المؤامرة واخيرا وبعد ان تمت المؤامرة وقتل ثوروس ؛ وعرض عليه حكم الإمارة اذا به يتمنع وهو راغب كل الرغبة فيها .

لكن هل جاءت فكرة تأسيس بلدوين « لامارة الرها الصليبية » وليدة الظروف نفسها ؟ بعد استدعاء ثوروس له ومقتل الأول واختيار الاهالى لبلدوين مكانه ، أم ان تلك الفكرة كانت موجودة أصلا لدى بلدوين . وتم تنفيذها ، عندما اتحت لها الفرصة .

هنا نجد « أولدنبرج » يشير الى أن بلدوين ، « لم يفكر أبدا في فتح كنيسة القيامة - يقصد بيت المقدس - بل كان لديه نشاط جامع لأهمية مملكة خاصة به في الشرق (٦٤) » . لذلك نجد أن بلدوين انفصل عن بقية الجيش الصليبي منذ وقت مبكر - وشباركه في ذلك تنكريد ابن أخت بوهيموند - ليعملا لحسابهما (٦٥) . بل ان البعض يؤكد أن رغبة كل من بلدوين وتنكريد كانت اقتطاع امارات لانسهما في آسيا الصغرى (٦٦) . هذا الى جانب رأى وحيد انفراد بالقول بأن هذه الفكرة نبعت من منافسة بلدوين لتنكريد كرد فعل على « محاولته تأسيس إمارة بالشرق لعمه بوهيموند (٦٧) » . لكن من المرجح أن عنصر المنافسة وحده لا يكفي أن لم تدعبه.الامكانيات المختلفة . والواقع ان الفكرة كانت كائنة لدى بلدوين حتى كشف عنها في الوقت المناسب عندما وجد المكان الصالح لتحقيقها وكان أن وجد في اقليم الرها السكان الارمن المتلهفين على قدوم الصليبيين « وعندئذ ظهرت له أرض أفضل للعمل بما يتفق مع خطته . ولكى ينجد مسيحيي

(٦٤) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 141.

(٦٥) F. Chalandon : Hist. de la première Crois. ; p. 234, Zoé Oldenbourg : Ibid.. p. 111.

عادل زعيتر : حضارة العرب د الطبعة الثانية ص ٣٩٦
(٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(٦٧) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العرينى ، ص ٣١ .
وهنا المفروض خاله وليس عمه .

الشرق ، من الأفضل إن يتحالف مع لوائك المسيحيين ضد الأتراك وعندئذ تصبح لديه بعض القوة ، التي رتب لها ، فهو لم يفكر في قهر لوز على جانب من الأهمية بدون الاعتماد على السكان الوطنيين . وفي إقليم الرها يمثل الأرمن القوة الحقيقية . والواقع أنها لم تكن مدينة محتلة بواسطة الأتراك ، لكنها كانت مدينة مسيحية رغب بلدوين أن يصبح سيداً لها » (٦٨) .

وهكذا باع بالفشل محاولة ثوروس في اقامة حكومة أرمنية فرنجية (٦٩) . فقد كانت إمارة الرها التي حكمها ثوروس بمفرده ببيزنطية أرمنية ، ثم أصبحت لاتينية أرمنية بعد تبنيه لبلدوين (٧٠) . ثم تحولت شيئاً فشيئاً حتى أصبحت إمارة لاتينية صرفة (٧١) .

حكم بلدوين البولوني منفرداً للرها : ١٠٩٨ - ١١٠٠ م
(٤٩٢ - ٤٩٤ هـ) .

تجمع غالبية المصادر التاريخية على أن إمارة الرها هي أولى الإمارات التي أسسها الصليبيون في الشرق ، وإن تأسيسها يرجع الى بداية مارس ١٠٩٨ م (٧٢) (٤٩٣ هـ) (٧٣) وهي السنة التي أنفرد فيها بلدوين بحكم الرها بعد مقتل ثوروس .

Zoé : Op. Cit., p. 139. (٦٨)

Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 629. (٦٩)

Grousset : L'Empire, p. 297, (٧٠)

Grousset : (٧١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٤
Ibid., p. 184.

William : Op. Cit., 1, p. 194, Setton : Op. Cit. V. 1, هنا (٧٢)

p. 304. خطأ البعض في ذكر تاريخ تأسيس الإمارة (الميلادي) فقد أشار

مرجمان أنها قهرت بواسطة الصليبيين سنة ١٠٩٩ م وهذا : Dictionnaire :

d'Histoire et de Géographie T. 14, p. 1422, G. Schlumberger :

Stillographie de l'Orient, p. 1.

Cam. Med. في حين يشير مرجع آخر الى أن ذلك كان سنة ١٠٩٧ م .

Hist. V. V., p. 301 (1936).

(٧٣) هنا أيضاً أخطأت بعض المصادر في ذكر التاريخ الهجري لمملا

ابن أبيك الدواداري كلز الدرر ، ج ٦ ص ٤٥٠ يذكر أن ذلك كان سنة

٤٩٠ هـ . أما التاريخ المظفرى : ميكر وفيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث سنة

٤٩١ هـ ، أبو الفضائل الحموى : التاريخ النصورى ، ص ١٥٩

فيذكر أن ذلك كان ٤٩١ هـ .

وهكذا دخلت الرها في حوزة الفرنج بعد أن « كلفت مركزا
بيزنطيا في مواجهة مركز اسلامي في حران » (٧٤) . والواقع انه اذا
كنا قد بينا من قبل اهمية تأسيس امارة الرها بالنسبة للبناء الصليبي
في الشرق ، فان بعض الباحثين يرون أن تأسيس امارة الرها يعتبر
سابقة خطيرة ، لانه شجع بقية امراء الحملة الصليبية الاولى على أن
يحفوا حقو بلدوين في تكوين امارات لانفسهم مما يهدد وحدة الكيان الصليبي
في الشرق (٧٥) .

وكان أن تكونت فعلا في الشام أربع امارات صليبية اختلفت اهدافها
باختلاف اصول مؤسسيها . وفي ذلك يقول (برويسه — Prawer) ان
امارة الرها كانت امارة ارمنية لورينية (٧٦) ثم امارة انطاكية التي اسسها
بوهيموند امارة نورماندية على طريقة نورمان صقلية و امارة طرابلس التي
شيدت على الاسس التي وضعها ريموند الصنجيل كانت امارة بروفنسالية
Provençale ومملكة بيت المقدس ، امارة لورينية وفرنسية
شمالية (٧٧) .

وقد اختلفت امارة الرها عن بقية الامارات الصليبية بانها اخذت
ولم تقهر (٧٨) او بمعنى آخر تحولت السلطة فيها من رئيس ارمني
الى رئيس فرنجي (٧٩) .

اما عن شخصية مؤسس امارة الرها الصليبية ، وهو بلدوين
البولوني او بلدوين دى بوايون (٨٠) السذى حكم الرها من ١٠٩٨ —

Cahen : Op. Cit., p. 111. (٧٤)

Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 56, Bréhier : L'Eglise et (٧٥)
L'Orient, p. 77 عن (Gesta Franc)

(٧٦) سار على رأس أحد الجيوش الصليبية ، الذي جند من فالونيا
وفلاندي واللورين ، قادة فرنسيين هم : جود فرى دى بوايون
Godefroy de Bouillon واخويه بلدوين وايبوستاش وابن خاله
بلدوين دى بـورج .
(F. Charles — Roux : France et
Chrétien d'Orient, p. 15).

J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 249. (٧٧)

J. Prawer : Ibid., p. 249. (٧٨)

Cahen : Op. Cit., p. 225. (٧٩)

(٨٠) وبوايون Bouillon هي مدينة في بلجيكا بمقاطعة لوكسمبرج

=

١١٠٠م (٤٩٢ - ٤٩٤هـ) (٨١) المألوف انه كان اخا لجود قري
دى بوايون وكان يصغر اخاه بسنة او اثنتين . (٨٢) جمعه هو واخوه
بعض صفات مشتركة فقد كانا « جنديين ذوى مقدرة عالية » (٨٣) .
كذلك تشابها في الفطرسية والتكبر (٨٤) .

وتلقى بلدوين في طفولته ثقافة واسعة شملت مختلف النواحي المدنية
والدينية « فلم يختلف بلدوين عن بقية سفار العائلة العظيمة ، اذ تربى
تربية اميرية حسب معايير العصر » (٨٥) هذا فضلا عن انه « كرس في
طفولته للدولة الاكليروسية » (٨٦) ومن ناحية اخرى كان ذكيا طماعا ،
صريحا ، مرنا ، سريعا ، وهب طموحا شديدا كما كان رجل سياسة
ورجل دولة (٨٧) .

والواقع ان بلدوين عرف منذ البداية انه لا يستطيع ابدا الاعتماد
الا على خاصته ولكن بالرغم من انسه لم تكن له شعبية مثل اخيه جود قري
او مثل بوهيموند ، الا انه عرف كيف يجعل نفسه محترما ، مهاب الجانب ،
فشجاعته وحزمه وحسبه للأمور فرضت احترامه على كل من اصدقائه

شمال فرنسا . وكانت بوايون في القرن الحادى عشر الميلادى تحت
حكم امراء الاردين Ardenne والذين تولى خمسة منهم فيما بين
١٠١٢ - ١٠٦٩م منصب دوق اللورين الجنوبى بواسطة ملوك الجerman .
ولما كانت بوايون هى قلعته الرئيسة فقد اصبح من المألوف ان
يلقب هؤلاء الامراء : بامراء بوايون ، رغم ان بوايون نفسها لم تكن دوقية .
والى بوايون هذه ينسب اميرنا السليبي بلدوين .

Encyclopadia Britannica, V. 4, p. 12 (1768)

Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

Zoé : Op. Cit., p. 116.

William : Op. Cit., V. 1, p. 179, Zoé : Ibid., p. 116.

ويضيف المرجع الاخير بان بلدوين كان الحارب الاكثر ضراوة ، الاكثر
شجاعة ، الذى لا يبالي بالتعب اطلاقا (ص ١١٧) ذو السلاح جيد
وشهامة جامحة (ص ١٣٥) .

Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos, (R.H.C.). (٨٤)

Hist. Occid, T. 4, p. 147, William : Op. Cit., V. 1.

p. 180. Zoé : Ibid., p. 86 عن (Anne)

Zoé : Ibid., p. 135.

Zoé : Ibid., p. 117.

Zoé : Ibid., p. 117.

واعدائه ، ومع ذلك فانه كان قليل الاصدقاء (٨٨) وربما يرجع السبب في ذلك الى انه كان محبا لذاته ، محبا للانفراد بالنفوذ والسلطة (٨٩) . ولكن ذلك لم يمنعه من تحقيق مآربه عن طريق المهادنة حيناً والتهديد بالقوة أحيانا كثيرة (٩٠) .

والحقيقة انه مهما تضاربت الأقوال في فكر صفاته الا انها في مجوعها لا يمكن أن تقلل من مكانته بين الأمراء الصليبيين الذين تلخر بهم الحروب الصليبية ، والا لما استطاع أن يصل بعد أن كان أميراً لإمارة الرها اللاتينية الى منصب ملك بيت المقدس سنة ١١٠٠ م .

ومنذ اللحظة الأولى لاعتلاء بلدوين حكم إمارة الرها ، وضع نصب عينيه أن يعمل جاهدا على حماية ذلك الحجر الأول في المرح اللاتيني في المشرق ، من طريق تدعيم الجبهة الداخلية للإمارة وعن طريق التوسع الخارجى .

أن ما كان يشغل تفكير بلدوين منذ انفراده بحكم الرها هو خطر الأتراك الحيطين به من كل جانب وتهديدهم لإمارته ، هذا الى جانب قلة عدد قواته من فرسان الصليبيين ، (٩١) وعدم ثقتهم الكاملة في اهالى الإمارة الأرمن بعد ما حدث لثوروس من جانبهم ، بالإضافة الى قلة ما بيده من ثروة يستطيع أن يحقق بها مايدور في خاطره من مشروعات عظيمة . فكيف تطلب بلدوين على تلك الصعاب ؟ .

والواقع أن المشكلة الأولى التى واجهت سبيل بلدوين كانت قلة عدد فرسانه من الصليبيين الغربيين ، وهنا ساعده الجظ لأن عددا كبيرا من الصليبيين الذين شاركوا في حصار أنطاكية سثموا طول الحصار بعد أن ضاقت بهم الحال فأتجهوا الى الرها ينشدون حياة أفضل تحت زعامة بلدوين (٩٢) . ويرجح البعض أنه اغراهم على

Zoë : Ibid., p. 141.

(٨٨)

يقصد هنا بخاصته (فرسان بطائنته وذوى قرياه

والسادة الصليبيين الذين ارتبطوا به من طريق بعض الهبات)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 179 - 186.

(٨٩)

William : Ibid., V. 1, p.p. 180 - 182.

(٩٠)

(٩١) ولو أن (آرتشية) يذكر هنا أنه « رغم ذلك قبض بلدوين على الأمور

بكبرياء كما لو كان وراءه جيش من الفرنج » Archer : Op. Cit., p. 62.

Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. (٩٢)

Oeccl., T. 4, p. 405.

القدوم الى امارته لانه كان في حاجة الى جند (٩٣) .

وبمعنى آخر فان الصليبيين الذين نزحوا من امام انطاكية الى الامير بلدوين بالرها كانوا على نوعين : نوع كان يأمل في الحصول على اقطاعات (٩٤) وبالتالي ينشُد الاستقرار في الرها . وليريق آخر اسرع الى الرها للحصول فقط على بعض ضروريات الحياة ثم العودة مرة اخرى لينضم الى الجيش الاصلى . وقد احسن بلدوين استقبال هذا الفريق الاخير واظهر لهم احتراماً كبيراً ثم اعادهم الى اخوانهم بالشام في حيوية عالية بعد ان انعم عليهم بالهبات العديدة (٩٥) . لكن بالرغم من رحيل هذا الفريق عن الرها الا ان الصليبيين تنفقوا في اعداد هائلة على المدينة بعد ذلك حتى اصبحوا مصدر ازعاج للأهالى الأصليين (٩٦) . وكان ان نجح بلدوين في اخضاع كل اقليم الرها تحت قبضته القوية ، واعطى الامكن الرئيسية الحصينة في الامارة اقطاعات لهؤلاء الفرسان (٩٧) ومن بين الاقطاعات التي وزعها بلدوين على رفاقه واقاربه من الصليبيين تل باشر وراوندان وقد قدمها لآخيه جود فرى عندما انسحب من انطاكية اثناء حصارها في افسطس ١٠٩٨م وذهب الى الرها (٩٨) . لكن ذلك لم يكن ليرضى طوبوح جود فرى الذي غادر الرها بعد فترة وجيزة (٩٩) .

ولكى يكسب بلدوين ود الأرمن ويقرهم منه ، ويضفى على حكمه صبغة شرعية في نظر السكان المحليين (١٠٠) . فانه اسرع بعد وفاة

Zoé : Op. Cit., p. - - (٩٣)

Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234. (٩٤)

William : Op. Cit., p.p. 301 - 305. (٩٥)

William : Ibid., V. 1 ; p. 305, Jean Richard : Le Royaume (٩٦)
Latin de Jérusalem, p. 27, Michaud : Op. Cit., V. 1,
p. 248.

Zoé : Op. Cit., p. 142. (٩٧)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. (٩٨)
Occid., T. 4, p.p. 440 - 441, William : Op. Cit. V. 1,
p. 304.

Chalandon : Hist. de la première Crois. p.p. 228 - 229 -

234, Zoé : Op. Cit. p. 142, 143.

Grousset : L'Epopée, p. 58. (١٠٠)

زوجته الاولى بالزواج من اميرة ارمنية اسمها اردا Arda (١٠١) .
وكانت ابنة احد كبار النبلاء الارمن ، وانها تنحدر من نسل روبيان على
قول بعض المؤرخين (١٠٢) .

والواقع ان بلدوين استطاع بهذه الزيجة ان يكسب ود الارمن داخل
الرها ، فنظروا اليه في البداية على انه ليس فقط سيدا بل ابا ، وصاروا
مستعدين للحرب حتى الموت من اجل سماعته ومجده (١٠٣) هذا الى انه
حصل على صداق كبير من والد زوجته الواسع الثراء ، تمكن به من تسديد
جزء من ديونه . ويقال ان هذا المداق بلغ حوالى ستين الف بيزانت
يضاف الى ذلك ما وعده به والد الزوجة بان يورث ارضه بعد وفاته
وان يؤمنه ضد الاتراك وان يحنيه من خشونة الارمن في قيليقية (١٠٤) .

لكن العلاقات الطيبة لم تدم طويلا بين بلدوين ورعاياه الرهوين ويرجع
ذلك في الواقع الى تحقق المسلمين الغربيين الى الرها باعداد
هائلة والذين لم يلبثوا ان سببوا مشايقات للاهالي الاصليين رغم
ما قابلوهم به من حفاوة وكرم (١٠٥) . فبعد السنة الاولى لحكم بلدوين
في الرها تكونت ارسقراطية فرنجية انصفت بالكبرياء والتعالى وعاملت
الارمن والسريان بالاحتقار وعنف واعتبرتهم اجناسا اقل منهم في
المستوى (١٠٦) .

هنا نلقى مسئولية ما حل باهالي الرها من المسيحيين الغربيين —
سكان الرها الجدد — على بلدوين نفسه فانه لم يحسن انتقاء

-
- Fulscherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, (١٠١)
p. 433, Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4,
p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 104, 205, Hist. des
Crois. V. 1, p. 64, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.
Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201, Morgan : Op. Cit., (١٠٢)
p. 169, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93 فر
(Dulaurier)
William : Op. Cit., V. 1, p. 194. (١٠٣)
Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 361. (١٠٤)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, Runciman :
Op. Cit., V. 1, p.p. 208 - 209.
William : Op. Cit., V. 1, p. 305. (١٠٥)
Zoé : Op. Cit., p.p. 141 - 142. (١٠٦)

العناصر الصليبية القريبة الواحدة الى امارته مما جعل بعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين مثل البرت ووليم الصوري يسهبون في وصف السلوك المعيب للصليبيين الذين استقروا في المدن المسيحية حيث استقبلوا فيها كالمسحاء ، اذ لساؤا معاملة النبلاء الأصليين ونزحوا منهم بالثروة منازلهم ووجهوا اليهم كثيرا من الاهانت (١٠٧) - وفي ذلك المجال يذكر وليم الصوري ان بلدوين قتل من الاعتماد على مشورة نبلاء الرها الأصليين الذين امتلك تلك المدينة العظيمة بفضل مساعدتهم ، مما اثار سخطهم عليه وعلى اتباعه ، وندم اهل الرها لانهم مكثوا من السيادة عليهم وخافوا ان يسلبهم في النهاية من كل ما يملكون (١٠٨) - يؤكد نفس المعنى ما ذكره البرت : « ان اثنا عشر زعيما لدولة الرها - الذين يكونون مجلس شيوخها - تأملوا تتفق الفرنسيين من انطاكية ومن كل الاماكن على مدينتهم ، اتهم دفنوا بلدوين معهم في كل عمل ولكنه اهل قراراتهم بصورة مفاجئة فاستشاطوا غضبا ضده وندموا كثيرا لانهم مينو بلدوين سيدا وقائدا لدولتهم » (١٠٩) -

وهكذا لم يلبك ان تلبر اهل الرها مع بعض امراء الأتراك الجاورين ، لقتل بلدوين على غرة ، او على الأقل طرده من مدينتهم - (١١٠) - ولكن المؤامرة كشفت وتطلب عليها بلدوين بوسائله العنيفة المعروفة عنه (١١١) ، فقبض على التآمرين وعاقبهم حسب الأسلوب المعروف في الدولة البيزنطية بسبل امينتهم وقطع اثومهم وايدعيهم واقتادهم (١١٢) - لها الذين اشتبه في لمرهم فقد طردهم من المدينة ، ومصادر ممتلكاتهم ، في حين عاقب من سمح لهم بالبقاء في الرها ، بمصادرة ممتلكاتهم والاستيلاء على اموالهم (١١٣) -

وهكذا يبدو ان بلدوين استفاد من تلك الحركة باثراء خزانته واشباع

-
- Zoé : Ibid., p. 141. (١٠٧)
William : Op. Cit., V. 1, p. 305. (١٠٨)
Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., Hist. Occid., (١٠٩)
T. 4, p. 442.
Alberti : Ibid., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305-306. (١١٠)
Grousset : L'Empire, p. 297. (١١١)
Alberti : Op. Cit., p. 443, Zoé : Op. Cit., p. 141. (١١٢)
Alberti : Ibid., p. 443, William : Op. Cit. V. 1, p. 306. (١١٣)

اتباعهم المصليين عن طريق المصادرات التي شملت كميات كبيرة من الذهب
تقدر بحوالي عشرين ألف قطعة (١١٤) . هذا الى جانب الاموال
التي طلبها مقابل اطلاق سراح بعض المسجونين والتي تراوحت بين
عشرين او ثلاثين ألف بيزانت وستين ألف للفرد الواحد (١١٥) .

ويجدر بالذكر ان بلدوين استطاع التغلب على الصعوبات المالية
التي واجهته بطرق مختلفة اثرنا الى بعضها ، منها صداق زوجته
والمصادرات والفديات ، هذا الى جانب الاموال المكتنزة في قلعة الرها
والتي كان الكثير منها قد سك من ايام البيزنطيين والتي كان ثوروس
قد اضاف اليها الكثير (١١٦) .

وبما يكن من امر ، فان بلدوين يعمد تغلبه على المؤامرة السابقة
اصبح يشعر بأنه سيد هنليم يمتلك اماره واسمه الاطراف . استطاع ان
يقبض على زمام امورها الداخلية ، ما جعله يحس بأنه يقف على ارض
صلبه . وهذا كله جعله يوجه نظره الى خارج حدوده ليؤمن امارته
الوليدة من خطر الاتراك المحيطين بها .

وكان ان وجه بلدوين اولى ضرباته ضد الاتراك بسيماط (١١٧)
الذين بداوا ببعاداته وهو في طريقه الى الرها عند استدعاء ثوروس له
ولو انهم لم يسيروه هو وجاعته باى اذى . فقد ذكر فولشر انه عندما بدا
بلدوين رحلته الاولى الى الرها ، سمع الاتراك المقيمين في مدينة
سميساط النعمة الخبر فاسرموا الى اقلية كمين له في الطريق الذي تصوروا
انه سيمسير عبره . لكن احد الارمن استضافه وجاعته ، فاختفى في ذلك
المكان حوالى يومين ، حتى مرت الازمة بسلام (١١٨) .

وما ان تم هبني ثوروس لبلدوين - كما راينا - واصبح الاخير شريكا
للال في حكم الرها ، حتى طلب منه ثوروس ان يحصى المدينة من اترك

Alberti : Ibid., p. 442, William : Ibid., p. 306. (١١٤)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67. (١١٥)

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208. (١١٦)

(١١٧) مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم غربي الفرات
ولها قلعة في شق منها يسكنها الارمن (ياقوت الحموي : معجم البلدان ،
ج ١١ ص ٢٥٨) .

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, William : (١١٨)
Op. Cit., V. 1, p. 190.

سيباط وعلى رأسهم الأمير بك بن الدلائند (١١٩) . يوصفه تشد
الأعداء قريبا وعنادا وخطرا على الرها (١٢٠) .

كان بك وفقا لما ذكره وليم الصوري والبرت بحاريا شجاعا ،
ملكرا ثريرا ، سبب لاهالي الرها مضايقات عديدة عن طريق قرض
الأتوات على حقولهم وأرهاتهم بالخدمات ، والاحتفاظ بأبنائهم ليكونوا
بثابة رهاثن لديه (١٢١) لذلك توصل أهل الرها بأمرهم بلدوين لكي
يحببهم من طغيان بك حاكم سيباط (١٢٢) . الأمر الذي جعل
بلدوين يخرج سنة ١٠٩٨ م (١٢٢ هـ) على رأس حملة ضد سيباط
بصطحبا معه فرسانه الفرنج وجوع من أهل الرها أنفسهم ، فضلا
من المساعدات التي حصل عليها من قسطنطين حاكم كركر (١٢٣) .
وبهذا الجيش الكبير مار بلدوين نحو سيباط حتى قارب أسوارها
ونهب رجاله ضواحيها في الوقت الذي كان الأتراك واثقين من قوة
تحمينات المدينة ولذا قاوموا بشدة (١٢٤) . ومع ان كمة بلدوين
وأتباعه كانت راجحة في البداية ، الا ان تصرفهم الى الغنائم لاقتسائها
بينهم (١٢٥) . اتلحت فرقة للمدو فهاجمهم ثلثة فارس تركي
وعندئذ حلت الهزيمة بالصليبيين فلولوا الأدبار (١٢٦) . وراح ضحية تلك
الغزوة حوالي ألفا أو ألفين من الرجال (١٢٧) . من بينهم ستة من

Mattieu : Op. Cit., p. 38, Grousset : Hist. des Crois., (١١٩)
V. 1, p.p. 56, 61.

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert). (١٢٠)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 303, (١٢١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

William : Ibid., V. 1, p. 192. (١٢٢)

Mattieu : Op. Cit., p. 38, Zoé : Op. Cit., p. 142, Setton (١٢٣)

Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert - Fulcher),

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

William : Op. Cit., V. 1, p. 192. (١٢٤)

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 244, Grousset : Hist. des (١٢٥)

Crois. V. 1, p. 55.

Mattieu : Op. Cit., pp. 36-37. (١٢٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit. (١٢٧)

V. 1, p. 244. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٢

نرمسان بلديون الاشداء ؛ لذلك ساد الحزن العميق وانتشر المعويل
في كلفة اتحاء الامارة (١٢٨) .

ولما رأى بلديون انه يصعب التطلع على حامية سيمسك صا الى
الرها بعد ان ترك حامية في حصن قريب منها ، لتكون بمثابة خط دفاعي
أسلحى يحول دون تهديد اتراك سيمسك للرها . ويبدو ان هذا
الاجراء خفف من الرها فعلا فسقط الأتراك مما حقق لبلديون قسما من
الشعبية والثقة داخل الرها ذاتها (١٢٩) .

وتد سبق ان رأينا كيف انه بعد حملة سيمسك السابقة الذكر
ديرت مؤامرة قتل ثوروس . وكان ان أخذ بلديون بعد انفرادهم بحكم
الرها بعد من جديد للاستيلاء على سيمسك الامر الذي افزع بك ،
وكان ان ارسل بعثة الى بلديون يعرض عليه شراء القلعة مقابل عشرة
آلاف بيزانت (١٣٠) . وهنا يذكر وليم الصوري ان بلديون وافق بعد
تنكير وزوية على ذلك العرض ، اذ وجد انه من الصعب أخذ سيمسك
بالقوة بسبب تحصيناتها القوية (١٣١) . لما (البرت) فيقول ان بلديون
لم يستجب اولا لعرض بك ، لانه كان يعتقد ان الأخير استولى على
سيمسك من المسيحيين دون وجه حق . وما ان لحس بك بنوايا بلديون
وجنوته ، حتى عقد العزم على احراق القلعة وقتل من فيها من رهائن من
اهل الرها ، وكان لديه الكثير منهم وعندئذ وافق بلديون على العرض
المقدم اليه من بك (١٣٢) .

ولم يمجز بلديون عن توفير المبلغ المطلوب لشراء سيمسك اذ كان
في الخزائن التي تركها ثوروس كثير من الأموال المكسدة (١٣٣) .

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. (١٢٨)
T. 4, p. 354.

Alberti : Ibid., p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 194, (١٢٩)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 Runciman : Op. Cit., V. 1,
p. 205 (Albert - Mattieu). عن

Alberti : Ibid., Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 355, (١٣٠)
Runciman : Op. Cit., V. 1, I, p. 208 (Albert). عن

William : Op. Cit., V. 1, p. 194. (١٣١)

Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 355. (١٣٢)

(١٣٣) سميد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ١٨٥ (عن وليم الصوري)

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

تمت الصفقة واستولى بلدوين على سميساط وأصبح ملك منذ ذلك اليوم
تابعا لبلدوين (١٣٤) .

وكان ان دخل بلدوين سميساط ظافرا ، ووجد في قلعتها رهائن
معيدين كان ملك قد أخذهم من الرها ، فردهم لبلدوين الى
نويهم (١٣٥) . مما اكسبه شعبية كبيرة في الرها (١٣٦) .

ومع ذلك فان بلدوين كان يتشكك في اخلاص ملك له وهو الأمر
الذى اثبتت صحته الأحداث التالية .

اما الخطوة الثانية في حركة بلدوين التوسعية والدفاعية عن امارته
فهى ضم مدينة سروج (١٣٧) وهى مدينة ذات أهمية تجارية كبيرة ،
بسبب ضاحيتها الخصبة (١٣٨) .

كان حاكم سروج عند قدوم الصليبيين هو الأمير التركي نور الدولة
ملك بن بهرام الأرتقى (١٣٩) . وملك هذا هو الذى سماه كل من البرت
ووليم المصورى باسم (بالاس Balas) (١٤٠) .

وما ان استقر بلدوين في الرها حتى بدا ملك الأرتقى يشعر بقلق زائد
حيث كان تأسيس إمارة الرها الصليبية يمثل كارثة حقيقية لأقربيه من

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4 (١٣٤)
p. 355, Zoé : Op. Cit. p.p. 140 - 141, Grousset . Hist.
des Crois. V. 2, p. 870 عن (Albert, Archer ;
Op. Cit. p. 62. (Albert.)

Alberti : Ibid. p. 355, William : Op. Cit. V. 1, p. 194. (١٣٥)
William : Ibid : V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit. V. 1, (١٣٦)
p. 208.

(١٣٧) كانت سروج بلدة من ديار مصر فتحها عياض بن غنم صلحا على
مثل صلح الرها في أيام الخليفة مير (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ،
ص ٢١٦) وكانت تقع الى الجنوب الغربى من الرها .
(Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 209

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869. (١٣٨)

Grousset : Ibid., p. 869 ; V. 1, p. 62 عن (Albert - (١٣٩)
Mattieu) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 209. عن (Albert)

Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 356, Liber (١٤٠)
V. T. 4, p.p. 444, 445, 446, William : Op. Cit.,
V. 1, p.p. 194, 306.

بنى ارتق ، الذين كانوا منذ نقسوا فلسطين يعملون على جعل الرها مركزا لملكاتهم في الشمال . لذلك حاول بك في باديء الامر الدخول في علاقات ودية مع بلدوين (١٤١) . ويقال ان بك حاول من وراء ذلك ان يستعين ببلدوين والفرننج لتحقيق مصالحه الخاصة وظن ان بلدوين لا يمدو احد المخامرين (١٤٢) .

وفي مكان آخر يفكر ولیم ان الأمير (بالاس) كان يفضل باسمرار مدينة الرها، ويصيبها بأضرار جسيمة فتوسل اليه الاهالي ان يجمع جيشا ويتحرك ضدها . ولكنه عندما توجه اليها وحاصرها وبدا يهاجمها بشجاعة خاف (بالاس) من ضياعها وطلب الامان في مقابل تسليم المدينة (١٤٣) . وما ان سلمت سروج لبلدوين حتى تمسك بها ولم ينكر اطلاق في تركها تحت حكم بك (١٤٤) . لذا مرض ضريبة على اهلها وترك بالقلعة حامية صغيرة فرنجية ارمينية تحت قيادة احد الرجال الذين تولوا المفاوضات بينه وبين بك (١٤٥) هو فولشر دي شارتر (١٤٦) وهو غير سبيه قسيس حيلة بلدوين الذي كان يحمل نفس الاسم وجاء من نفس البلد ، والذي يعتبر احد المؤرخين اللاتين لتلك الفترة . وأما كان فولشر هذا رجلا له تجارب كثيرة في الحرب (١٤٧) وكان « فارسا ذو شجاعة عظيمة وذو سلوك

Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, William : Ibid., (١٤١) p.306 .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 62 من (Albert) (١٤٢) سعيد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ١٨٦ من البيرت ايضا .

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194-195. (١٤٣)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63. (١٤٤)

William : Op. Cit., V. 1, p. 195. (١٤٥)

Mattieu : Op. Cit., p. 53, William : Ibid., V. 1, p. 308, (١٤٦)

Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 357, Liber V, T. 4,

p. 446, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 869

عن (L'Anonyme)

المصدر الاخير يسميه

Putshir أما متى الرهاوى فيسميه — Foucher de Chartres

في حين يسميه ولیم الصوري Folker - Fulcher أما البيرت فمره يقول Folkerum Carnotensis واخرى Folbertus Carnotensis

William : Ibid., V. 1, p. 308. (١٤٧)

حميد ٢ (١٤٨) ترك بلدوين فوالتر في قلعة سروج مع مائة من اهل
الجنود المتبرسين على القتال (١٤٩) . ومجهزين تجهيزا جيدا
للتحرك (١٥٠) . وكان لفتح سروج في ذلك الوقت أهمية كبيرة بالنسبة
للهما لأنه فتح عن طريقها الاتصال بينها وبين انطاكية (١٥١) .

ويبدو ان بك لم يحافظ على علاقته الودية مع بلدوين ، مما ادى
الى فقد الأخير ثقته في الأتراك ولدى بالتالى الى تخلفه من بك
الدانشمندی حاكم سيمساط السابق — كما سنرى — والذي كان حتى
ذلك الوقت ضمن بلاط بلدوين (١٥٢) . ويسهب البرت ورايم الصوري
في بيان اسباب ذلك فيقولان انه عندما لاحظ (بالاس) ان عاطفة بلدوين
تجاهه فترت دفعته مشاعر الغيظ الى التوجه الى بلدوين وطلب منه
ان يحضر شخصيا لتسلم القلعة الوحيدة التى بقيت في يديه وأنه
سيورثها لبلدوين وسيحضر زوجته ولولاده رهينة الى الرها وتظاهر
بأنه في خوف عظيم من الاهلى لأنه أصبح صديقا حميما للمسيحيين (١٥٣) .
ويذكر البرت « ان الغرض الحقيقى الذى كان يرمى اليه بالاس ورجاله
كان القبض على بلدوين » (١٥٤) .

وفى اليوم المتفق عليه لتسليم القلعة توجه بلدوين مع مائتين من
فرسانه الى المكان حيث كان بك قد سبقه وقوى دفاعها بأن وضع
بها مائة فارس مسلحين تسليحا رائعا . اختفت تلك القوة عند
وصول بلدوين . عندئذ طلب بك من بلدوين الا يدخل الا بقوة صغيرة
فوافق (١٥٥) . لكن رفاق بلدوين الذين اشتبوا رائحة الخيانة منعوه
بالقوة من الدخول (١٥٦) . وقرر ان يدخل المكان اثنا عشر فارسا
على ان يبقى بلدوين وبقيّة قوته عن قرب لمشاهدة ما يحدث . وما ان

-
- Mattieu : Op. Cit., p. 53. (١٤٨)
 Alberti : Op. Cit., Liber V, ... T. 4, p. 446. (١٤٩)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 308. (١٥٠)
 William : Ibid., p. 195. (١٥١)
 Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 355. (١٥٢)
 Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p.p. 443-444, Williad : (١٥٣)
 Op. Cit., V. 1, p.p. 306-307.
 Alberti : Ibid., p. 444. (١٥٤)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 307. (١٥٥)
 Alberti : Op. Cit., Liber V, T. 4, p. 444, William : (١٥٦)
 Ibid., p. 307.

دخل فرسان بلدوين حتى وقعوا في الكمين التركي المدبر لهم . عندئذ اقرب بلدوين من المكبان وحاول أن يذكر بك بلبيين الذي تمهد به وطلب منه اعادة فرسانه لكنه « رفض أن يجيب على طلبه الا اذا ردت له سروج » (١٥٧) . فرفض بلدوين الاجابة على طلبه هو الآخر واتسم الا يعيد سروج « حتى ولو قتل فرسانه على مشهد منه » (١٥٨) . وعندما تحقق بلدوين من حصانة القلعة وأنه من الصعب الاستيلاء عليها عاد الى الرها وهو في شدة الغضب (١٥٩) .

عندئذ تسليق فولتر حاكم قلعة سروج — ايضا مما حدث وصم على الانتقام من بك ورجاله عن طريق الخديعة . فوضع كميناً بالقرب من القلعة لم تقدم مع بعض حرسه وتظاهر بالاستيلاء عليها وعلى ما بها من قطمان بلاشية هنا تبعته حامية بك ، فتظاهر بالفرار حتى مكان الكمين هنا انتفض رجاله على الاتراك فقتل بعضهم وهرب البعض الآخر واسر ستة اشخاص (١٦٠) .

وبعد فترة تبادل فولتر هؤلاء الستة بسنة من رجالهم الماسوريين لدى (بالاس) ثم استطاع اربعة آخرون الهرب من قبضة الاتراك بسبب الاهمال ونتيجة لارهاق الحراس ، لكن (بالاس) امر بقتل الاثنين الباقين (١٦١) . ومنذ ذلك الوقت لمساعد كره بلدوين الاتراك بشدة واسقط تحالفه معهم (١٦٢) .

ولما كان اهالي سروج والقيين من أن بلدوين سيعود اليهم من جديد للانتقام من (بالاس) (١٦٣) . لذا ارسلوا الى بك الدانشمندی الموجود في الرها والى بعض القوى التركية القريبة يطلبون منهم

Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445, William : Ibid., (١٥٧)
V. 1, p. 307.

Alberti : Ibid., p. 445. (١٥٨)

Alberti : Ibid., p. 445, William : Op. Cit., V. 1, p. 307 (١٥٩)

Alberti : Ibid., p. 446 ; William : Ibid., p. 308. (١٦٠)

Alberti : Ibid., p. 446, William : Ibid., p. 308. هنا يضيف (١٦١)

البرت أن الاثنين اللذين قتلاهما Gerardus سكرتير بلدوين الخاص ،

Piscello اجمل وانيل جند — Wizan

Alberti : Ibid., p. 445, William : Ibid., p. 308. (١٦٢)

Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356. (١٦٣)

الحضور لاستلام المدينة . وهنا يبدو ان تلك طمع في الاستيلاء على سروج ، عسى ان يكون في ذلك تمويضا عما لحقه من خسارة بضائع سبيساط من يده ، ولذلك أخذ يستمد بسرعة لتنفيذ تلك الخطوة (١٦٤) .

وعندما علم بلدوين بذلك استعد هو الآخر بقوة كبيرة للتوجه الى سروج وما ان علم اهالى سروج بذلك حتى انتابهم الذعر وارسلوا الى بلدوين يطلبون منه الاستيلاء على المدينة في سلام مع تمهدهم بدفع الأموال له (١٦٥) .

وعندئذ تلك تلك الخوف الشديد فقصد بلدوين ليعلم له انه انما كان يقصد سروج ليخضعها له ويسلمها لبلدوين (١٦٦) ،وعندئذ طلب منه الأخير ان يسلمه زوجته واطفاله رهائن . ولما ماثل تلك في ذلك قبض عليه بلدوين وقطع رأسه (١٦٧) سنة ١٠٩٨ م (٤٩٢ هـ) (١٦٨) .

هكذا ضمت سبيساط وسروج الى الرها وبذلك « استطاع بلدوين ان يجعل من الرها ١٠٩٨ م (٤٩٢ هـ) عاصمة لامارة صليبية اشتملت على سبيساط وسروج » (١٦٩) .

وفي سنة ١٠٩٩ م (٤٩٣ هـ) استولى بلدوين على البيرة ، وهي مركز استراتيجى هام على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق من الرها

Alberti : Ibid., p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, (١٦٤) p. 62.

Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, Grousset : Hist. (١٦٥) des Crois. V. 1, p. 63. (Alberti) عن

Alberti : Ibid., p. 356, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210, (١٦٦) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 63,

(رنسيان وجروسية عن البيرت)

وينسر جروسية ذلك بقوله « اسرع تلك الى الرها ورمى بنفسه على اقدام بلدوين متوسلا اليه بانّه لم يات الى سروج الا لى يبعث الاهالى على تسليم المكان » .

Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti : Ibid., Liber V, p. 446, (١٦٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63 عن (Albert)

Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445. (١٦٨)

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954. (١٦٩)

الى عينتاب (١٧٠) . وبعد أن استولى بلدوين على المدينة تركها في
يد أحد الرؤساء الأرمن المحليين واسمه أبو الغريب (١٧١) .

وهكذا نمت إمارة الرها نموا واسعا على عهد بلدوين البولوني
حتى اشتملت على « كل الاقاليم الغنية لمملكة آشور القديمة » (١٧٢) .

وبعد أن اكمل بلدوين البولوني تحقيق امنيته (الخاصة) واقام إمارة
لاتينية لا يشاركه أحد في حكمها . . وبعد أن ضمن لامارته قدراً
من الاستقرار الداخلى والخارجى . بدأ يفكر في زيارة بيت المقدس هو
والأمير بوهيموند أمير أنطاكية (١٧٣) حيث اتفقا حتى تلك الرقت « لم يريا
تلك المدينة التى خرجا من الغرب من أجلها(١٧٤) » وهنا يحرص
فولشر المؤرخ اللاتينى المعاصر - وقسيس حلة بلدوين الخاص -
على الدفاع عن بلدوين وتبرير عدم مصاحبته للجيش الصليبي الكبير
في زحفه على بيت المقدس ، فيقول أن بلدوين كان مشغولاً في ذلك
الدور بتأمين الجناح الشرقى للصليبيين ضد الأتراك على جبهة
الفوات . ويشارك فولشر في هذا الرأي المؤرخ وليم الصوري(١٧٥) .
ومهما يكن من أمر فقد قام بلدوين وبوهيموند أمير أنطاكية بتلك الرحلة
وصادفاً فيها كثيراً من المتاعب والأخطار التى انفصلها فولشر(١٧٦) .
وستعرض لتلك الزيارة بالتفصيل في باب العلاقات الخارجية مع مملكة
بيت المقدس .

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64, (Ray Colonies (١٧٠)

Franques), L'Empire, p. 204, سعيد عاشور : الحركة

(Grousset) الصليبية ، ج ١ ص ١٨٦ . عن

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64. (١٧١)

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247. (١٧٢)

Gesta Tancredi in Expeditione ... (R.H.C.) Hist. Occid., (١٧٣)

T. 3, p. 704.

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 281. (١٧٤)

Fulcherii Carnotensis : Historia ... T. 3, p. 364, William: (١٧٥)

Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٧٦) بدأت تلك الرحلة - كما ذكر فولشر من ٣٦٥ في نوفمبر

Fulcherii : Ibid., p. 364-366

سنة ١٠٩٩م

وانتهت في مارس ١١٠٠م كما حدثتها الجستا

Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid., T. 3, p. 704.

ويكنى ان نشير الآن الى ان بلدوين وبوهيموند استقبلا في بيت المقدس من جودفري ورجال الدين والاهالي استقبالا طيبا وزاروا الاماكن المقدسة وراوا باعينهم حقيقة ما كانوا قد عرفوه في الماضي عن طريق الاخبار والتعليم فقط(١٧٧) .

وبعد عودة بلدوين الى الرها خضعت له ملطية . والمعروف ان ملطية كانت احدى المدن الرئيسية للارمن في ذلك الوقت (١٧٨) . وكانت « تقع على الاطراف الشمالية للإمارة ، وكانت تحت حكم الامير جبريل » (١٧٩) والراجح ان ملطية سلمت تحت ضغط الظروف الى بلدوين ، ذلك ان جبريل قصد بوهيموند في انطاكية في شهر يولية سنة ١١٠٠م ليعان خضوعه له . وعندما اتجه بوهيموند للاستيلاء على ملطية مع القليل من رجاله لاحظت به كائنات التركمان من بنى داتشمتد واسروه(١٨٠) هنا تذكر المصادر اللاتينية ان بوهيموند ارسل الى بلدوين طالبا نجده ولكى يتأكد بلدوين من ان الامر حقيقة وليس فيه خدعة ، حرص بوهيموند على ان يرسل خصلة من شعره الذهبي الى بلدوين مع الرسول الارمني(١٨١) .

وهنا اظهر بلدوين شهامة كبيرة فتحرك بسرعة لنجدة بوهيموند ولكنه لم يلحق بالتركمان الذين اقتادوا اسيرهم بوهيموند وقروا بسرعة(١٨٢)

William : Op. Cit., V. 1, p. 401. (١٧٧)

William Ibid. V. 1, p. 421. (١٧٨)

R.H.C. Hist. Occid. T. 1, p. XLII. (Meletenia). (١٧٩)

وتسمى ملطية هنا

Fulcherii : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 368, Gesta (١٨٠)

Francorum : Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 519,

Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae (R.H.C.)

Hist. Occid. T. 3, pp. 551-552, Balduni III ; Hist.

Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII (Hist. Occid.)

T. 5, Part 1, p. 177.

اما جروسيه فينقل لنا راي المؤلف السوري المجهول عن سبب توجه بوهيموند الى ملطية فيقول « ان بوهيموند كان متوجها الى ملطية ليتزوج مورنيا ابنة جبريل التي قدم والدها يدها اليه لكنه اسر »

Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme) عن

Gesta Francorum : Ibid., p. 519, Alberti Aquensis : (١٨١)

Historiae, Liber VII ... Hist. Occid. T. 4, p. 525.

Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae ... Hist. (١٨٢)

Occid. T. 3, p. 552, William : Op. Cit. V. 1. p. 411.

الى قلعة نكسار(١٨٣) قرب البحر الاسود(١٨٤) .

وعندما ينس بلدوين من اطلاق سراح بوهيوند ، عاد الى ملطية(١٨٥)
ليستولى عليها بالاتفاق مع صاحبها جبريل وهو ما اكنته المصادر
اللاتينية(١٨٦) .

والواقع انه سواء استنجد بوهيوند ببلدوين وهو الراى الأرجح او
ان بلدوين هو الذى توجه بنفسه لنجدته ، وسواء اخضع هو ملطية بالقوة
ام اخضعت له تلقائيا فقد ظل جبريل حاكما عليها وتابعها لبلدوين .

بلدوين وحكم بيت المقدس :

وما كاد بلدوين يعود الى الرها بعد ذلك ، حتى وافته الحظ مرة
اخرى ليصبح الرجل الاول بين امراء الصليبيين في بلاد الشام . وذلك
انه حدث في شهر اغسطس سنة ١١٠٠م (١١٠٠هـ) بعد عودة بلدوين
الى الرها ان وصله رسول من بيت المقدس على عجل ، اعلن له موت
جودفري في الثامن عشر من يوليو سنة ١١٠٠م ويطلبه بالحضور فوراً
ليحل محل اخيه في حكم المدينة المقدسة(١٨٧) .

والراجح ان انتخب بلدوين خلفاً لأخيه الشقيق اثار خلافا عظيما
واشعل نـار الحرب(١٨٨) . والدليل على ان المسألة لم تكن من السهولة
يمكن ما ذكره وليم الصورى من أن عرش بيت المقدس ظل خاليا

Mattieu : Op. Cit., p. 52. (١٨٣)

مسيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٨٢ (١٨٤)

William : Op. Cit., V. 1, p. 412, Gesta Francorum : Hist. (١٨٥)
Occid., T. 3, p. 519.

Fulcherli Carnotensis : Hist. Occid. T. 3, p. 368. Alberti (١٨٦)

Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 525,

Secundi Pars : Historiae... Hist. Occid., T. 3, p. 552.

Balduni III Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap..

LXIII, Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium (R.H.C.) (١٨٧)

Hist. Occid. T. 3, p. 520, Secunda Pars : Historiae...

Hist. Occid. T. 3, p. 552, Mattieu : Op. Cit., p. 52,

Bréhier : L'Eglise ... p.p. 85 - 86, Zoé : Op. Cit.,

p. 180, Cahen : Op. Cit., p. 229.

Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3 p. 706. (١٨٨)

حوالى ثلاثة أشهر حتى استدعى بلدوين ليخلف أخاه في العناية بشئون المملكة (١٨٩) .

والواقع أن دايبرت ، بطريرك القدس كان يطمع حتى في حياة جودفرى في اقامة حكومة ثيوقراطية ، وقد وصل الضيق بجودفرى في احدى السرات الى القول بأن دايبرت « كان اكثر ازعاجا له من المسلمين » ، بل لقد وعد بالتخلّى عن حكم بيت المقدس للبطريرك اذا تمكن من فتح مدينة مماثلة لها في الاهمية مثل القاهرة أو دمشق (١٩٠) . بل وقيل أن جودفرى اوصى قبل وفاته بأن يخلفه البطريرك دايبرت في حكم بيت المقدس ، وذلك في حالة عدم وجود ورثه مباشرين لجودفرى نفسه (١٩١) . ومن الواضح أن تنفيذ هذه الوصية كان يعنى تحويل حكومة بيت المقدس الى حكومة ثيوقراطية فعلا .

على أن قيام حكومة ثيوقراطية في بيت المقدس واستبعاد كل فكرة تستهدف نظاما ملكيا وراثيا ، كان امر صعب التحقيق . ذلك أن الادة القصيرة التي تولى فيها جودفرى بوايون حكم بيت المقدس كانت كافية لتجعل فرسانه يؤمنون بضرورة قيام ملكية وراثية في بيت المقدس . هذا فضلا عن أن ارنولف مالكورن — البطريرق السابق لبيت المقدس الذى خلفه دايبرت — كان له نصاره من رجال الدين وهؤلاء شايعوا فكرة قيام ملكية علمانية وراثية في بيت المقدس ، لا لشيء سوى التشفى في دايبرت والوقوف في وجه اطماعه وآماله (١٩٢) .

ولم يلبث أن تكون حزب معارض للبطريرك دايبرت « وامتلكوا برج داود وأعلنوا أنهم لا يعترفون بسيد عليهم الا أخ او قريب لسيدهم الراحل » (١٩٣) . وكان من الطبيعي أن يتجه رفاق جودفرى واتباعه تلقائيا الى بلدوين فقد بدا لهؤلاء الذين خدموا تحت زعامة جودفرى انه ليس من الأمانة والشرف أن يعترفوا بسيد آخر (١٩٤) .

William : Op. Cit. V. 1, p. 415. (١٨٩)

Zoé : Op. Cit., p. 179. (١٩٠)

(١٩١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٢٨٠ عن وليم الصورى .

(١٩٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٢٨٠ عن (Albert)

Zoé : Op. Cit., p. 180. (١٩٣)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 526. (١٩٤)

William : Op. Cit. V. 1, p. 421, Zoe : Op. Cit., p. 180.

وسوف نذكر في الملاحق نص الرسالة اشفوية التي حملها اتباع جودفرى لأخيه بلدوين .

وعندما احس دايبريت بالمعارضة الشديدة ضده فكر في ان يجعل الحكم لفنكريد ابن اخت بوهيموند ولكن هذا الراى صانف معارضة شديدة من ارنولف(١٩٥) وعندئذ لم يجد دايبريت وسيلة سوى ان يرسل الى بوهيموند في انطاكية ليحول دون وصول بلدوين الى بيت المقدس(١٩٦). لكن خطاب دايبريت الى بوهيموند لم يصل اليه فقد احتجزه اتباع ريموند الصنجيل قريب طرابلس ، وفي نفس الوقت وقع بوهيموند نفسه اسيرا في قبضة بنى داسنمند الذين حملوه الى قلعة نكسار كما سبق ان اشرنا(١٩٧) .

وعكذا تبعد آخر اهل امام دايبريت لحرمان بلدوين من حكم بيت المقدس . اما بلدوين في ذلك الوقت فقد كرس كل جهوده لتوسيع حدود امارته شرقا الى حيار بكر وما بين النهرين(١٩٨) . والواقع انه حتى ذلك الوقت كان بلدوين يعيش من اجل امارته فقط حتى انه هجر القضية الصليبية من اجلها ولكن عندما لاح له بريق حكم بيت المقدس فانه لم يتردد ابدا في ترك الامارة والتوجه الى القدس ليصبح ملكا(١٩٩) .

وكان ان رتب بلدوين امور الرها ، وانقل كاهل اهلها بكافة انواع الضرائب كما اغتصب منهم اموالا كثيرة ليستعين بها في نفقات سفره (٢٠٠). ثم اتخذ اهله واستعد للمسير الى بيت المقدس تاركا الامارة في رعاية احد اقاربه هو بلدوين دى بورج (٢٠١) . وهو رجل نشيط على جانب من المقدرة (٢٠٢) .

وقد غادر بلدوين الرها في ٢ اكتوبر سنة ١١٠٠م(٢٠٣) مصطحبا معه

Charles — Joseph Hefele : *Histoire de Conciles*. T.V, (١٩٥)
Part 1, p. 484. (Albert) عن

Zoé : *Op. Cit.*, p. 181. (١٩٦)

Zoé : *Ibid.*, p.p. 182 - 183. (١٩٧)

Grousset : *L'Epopée*, p. 59. (١٩٨)

Grousset : *Ibid.*, p. 59. (١٩٩)

Mattieu : *Op. Cit.*, p. 52. Setton : *Op. Cit.* V. 1, p. 381. (٢٠٠)

Mattieu ; *Ibid.*, p. 52, William : *Op. Cit.* V. 1, p. 422, (٢٠١)

Balduni III : *Hist. Nicaena Vel Antiochena* — Cap.

LXIII ... *Hist. Occid.* T. 5, Part 1, p. 177.

Gesta Francorum ; *Iherusalem ... Hist. Occid.* T. 3, (٢٠٢)
p. 543, William : *Ibid.* V. 1, p. 422.

William : *Ibid.* p. 421, Setton : *Op. Cit.* V. 1. p. 381 عن (٢٠٣)
(Foulcher). Grousset : *L'Epopée*, p. 60.

ماتنين من الفرسان وسيمعة من المشاه (٢٠٤) . كما اصطحب معه زوجته الاميرة الارمنية (٢٠٥) . وكان طريقه الى القدس محفوظا بالمخاطر بسبب المراكز الاسلامية المنتشرة على طول الطريق والتي فصلت امارته وامارة انطاكية عن بيت القدس . « لكنه كان ينصف دائما بالحذر فاستطاع ان يعبر البلاد دون ان يؤسر او يقتل (٢٠٦) » وقد اتخذ بلدوين طريقه عبر امارة انطاكية ثم اللاذقية وجبله وهرقله وطرطوس الى ان بلغ طرابلس وهناك قدم له حاكمها ، مخر الملك بن عمير (٢٠٧) ، ما يحتاج اليه لاكمال رحلته وبلغه عن كمين وضعه المسلمون في طريقه ، فشكر حاكم طرابلس واستطاع ان يتحاشى تلك العقبة (٢٠٨) .

اخيرا وصل بلدوين الى القدس في ٩ نوفمبر سنة ١١٠٠م (٢٠٩) ، بعد عدة مصاعب في الطريق واشتباكات مع القوات الاسلامية (٢١٠) ، اى بعد مغادرته الرها بخمسة اسابيع مما يوضح طول الرحلة بين الرها والقدس وبالتالي مدى الصعاب التي تجتازها « وكان ان خرج رجال الدين والنسب بالقدس لاستقباله ومعهم الاناجيل وهم ينشدون التراتيل والانشيد الروحية وقد غمرتهم الفرحة وهم يصحبون بلدوين الى داخل المدينة ليخلف اخاه في حكمها (٢١١) » .

ولكن ماذا كان موقف دايبريت منذئذ ؟ والواقع ان (اولدبرج) يشير الى ان الحماسة الجارفة التي قويل بها بلدوين جعلت دايبريت يلوذ

Gesta Francorum : Op. Cit. T. 3, p. 520, Bréhier : (٢٠٤)
 l'Eglise : p. 86, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن
 (Foulcher)

في حين يذكر ولیم المصوري أن المشاه كانوا ثمانية (William : Op. Cit., V. I, p. 421)

لما البرت فيذكر أن عدد الفرسان كان اربعمئة وعدد المشاه كان الفا . (Alberti Aquensis : Historiae Liber. VII, T. 4, p. 527).

Zoé : Op. Cit., p. 183. (٢٠٥)

Zoé : Ibid., p. 183. -

(٢٠٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٧٩

Gesta Francorum : Op. Cit., ... Hist. Occid. T. 3. p. 520, (٢٠٨)

Zoé : Op. Cit., p. 184.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381. (٢٠٩)

(٢١٠) ابن التالسي : الخيل ، ص ١٢٨ — ١٢٩

William : Op. Cit., V. 1, p. 422. Gibb : Op. Cit., p. 51.

(٢١١) يوسف الدبس : تاريخ سورية ج ٦ ص ٥٠

William : Op. Cit. V. 1. p. 425.

بالصمت ، ثم فضل بعد ذلك حياة العزلة في جبل صهيون (٢١٢) . ويؤكد
وليم الصوري ذلك بقوله « ان دايبرت الذي توقع شرا من هجاء بلدوين
انستب الى كنيسة جبل صهيون ، حيث انقطع للعبادة بعيدا عن كائنة
الخلافت ، وبذلك ام يحضر احتفالات استقبال الأمير بلدوين ليشارك
في تقديم الولاء له مثلما فعل سائر الاهالي (٢١٣) » .

وكان بلدوين قد ارسل الى البابا متهما البطريك دايبرت بالقتل
وبانه حث في يمينه ، لانه حرض الأمير بوهيموند على قتله عندما كان
في طريقه من الرها الى القدس ، لذا ارسل البابا مندوبا عنه هو
الكريبنال موريس دى بورتو فلووقف البطريك حتى بيت في امه (٢١٤) .

على انه تم بعد ذلك صلح قصير بين البطريك وبلدوين (٢١٥) وكان
ذلك عن طريق جهود بعض عقلاء الوسطاء - مما أدى الى تنويع بلدوين
ملكا على بيت المقدس في كنيسة العذراء ببيت لحم في ٢٥ ديسمبر
١١٠٠م (٢١٦) ويبدو دايبرت نفسه (٢١٧) .

Zoé : Op. Cit., p.p. 184 - 185. (٢١٢)

William : Op. Cit. V. 1, p.p. 425 - 426. (٢١٣)

Aebarti Aquensis : Historiae Liber VII (R.H.C.) Hist. (٢١٤)

Occid. T. 4, p. 539, Charles-Joseph-Hefele : Op:

Cit., T.V. Part 1, p. 484

Charles-Joseph-Hefele : Ibid., p. 484. (٢١٥)

William : Op. Cit., V. 1, p. 427, Bréhier : L'Eglise..., (٢١٦)

p. 86, (Hagenmeyer), Lammens : La Syrie, V. 1,

p. 214, Runciman : Op. Cit., V., 1, p. 328 (Fuacher)

مسعود عاشر : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٨٧ من (Stevenson)

Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena... T. 5, (٢١٧)

Part 1, p: 177, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 427-428.

ويبدو أن العلاقات الطيبة لم تستمر طويلا بين دايبرت وبلدوين فقد
ذكر البرت انه في سنة ١١٠٢م ارسل (البابا باسكال الثاني) ١٠٩٩ -
١١١٨م (مندوبا عنه مرة أخرى الى بيت المقدس هو الاسقف موريس ،
للت في امرد دايبرت ولتصحيح الأمور الخاصة بالكنيسة الشرقية .
ويظهر من كلام البرت أن الخلاف بين بلدوين والبطريك في هذه المرة
كان بسبب ما يخفيه البطريك من نقود تحت الأرض . وانتهى الأمر
بتنحيه دايبرت من جديده عن منصبه

(Aebarti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid.

T. 4, p.p. 598, 600).

ولا شك في ان تنويج بلدوين ملكا كان حدثا خطيرا في تاريخ الصليبيين بالشام لان اخاه جود فرى لم يتوج ولم يحصل لقب ملك (٢١٨) ، وانما كان حاكما على بيت المقدس (٢١٩) . ولانه في ذلك المكان « ليس عيسى المسيح تاجا من الاثناوك » ولكن قدس بلدوين دى بوايون ان يتوج ملكا ويلبس تاجا من الذهب في بيت المقدس (٢٢٠) .

امارة بلدوين دى بورج على الرها : ١١٠٠ - ١١١٨ م (٢٢١)
(٤٩٤ - ٥١٢) .

اما من امارة الرها بعد ان وليها بلدوين دى بورج ، فيلاحظ انها سارت على نفس الطريق الذى رسمه مؤسس الامارة بلدوين دى بوايون .

والحقيقة ان بلدوين دى بورج كان عند حسن ظن بلدوين البولونى اذ كان « رجلا جديرا بالتقدير في كل علاقاته ، فعنى بشئون الامارة التى ولى امرها بنشاط عظيم ، جمعت الاعداء المحيطين به ينظرون اليه نظرة احترام ورهبة (٢٢٢) » . فاذا اردنا ان نقارن بين الاميرين الاولين للرها نجد ان دملة خالق الثنى بالمقارنة بقراسة الاول مكتت بلدوين دى بورج من ان يستحوذ على مشارع الارمن الودية (٢٢٣) . وبمعنى آخر كان امير الرها السابق مكروها من الارمن ومن السريان فلم يمثل بالنسبة لهم الا طافية فظا جشعا ، اما بلدوين دى بورج فقد استحوذ على مشارع الاهالى الصادقة (٢٢٤) .

ونستطيع ان نحصل على وصف كامل لشخصية بلدوين دى بورج من متى الرهاوى الذى يقول : « كان هذا الامير احد الفرنج المشهورين بمكانتهم العالية ، كما كان محاربا قديرا ، عفيف للنفس ، مثالى الخلق ، يكره الخطيئة ، يفيض رقة وعذوبة وتواضعا ، ولكن شاب هذه الصفات الطيبة جشمة ، فهو ماهر في الاستحواذ على ثروات الآخرين ،

Bréhier : L'Eglise... p. 86 من (Hagenmeyer). (٢١٨)

Alberti Aquensis : Historiae Liber VII... Hist. Occid. (٢١٩)

T. 4, p. 526.

Guilberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos, (R.H.C.) Hist., (٢٢٠)

Occid. T. 4, p. 245, Zoé : Op. Cit., p. 185.

G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 3. (٢٢١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 450. (٢٢٢)

Grosset : L'Empire, p. 298. * (٢٢٣)

Zoé : Op. Cit., p. 230. (٢٢٤)

نتيجة شراسته في المال فضلا عن بخله وامساكه . اما اذا قارناه بغيره فانه يبدو مستقيما جدا محافظا في سلوكه وطباعه « (٢٢٥) .

وكانت أولى خطوات ذلك الأمير للتقرب من شعبه الذي كتبت غالبية من الأرمن ، هو الزواج من الأميرة الأرمينية مورفيا Morfia ابنة جبريل حاكم ملطية (٢٢٦) ، والتي سبق أن ذكرنا أن والدها كان قد توجه لطلب النجدة من بلدوين ضد الأتراك الذين أسروا بوهيموند وهو في طريقه لنجته وللزواج من ابنته هذه .

وكانت هذه فرصة أمام بلدوين دى بورج للتقرب من رعاياه الأرمن أن يتزوج من ابنة جبريل ، حيث أنه لم يكن له زوجة ولا أولاد (٢٢٧) . وحملت مورفيا الى بلدوين سداقا كبيرا (٢٢٨) . والراجح أن جبريل كان يمتلك ثروة خرافية لأن ابنته حملت هدية زواج بلغت ٥٠٠٠ ر.ه. بيزانت ذهبيا ، بل أنه ساعد بلدوين في عدة مناسبات بعد ذلك بأموال كثيرة (٢٢٩) .

وقد أمدت تلك الزيجة خزانة بلدوين بطريقة فعالة . ومن ناحية أخرى ، فإنه على الرغم من أنه كان بالنسبة لبلدوين دى بورج زواج منفعلة إلا أنه كان الزواج الوحيد الذي شارك في شعائره الأبراء الاقطاعيون وقبول بسرور كبير ، فضلا عن أن بلدوين يعتبر مثاليا بين الأزواج (٢٣٠) . بل أن بلدوين في زواجه هذا « استقبل الرئيس الدينى للبطريركية الأرمينية ، بلسيل الأول الذى قدم سنة ١١٠٢م (٤٩٧ هـ) . من آتى (٢٣١) الى الرها ، لاستقبله بلدوين استقبالا طيبا

Mattieu : Op. Cit., p. 119, Zoé : Op. Cit., p. 230. (٢٢٥)

Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie (٢٢٦)

Cilicienne, p. 98, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392,

Cohen : Op. Cit., p. 230.

William : Op. Cit., V. 1, p. 450. (٢٢٧)

William : Ibid., p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228. (٢٢٨)

William : Ibid., p. 450. (٢٢٩)

Zoé : Op. Cit., p. 228. (٢٣٠)

(٢٣١) كانت آتى في نظر الشاعر الأرمنى نيرسيس شنورهالى الذى رلى الرها بعد سقوطها هي (عاصمة الشرق)

Nersès Schnorhali : Elégie sur la prise d'Edesse,

اما الناشر دولوبيه فيقول : (البيت رقم ٢٧٦) Op. Cit., p. 236

وقدّم له العديد من القرى وغمره بالهدايا وأظهر له ودا كبيرا « (٢٣٢) .
والواقع أن قدوم هذا الخبر من آتى ذات الاهمية الدينية الكبير
لدى الأرمن يشهد بأهمية تلك الزيجة . هذا فضلا عن أهمية مركز كل
من جبريل وبلدوين دى بوج في نظر الأرمن عندئذ .

كانت تلك الزيجة هي إحدى الزيجات الفرنجية الأرمينية التي أكدت
الروابط بين الطرفين (٢٣٣) . وعن طريقها استطاع بلدوين أن يثبت
أولى دعائم حكمه في الرها .

لما عن مدى انتصاع جبريل من تلك الزيجة فإن بلدوين استطاع
أن يحميه من العديد من هجمات بنى دانتشند ، وأن لم يستطع أن
يمنع سقوط ملطية في أيديهم سنة ١١٠٣م (٢٣٤) .

ثم كانت الخطوة التالية لتدعيم حكم بلدوين دى بوج إداخلي في
الرها وهي أنه اختار مساعدا له ابن عمته جوسلين دى كورتناى
Jocelin de Courtenay الذى وصل حديثا من فرنسا مع الحملة الصليبية
سنة ١١٠١م (٤٩٥هـ) أو بعدها بقليل (٢٣٥) . ولما كان جوسلين
« لا يملك مالا ولا أى مصدر آخر من مصادر الثروة فقد أفدق
عليه بلدوين ١١٠٢م (٤٩٦هـ) ممتلكات واسعة حتى لا يشغل نفسه بلقمة
العيش . وشملت تلك المهبة قورس (٢٣٦) . ودلوك (٢٣٧) .

« كانت آتى من أشهر المدن الأرمينية وحاضرة الدولة وهي تقع في
منطقة كماخ على ضفة الفرات الشمالية . كانت مدينة مخمة وقد تعرضت
للغزوات ففتحها الروم ١٠٤٥م والأتراك ١٠٦٤م والجيورجيون ١١٢٤م
والغول ١٢٣٩ . وفي ١٢١٩ قفى عليها نهائيا زلزال مدمر حولها الى
خرائب وأطلال » (Doc. Arm. T. 1, p. 236)

(٢٣٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 70 - 71, Grousset : L'Empire,
p. 298 (Mattieu), Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 392-393.

Grousset : L'Empire, p. 185. (٢٣٣)

Grousset : Ibid., p. 298. (٢٣٤)

Cahen : Op. Cit., p. 236. (٢٣٥)

(٢٣٦) حاشية عن وليم الصورى

Gouris, Kouris (Mattieu : Op. Cit., p. 126.

وقورس كما ذكرها ياقوت الحموى : معجم البلدان ،
د ١٦ ص ٤١٢ هي «مدينة أزيلت بها آثار قديمة وكورة من نوحاحى حلب» .
(٢٣٧) بلدة من نوحاحى حلب ، بالمواصم (ياقوت الحموى : معجم
البلدان ، د ٨ ص ٤٦١) وهي قديمة لها ذكر ولها قطعة من بناء الروم
عالية مبنية بالحجارة قيل أن مقام دود عليه السلام كان بها
(ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٠٦ — ٣٠٧) .

وعين ناب (٢٣٨) . وقلعة تل باشر الترامية الاطراف (٢٣٩) .
والشديدة للخصوبة ورلوندان ومنا أخرى واحتفظ الامير لنفسه بالاقليم
للواقع غربي الفرات لقريفة من ممتلكات العدو واستبقى فقط احدى
المدن في الجزيرة وهى سمياط « (٢٤٠) .

منح بلدوين تلك الأجزاء لجوسلين لكى يستطيع أن يتفرع كلية
لممتلكاته شرقي الفرات وإلى الجنوب من إمارة كوغ باسيل . ومن تل باشر
استطاع جوسلين منذ نهاية ١٠٣٠م أن يقطع طرق الاتصال بين حلب
والفرات ، بينما غزا بلدوين دى بوج الامتدادات الشرقية لنفس تلك
الطرق حتى حدود قلعة جعبر والرقة ، وتتابع غزواته حتى اقليم
ماردين (٢٤١) .

هكذا أصبح جوسلين دى كورتناى الرجل الثانى فى إمارة الرها
بعد بلدوين دى بوج وتشاركه فى السيطرة على تلك المنطقة ذات الموقع
الهام بين سلاجقة حلب وسلاجقة فارس (٢٤٢) .

والواقع أن جوسلين هذا كان من أقوى الشخصيات الصليبية على
الاطلاق لذا كان سندا قويا لبلدوين دى بوج ولحكمه فى الرها .

ولم تلبث الأحداث أن شددت بلدوين دى بوج الى سروج ، إذ حدث
فى يناير ١٠١٠م (ربيع ٤٩٤هـ) (٢٤٣) . أن توجه سقمان بن أرتق -
عم ملك سروج السابق الى سروج لها جنتها وكان بصحبة جمع
كبير من التركمان (٢٤٤) . وقام بالمسيد من الغارات على كل الاناثيم
المجاورة (٢٤٥) . فتوجه بلدوين دى بوج لمحاربه مع فوشيه حاكم

(٢٣٨) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية (ياقوت الحموى :

معجم البلدان ، د ١٤ ص ١٧٦) .

(٢٣٩) كان اقتطاع تل باشر يمتد من الفرات الى حدود انطاكية

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392.

(R.H.C.), Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., (٢٤٠)

V. 1, p. 450, Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(حاشية عن وليم الصورى)

Cahen : Op. Cit., p. 236. (٢٤١)

(٢٤٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية د ١ ص ٣٩ (عن

Setton

(٢٤٣)

Gibb : Op. Cit., p. 50, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 63.

المعنى : عقد الجبان د ١٥ م ٣ ص ٥٣٩ .

(٢٤٤) ابن القلائس : الذيل ص ١٣٨ ، ابن الاثير : الكامل د ٨ ص ٢٠٤

Mattieu : Op. Cit., p. 52. (٢٤٥)

سروج (٢٤٦) . ويؤازرة العديد من السكان السذجين ضُفط عليهم
نوشيه (٢٤٧) . « لكن استهانة الفرنج بخصوصيتهم واهمالهم ادى الى
هزيمتهم (٢٤٨) . « فعندما اقترب بلدوين من المدينة وقع في كمين
الا انه افلت منه وهرب مسرعا الى الرها ومنها اسرع الى انطاكية
لطلب المعونة (٢٤٩) . ودارت معركة ضارية بين الفرنج والأتراك هزم
فيها الفرنج (٢٥٠) . واستطاع الأراقة الاستيلاء على المدينة ماعدا القلعة
التي التجأ اليها الفرنج تحت قيادة اسقف الرها اللاتيني - enolt أو Babios
الذى قاوم فيها مدة طويلة (٢٥١) . اما فوشيه فقد قتل ومعه الكثير
من الاهالى في حين وقع عدد كبير في الاسر (٢٥٢) . لكن بلدوين ارسل
الى حامية القلعة رسالة سرية يشجعهم فيها على الثبات مما جعلهم
يقاومون ببسالة (٢٥٣) . وبعد حوالى خمسة وعشرين يوما وصل
بلدوين ومعه ستبائة فارس وسبعمائة من المشاة (٢٥٤) ، وفجأة في
النجر اشطوا بعض الشاعل على اسنة الرياح وباغتوا المعسكر
التركي ومن ناحية اخرى مساعدتهم حامية القلعة الذين خرجوا ساخطين
فهزم الأتراك وغروا (٢٥٥) . « وقتل الفرنج كثيرا من اهالى سروج
وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما (٢٥٦) . «
وكان ذلك في أوائل فبراير ١١٠١م (٢٥٧) . لكن اذا كان المرجع للفرنجي

(٢٤٦) Mattieu : Ibid., p. 53.

(٢٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois.,

(L'Anonyme Syriacque). من V. 2, p. 860

(٢٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٤٩) Mattieu : Ibid., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2,

(L'Anonyme) من p. 870

(٢٥٠) ابن تيمتى : نزهة الأنام في تاريخ الاسلام مخطوط رقم ٨٥١

تاريخ حوادث ٤٩٤هـ Mattieu : Ibid., p. 53,

(٢٥١) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230,

(L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 270

(٢٥٢) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Ibid, p. 230 ;

(٢٥٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870.

(٢٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٥٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870.

(٢٥٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٠٤ ، ابن القلائس : النيل ،

ص ١٢٨ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث

٣٠١ - ٥٥٠هـ ص ٢٧١ ، ابن خلدون : العبر د ٥ ، ص ١٨٦ ، العيني :

مقد الجان ، د ١٥٥ ص ٥٤٠ ، الطباق الحلبى : اعلام النبلاء د ١

ص ٣٨٩ .

(٢٥٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٤٠ عن (Mattieu)

إمارة الرها الصليبية - م ٧ ص ٩٧

يرجع هزيمة المسلمين الى قوة وبراعة بلدوين فان المصور العربي يعزى ذلك الى « هرب جماعة من التركمان فضعفت نفس سكان وانتهزم (٢٥٨) ». وبذلك استولى الفرنج على مروج بالسيف سنة ٤٩٤هـ (٢٥٩) :

وكان ان شجع هذا الانتصار بلدوين على القيام باغارات على المدن والاقاليم الاسلامية المجاورة التابعة للارائقة وبين ذلك ما قام به في سبتمبر واكتوبر سنة ١١٠٣م (٤٩٦ - ٤٩٧هـ) من هجمات على الارائقة حول ماردين فاسر منهم كثيرين وحمل قدرا كبيرا من الفنائم (٢٦٠) . ومن النواحي التي استولى عليها « تل موزن (٢٦١) » . وتل قراد (٢٦٢) . في شمال شرق شبختان بالقرب جدا من ماردين (٢٦٣) .

وهكذا استطاع بلدوين دى بروج ان يقضى على الخطر الارتقى في مروج عن طريق الامدادات التي زودته بها انطاكية . ولا شك ان هذه الخطوة شجعت على ان يخطو خطوة اكبر ضد حران الواقعة الى الجنوب الشرقي من الرها ، والتي كانت المدينة الكبرى الوحيدة القريبة من الرها ، التي لم يسيطر عليها الفرنج حتى تكمل سيطرتهم على الجزيرة (٢٦٤) . وكان لمساعدة بلدوين دى بروج في تدبير غديّة

(٢٥٨) ابن القلائس : الذيل ، ص ١٣٨ .
(٢٥٩) الذهبي : العبر ، د ٣ ص ٣٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ١٦٠ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ١٣ ، روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ حوادث ٤٩٤هـ واذا كانت غالبية المصادر العربية تجمع على ان ضم مروج لامارة الرها كان في ٤٩٤هـ - يناير ١١٠١م فان ابن ابيك يفكر ان ذلك تم ٤٩٣هـ (ابن ابيك : كنز الدرر د ٦ ص ٤٥٢) اما التاريخ الظفري ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٩٤هـ فيذكر انه كان ٥٩٤هـ . والراجع ان ذلك راجع الى الخطأ في ضبط التواريخ او الى السهو .

(٢٦٠) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٤٤٠ عن (متى الرهاوى)
Mattieu : Op. Cit., p. 70

(٢٦١) بلد قديم بين رأس عين وسروج . فتحه عياض بن غنم (ياقوت : معجم البلدان د ٥ ص ٤٥) .

(٢٦٢) حصن مشهور في بلاد الارمن من نواحي شبختان (ياقوت : معجم البلدان ، د ٥ ص ٤٣) .
(٢٦٣)

Grousset : L'Empire, p. 298, Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 871. (٢٦٤)

بوهيوند امير انطاكية ١١٠٣م (٢٦٥) . اثره في تعاون أميرى انطاكية
والرها في هذا العمل .

اوضاع المسلمين في الشرق قبل موقعة حران (١١٠٤م - ٤٦٧هـ)

قبل ان نتناول موقعة حران بين المسلمين والفرنج بشئ من التفصيل
يجدر بنا ان نعطي صورة واضحة عن الوضع في الحقل الاسلامي
المحيط بها بل والوضع الداخلى فيها والذي شجع الفرنج على التوجه
اليها .

كان مسلموا الشرق ممزقين نتيجة الحرب الاهلية بين السلطان
السلجوقي بركياروق وأخيه محمد . والتي امتدت منذ ٤٩٢هـ حتى
٤٩٧هـ (١٠٩٨م - يناير ١١٠٤م) . ففى سنة ٤٩٢هـ ١٠٩٨م خطب
للسلطان محمد ببغداد ولقب غياث الدنيا والدين (٢٦٦) . وفى ٤٩٣هـ
١٠٩٩م دخل السلطان بركياروق ببغداد واعيدت له الخطبة بدلا من اخيه
محمد فبعث الى الخليفة العباسي بهدية ثمينة (٢٦٧) . ثم لم يلبث الخلاف
ان دب من جديد في نفس السنة بين الاخوين فانهمز بركياروق واعيدت
الخطبة لآخيه محمد ببغداد (٢٦٨) .

وفى جمادى الاخرى ٤٩٤هـ ١١٠٠م التقى الاخوان من جديد فانهمز
السلطان محمد ولكن عندما دخل بركياروق ببغداد اساء السيرة في
اهلها ، ثم لم يلبث ان مرض فلحقه اخوه محمد ، فشكا اليه الخليفة
العباسي من سوء سيرة اخيه وخطب له بالديوان فلم يكن من بركياروق الا
ان رحل الى واسط (٢٦٩) . وفى ٤٩٥هـ ١١٠١م تقاثل السلطان
بركياروق والسلطان محمد وجرت بينهما حروب كثيرة انهزم فيها

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé: Op. Cit., p. 212. (٢٦٥)

(٢٦٦) كان ذلك يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة (ابن الاثير :
الكامل ، ج ٨ ص ١٩١) .

(٢٦٧) ذلك يوم الجمعة منتصف صفر (ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ،
ص ١٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ١٥٨ ، أبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٩٥) .

(٢٦٨) يوم الجمعة رابع عشر رجب (ابن الاثير : الكامل ، ج ٨
ص ١٩٤) .

(٢٦٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٤ ، أبو المحاسن : النجوم
الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩٧ .

محمد (٢٧٠) . وتجددت الحروب من جديد بين الأخوين ٤٩٦هـ —
١١٠٢م (٢٧١) .

ولم يلبث هؤلاء السلاطين أن تذكروا أنه يجب عليهم أن يضعوا
خلافتهم جانباً ويوحدوا كلمتهم بعد أن طبع العدو في الأطراف لذلك بدأوا
التشاور لمقعد الصلح فأرسل السلطان بركياروق رسولين إلى أخيه
لتقرير قواعد الصلح « ورغباه في الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من
الخراب ، وطمع عدو الاسلام في اطراف الأرض » . فاجابه إلى
الصلح واستقر الأمر بينهما في ربيع الثاني ٤٩٧هـ — يناير ١١٠٤م (٢٧٢) .
لذا لم يكن لدى الأخوين سوى وقت ضيق للاتفاق على خطط ضد
العدو المشترك (٢٧٣) .

وفي الجزيرة نفسها اثار موت انابك الموصل كربوغا حرباً أهلية ،
فقد فشل سقمان الارتقى لمير ماردين في الاحتفاظ بالحكم المرشح له
مما اوقعه في حالة حرب مع الانابك الجديد جكرمش الذي اختير بواسطة
محمد السلجوقي (٢٧٤) .

أما حران فقد كانت لملوك من ممالك ملكشاه اسمه قراجة ،
فأناب عنه في حكمها محمد الأصفهاني وهو الذي تخلص من قراجة بواسطة
الاهلي الذين ظلمهم قراجة . ثم تخلص الأصفهاني من اصحاب قراجة
فيها عدداً غلام واحد يسمى جاولي ، الذي اتفق مع أحد خدام
الأصفهاني فقتله وهو سكران (٢٧٥) .

والواقع أن حران إلى جانب ذلك الاضطراب السياسي في حكمها ،
كانت تعاني من اضطراب اقتصادي أيضاً بسبب سياسة بلدوان

(٢٧٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٢ ، ابن
الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ .

(٢٧١) ابن كثير : ج ١٢ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ ، ابن الاثير : ج ٨ ،
ص ٢١٦ — ٢١٧ ، أبو المحاسن : ج ٥ ، ص ١٨٦ .

(٢٧٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٠ ، ابن كثير و البداية
والنهاية ج ١٢ ، ص ١٦٣ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ،
ص ١٩٧ ، Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 40-41

(٢٧٣) Archer : Op. Cit., p. 144.

(٢٧٤) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 41, Archer : Op

Cit., p. 144.

(٢٧٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ،

ج ٥ ، ص ٣٣ ، المعين : عقد الجمان ، ج ١٥ ، ص ٣ ، ص ٥٦٨ (عن تاريخ
بيبرس) .

دى بورج نفسه الذى كان يقوم بهجمات متكررة عليهم ويمنعهم من مزاوله الزراعة فى اراضيهم ، لاعتقاده انه يستطيع أن يؤمن جزءا كبيرا من المؤن لمواطنيه من الاقليم الواقع خلف الفرات ومن الاقليم الواقع ايضا فى المنطقة الوسطى بين الرها وذلك النهر ، ولذا وصل اهل حران — الذين حرموا من الخيرات التى اعتادوا الحصول عليها من تلك الارض المشتركة الى حالة شديدة من البؤس (٢٧٦) .

انتهم الفرنج ذلك الضيق السياسى والاقتصادى الذى كانت تعاقبه حران ، وارادوا أن يستفيدوا من موقع تلك المدينة بوصفها مركزا ايايا فى اتجاه بغداد يمكنهم من مواجهة اية طعنة اسلامية (٢٧٧) . وكان أن اجتمع من زعماء الصليبيين بلدين دى بورج وبوهيموند امير انطاكية ومعه ابن اخته تنكريد (٢٧٨) ، هذا الى جانب جوسلين دى كورتناى حاكم تل باثر وتضافرت معهم جموع كبيرة من الأرمن وكونوا بذلك جيشا كبير العدد (٢٧٩) . كذلك اشترك مع تلك الجيوش ثلاثة من كبار رجال الدين هم برنارد دى نائس Bernard de Valence — بطريك انطاكية اللاتينى ، بنكت رئيس اساقفة الرها اللاتين هذا بالاضافة الى دايبريت بطريك القدس السابق السنكر والذى كان وقتذاك يعيش فى انطاكية منفيا لاجئا — والسذى تبع جيش بوهيموند (٢٨٠) . وكانت خطة الصليبيين تقضى بمبور الفرات وحصار مدينة حران (٢٨١) .

(٢٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 457.

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 403.

(٢٧٨) يسميها سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٩

بيند وطنكره) اما ابن خلدون : المعبر ، ج ٥ ، ص ٢٣ فيسميها (سبند

صاحب انطاكية ونيكري صاحب السواحل ، اما العيني : عقد الجبلن ،

ج ٥ م ٣ ص ٦٣ فيقول (بيئند صاحب انطاكية ونكرى صاحب السواحل) .

(٢٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Alberti Aquensis : Liber IX,

T. 4, p.p. 614-615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Grousset : Hist. des

Crois., V. 1, p.p. 403-404, V. 2, p. 871.

(٢٨٠) William : Ibid., V. 1, p. 456, Grousset : Ibid., V. 1, p. 403

عن (Alberti) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٢٨١) Alberti : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 614, William :

Ibid. V. 1, p. 456

وفي ذلك الموقف تناسى المسلمون ما كان بينهم من خلافات خاصة .
 تاتفق الامير معين الدولة سقمان بن ارتق القبطى امير ماردين وحصن
 كيفا (٢٨٢) . مع شمس الدولة جكرمش امير الموصل وصاحب
 جزيرة ابن عمر (٢٨٣) ، وانهوا خلافتهما وجمعوا قوة عظيمة وتقدموا
 الى الرها في ربيع ١١٠٤م (٢٨٤) . وكان مع سقمان سبعة آلاف
 فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف من الترك والعرب
 والاكراد فالتقوا على نهر البليخ حيث كانت الواقعة مع الصليبيين (٢٨٥) .

وفي ذلك الوقت كانت حران كما اثرتنا تعاني من محنة شديدة بسبب
 قلة الاموات (٢٨٦) . وهى التى يورد لها متى الرهاوى مثالا واقعيها
 في تاريخه (٢٨٧) . ولما عرف الاهالى ان المسيحيين وصلوا الى مدينتهم
 ارسلوا الى ابراء للشرق يطلبون منهم مساعدة عاجلة ، فلما تأخرت
 عليهم هذه المساعدة وجدوا انفسهم امام الصليبيين وجها لوجه
 تروا تسليم مدينتهم بدلا من تهريضها للخراب والتدمير (٢٨٨) . على
 ان بلدوين دى بورج لم يشأ ان يشغل قوات الصليبيين باقتسام الغنيمة
 قبل ان يطمئن الى القضاء على خطر الجيوش الاسلامية التى اقتربت

(٢٨٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٩ ؛
 ابو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٨٨ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١
 تحقيق بدوى عبد اللطيف ص ٢٧٤ ، ابن خلدون : العبر : ج ٥ ص ٢٣ بل
 ان ابن الاثير : الباهر ص ١٦ يفكر انه « كان صاحب حصن كيفا وآمد
 من ٤٩٥ — ٤٩٨ هـ وقد توفي ٤٩٨ هـ » . ويشكر يلقوت الحموى : معجم
 البلدان ، ج ٧ ص ٦٢٥ ان حصن كيفا ويقال كيفا وهى بلدة وقلعة مشرفة
 على فجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .
 (٢٨٣) ابو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٨٨ ، سبط
 بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١ ق ١ ص ٩ . ابن خلدون : العبر ، ج ٥
 ص ٣٣ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .
 Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.
 (٢٨٤)
 (٢٨٥) ابن الاثير : الكلب ، ج ٨ ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ،
 ج ٥ ص ٣٣ ، أما الذهبي العبر ، ج ٣ ص ٢٤٥ — ٢٤٦ فيذكر ان سقمان
 التقى بالفرنسج في حران ومعه عشرة آلاف وربما جمع بذلك قواته
 وقوات جكرمش .

William : Op. Cit., V. 1, p. 457.

Mattieu : Op. Cit., p. 71.

(٢٨٧) Michel Le Syrien : Op. : Op. Cit., Cit., p. 195, William (٢٨٨)

V. 1, p.p. 457 - 458, Grousset : Hist. des Crois. V. 2,
 p. 871.

منه لانتفاذ حران (٢٨٩) . وكان أن دب الخلاف فعلا بين أمراء الصليبيين حول الاستئثار بحران (٢٩٠) . وبدأ النقاش حول أيهما يرفع عليه أولا على المدينة (٢٩١) . وبذلك تأجل دخول الفرنج الى حران الى اليوم التالي . « ولكن قبل بزوغ فجر اليوم التالي وصل جيش كبير من الأتراك حتى أن المسيحيين بدأوا يشكون حتى في إمكانية النجاة بأرواحهم (٢٩٢) » .

وفي المعركة التي دارت بين الفريقين كان جيش الرها على اليسار ليشغل قوات العدو الرئيسية ، بينما اختبأ جيش أنطاكية خلف تل منخفض على بعد ميل من جهة اليمين ، مستعدا للتدخل في آخر وقت (٢٩٣) .

أما المسلمون فقد اتخذوا خطة حكيمة بتقسيم قواتهم الى فريقين أجدهما يشغل المسيحيين دون أي اعتبار للنتيجة سواء جاءت بالنصر أو الهزيمة وفي نفس الوقت يقوم الفريق الآخر بإمدادهم بالطعام (٢٩٤) . وفي الحال وبعد طلوع النهار سحب قادة المسلمين قواتهم ونظموا صفوفهم استعدادا للمعركة . وكانت معركة حامية (٢٩٥) . سيطر عليها المسلمون الذين وحدوا صفوفهم في الشرق لأول مرة لمقاومة الخطر الصليبي .

ويقال أن المسلمين خدعوا خصومهم ، فتظاهروا بالفرار ، وأمعن الصليبيون في مطاردتهم حتى وقعوا في كمين (٢٩٦) . وهكذا حلت هزيمة قاسية بالمسيحيين حتى أن متى الرهاوى يقول أن جثث الأرمن

Michiel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1 (٢٨٩)
p. 404, V. 2, p. 871 عن (Michiel)

Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, (٢٩٠)

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42. (٢٩١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 458. (٢٩٢)

Alberti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4 (٢٩٣)

p. 615, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Grousset :

Hist. des Crois., V. 1, p. 405.

William : Op. Cit., V. 1, p. 458. (٢٩٤)

Mattieu : Op. Cit., p. 72. (٢٩٥)

(٢٩٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١

Gesta Tancredi ... (R.H.C.) Hist.

Occid., T. 3, p. 710. Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

ودمءهم غطت سطح الأرض في حين امتلأت أيدي التركمان
بالغنائم (٢٩٧) .

وهناك رأى في المصادر العربية يقول أن جيش بوهيموند وتكريد
لم يشتركا في المعركة بدور فعال (٢٩٨) . لكن المصادر اللاتينية تشير
الى غير ذلك وتؤكد ان الأتراك استداروا نحو بوهيموند وتكريد
وأجلوهم (٢٩٩) .

ومهما يكن من أمر فإن المسكر الأنطاكي لم يصب بأى ضرر وأخذ
قائداه بوهيموند وتكريد « رجالهما الشجعان وأسرهما للبحث من ملجأ
في الرها (٣٠٠) » . أما مصير قائدى المسكر الرهوى فكما روى
المؤرخون المسلمون « كان القمص بردويل (٣٠١) صاحب الرها قد انهزم
مع جماعة من تلامذتهم وخاضوا نهر البليخ فوكلت خيولهم فجاء
تركمانى من أصحاب سقلمن فأخذهم وحمل بردويل الى خيم
صاحبه (٣٠٢) » . أما المؤرخون اللاتين فثمة اشارة في الجستا الى
انه « لم يسمح لأهل الرها بالتطلع الى أنفسهم او حاجياتهم وأسر
بلدوين وقهر واقتيد بعيدا ، كذلك أسر الكاهن البائس بندكت (٣٠٣) » .
وأشار (البرت) الى ذلك بقوله « هزم بلدوين وأسر واقتيد

Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٧)

(٢٩٨) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

Gesta Tancredi... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710, (٢٩٩)

Alberti Aquensis. Historiae, Liber, IX. Hist. Occid.,

T. 4, p. 615.

Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٣٠٠)

(٣٠١) ذكر اسم بلدوين دى بوج في المصادر الإسلامية بهذا
الشكل (القمص بردويل) كل من : ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢٢ ،
ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ، ص ٣٣ ، المعينى : عقد الجبان ،
د ١٥ ص ٣ ، د ٥٦٩ ، بل انه أحيانا يذكر (بردويل) فقط كما في : عقد
الجبان د ١٥ ص ٣ ، د ٥٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ١٦٣
وأحيانا آخرى يذكر (القمص) فقط ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص
١٤٨ او (القومص) روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥ تاريخ ص ٤٩٧ ،
أما ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ فيذكر (القمص) .

(٣٠٢) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢٢ ، الطبائخ الحلبي ، أعلام
النبلاء ، د ١ ص ٣٩٣ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية ، د ٦ ص ٤٥

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 406,

Gesta Tancredi : Hist. Occid., T. 3, p. 710.

(٣٠٣)

بعيدا (٣٠٤) . لكن لم يقتصر الامر على أسر بلدوين وحده ، بل
اسر معه أيضا جوسلين اعظم أنبائه ، واقتيد الاثنان أسيرين (٣٠٥) .
وغنم المسلمون غنائم عظيمة (٣٠٦) في تلك المعركة التي تعرف باسم
موقعة حران أو البليخ (٣٠٧) . ويمكننا أن نستشف مدى عظمتها
بالنسبة للمسلمين من كلام ابن القلانسي ووليم الصوري فيذكر الاول « كان
نصرا حسنا للمسلمين لم يتوينا مثله وبه قويت نفوس المسلمين وأرهنت
وأرهنت عزائهم في نصرة الدين ومجاهدة الملحدين » وتباشر الناس
بالنصر عليهم واقتنوا بالثكابة فيهم والادالة منهم (٣٠٨) . أما الثاني
فيقول « لم نقرأ خلال حكم اللاتين في المشرق قبل أو بعد ذلك الحدث
عن معركة فادحة الخسارة كهذه التي ترتب عليها مذبحة مروعة
للشجعان ، وهروب مشين لأبناء جنسنا (٣٠٩) » .
ونشعر بهدى وقسع موقعة البليخ على الرها نفسها من خلال
تلك السطور التي كتبها متى الرهاوى مصورا : « الحزن العميق والنواح
والكآبة والدموع . أى منظر ذلك الذى حل بالرها ؟ اننا لا نسمع في كل
مكان سوى القواهات والصراخ والأتين . أن كل البلاد المسيحية استسلمت
لحزن شديد (٣١٠) » .

والواقع أن موقعة حران أو البليخ سنة ٤٩٧ هـ (٣١١) (١١٠٤ م)

Alberti Aquensis : *Historiae, Liber IX, T. 4, p. 616.* (٣٠٤)

Mattieu : *Op. Cit., p. 72, Michel : Op. Cit., p. 195,* (٣٠٥)

William : *Op. Cit., V. 1, p. 459, Setton : Op. Cit.,*

V. 1, p. 393, Cahen : *Op. Cit., p. 238, Michaud : Op.*

Cit., V. 2, p. 34.

(٣٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٤٨ .

(٣٠٧) الفارقي : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٣٠٨) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٤٣ .

William : *Op. Cit., V. 1, p. 459.* (٣٠٩)

Mattieu : *Op. Cit., p. 73.* (٣١٠)

(٣١١) بيننا اجبعت معظم المصادر على أن تلك الموقعة حدثت

٤٩٧ هـ - ١١٠٤ م مثل ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢١ ، ابن القلانسي :

الذيل ، ص ١٤٣ ، الذهبي : المعبر ، د ٣ ص ٣٤٥ ، ابن العديم : الزبدة ،

د ٢ ص ١٤٨ ، روض الناظر ، مخطوط رقم ٤٥ م تاريخ أحوال ٤٩٧ هـ .

هذا الى جانب

(Mattieu : *Op. Cit. p.p. 71 - 73, William : Op. Cit. V. 1, p. 459*

فان ابن الأزرقي الفارقي : تاريخه ق ١ ص ٢٧٤ يتفرد بالقول بأنها كانت

سنة ٤٩٩ هـ . كذلك اذا كانت كل المصادر تقريبا تشير الى أن أسر

لم تترك اثرا واضحا في حياة الرها السياسية فحسب ، بل بالنسبة للصليبيين عامة وبالنسبة لانطاكية خاصة . فبالنسبة للصليبيين فان هذه الموقعة وضعت حدا جغرافيا او حدا اقصى للتوسع اللاتيني جهة المشرق (٣١٢) . هذا الى ما ترتب على هذه الموقعة من فتنسل خطة الصليبيين في عزل المسلمين في الأناضول والعراق والشام بعضهم من بعض (٣١٣) . اما من ناحية انطاكية فقد شجعت الهزيمة التي حلت بالصليبيين في البليخ كل من البيزنطيين والمسلمين في حلب على غزوها . (٣١٤) .

وما ان انتهت المعركة حتى بدا يتكشف من جديد الخلاف بين قادة المسلمين وامرائهم . ذلك ان بلدوين كان قد اسر كما راينا واقتيد الى معسكر سقمان « فلما رأى اصحاب جكرمش أن اصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل قالوا لجكرمش : اى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟ وحسنوا له اخذ القمص فاخذه من خيم سقمان ، فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب اصحابه للقتال ، فردهم وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغيرهم باختلافنا ولا اوتر شفاء غيظي بشماتة الأعداء بالمسلمين (٣١٥) » . وعندئذ رحل سقمان واخذ

بلدوين دى بورج كان عند حران ، فان (برييه) ينفرد بالقول ان ذلك كان عند الرقة على الفرات في مايو ١١٠٤ م . والراجح ان ذلك غير صحيح . (Bréhier : Vie et Mort ... p. 315,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٣١٢)

(٣١٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٤٤٥ . عن

(Runciman)

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 390,

(٣١٤)

فقد استولى البيزنطيون على اللاذقية

في حين استولى رضوان حاكم حلب على القوعة وسمرين ومعرة مصرين . (Grousset : L'Épopée, p. 80)

(Brehier : Vie et Mort ... p. 315 Setton Op. Cit. V. 1, p. 390,

(الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩١)

(٣١٥) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر .

د ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٢٩٣ .

سلاح الفرنج ورايتهم والبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يانى حصون شبعثان وبها الفرنج ، فيخرجون ظنا منهم ان اصحابهم نمروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم ، فعل ذلك بعدة حصون ، في حين اتجه جكرمش الى الرها وحاصرها خمس عشرة ليلة (٣١٦) . فماذا كان وضع الرها عندئذ ؟

كانت الرها في حالة حداد عام بعد أسر اميرها بلدوين دى بورج ووقع نسبة كبرى من ابنائها بين قتلى واسرى (٣١٧) . اما من نجوا فقد فروا نحو اسوار الرها للدفاع عن المدينة واقامة التحصينات ، قبل ان يصل الاتراك ويستولوا عليها (٣١٨) . وكان ان اسرع بوهيموند وتكريد الى الرها حيث رفعوا الروح المعنوية للاهالى ووضعوا المدينة بسرعة في وضع الدفاع (٣١٩) . اما اهالى الرها فقد حاولوا الخروج من ذلك المأزق بسرعة وبخزم . فوضعوا المدينة تحت وصاية تنكريد (٣٢٠) . على ان اختيار اهل الرها لتكريد حاكما جاء مشروطا بأن يخلى عن حكم المدينة بمجرد اطلاق سراح بلدوين (٣٢١) . اما تنكريد فقد تلقى ذلك العرض بكل غبطة ووافق على طلبهم (٣٢٢) . اى ان الرها قبلت مؤقتا سيادة النورمان عليها (٣٢٣) . هذا في

-
- (٣١٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٣٩٣ . اما كاهين فيشير الى ان جكرمش هو الذى نهب الأماكن المتبقية في شبعثان أولا ثم توجه بعد ذلك لحصار الرها .
 Cahen : p. 238
 (٣١٧) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407
 (٣١٨) (Alberti Aquensis : Historiae ... Liber IX..., T. 4, p. 616,
 (٣١٩) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407
 (٣٢٠) (Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616.
 Gesta Tancredi ... Hist. Occid. T. 3; p. 712,
 Bréhier : Vie et Mort ... p. 315, Setton : Op. Cit.
 V. 1, p. 389, Archer : Op. Cit., p. 145.
 William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Runciman : Op. Cit., V. 2, (٣٢١)
 p. 43. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407.
 Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43. (٣٢٢)
 Zoé . Op. Cit., p. 235. (٣٢٣)

حين عاد بوهيموند الى انطاكية (٣٢٤) . ويقال انه وضع ممتلكات جوسلين في تل باشر تحت حمايته (٣٢٥) .

وبمجرد رحيل برهيموند ظهر جكرمش بجيش الموصل امام الرها حتى صار السهل الذى فى مواجهتها مكسوا بالآلاف من خيام الأتراك ولكن تنكريد الذى لم تكن لديه سوى حفنة من الجند الفرنج استطاع أن يصد ويستثير حماسة الأرمن ، مما جعلهم يقومون بدور مرموق ، ذلك أن الأرمن فى الرها تكللوا حول زعيمهم الفرنجى ليسدوا الطريق امام الغزو التركى (٣٢٦) . وفى الوقت نفسه أرسل تنكريد سرا الى انطاكية ليحذر بوهيموند من أن الرها نفذ صبرها وأنه بدون نجدة سريعة فإن العيب سيفقد ثقيلا عليه (٣٢٧) . وبالفعل استعد بوهيموند رغم حرج موقفه فى إمارته امام غزوات حلب المتكررة ضد انطاكية ، فاعد جيشا من ٣٠٠ فارس و ٥٠٠ من المشاة وسار الى الرها لكنه لم يستطع أن يصل اليها الا فى اليوم السابع من الحصار بعد أن اشتدت وطأة الهجمات التى شنّها الأتراك يوميا على المدينة (٣٢٨) . وعندما فقد تنكريد الأمل فى وصول معونة اليه ، وضع خطة فدائية مع فريق من أهل المدينة الذين فضلوا الموت عن الاستسلام ، فاندفعوا فى فجر أحد الأيام وباغتوا الجند الأتراك الذين كانوا قد اثبت بهم

Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616. (٣٢٤)
Gesta Tancredi... Op. Cit., T. 3, p. 712, William : Op. Cit.,
V. 1, p. 459.

ذلك لأن جيرانها كانوا قد بدأوا يستعدون لاحتراز أى منفعة من وراء هزيمة الفرنج
(Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 43)
William : Op. Cit., V. 1, p. 459. (٣٢٥)

Alberti Aquensis : Liber IX... T. 4, p. 616, (٣٢٦)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408 (Albert)

هنا يذكر البرت أن تنكريد حصن المدينة بحراسة قوية وشجع المواطنين ووعدهم بأنه سيحارب أعدائه بشجاعة وبدون تأخير . وما أن أدرك المواطنين مواساته وأنه رجل ذو ثقة كبيرة وشجاعة عظيمة حتى قاوم كل المواطنين والجنود ، الأعداء المهاجمين وطردوهم .

Alberti Aquensis : Historiae Liber IX ... Hist. Occid., (٣٢٧)
T. 4, p. 617, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 408.

وسنذكر نص رسالة تنكريد الى بوهيموند مع الملاحق . وهنا يذكر البرت أن سقبا اشتبك فى مهاجمة الرها مع جكرمش . والراجح أن هذا غير صحيح .
Alberti : Ibid., p. 617, Grousset : Ibid., p. 408. (٣٢٨)

التعب وقيل أن بعضهم كان في حالة من السكر ، وأخذوهم على غرة
وأعملوا فيهم السيف في الوقت الذي وصل بوهيموند على رأس فرسان
أنطاكية ليتبوا النصر (٣٢٩) . أما جكرمش فقد عاد إلى الموصل
عندئذ (٣٣٠) .

الرها تحت حكم تنكريد :

وبانتهاء تلك الفترة العصيبة دخلت الرها لفترة قصيرة تحت
وصاية البيت الأنطاكي ممثلاً في تنكريد . فماذا كان وضعها أثناء حكمه .
الذي استمر من سنة ١١٠٤م حتى سنة ١١٠٨م (٤٩٨ - ٥٠٢) ؟

ويبدو أن هذه الفترة كانت مظلمة في تاريخ الرها بدليل ما يقول
البرت عنه أنه « دنس المدينة فترة حكمه (٣٣١) » . والواقع أن
الحاكم الحقيقي للرها في تلك الفترة ، والتي قاسى فيها الأهالي كثيراً
كان ريتشارد دي سالرنو ابن عم تنكريد (٣٣٢) .
ذلك أن بوهيموند اضطر إلى السفر إلى إيطاليا في أواخر ١١٠٤م -
٤٩٨هـ (٣٣٣) . لطلب امدادات ضد الإمبراطور البيزنطي (٣٣٤) .

Grousset Ibid., p. 408, L'Épopée, p. 79, Cahen : p. 238. (٣٢٩)
(٣٣٠) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر
د ٥ ص ٣٣ .

Grousset : Ibid., p. 409

Albert Aquensis : Historiae, Liber IX ... T. 4, p. 616. (٣٣١)
Zoé : Op. Cit., p. 235, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, (٣٣٢)
p. 872.

وريتشارد هذا هو الذي أسره جيش بلدوين البولوني من جيش
تنكريد في معركة المصينة بين الجانبين سنة ١٠٩٧م
(William : Op. Cit. V. 1, p. 30)

وأسر مرة أخرى مع بوهيموند بواسطة الدانشميين سنة ١١٠٠م .
Mattieu : Op. Cit., p. 32, Cahen : Op. Cit., p. 228).

Mattieu : Ibid., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٣٣٣)
p. 416, Zoé : Op. Cit., p. 235.

أما ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٤٩ فيذكر أن
لكل كان ٢٩٦هـ . وهو ما ذكره الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء : د ١
ص ٣٩١ . والراجح أن هذا التاريخ غير صحيح لأنه كان قبل موقعه
حران التي شارك فيها بوهيموند .

Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 620, (٣٣٤)
Mattieu : Op. Cit., p. 73.

وعندما أبحر إلى الغرب « لم يظهر ثانية على الأرض المقدسة (٣٣٥) » .
وترك حكم انطاكية والرها في يد ابن اخته تنكريد (٣٣٦) فأودع تنكريد بدوره
الرها في يد ريتشارد دي برنسيات (٣٣٧). لكن ريتشارد هذا أنزل كثير من
الأضرار بأهالي الرها (٣٣٨) . ولم يتبع أسلوب بلدوين البولوني .
وبلدوين دي بورج اللذين حكما قبله الرها (٣٣٩) . وبعبارة أخرى
فإن حكم ريتشارد في الرها اتصف بالجشع والصلابة (٢٤٠) .
وكانت تنقصه القدرة ، لذا لم يستطع كبج طغيان وجشع اتباعه
الفرنج ففقد بسرعة اخلاص اتباعه الأرمن (٣٤١) .

لذلك لا عجب إذا وصفه المؤرخون بأنه كان طماعا ، طاغية ، صادر
مواطني الرها المعروفين بثرانهم ، دون أن يعنى إلا بثراء نفسه قبل
أن يعود الأمير الشرعى للبلاد (٢٤٢) . ولذا تعرضت الرها في أيامه
للتهديد من جانب جكرمش (١١٠٥ م) (١١٩٩ هـ) . وقلج أرسلان
(١١٠٦ - ١١٠٧ م) (٥٠٠ - ٥٠١ هـ) . مما جعل فترة حكم ريتشارد
للرها ١١٠٤ - ١١٠٨ م تنصف بالضعف وتعرضها للخطر (٢٤٣) .

والواقع أن ذلك الوضع السيئ الذى تعرضت له الرها طوال أربع
سنوات لم يضع حدا سوى إطلاق سراح أميرها الشرعى بلدوين دي بورج .
وكان جوسلين هو أول من أطلق سراحه من الأسرى بسبب اخلاص
رعاياه في تل باشر « فقد ذهب بعض رجال من تل باشر وحددوا غدية
جوسلين وبقواهم أنفسهم في السجن كرهائن وخرج جوسلين ليحصل

-
- Zoé : Op. Cit., p. 230. (٢٢٥)
Mattieu : Op. Cit., p. 73, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, (٢٣٦)
Zoé : Op. Cit., p. 230.
Michel : Op. Cit., p. 195, Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé (٢٣٧)
Op. Cit., 230, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872,
V. 1, p. 415.
Michel : Ibid., p. 195. (٢٢٨)
Zoé : Op. Cit., p. 293. (٢٣٩)
Cahen : Op. Cit., p. 246. (٢٤٠)
Setton : Op. Cit. V. 1, p. 393. (٢٤١)
« أما جروسية فيقول « أنه كدر العنصر الأرمنى »
بسبب جشعه واختائه العسكري
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 437.
Grousset : Ibid., V. 2, p. 872 عن L'Anonyme Syriaque (٢٤٢)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393. (٢٤٣)

الذهب المطلوب لاطلاق سراح الرهائن (٣٤٤) » . وبمجرد أن اطلق سراح جوسلين ثقب الرجال الموجودين كرهائن المكان الذي سجنوا فيه وهربوا » واطلق سراح جوسلين بدون فدية (٣٤٥) » .

أما للصادر العربية فتذكر أن جوسلين افتدى نفسه بالفعل « بمشرة آلاف دينار (٣٤٦) » . وما كاد يتم اطلاق سراح جوسلين حتى عمل نائباً على اطلاق سراح سيده الأعلى بلدوين دى بورج الذى كان قد فقد الأمل فى استعادة حريته . وحاول جوسلين جاهداً أن يغرى حكرمش باطلاق سراحه فى مقابل مبلغ من المال لكن طلبه رفض (٣٤٧) . ويعد موت الاتراك حكرمش غداً الأمير بلدوين فى يد جاولى (٣٤٨) . أمير الموصل الجديد .

كانت ولاية جاولى سقاوا لو سقاوه (٣٤٩) . على الموصل هي أولى بوادر الأمل لاطلاق سراح بلدوين . على أن جاولى لم يلبث أن عزل عن الموصل وحل محله الأمير مودود بن التوفتيكين سنة ١١٠٨م (٥٠٢) (٣٥٠) . وعندئذ غادر جاولى الموصل ومعه الأمير بلدوين

Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., (٣٤٤) V. 1, p. 433.

Michel : Ibid., p. 195, Grousset : Ibid., p. 433. (٣٤٥)

(٣٤٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط بدار الكتب رقم ٢١٩٧ تاريخ ص ٢٢ (١) ، الجهاغ الحلبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩٩ . (٣٤٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 434. (٣٤٨)

(٣٤٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ٢١٩٧ تاريخ ص ٢٠ (١) ، ابن الأثير الباهر ، ص ١٦ وينكر الأخير أن حكم جاولى على الموصل امتد من ٥٥٠٠ - ٥٥٠٢ .

(٣٥٠) ابن الفرات : المصدر السابق ، د ١ ص ٢٠ (١ ب) ، (١١) Michel : Op. Cit., p. 215 ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، أبو الفضائل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦١ ، الفارنى . تاريخه ، ق ١ ص ٣٧٥ . وإذا كان كل من ابن الأثير : الباهر ص ١٧ . أبو الفد المختصر د ٢ ص ٢٢٣ ، ابن الوردى : نكتة المختصر د ٢ ص ١٩ يتكروون أن ذلك كان فى صفر ٥٥٠٢ فإن ابن خلدون العبر د ٥ ص ٣٩ ينكر « أن مودود أبى شتكين استولى على الموصل واعمالها فى الحرم ٥٥٠٢ » ولكن الراجح أن ذلك التاريخ غير صحيح استناداً لرأى ابن الأثير وابن الفرات .

دى بوجر يطلق سراحه بعد قليل ، بعد ان قضى فى الاسر خمس سنوات (٣٥١) . وقد تعهد بلدوين بان يقدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعساكره وباله (٣٥٢) . وهنا نلاحظ ان قيمة الفدية لم تحدد اما ميخائيل ومن اخذ عنه فيحدها بسيمين الف دينار (٣٥٣) .

وكان ان سيرجاولى بلدوين الى قلعة جعبر (٣٥٤) ، وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك (٣٥٥) . وتولى المفاوضات فى امر اطلاق سراح بلدوين دى بوجر كل من سالم بن مالك نفسه وجوسلين دى كورتشاي الذى كان قد اطلق سراحه من فترة قليلة . وقد تم الاتفاق بينهما على اطلاق سراح بلدوين على ان يبقى جوسلين رهينة مكانه (٣٥٦) . وبالفعل استعد جوسلين لتنفيذ ذلك الشرط مما استثار اعجاب جاولى بشخصية جوسلين الذى كان الجميع يتحكون به . ويفصل ميخائيل السريانى قصة اطلاق سراح بلدوين وجوسلين فيروى لنا ان « جوسلين حضر ومعه ثلاثون الف دينار من السبعين الف المحددة لفدية بلدوين ووضع نفسه رهينة واطلق سراح بلدوين . وعندما سمع سلطان الموصل — يقصد جاولى — بعودة جوسلين اخذته الدهشة وطلب رؤيته لانه لم يره من قبل وبالفعل توجه جوسلين الى الموصل فلما رآه السلطان اتقص عشرة آلاف دينار من فدية بلدوين . فسجد جوسلين ورفع وجهه عن الارض ليحييه ، وعندئذ اتقص السلطان مرة اخرى عشرة آلاف دينار اخرى وفى الصباح عندما خرج السلطان مع قواته امر جوسلين ان يركب حصانا وان ياخذ سلاحه . وعندما راي

(٣٥١) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ص ٢١ (ب) ، ٢٢ (ا) ، المعنى : عقد الجمان ، د ٣ م ١٥ ص ٦٢٨ ، وكان اطلاق سراح بلدوين عند بلدة ماكسين .

(٣٥٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، مخطوط د ١ ص ٢٢ (ا) ، المعنى : عقد الجمان ، مخطوط د ٣ م ١٥ ص ٦٣٨ .

(٣٥٣) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434.

(٣٥٤) (Dussaud) عن Grousset : Ibid., p. 434

(٣٥٥) ابن الاثير الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٥٦) ابن الاثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات : مخطوط ، د ١ ص ٢٢ (ا) .

السلطان وكل الحشد الموجود ، جمال وقوة جوسلين ، اعجب به
واسقط كل الفدية المطلوبة من بلدوين ، فعاد جوسلين وهو في غاية
الفرح (٢٥٧) . »

في هذا النص يشير ميخائيل الى ان جوسلين توجه الى سلطان
الموصل - ويقصد هنا جاولى - ولكن المعروف ان اطلاق سراح
بلدوين تم عندما كان جاولى مطرودا من الموصل فلم يكن اميرا لها
وقتذاك . وان اطلاق سراح بلدوين كان في ملكمين والمفاوضات
كانت في قلعة جعبر وليست في الموصل . كما يفهم من النص السابق
ايضا ان بلدوين دى بوج اطلق سراحه هو الآخر بدون فدية . ولكن
الراجع ان جاولى اخذ مقدم الفدية فقط واسقط الباقي كما سنرى .

ويذكر متى الرهاوي ان جوسلين اطلق سراح بلدوين امير الرها
في مقابل مبلغ كبير من المال (٢٥٨) . اما الصبر اللاتيني فيقول
« ان بلدوين بعد ان امضى خمس سنوات في الاسر ، وبعد ان قتلت
الرهائن ذاتها حراس السجن بطريقة بارعة هرب من السجن (٢٥٩) » .
ويؤيد هذا الرأي ما ذكره وليم الصوري من انه « في صيف ١١٠٨ م او في
بداية ١١٠٩ م ومن طريق الصدفة قتل رهائن بلدوين وجوسلين
الحراس المسؤولين عن الاشراف عليهم بينما كان هؤلاء الحراس في
سبات عميق اثر شرب الخمر ، ثم سلفر في الليل بواسطة بعض الطرق
الجائبة اللثوية استطاعا ان يتخذا طريقهما الى بلادهما (٢٦٠) » .
اما ابن الاثير فيذكر انه « لما وصل جوسلين الى قلعة جعبر واقام
رهينة عوض القمص واطلق القمص وسار الى انطاكية واخذ جاولى

Michel : Op. Cit. p.p. 195-196, Zoé : p. 294. (٢٥٧)

والاخير يعلق على ذلك بقوله

ان اطف جوسلين ورقته ساعدته تلقائيا على اقامة

علاقات انسانية مع اعدائه ، وهو يقصد هنا جاولى (p. 295)
اما جروسية فيعلق على ذلك النص بأنه لم يكن الا صدق للأخبار الروية
من أدب الدروسية : ونوع من التحالف الشخصي بين جاولى من ناحية
وبلدوين دى بوج وجوسلين من ناحية أخرى .

(Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434).

Mattieu : Op. Cit., p. 85.

(٢٥٨)

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit. . T. 3, p. 410.

(٢٥٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

(٢٦٠)

جوسلين من قلعة جعبر فاطقة واخذ عوضه اذ زوجته واذا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ، وليخته على اطلاق الاسرى وانقاذ المال وما ضمنه (٣٦١) . اى انه كانت هناك فدية بالفعل . هنا تذكر المصادر العربية ان فداء بلدوين كان « خمسة وثلاثين دينارا ومائته وستين اسيرا من المسلمين (٣٦٢) » .

ومهما تختلف المصادر في موضوع الفدية - التي يرجح وجودها من ناحية المبدأ بالفعل - فان الجميع اتفقوا على ان بلدوين اطلق سراحه وتم نوع من التحالف بين جاولى من ناحية وبلدوين وجوسلين من ناحية اخرى .

وتقول بعض المصادر انه عندما تم اطلاق سراح بلدوين فانه توجه الى امارته السابقة في الرها ولكنه لم يستطع دخولها ، لان رجال تنكريد منعه من ذلك (٣٦٣) . ولكن الراجح - كمورد في المصادر الاسلامية وغيرها ، انه توجه فور اطلاق سراحه الى انطاكية للحصول على باقى فديته المستحقة عليه ولكي يسترد امارته من تنكريد ، السيد الاعلى للرها وقتذاك فاعطاه تنكريد ثلاثين الف ديناراً وخيلاً وسلاحاً وثيلاً وغير ذلك (٣٦٤) ، ولكنه رفض رد امارته اليه فخرج بلدوين من عنده غاضباً الى تل باشر (٣٦٥) . وكان ان اصدر تنكريد لوامره الى نائبه في الرها ريتشارد دى سالرنو بالا يسلمها لبلدوين (٣٦٦) .

(٣٦١) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ . الصبيح الطنبلي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩٩ .

(٣٦٢) ابن الاثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : المعبر . د ٥ ص ٢٣ ، العيني : عقد الحصان ، د ١٥ ص ٢٠٢ . الدبس : تاريخ سورية ، د ٦ ص ١٥٠ . الطباخ : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩٣ .

Fulcherii : Op. Cit. . T. 3, p. 410. William : Op. Cit., (٣٦٣)

V. 1, p.p 373: 474.

(٣٦٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ . ابن الفرات : مخطوط ، د ١ ص ٢٢ (ب) ، ابن خلدون : المعبر . د ٥ ص ١٤١ . العيني : عقد الجمان . مخطوط ، د ١٥ ص ٦٢٨ .

Grousset : Hist des Crois. V 1 p. 435.

(٣٦٥) ابن الاثير : نفس المصدر والملاحظة ، ابن الفرات : المصدر والصفحة ، ابن خلدون : المصدر والملاحظة . العيني : د ١٥ ص ٢٠٢ ، ١٦٣٩ . Grousset : Hist. des Crois. V. 1. p. 436.

Mattieu : Op. Cit. p 86

(٣٦٦)

والواقع ان اصرار تنكريد على التمسك بحق غير شرعى له ، ادى في النهاية الى انقسام الصليبيين - بل الى انقسام المسلمين - على انفسهم ، فقامت حرب اهلية بين الجانبين سنتناولها في باب العلاقات الخارجية ، ورد ذكرها في بعض المصادر والمراجع (٣٦٧) . وعندها وصل الامر الى ذلك الحد ، تغلب العقل حريصا على الكيان الصليبي في الشرق . فتدخل الرؤساء والنبيلاء في البلاد وذوى المكنة العالية . فقد عزموا ان قيام العداوة بين الرجلين في مثل تلك الدرجة العالية امر بالغ الخطورة وسوف يكون مصدرا لضرر فعال للاهالي المسيحيين . وبناء على ذلك اخذوا على عاتقهم مهمة التوفيق بين الطرفين ونجحوا في ايجاد صلح بينهما (٣٦٨) . والراجع ان التوصل الى صلح بينهما كان راجعا في المقام الاول الى تدخل رجال الدين فقد « توسط بينهما البطرک الذي لهم ، وهو عندهم كالامام الذي للمسلمين ، لا يخالف امره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيهوند خال طنكرى قال له لما اراد ركوب للبحر والعودة لى بلاده ان يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر (٣٦٩) » .

ويؤكد وليم الصوري وفولشر ان تنكريد « بعد تفكير عن رؤية فيه غير فكره (٣٧٠) » . وتذكر ذلك القسم الذي اقسمه بوهيوند « حتى يتجنب اى صراع في اى مكان أو اى زمان (٣٧١) » . وبذلك استبعاد بلدوين امارته في التاسع من صفر ٥٠٢ هـ (٣٧٢) ، ١٨ سبتمبر

Mattieu : Ibid., p. 85-87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, (٣٦٧)
Cahen : Op. Cit. p. 249-251, Zoé : Op. Cit.,
p.p. 239-240, Grousset : L'Épopée, p. 83, Hist.
des Crois., V. 1, p.p. 439-442.

William : Op. Cit., V. 1, p. 475. (٣٦٨)

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، ابن اللوات :

تاريخ الدول والملوك ، د ١ ص ٣٣ (١) ، عقد الجمان ، د ١٥٥ ص ١٣٩ ، الطباق الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٠ .

ويورد ابن خلدون نفس المعنى في كتابه المبرر ، د ٥ ص ١٩١ مع الانسابة الى تنكريد باسم (سكرى) والى بوهيوند باسم اسيد .

William : Op. Cit. V. 1. p. 474. (٣٧٠)

Fubhern : Op. Cit., T. 3 p. 410. (٣٧١)

(٣٧٢) ابن الأثير : الكامل - د ٨ ص ١٥٤ . ابن اللوات : مخطوط

د ١ ص ٢٣ (١) وينفرد ابن خلدون عن ذلك كان في صفر سنة ٥٠٢ هـ (ابن خلدون العبر . د ٥ ص ١٩١) .

ولكن اذا كان بلدوين دى بورج قد عاد من جديد لامارته الا انه بدأ فترة جديدة من الصراع العنيف ضد القوى الاسلامية ممثلة في الأتراك الذين تعددت هجبتهم على الرها ، كما سيأتى شرح ذلك بالتفصيل في باب العلاقات مع جيران الرها من المسلمين .

العلاقة بين بلدوين دى بورج وجوسلين : سنة ١١١٢م — (٥٠٧هـ) .

في ١١١٣ م (٥٠٧هـ) بدأت العلاقات تسوء بين بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى حتى انتهت بقطع العلاقات بين الطرفين . وقد اتفرد وليم الصورى بتفصيل سبب ذلك ، فقال انه حدث في تلك السنة ان ارسل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسله في مهمة خاصة الى روجر بر ريشارد حاكم انطاكية . وبعد ان عبر أولئك الرسل الفرات ، مروا عبر اراضى جوسلين الذى استقبلهم بحفاوة وكرم زائدين . ولكن حدث اثناء وجودهم في ضيافة جوسلين ان اخذ بعض عبيده يلعبون الرسل وينتقدون فقر الأمير بلدوين ، وفي نفس الوقت تفاخروا بثراء سيدهم جوسلين ، وبما يمتلكه من كميات وافرة من الحبوب والخبز والزيت والمؤن فضلا عن الذهب والفضة ، وبما يتبعه من عديد الفرسان والمشاه وشمنوا نقدهم اللاذع بعبارات فحواها ان الأمير بلدوين غدا غير صالح لحكم تلك البلاد وانه من دواعى الحكمة ان يبيع امارته للأمير جوسلين وبذلك يحصل على مبلغ كبير من المال يعود به الى فرنسا (٣٧٤) . ويعلق جروسية بان جوسلين نفسه اخطأ في حق الأمير بلدوين ، وذكر وهو ثمل انه يستطيع ان يشتري ارض الرها من سيدها المخلص (٣٧٥) .

وكان ان عاد الرسل الى أميرهم ليقدموا له تقريرا مفصلا عما حدث وعما سمعوه من تجريح من جوسلين ورجاله (٣٧٦) . ويبدو ان الأمير

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

(٣٧٣)

(ما وليم الصورى فيذكر ان ذلك

(William : Op. Cit., V. 1, p. 475)

كان في ١٨ ابريل ١١٠٩م
والواقع ان ٥٠٢هـ يقابلها ميلادى من ١١ اغسطس ١١٠٨ الى ٣١ يولية

١١٠٩م (زامبور : معجم الأنساب ، ج ٢ ص ٥٢٧) .

William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

(٣٧٤)

Grousset : L'Épopée, p. 111.

(٣٧٥)

William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

(٣٧٦)

بلدوين تأثر تأثرا عميقا لما سمعه وازداد سخطا على جوسلين لأنه السبب في نعمته ، وعز عليه أن يتفكر له وينسى الجميل والمعروف (٣٧٧) .

وكان أن تظاهر بلدوين بالمرض ، ورقد طريح الفراش وأمر باستدعاء قريبه جوسلين فورا . فحضر في الحال دون أن يتسرب أي شك إلى قلبه . وعند وصوله إلى الرها وجد الأمير بلدوين في قلعة المدينة ، مستلقيا ، في حجرة داخلية ، فدخل جوسلين وبعد أن أدى التحية المعتادة سأل الأمير عن صحته فأجابه « أحسن كثيرا — بفضل الله — مما تمنى » . ثم أخذ بلدوين يروي جوسلين لعدم وفائه وتكره له . وطلبه بأن يسلم له فورا بممتلكاته التي أنعم بها عليه (٣٧٨) . وفي الحال أصدر بلدوين أوامره بجز جوسلين في السجن حيث تعرض لكل أنواع التعذيب حتى يتنازل عن كل البلاد ويتخلّى عن كل المناصب والحقوق التي تلقاها على شكل هبات من بلدوين (٣٧٩) .

وهكذا حرم جوسلين من كافة ممتلكاته فترك الرها ، وتوجه إلى الملك بلدوين الأول ملك القدس ، حيث قدم له تقريرا مفصلا عما حدث وناصح من رغبته في العودة إلى وطنه في الغرب الأوربي وبعد أن استمع إليه الملك « أقطع طبرية (٣٨٠) وضواحيها طوال حياته . » لأنه يعلم أن جوسلين سيقيد الملكة بخدماته العظيمة ورغب في أن يستفيد من مساعدات رجل عظيم مثله « (٣٨١) ويشير ابن الفرات إلى تلك القصة

William : Ibid., p.p. 498 - 499. (٣٧٧)

William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p. 126, حاشية (٣٧٨)

Grousset : L'Épopée, p.p. 111 - 112 :

William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 126. (٣٧٩)

Cahen : Op. Cit., p. 265.

Zoé : Op. Cit., p. 294, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 57. (٣٨٠)

بينما يذكر ميشو أنه أخذ اقطاع طبرية يذكر أولدنبج أنه أخذ اقطاع الجليل الذي كان خاليا بسبب موت صاحبه السابق

Hugues de Saint-Omer

ويؤيده في هذا الرأي كاهن (Cahen : Op. Cit., p. 265) ويجمع جروسية

بين المرابين بقوله « أعطاه طبرية وامارة الجليل ، حيث أظهر في تلك الامارة الجديدة قدراته الفائقة كسلفه هيوجودي سانت أومير

(Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 489.

William : Op. Cit., V. 1, p. 499, Mattieu : Op. Cit., p. 126, (٣٨١)

Grousset : L'Épopée, p. 112, Setton : Op. Cit., p. 402,

Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 874 عن (L'Anonyme).

بقوله : « كلن اللعين جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو واللعين
بغدوين الرويس صاحب الرها ففارقه وصار الى اللعين بغدويل صاحب
القدس فاططعه طبرية » (٣٨٢) .

وبعد ان تخلص بلدوين دى بوج من كل العنصر المنسوبة له
وتبش بيد قوية على شئون امارته وحماها من الاخطار التركية . اخذ
بتطالع نحو الشمال ، اى الى المناطق الارمنية ليتوسع على حسابها .
والواقع ان هذا الاتجاه لم يكن جديدا فقد سبق قبل تسع سنوات ان
دخلت مدينة مرعش في حوزة اماره الرها ، تحت سيادة جوسلين
دى كورتناى ١١٠٤ م (٤٩٨ هـ) (٣٨٣) . ومنشير الى توسع بلدوين
دى بوج في هذا الاتجاه بالتفصيل في فصل العلاقات مع الارمن
خارج الرها .

وعكذا دعم بلدوين دى بوج الاسس التى وضعها بلدوين البونوى
في الرها و اضاف اليها الجديد ، كما امن الامارة من الاخطار الخارجية
والداخلية . « فلاكتر من ثمانية عشر عاما حكم الامارة بنشاط
ونجاح . واخيرا ، اى في السنة الثامنة عشر من حكمه عندما تاكد من
ان امارته غدت في حال من الاستقرار والسلام تحسد عليها ، عزم على
زيارة ملك القدس سيده الاعلى وقريبه وولى نعمته ، فضلا عن رغبته في
نفس الوقت في زياره الاماكن المقدسة » (٢٨٤) .

وبالفعل تمت الترتيبات الضرورية للرحلة ، وعهد بالعناية بامارته
الى ابن خالته جاليران دى يويست Galeran du Puisset حاكم
البيرة (٣٨٥) ، الذى كانت لديه ثقة كاملة في اخلاصه ويقتضه (٢٨٦) .

ولكن حدث اثناء طريقه ان قابلته سفارة ، اخبرته ان الملك بلدوين
قد مات في مصر ، فقلق كثيرا لتلك الاخبار . ومع ذلك فانه استنهر

(٣٨٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ، مخطوط ص ٦٧ (ف) ،

(٢٨٣) Michet : Op. Cit., p. 75.

مسعود عاشور : سلطنة المماليك ومملكة

ارمنييا ، ص ١٤٢ من Rorheiman

William Op. Cit., V. 1, p. 518. (٣٨٤)

G. Zisser : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. ٥١ (٣٨٥)

(L'Anonyme) عن

William : Op. Cit., V. 1, n. 518. (٣٨٦)

في رحلته مسرعا نحو بيت المقدس ، حتى وصلها في يوم عيد سمف النخل (٣٨٧) وهو أحد الشعانين (٣٨٨) وكان توافقا مجيبا انه « في نفس الوقت الذي حُصل فيه الأمير بلدوين دى بورج وحرسه المدينة من باب ارام كان تابوت الملك بلدوين الاول محمولا في موكب جنائزى في الجهة المقابلة من جهة باب صشق (٣٨٩) .

كان الملك بلدوين الاول ، قد خرج في اوائل تلك السنة ١١١٨م (٥١١هـ) وتوجه الى مصر حتى وصل الى القرما وقيل الى تنيس ولكنه لم يلبث ان مرض فقرر العودة بسرعة الى القدس ، ومات في الطريق قبل وصوله الى المريش (٣٩٠) . وذلك في ٢ أبريل ١١١٨م (٥١١هـ) (٣٩١) .

ولا شك في ان وفاة بلدوين الاول المفاجئة أدت الى موقف صعب في مملكة بيت المقدس الصليبية لانه لم يخلف اولادا (٣٩٢) . ولذا تضاربت الآراء في كيفية ملء عرش القدس . فنذكر متى الرهاوى « انه قبل ان يموت الملك بلدوين مباشرة أوصى باستدعاء بلدوين دى بورج ليكون وصيا على مملكة بيت المقدس حتى يصل أخوه ايوستاش Eustache من فرنسا وأن يعطوا التساج ذلك الاخير (٣٩٣) » . ومعنى ذلك ان وصية الملك كانت لأخيه وليست لبلدوين دى بورج .

أما المصادر العربية فتشير الى ان الملك بلدوين الاول قد « أوصى له بالملك بعده (٣٩٤) » فقبله « ولجئتم له القدس والرها (٣٩٥) » أى ان

William : Ibid., p. 518. (٣٨٧)
 Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 56. (٣٨٨)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 518, Michaud : Ibid V. 2, (٣٨٩)
 p. 56.

(٣٩٠) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ص ١١١ (ب) ، ابن اييك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٨٠ .

Schlumberger : Sigillographie... de L'Orient Latin, p. 1. (٣٩١)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 410.

Setton : Ibid., V. 1, p. 410. (٣٩٢)

Mattieu : Op. Cit., p.p. 118-119. (٣٩٣)

(٣٩٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، د ٤ ص ٣٠ ، ابن قاضى شعبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (١) الباب السابع . (٣٩٥) ابن الاثير : المصدر السابق والصفا ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط ، د ١ ص ١١٢ (١) .

وصية الملك كانت لبلدوين دى بورج، ويرجع ذلك الى محض الاستنتاج لانه الذى تولى بعده بالفعل ، اما المصدر السريانى فيذكر « ان الملك اوصى ان يصبح بلدوين دى بورج ، أمير الرها وابن أخت الملك ملكا من بعده (٣٩٦) » والواقع ان بلدوين دى بورج لم يكن ابن أخت الملك بلدوين الأول لكنه كان ابن عمه (٣٩٧) . كذلك تشير بعض المراجع الفرنجية الى ان الملك اختار أموستاش أولا ثم بلدوين ثانيا (٣٩٨) . ويشير البعض الآخر الى ان الملك لم يعين له خليفة (٣٩٩) ، ولم يعمل حسابا للموت فيوصى في حياته بتعيين شخص معين يتولى عرش المملكة من بعده (٤٠٠) .

ومهما يكن من امر فان وصول بلدوين دى بورج الى بيت المقدس في نفس الوقت الذى وصل فيه جثمان الملك الراحل ، قول من أهل المدينة وأبرائها على انه نوع من التدبير الإلهي ، على قول متى الرهاوى ، فهمدوا اليه بالوصاية ، لكن بلدوين الذى كان طموحا لم يوافق أبدا على ذلك ، ووعد بأن ينهض بمهمة الوصاية لمدة سنة واحدة ، اذا لم يحضر خلالها أخو الملك ، يصبح من حقه اعتلاء عرش الملكة (٤٠١) .

على ان هذا الحل قول بمعارضة من جانب المتسكين بمبدأ الوراثة وفق القانون الاقطاعي والذين راوا ضرورة انتظار وصول أخى الملك بلدوين من الغرب معها تكن الأحوال (٤٠٢) . وهنا تدخل جوسلين دى كورتشاي لحسم الموقف ، وانضم الى جلقه البطريك ارثولف مالكورن Arnoul Malecorne وجماعته الذين نادوا بضرورة تعيين ملك في الحال (٤٠٣) . وقد نادى جوسلين « بأن أمير الرها حاضر ، وهو يتمتع

Michel : Op. Cit., p. 196.

(٣٩٦)

(٣٩٧) سعيد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٣٨

Harold Lamb : Op. Cit., p. 228.

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 80, Setton : Op. Cit., (٣٩٨)

V. 1, p. 411.

Zot : Op. Cit., p. 261.

(٣٩٩)

(٤٠٠) سعيد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ١٨ (عن William)

Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤٠١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 519, Setton : Op. Cit., (٤٠٢)

V. 1, p. 411.

Alberti : Op. Cit. Liber XII. T. 4, p. 709, William : Ibid., (٤٠٣)

p. 520, Setton : Ibid., p. 411.

بأخلاق الرجال وجدير بالاحترام ، فضلا عن أنه من اقارب الملك الراحل ، ويتصف بالشجاعة في الحرب ، ولا يمكن ان يطمع الصليبيون في رجل آخر افضل منه . وبناء على ذلك فانه من الحكمة تعيينه انقادا لموقف الملكة بدلا من الانتظار وسط اخطار مجهولة (٤.٤) . »

ولما كان الخير ما شهد به الأعداء ، فقد أدرك جميع النبلاء الحاضرين عنقذ كلمات جوسلين وأكبروا صراحته وصدقته ، لمعرفتهم بالعداء الذي كان بين جوسلين دى كورتناى وبين بلدوين دى بورج (٤.٥)

والذى سبق ان اشرنا اليه بالتفصيل . وهنا اثار بعض المؤرخين الى أن جوسلين رأى في ذلك فرصة لاسترضاء بلدوين دى بورج وازالة ما في نفسه من رواسب الماضي (٤.٦) . كما اثار وليم بان هدف جوسلين الحقيقي من وراء موقفه « انه كان يهدف ان يخلف بلدوين دى بورج في امارة الرها في المستقبل (٤.٧) » .

وهكذا لعب جوسلين دوره بمهارة حتى تم اختيار بلدوين دى بورج ملكا على بيت المقدس (٤.٨) . وحدث ذلك بإجماع كل الآراء والأطراف (٤.٩) فتوج بلدوين ملكا في ١٤ أبريل ١١١٨م وهو يوم عيد الفصح (٤.١٠) . وبذلك فازت مملكة بيت المقدس « بأمير صليبي له خبرته وتجاربه الشائعة في محاربة المسلمين » بل قضى بضع سنوات في سجونهم (٤.١١) . وحمل الملك الجديد اسم بلدوين الثالثى (٤.١٢) .

William : Ibid., p. 520. (٤.٤)

William : Ibid., p. 526, Archer. Op. Cit., p. 159. (٤.٥)

سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٩٨ (٤.٦)

William : Op. Cit., V. 1, p. 520. (٤.٧)

Mattieu : Op. Cit., p. 126. (٤.٨)

Alberti Aquensis : Historiae Liber XII (R.H.C.), Hist. (٤.٩)

Occid. T. 4, p. 709.

Mattieu : Op. Cit., p. 119, Schlumberger : Op. Cit., p. 3. (٤.١٠)

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 81, Setton : Op. Cit.,

V. 1, p. 411.

أما ميخائيل السريانى فقد ذكر أن ذلك تم في يوم الثلاثاء ٩ (نيسان) أبريل ١١١٨م (Michel : Op. Cit., p. 196) وبعد حوالى سنة احتفل بحفلة تتويج بلدوين في كنيسة بيت لحم في يوم عيد الميلاد .

William : Op. Cit., V. 1, p. 520, Mattieu : Op. Cit., p. 119.

Iorga : Op. Cit., p. 81. (٤.١١)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 534. (٤.١٢)

ولكى يكافئ الملك الجديد ، جوسلين دى كورتناى على الخدمة التى قدمها اليه منذ قليل ، ولرغبته فى أن ينسبه القسوة التى عامله بها من قبل ، اعطاه امارة الرها ، وهى الامارة التى كان جوسلين يعرفها حق المعرفة . فبعد ان حلف بلدوين دى بورج اليمين تخلى لجوسلين عن اقطاعه (امارة الرها) الى جانب تل بشر وذلك ١١١٩م — ٥١٣هـ (٤١٣) على ان يكون تابعا للملك بلدوين الثانى فى حكم تلك الامارة (٤١٤)

وكانت الرها فى تلك الفترة الفاصلة التى بدأت بخروج بلدوين لزيارة القدس حتى تم تنويجه ملكا للقدس ، فى رعاية حاكم البيرة جاليران دى بويست وهو ابن خالة بلدوين نفسه (٤١٥) . ويتبعين جوسلين حاكما على الرها فى نهاية اغسطس ١١١٩م عاد جاليران الى اقطاعه البيرة (٤١٦) .

امارة جوسلين دى كورتناى على الرها ١١١٩ — ١١٣١م (٤١٧)
٥١٣ — ٥٢٦هـ .

كان جوسلين هذا ابن عمه بلدوين دى بورج مباشرة ، وقد اجمع المؤرخون على امتداح شجاعته وأخلاقه فيذكر (اولد نبرج) « انه بقوته وشجاعته وعلمه لفن الحرب وحسن وقارة يعتبر احد الفرسان البارزين فى بلاد الشام الفرنجية (٤١٨) » . اما وليم الصورى فيجمل صفاته فى سطور فيقول : « كان جوسلين رجلا ذا خبرة واسعة بالحياة والناس ، حذرا فى كل ما يفعله ، يظهر تعقلا شديدا فى معالجة الامور ، وترتيب وتنظيم شئونه الخاصة (٤١٩) » . اما ميخائيل السريانى فيصفه بأنه

Mattieu : Op. Cit., p.p. 125-196. (٤١٣)

(حاشية عن وليم الصورى)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538. (٤١٤)

Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 874.

سعيد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٤٩٩ Stevenson ، عن
Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 874 (٤١٥)

عن (L'Anonyme) وكان جاليران حاكما للبيرة منذ سنة ١١١٧م الى بعد استيلاء بلدوين دى بورج عليها من ابو الغريب الارمنى .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 874-875. (٤١٦)

Grousset : L'Empire, p. 300. (٤١٧)

Zoé : Op. Cit., p. 294. (٤١٨)

William : Op. Cit., V. 1, p. 450. (٤١٩)

« البطل الشجاع (٤٢٠) » . في حين يشير اليه متى الرهاوى بأنه
 « كان رئيسا مشهورا بين الفرنج ببسالته الفائقة (٤٢١) » . ولو أنه
 يفهم من كلامه أنه كان قاسى الطباع قبل أن يتولى إمارة الرها ، ثم تخلى
 عن تلك النصفة بعد ذلك « وأظهر العطف والشفقة على سكان الرها
 وتخلّى من القسوة التي اتصف بها من قبل (٤٢٢) » .

ولم يكد جوسلين يتولى إمارة الرها حتى باشر حياة نشطة
 وخاصة فيما يتعلق بجارية المسلمين ، ففي أثناء توجهه من بيت المقدس
 الى الرها ليتولى امرتها « أسرى الى وادي بطنان والى مايلي الفرات من
 جهة الشمال وقتل وسبى ما يقرب من ألف نفس » وأغار على منبج
 والنقرة وأعمال حلب الشرقية وأخذ كل ما وجده من دواب وأسر رجالا
 ونساء وأسرى الى الراوندان يتبع طائفة من التركمان كانت قد لعت
 الفرات فانتظروا فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة (٤٢٣) . وعند وصوله
 الرها وجد أباه موقفا يتطلب العمل فورا لاتخاذ المدينة . ذلك أنه
 حدث قبل وصول جوسلين مباشرة أن رأى بعض الأرمن أن الأتراك
 قد نهبوا إقليم الرها وتقدموا حتى أسوارها ففضلوا الاستسلام
 لهم ، وادخلوهم في أحد الأبراج ، ولكن شاعت الناروف أن يسلم
 جوسلين في تلك اللحظة فتصدى للأتراك في البرج وقتل منهم جماعة
 في حين اتى الباقون بأنفسهم من البرج (٤٢٤) .

على أنه يلاحظ أن جوسلين دى كورتناى المعروف بجوسلين الاول
 اتخذ من تل باشر مقرا لحكمه وفعل ذلك من بعده ابنه جوسلين
 الثانى (٤٢٥) . وربما يرجع ذلك الى ارتباطه الشديد بها ، فقد
 كانت مقر نفوذه منذ قدم من فرنسا حتى صار أميرا على الرها
 بأكملها . وبالأضافة الى ذلك كان جوسلين محبوبا جدا من
 أهلها (٤٢٦) .

-
- Michel : Op. Cit., p. 196. (٤٢٠)
 Mattieu : Op. Cit., p. 126. (٤٢١)
 Mattieu : Ibid., p. 126. (٤٢٢)
 ابن العديم : زبدة الطب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ . (٤٢٣)
 Michel : Op. Cit., p. 196. (٤٢٤)
 Cahen : Op. Cit., p. 116. (٤٢٥)
 Zoé : Op. Cit., p. 296, Grousset : L'Empire, p. 300 عن (٤٢٦)
 (Fulcher), Archer : Op. Cit.; p. 162.

ولم يلبث أن دعم جوسلين حكمه بزواجه من أميرة أرمينية مثلما فعل الأميران اللذان سبقاه في حكم الرها ، أما هذه الأميرة فكانت أخت الأمير ليون Léon الأرمني وهو رجل معروف بين قومه (٤٢٧) ، أو ابن قنسطنطين واتقو ثوروس (٤٢٨) ، وهم جميعا من أمراء أرمينيا الصغرى (٤٢٩) .

ثم أن جوسلين تزوج بعد وفاة زوجته الأولى الأرمينية من ابنة روجر حاكم انطاكية (٤٣٠) . وكانت هدية الزواج التي قدمتها لزوجها مدينة اعزاز أو عزاز الواقعة على الحدود بين الإماراتين (٤٣١) . وعلى ذلك فإذا كانت الزيجة الأولى قد وطدت علاقاته بالأرمن فإن الزيجة الثانية ، إلى جانب أنها وطدت العلاقات مع انطاكية ، فإنها أضافت إلى إمارة الرها أرضا جديدة .

أما عن حكم جوسلين للرها فقد امتاز عصره بالثروة والرخاء ، رغم أنه كان عليه أن يتابع حريا مستمرة ضد الأتراك ، صادف فيها الانتصار تارة وتعرض للأسر تارة أخرى (٤٣٢) . ذلك أن مهبة جوسلين في حكم الإمارة بعد اتساع أطرافها كانت غاية في الصعوبة ،

-
- Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 152, (٤٢٧)
 William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8 من L'Anonyme), Tournebize :
 Op. Cit., p. 173, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.
 Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 87-88. (٤٢٨)
 Cam., Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785. (٤٢٩)

رويان الأول من ١٠٨٠م إلى ١٠٩٥م
 قنسطنطين الأول (ابن) ١٠٩٥ — ١١٠٦م
 ثيودور الأول (ابن) من ١١٠٠ — ١١٢٩م
 ليو الأول (أخ) ١١٢٩ — ١١٤٨م
 Michel : Op. Cit., p. 210, Cahen : Op. Cit., p. 291. (٤٣٠)
 Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875. المرجعان الأخيران عن (L'Anonyme)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Cahen : Op. Cit., p. 291. (٤٣١)
 Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875.
 يشير إليها ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١٣ ص ١١٨ بأنها عزاز ويقول أنها ربما قبلت بالآلاف في أولها . والعزاز الأرض الصلبة وهي بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب .
 E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290. (٤٣٢)

ناقت مهمة من سبقوه في حكمها ، اذ كان لزاما عليه ان يثبت تلك اللغات الاساسية في بناء الامارة ، لذا امتلاء عهده بالصراع مع كل الاطراف الاسلامية المحيطة به فلم تمر فترة قصيرة دون ان يكون في حالة حرب مع المسلمين ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في فصل العلاقات مع المسلمين . ولكننا سنقتصر هنا فقط على بحث موضوع أسر ذلك الأمير النشط بيسان المسلمين .

اسر جوسلين :

حدث في سبتمبر ١١٢٢م (٤٣٣) - رجب ٥١٦هـ (٤٣٤) أن تقدم بلك بن بهرام ابن أخى ايلغازى (٤٣٥). ابن ارتق صاحب ميافارقين وماردين ، وحلب (٤٣٦) وأمير سروج القديم (٤٣٧) وحاصر مدينة الرها وبقى على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه أحد التركمان واخبره أن جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع رجاله لكيسه . وكان بلك عندئذ قد تفرق عنه اصحابه وبقى في أربعمائة فارس ، فوقف مستعدا لقتال الفرنج . وفى الموقعة التى دارت بين الطرفين حلت الهزيمة بالصليبيين ووقع جوسلين نفسه أسيرا ، ووقع معه فى الأسر ابن خالته

Mattieu : Op. Cit., p. 131, Gibb : Op. Cit., p. 166. (٤٣٣)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583 عن (Mattieu).

(٤٣٤) سبتمبر ١١٢٢م يقابله رجب ٥١٦هـ . وقد ذكر هذا التاريخ كل من العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٠٦ ، (Gibb : Ibid., p. 166) الطبائخ الحلبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٤٤ ، العينى عقد الجمان ، د ١٥ ص ٨١٧ . ولو أن الأخيران يمودان مرة أخرى فيذكران أن ذلك كان ٥١٥هـ (الطبائخ ص ٤٤٢ ، العينى ص ٧٩٢) والسبب يرجع الى انهما نقلتا مرة كلام أبى العديم ومرة أخرى كلام ابن الأثير الذى يذكر أن ذلك كان ٥١٥هـ . ويشارك ابن الأثير فى ذلك مصادر أخرى (ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية د ١٢ ص ٢٠٦ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الوردي : تبة المختصر ، د ٢ ص ٢٨ ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٢١٦ . اما أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، د ٥ ص ٢٢٦ ، فيذكر أن ذلك كان سنة ٥١٧هـ . (Mattieu : Op. Cit., p. 131) (٤٣٥)

ينفرد متى الرهاوى بالقول انه ابن اخيه

اما معظم المصادر العربية فتذكر انه ابن اخيه مثل ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ص ٤٨ (ب) ، ابن كثير : البداية والنهاية د ١٢ ص ١٨٨ .

(٤٣٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ص ٤٨ (ب) . (٤٣٧) (L'Anonyme) Grousset : Hist. des Crois. V. 2. p. 875 عن

جالهران (٤٣٨) ، الذى تسميه المصادر العربية قران (٤٣٩) أو كالبام (٤٤٠) وتشير إليه بأنه « كان من شياطين الكفار (٤٤١) » وكان ان وضع بك جوسلين « فى جلد جمل وخط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسه اموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يقبلها بك (٤٤٢) » وهذا يورد لنا ابن العديم رد جوسلين على بك عندما عرض عليه فداء نفسه بتسليم الرها قال : « نحن والبلاد كالجمال والحج ، بنى عقر بعير حول رحله الى آخر ، والذى بايدينا قد صار بيد غيرنا (٤٤٣) » .

وعندما لم تجد مفاوضات بك معه اخذه مع ابن خاتنه وجبسهما فى قلعة خربت (٤٤٤) وذلك فى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٤٤٥) .

Michel : Op. Cit., p. 210, William : Op. Cit., V. 1, p. 540, (٤٣٨)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418,

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583, V. 2, p. 875.

(٤٣٩) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٠٦ ، الطباخ الطبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٤٤ .

(٤٤٠) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط د ٢ ص ٤٨ (ب) ، ابو الفدا : د ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردي : د ٢ ص ٢٨ . ويسميه ابن خلدون العبر : د ٥ ص ١٩٨ (كلام) .

(٤٤١) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٢ ص ٤٨ (ب) .

(٤٤٢) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢١٦ ، ابو الفدا المختصر ، د ٢ ص ٢٣٥ . ابن الوردي : تنمة المختصر ، د ٢ ص ٢٨ ، كرد على : خطط الشام ، د ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٣) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٠٦ . والحنج هو الحمل يشد على البعير .

(٤٤٤)

Matieu : Op. Cit., p. 132, Grousset . Hist. des Crois., V. 1, p. 584

(عن متى للرهاوى) ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ١٨٨ . ابو الندا المختصر ، د ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردي : تنمة المختصر ، د ٢ ص ٢٨ ، كرد على : خطط الشام ، د ١ ص ٣٠٢ .

Grousset . Ibid, V. 1, p. 584, Archer : Op. Cit., p. 1٩2. (٤٤٥)

وهكذا أصبحت إمارة الرها مرة أخرى دون أمير يرعى شؤونها ،
وهي الإمارة الأكثر تعرضا للخطر من غيرها من الإمارات الصليبية
في الشرق ، مما جعل الملك بلدوين الثاني ملك بيت المقدس يسارع بتعيين
جيوفري الراهب Geoffrey The Monk (١١١٦) أمير مرعش ورعسان
وكيسوم اميرا على الرها (١١١٧) وقد وصف متى الراهب هذا الأمير بأنه
محارب مقدّم لقي ورع (١١١٨) وزاد من وقّع أسر جوسلين انه جاء في
وقت سمات أحوال الصليبيين في الشرق بعد مقتل روجر أمير انطاكية
قبل ذلك بثلاث سنوات (١١١٩) في حين تدهورت أحوال حكومة بيت
القدس (١١٢٠) بل أن الملك بلدوين الثاني ملك بيت المقدس لم يلبث أن
وقع أسيرا هو الآخر في قبضة ملك في العام التالي ١١٢٣م (١١٢٧)
وكان ذلك عندما توجه الملك بلدوين الى قلعة كركر (١١٢١) لانتقامها
من حصار ملك بن بهرام فدارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بلدوين
واسره ومعه جماعة من أعيان فرسانه ، وسبق الى قلعة خربتبرت
مقيدا في الأغلال (١١٢٢) .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Grousset : L'Empire, p.300 (١١٢٦)
(Fulcher), Hist. des Crois. V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme).

Michel : Op. Cit., p. 211. (١١٢٧)

Mattieu : Op. Cit., p. 134. (١١٢٨)

Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena Cap LXXVI, (١١٢٩)
(R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 184.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584. (١١٢٠)

Grousset : Ibid., V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme) (١١٢١)

هنا يذكر أن كركر كان

يحكمها ميخائيل بن قنسطنطين الأرمني فتخلّى عنها تلقائيا لبلدوين الثاني
وتلقّى بدلا منها دلوک . ويذكر جروسية رأيا آخر عن ميخائيل السرياني
يذكر فيه « أن ميخائيل ابن قنسطنطين حاكم كركر تحالف مع الفرنج
وعرض عليهم التنازل عن مدينته خوفا من ملك الذي كانت غزواته
لا تنتهي على إقليم ملطية لذا توجه ملك الى كركر بحملة تاديبية في يناير
١١٢٣م ، حيث كان جوسلين في ذلك الوقت للمرة الأولى بعيدا عن بلاده .
(Michel). Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 587.

(١١٢٢) ابن العديم : زبدة الصلب ، د ٢ ، ص ٢١٠ - ٢١١ ،

ابن الفرات : مخطوط د ٢ ص ٧٦ (ب) ، ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ،
ص ٣١٣ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٥م ، ص ٨٢٣ - ٨٢٤ .

Mattieu : Op. Cit., p. 133, Michel : Op. Cit., p.p. 210-211.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 58,

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 587, Archer : Op. Cit., p. 162

وهكذا أصبح وضع الصليبيين في بلاد الشام ١١٢٣م شائكا للغاية .
فبعد أسر الملك بلدوين الثاني أصبحت مملكة القدس وإمارتي
الرها وإنطاكية محرومة جميعا من رؤسائها . أما الإمارة الرابعة وهي
طرابلس فكان يحكمها بونز Pons مما جعل لها زعامة مؤقتة على بقية
الإمارات (٤٥٣) .

ولم تمض فترة قصيرة على أسرى خربتوت حتى بدأت الجهود تتكلل
لتخليصهم من السجن . وفي هذا المجال تتعدد الروايات والأخبار عن
كيفية تخليصهم (٤٥٤) .

والواقع أن أرمن الرها كان لهم دورهم في تخليص سيدهم جوسلين
من أسره لأنهم غدوا بمد أسره في حزن عميق (٤٥٥) ذلك أن جوسلين
كان محبوبا جدا من رعاياه الأرمن (٤٥٦) بسبب حبه هو الآخر
الشديد لهم (٤٥٧) . بل أن حب الأرمن لجوسلين تعدى حدود الرها
نفسها إلى خربتوت بمن فيها من الأرمن (٤٥٨) . لذا قرر رعايا جوسلين
الأرمن أن يذلوا كل ما في وسعهم لاقتاذ حرية سيدهم (٤٥٩) . فتتكر
خمسرون رجلا من نوى الشجاعة والحنكة في زى رهبان وتجار ومتسولين

Grousset : L'Epopée : p.p. 120 — 121. (٤٥٣)

(٤٥٤) تفكر المصادر العربية أن تخليص الأسرى كان عن طريق
مصانعهم حراسهم وباستخدام الحيلة (ابن المديم : زبدة الطلب ، د ٢
ص ٢١٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب : ص ٢١٨ ، ابن الفرات : مخطوط
د ٢ ص ٧٦ ب) ، ٧٧ (١) تاريخ أبو الهيجاء ، د ١ مخطوط حوادث
٥١٧ هـ) . أما ميخائيل السرياني فيقول أن ذلك كان عن طريق بعض عمال
قلعة خربتوت (Michel : Op. Cit., p. 211)

أما متى الرهاوى فيقول أن ذلك كان بمساعدة خمسة عشر من أهل
بهسنى (Mattieu : Op. Cit., p.134)

لها جروسية عن مصدر سرياني فيقول أنه كان عن طريق عشرين
شخصا من أهل كيسون

(L'Anonyme) عن 876 p. 2, V. 2, Hist. des Crois., Grousset

Zoé : Op. Cit., p. 297. (٤٥٥)

Grousset : L'Empire, p. 300. عن (Fulcher) (٤٥٦)

Archer : Op. Cit., p. 162. (٤٥٧)

Zoé : Op. Cit., p. 297. (٤٥٨)

Archer : Op. Cit., p. 162. (٤٥٩)

واخفوا أسلحتهم تحت ثيابهم وتوجهوا الى خربتوت (٤٦٠) . وتختلف الآراء بين المراجع الإفرنجية حول ما تم في خربتوت ، فالبعض يشير الى أنهم تضافوا مع بعض العمال الذين كانوا يعملون داخل القلعة (٤٦١) وربما يقترب هذا الرأي من رأى ميخائيل السرياني . والبعض يذكر « لهم هربوا الى داخل المدينة واحدا اثر الآخر ، بحذر شديد ، ومنها الى أسوار القلعة . هناك وجدوا حارس القلعة غافلا يتلهى يلعب الشطرنج مع خصمه الذى كان صديقا للبتامرين (٤٦٢) » .

وكان ان املاك الملك الصليبي ورفائه القلعة ورفعوا علمها مسيحيا على اعلى مكان فيها (٤٦٣) . وتم ذلك في ربيع الاول ٥١٧هـ مايو ١١٢٣م ، وعلى اثر سماع ما حدث هرب قادة المسلمين الموجودين في البلد (٤٦٤) . اما الملك ورفاقه فقد استولوا على كل ما لنور الدولة بك في القلعة وكان شيئا كثيرا ، وعندئذ اثار عليهم جوسلين باخذ ما في المكان وتركه فقال « كناقد اشرافنا على الهلاك ، والآن فقد خلصنا ، والصواب ان نمضى ونحمل ما قدرنا عليه . فما سمحت نفس بغدوين بترك الحصن والخروج منه (٤٦٥) » . ومعنى هذا ان الملك بلدوين ظل في القلعة بعد استيلائه عليها . في حين تشير بعض المصادر الاسلامية الى ان بلدوين هرب هو وجوسلين (٤٦٦) بينما يذكر البعض الآخر ان الملك هرب بمفرده (٤٦٧) . ويبدو ان الفرنج صمموا على الصمود

(٤٦٠) عن Zoé : Op. Cit., p. 297, Grousset : L'Empire, p. 300. (Fulcher)

(٤٦١) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٦٢) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٦٣) Archer : Ibid., p. 163.

(٤٦٥) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٦٤) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الطبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٤٩ .

(٤٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ، ص ٧٧ (١) ، سبط بن الجوزى مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ، ص ١١١ .

(٤٦٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٣ ، العيني : عقد الجبان ، د ١٥ م ٤ مخطوط ص ٨٢٤ .

بخرتبرت حتى تصل المساعدة من انطاكية او بيت المقدس (٤٦٨) .
ولتلق رايهم على خروج جوسلين وحلفوه « على انه لا يغير ثيابه ولا ياكل
نحما ولا يشرب الا وقت القران الى ان يجمع جموع الفرنج ويصل
بهم الى خرتبرت ومخلصهم (٤٦٩) .

وبالفعل غادر جوسلين المكان في فجر ٦ أغسطس (٤٧٠) مصحوبا
بحاشية من المشاه مكونة من ثلاثة من الخدم « وغلب عليه حينئذ
الخوف اكثر من الشجاعة (٤٧١) » واتجه الى كيسوم ومنها الى انطاكية
اجمع القوات ويحمل النجدة للملك ورفاقه الاسرى (٤٧٢) وأرشدته في
الوصول الى الرهنا فلاح ارمني (٤٧٣) .

لما بك فكان يحلب عندما سمع بما حدث في خرتبرت ، فأتى مسرعا
عقب رحيل جوسلين (٤٧٤) وحاصر القلعة بقسوة ، ولغم رجاله الاسوار

Archer : Op. Cit., p. 163 (٤٦٨)
(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب د ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباق الحلبى :
اعلام النبلاء د ١ ص ٤٤٩ .

Michel : Op. Cit., p. 211.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420. (٤٧٠)
Fulcherii Carnotensis : Historie... Hist. Occid. T. 3, (٤٧١)
p. 455
رهنما يذكر اولدنبرج ان الحاشية كانت عبارة عن ثلاثة من
الارمن من البلاد وان جوسلين خرج متنكرا في زي يتسول يموت من
الجوع والمطرش (Zoé : Op. Cit., p. 298) .

Mattieu : Op. Cit., p. 134. (٤٧٢)
Fulcherii Carnotensis : Historia: Hist. Occid: T. 3, p. 456, (٤٧٣)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Zoé : Op. Cit., p. 298,
Archer : Op. Cit., p. 163, Grousset : Hist. des Crois.,
V. 1, p. 592.

Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V.1, p. 543 (٧٤)
هنا يضيف فولشر ووليم الصورى أن بك انزعج في تلك الليلة برؤية
مرعبة ، فقد رأى في منامه أن الأمير جوسلين يفقده بصره بواسطة
يديه إذا قام مذمورا وأرسل رسلا عند طلوع النهار الى القلعة
لقتل جوسلين حتى لا يقتل هو بيديه ، لكن قبل أن يصل الرسل كان
جوسلين قد هرب ، وكانت القلعة قد سقطت بالفعل ، فراجعوا بسرعة .
وأخبروا سيدهم بما حدث . فاستدعى الأمير في الحال القوات من كل
مكان وأسرع الى هناك .

(Fulcherii : Ibid., p. 455, William : Ibid., p. 543.

وقلبوا البرج الأكبر بعد أن فشلت محاولات أخذ القلعة بأسلوب المناوش مع الملك (٤٧٥) . بل قيل أنه نصب عليها أربعة منجنيقات فانهارت الجدران (٤٧٦) . أما المصدر العربي فيذكر « أن بك فتوح خربتت بالسيف ثالث وعشرين من رجب وقتل كل من كان بها من أصحابه الذين كفروا نمته ومن كان فيها من الفرنج ولم يستبق سوى يقدوين الملك وقران وابن اخت يقدوين وسيرهم الى حران وجبهم بها (٤٧٧) » .

هكذا استطاع بك أن يسيطر من جديد على خربتت (٤٧٨) وبينما كان جوسلين يتقدم لتجنتهم ومعه جيوفري الراهب على رأس جيش فرنجي « سمعوا بذلك الحوادث المشؤم فتوقفوا في حزن بالغ وعادوا بتوب دامية كل الى جهته (٤٧٩) » ويحكى ابن العديم الكثير من أعمال الانتقام التي قام بها جوسلين ضد مسلمي حلب بالذات (٤٨٠) ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في فصل العلاقات مع المسلمين .

ثم أن جوسلين لم يهدأ مرة أخرى في صراعه ضد المسلمين بل أن الفرنج استطاعوا تحت قيادته أن يصلوا في ١١٢٨ - ١١٢٩ م (٥٢٣ -

(٤٧٥)

Mattieu : op. cit., p. 134 - 135, William : Op. Cit., V. 1, p. 543.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

Michel : Op. Cit., p. 211

(٤٧٦)

ويذكر ميخائيل هنا أن عدد من قتلوا

كان حوالى سبعين رجلا ، أما متى الرهاوى فيذكر أن الأمير بلك أباد كل أسرى الصليبيين الموجودين بالمكان وكانوا حوالى خمسة وستون شخصا
Mattieu : p. 135.

(٤٧٧) ابن العديم : زبدة الخلب ، د ٢ ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبي :
أعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٥٠ .

(٤٧٨) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١١٢ ، تاريخ
أبو البيهقي ، د ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .
قال أن ذلك كان في ١٦ سبتمبر

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420).

Mattieu : Op. Cit., p. 135, Fulcherli : Op. Cit., Hist Occid

T. 3, p. 456.

(٤٨٠) ابن العديم : زبدة الخلب ، د ٢ ص ٢١٤ - ٢١٦ .

(٥٢٤هـ) الى آمد ونصيبين ورأس العين (٤٨١) .

وهكذا استمر جوسلين امير الرها يقاتل المسلمين في شجاعة
لا تعرف الياس حتى كانت وفاته في دلك سنة ١١٣١م (٤٨٢) (٥٢٦هـ)، كما
سفرى في الفصل الخاص عن علاقة الرها بالمسلمين .

جوسلين الثانى : ١١٣١ - ١١٤٤ - ١١٤٦م (٥٢٦ - ٥٢٩ - ٥٤١هـ) .

كان جوسلين الثانى من ام ارمينية هى اخت ليون الارمنى (٤٨٢)
السابقة الذكر . ومعنى ذلك انه كان من امراء الفرنج الذين ولدوا في
الشرق ؛ وقد اتصف جوسلين الثانى بالبراعة الحربية ، مع حب اللهو
والاسراف في الشراب (٤٨٤) .

تزوج جوسلين الثانى من بياتريس ، لرملة وليم حاكم صهيون بالقرب
من اللاذقية (٤٨٥) . واتجب منها ولدا هو جوسلين الثالث وبنتين : الأولى
هى آجنى Agnes التى تزوجت فيها بعد رينو Renaud
حاكم مرعش ثم من بعده غيورى امير ياقسا الذى اصبح ملك القدس .

(٤٨١) (Bar Hebraeus) عن Grousset : L'Empire, p. 300
وأمد بلد قديم حصين على نشز حطة . فتحت سنة عشرين من الهجرة
وسار اليها عيسى بن قثم بعد ما افتتح الجزيرة (ياقوت : د ١
ص ٥٦) و نصيبين مدينة بالجزيرة أيضا (ياقوت : د ١٩ ، ص ٢٨٨)
أما رأس العين فهى مدينة من مدن الجزيرة بين جران ونصيبين ودينسر ،
وفى رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصيرنهر
الخابور (ياقوت : معجم البلدان ، د ٩ ص ١٤) .

(٤٨٢) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 878.

(٤٨٣) William : Op. Cit., V. 2, p: 52. Iorga - Breve Hist. des Crois., p. 87.

(٤٨٤) William : fbid., V. 2, p. 53.

(٤٨٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 8.

والثانية - وهي الصفري - (٤٨٦) .

وكان جوسلين محبوبا من رعاياه ، وهو حب ورثه عن والده فضلا عن
ان ابيه كانت ارمينية- (٤٨٧) . ولكن جوسلين كان دون شك اقل
من والده بكثير في المقدرة الحربية والشجاعة (٤٨٨) .

والواقع ان اماره الرها كتبت عندئذ في حاجة الى محارب فذ من طراز
والده جوسلين الأول . ولكن شاعت الظروف الا يخلف ذلك الأمير القوى
على عرش امارته المعرضة للخطر الا ابنه المتهاون في شئون امارته ،
وهو امر اساد منه المسلمون .

ذلك ان تهلون جوسلين الثاني أدى الى ضياع الأراضى والممتلكات
التي اجهد والده نفسه في الحفاظ عليها والدفاع عنها (٤٨٩) ، فهجر
مدينة الرها وانسحب ليقوم في تل باشر ، ملجأ فعل والده ، ولكن
على العكس منه ، اقام اقلية متربة على شواطئ الفرات ،
وهناك استسلم كلية ليوته المنحرفة واهمل تقوية الجيوش وتحصينات
المواقع ، ونسى العناية بالحكومة امام تهديد المسلمين (٤٩٠) .

وهذا هو ما اشار اليه تبرسيس في قصيدته عن رثاء الرها .
فهو عندما يشير الى ان زنكى هاجم المدينة اثناء غياب جوسلين
الثاني منها يقول (٤٩١) :

(يعنى زنكى)

اختبأ في الحقول
ثم اجهز على على حين غرة

William : Op. Cit., V. 2, p. 53, Grousset : Ibid, p. 8. (٤٨٦)

Zoé : Op. Cit., p. 399. (٤٨٧)

Zoé : Ibid., p. 292. (٤٨٨)

William : Op. Cit., V. 2, p. 53. (٤٨٩)

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 102. (٤٩٠)

Nersès : Op. Cit. (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 246. (٤٩١)

الابيلت من ٦٢٤ - ٦٣٠

في ساعة لا انتظرها
اذ انه ما ان تحقق ويتقن
من غياب رجالى وحماتى
حتى حاصرني من كل جانب
وهاجبني بقواته

والواقع ان تلك الظروف ، الى جانب ظروف أخرى — سنذكرها
فيها بعد عند الكلام بالتفصيل عن عماد الدين زنكى والرها —
شجعت عماد الدين زنكى على التوجه الى الرها ١١٤٤م (٥٣٩ هـ)
وانتزعها من الفرنج . حقيقة انهم استعادوها بعد وفاته ١١٤٦م ، ولكن
ذلك كان لفترة قصيرة الى ان استرجعها منهم ابنه نور الدين في نفس
السنة . والواقع ان الكلام عن سقوط إمارة الرها يعتبر من أبرز
الموضوعات التي يمكن بحثها في عهد جوسلين الثانى .

وبإعطاء فكرة من جوسلين الثانى وعهده تكن صورة الوضع
الداخلى للإمارة قد انضحت ، وسوف تتضح معالمها أكثر بالكلام عن
العلاقات الخارجية للإمارة سواء مع المسلمين أو المصليبيين أو مع
الأرمن أو البيزنطيين ، وهو ما سنتعرض له بالدراسة في الباب الثانى
من بحثنا هذا . ولكن قبل أن ننتقل من هذا الباب الى ما يليه ،
يجب بنا أن نوضح نقطة هامة ربما تتردد على السنة المنسلين وهى :

مدى الانجازات المعمارية بوجه خاص والحضارية بوجه عام
لإمارة الرها الصليبية ؟ الحقيقة اننا لم نعثر فى أى مصدر من المصادر
التي رجعنا اليها على مجرد اشارة عابرة عن أى نوع من المنشآت
التي خلفها الصليبيون فى الرها ، وربما نجد تفسيراً لذلك فى أن
الفترة التي عاشتها الإمارة كانت أقصر من غيرها من الإمارات الأخرى
فى الشرق ، فهم لم تعش أكثر من نصف قرن تقريباً ، قضى حكايتها —
إذا استثنينا جوسلين الثانى — معظمها فى صراع مستمر مع جيرانهم
المتعديين . لذا لم تكن هناك أية فرصة للشعور بالاستقرار والطبائنة
بسبب موقع الإمارة المعرض للخطر كما رأينا . والمعروف أن النشاط
الحضارى لا بد له من سياق من الاستقرار والأمن ، وهو ما لم يتوافر
لذلك الإمارة القصيرة العمر .

الباب الثاني

علاقة إمارة الرها الصليبية بجيرانها

- أ - علاقتها بالقوى الإسلامية المحيطة بها .
- ب - علاقتها بالإمارات الصليبية في بلاد الشام .
- ج - علاقتها بالأرمن خارجها .
- د - علاقتها بالدولة البيزنطية .
- أولا : علاقتها بالقوى الإسلامية المحيطة بها :

من الواضح أن موقع إمارة الرها وسط إقليم الجزيرة ، جعل منها قلعة مسيحية وسط محيط إسلامي كبير ، أحاط بها من جميع النواحي والجهات . ولا شك في أن هذه الحقيقة تعني أن إمارة الرها الصليبية كانت أكثر تعرضاً من غيرها لضغط القوى الإسلامية عليها ، مما جعلها تعيش حتى سقوطها قرابة منتصف القرن الثاني عشر الميلادي في صراع مستمر مع جيرانها المسلمين .

لما من تلك القوى الإسلامية التي أحاطت بإمارة الرها ودخلت معها في صراع طويل ، ناولها سلاجقة فارس الذين سيطروا على العراق والخلافة العباسية في بغداد .

والى جانب تلك القوة الإسلامية الكبرى وجد بالعراق مركز آخر من مراكز القوى الإسلامية ممثلاً في بني مزيد أمراء الحلة (١) . وهؤلاء لعبوا دوراً هاماً - وخاصة أميرهم دبيس بن صدقة - في مضادة الفرنج كما سنرى فيما بعد . والى الغرب من نهر الفرات وجد فرع آخر من السلاجقة ، هم سلاجقة الروم أو سلاطين قونية (٢) . أما في الشمال الغربي من الرها ، فقد وجد مركز آخر للترك المسلمين ممثلاً في بني دانشمند الذين استقروا في شرق آسيا الصغرى (٣) .

(١) الحلة مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد وكانت تسمى الجامعين (يلقبوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٣٢ - طهران ١٩٦٥ ، منشورات مكتبة الأسد رقم ٧) .

(٢) Michel : Op. Cit., p. 232, William : Op. Cit. V. 2, p. 200.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

(٣)

فاذا أضفنا الى هؤلاء جميعا الأراقة أو بنى ارتق وهم زعماء مجموعة هامة من التركمان اتحدوا مع السلاجقة في غزوهم لبلاد الشام (٤) ونجحوا في الاستقرار بالقدس قبيل قدوم الصليبيين ، لولا أن الفاطميين نجحوا في استرداد القدس منهم مما جعل زعيمهم ليفازى يسير الى بغداد في حين اتجه اخوه سقمان الى الرها ثم ملك حصن كيفا وماردين ونصيبين (٥) . . . أدركنا أن اهارة الرها الصليبية كانت محاطة فعلا بمجموعة قوية من جيرانها المسلمين .

أما عن علاقة الرها بسلاجقة فارس ، فيبدو أن محور هذه العلاقة كان اتابكية الموصل التي كانت تتبع سلطنة السلاجقة وبالتالي فقد عهد اليها سلاطين السلاجقة بمواصلة سياسة النهاد باسمهم ضد الصليبيين في اقليم الجزيرة فضلا عن بلاد الشام . وقد سبق أن اشرنا الى انه ما كاد الصليبيون يحاصرون انطاكية غداة وصولهم الى بلاد الشام ١٠٩٧م — (٤٩١) هـ (٦) حتى خرج كريوغا اتابك الموصل (٧) على رأس حملة كبيرة لتخليص انطاكية من الحصار الصليبي . وفي طريقه من الموصل الى انطاكية مر كريوغا بالرها في مايو ١٠٩٨م (٨) . (٤٩٢) هـ ، فشرع في حصارها بهدف استردادها من الصليبيين وطردهم وزعيمهم بلدوين منها (٩) . ويبدو أن كريوغا أرسل مقدما الى الرها

Setton : Ibid., V. 1, p. 451.

(٤)

(٥) القرماني : اخبار الدول ، ص ٢٧٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ٨ د ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(٧) كان كريوغا قد سجن في حمص بواسطة تاج الدولة تنش اثناء

الصراع بينه وبين بركياروق وكان كريوغا من المناصرين لبركياروق ، فلما قتل تاج الدولة ٤٨٩هـ خلص الأمير كريوغا من السجن وتوجه الى حران فملكها . ثم صار الى نصيبين فملكها ايضا وذلك في ذى القعدة من هذه السنة وكان بها على بن شرف الدولة العقيلي . الذي استنابه بها تنش بن الب أرسلان . فلما ضاق الأمر على عى هرب من الموصل الى صدقة بن مزيد بالحلة . ثم سار كريوغا نحو ماردين فملكها ايضا (الباهر : ص ١٥ — ١٦ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٠٨) .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 316.

(٨)

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV ; T. 4, p. 396. (٩)

بعض القوات للقيام بتلك المهمة وهو الأمر الذي يفهم مما ذكره البرت (١٠) .

على أنه يبدو أن فريقا من جيش كربوغا لم يكن متفقا معه تماما في فكرة حصاره للرها (١١) . ولكن كربوغا — على قول وليم الصوري — « صمم عندئذ قبل عبور الفرات ، أن يهاجم الرها وأن يأخذها بالقوة (١٢) » . وبمجرد أن تلقى بلدوين البولوني انذارا بتقدم كربوغا جمع رجاله من كافة المناطق المحيطة بالرها لمساعدته ، واختزن في المدينة كميات كبيرة من الطعام والسلاح ، استعدادا لحصار طويل ، ولم يبد تائرا لتهديدات كربوغا (١٣) . ولكن يبدو أن الأمر كان أصعب مما تصور كربوغا ، فقد ظل أمام الرها حوالي ثلاثة أسابيع دون أن يحقق غرضه (١٤) . وعندئذ نصحه بعض أعوانه بأن يتخلى عن تلك المحاولة ويستأنف طريقه إلى أنطاكية ، على أن يعودوا إلى الرها لحصارها وتاديب صاحبها بلدوين بعد الفراغ من الاستيلاء على أنطاكية (١٥) . فعلا ترك كربوغا الرها وأسرع إلى أنطاكية لمساعدة صاحبها (١٦) ياغي سيان .

وعندما عبر كربوغا الفرات اتصل بدقاق بن تثنس وطفتكين أتابك وجنّاح الدولة صاحب حصن وأرسلان تثنس صاحب سنجار وغيرهم من زعماء المسلمين واتجه الجميع قاصدين أنطاكية (١٧) . ومن

Alberti : Ibid., p. 397. (١٠)

Alberti : Ibid., p. 397. (١١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 245. (١٢)

William : Ibid., V. 1, p.p. 245 - 246. (١٣)

Gesta Francorum : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3, p. 500, (١٤)

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345,

William : Ibid., V. 1, p. 246.

(يذكر وليم أنها من ٤ إلى ٢٥ مايو)

Zoé : Op. Cit., p. 124, Runciman :

Op. Cit., V. 1, p. 210 من (Fulcher, Matthew).

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV, T. 4, p. 397, (١٥)

William : Ibid., V. 1, p. 246.

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345. (١٦)

(١٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ١٨٧ .

الواضح أن اخلاق كربوغا أمامها أدى إلى « رفع مكافئة بلديون ، كما أن الصليبيين أمام انطاكية أملاوا من الوقت الذي أضاعه كربوغا أمام الرها (١٨) » . ويؤيد ولیم الصوري هذا الرأي فيشير إلى أن التأخير من جانب جيش المسلمين أمام الرها اتقذ الصليبيين أمام انطاكية لأنه لو كان كربوغا قد سار مباشرة إلى انطاكية قبل وقوعها في قبضة المسيحيين ، لوقع الصليبيون في مأزق (١٩) .

أما (الجستا) فتشير إلى أن بلديون تمعد تعويق كربوغا وجيشه أمام الرها رغبة منه في مساعدة اخوانه الصليبيين أمام انطاكية (٢٠) . ومما يكن من أمر ، فإن كربوغا لم يقدر له أن يصبح مصدر خطر على الرها بعد فشله أمام الصليبيين في الشام . وقد خلف كربوغا في حكم الموصل الأمير جكرمش (٢١) . الذي رأينا انتصاره على الصليبيين في موقعه حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) مما أثر على الرها تأثيرا شديدا خاصة بعد أسر أميرها بلديون دى بوج وجوسلين دى كورتناى أخضر أموانه . هذا إلى أن جكرمش لم يكتف بإسر بلديون بل أسرع إلى الرها وحاصرها ولكنه أخفق في الاستيلاء عليها بسبب بمسألة تكريد في الدفاع عنها وصمود سكانها الأرمن (٢٢) ، لذا عاد جكرمش إلى الموصل بأسيره بلديون (٢٣) .

ويسدو أن جكرمش صمم على أن ينتقم من هزيمته هو وقواته أمام أسوار الرها ١١٠٤م بمصاد إلى الرها ١١٠٥م (٤٩٩هـ) على رأس

(٢١) (Fulcher, Matthew) من Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210
(١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 246.
(٢٠) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 500.

(٢١) كان بينهما لفترة قصيرة موسى التركمانى الذى كان نائباً عن كربوغا بحسن كيفا ، فلما مات كربوغا كاتبه أعيان الموصل ليسلموا إليه البلاد فسار إليها وقتل سنقرجة الذى عهد إليه كربوغا بالموصل عند وفاته وتسلم البلد وقد قتل موسى في نفس السنة (٤٩٤هـ) ابن الأثير : الباهر ص ١٦ .

(٢٢) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 616.
(Alberti) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408
(٢٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : المعبر ، ج ٥ ، ص ٣٣ .

قواته ، ووصل الى المدينة وقت الحصاد (٢٤) . وكانت لوضباع
الرها قد تبدلت في ذلك الوقت أثناء أسر بلدوين دى بورج بسبب
المظالم التي أنزلها ريتشارد دى سالارنو بأهالى المدينة ، مما أتاح ظروفها
مناسبة لجرمى وجيوشه .

ذلك ان ريتشارد اندفع على رأس قواته المشاة ، ليشترك مع
جكرمش ، ولكن قوات الأخير كانت على قدر أكبر من التدريب فأوقعت
برجال ريتشارد والقت بهم داخل الضائق المحيطة بالبلد . وخسر
المسيحيون في تلك الموقعة أربعة وخمسين رجلا (٢٥) . وبذلك
انضمت تلك الحملة التركية الإسلامية بزعامة جكرمش صاحب الموصل ،
جرحا جديدا الى جرح العام السابق في الرها .

وجدير بالذكر ان المؤرخ وليم الصورى انفرد بالإشارة الى حملة قام
بها الأتراك السلاجقة أثناء أسر بلدوين وجوسلين . وفي الفترة التي
حكم فيها ريتشارد دى سالارنو . ودراسة هذا النص (٢٦) . الذي
ذكره وليم الصورى نجد هناك تشابها بين أحداث تلك الحملة وبين حملة
مودود على الرها ١١١٠م - ٥٠٤هـ ، على أنه لا يمكن أن نتصور أن وليم
يقصد هنا حملة مودود لأن هذه الحملة كما سنرى فيها بعد كانت
قد تمت بعد إطلاق سراح بلدوين دى بورج وجوسلين ، ولم تكن في فترة
وصاية تنكريد على الرها ، وإنما حدثت في وقت استحكم فيه الخلاف بين
كل من بلدوين وتنكريد ، حتى أن تنكريد لم يحضر لمساعدة الرها ضد
حملة مودود هذه إلا تحت ضغط ملك القدس سيده الأعلى . وحقيقة
هذه الحملة التي أشار إليها وليم الصورى أمر يحيطه الغموض .

وبما يكن من أمر ، فقد امتلك الموصل بعد جكرمش ، جاولى سقان
الذى حكمها من ٥٠٠ - ٥٠٢هـ (١١٠٦ - ١١٠٨م) وهو الذى عصى
السلطان محمد كما أشرنا ، كما أطلق سراح بلدوين دى بورج ، وبعد أن
تم اتفاق بين الجانبين بأن ينجد كل منهما الآخر وبأن يطلق بلدوين من لحيه
من أسرى المسلمين « فسلم القمص الى سنقرادار صاحب جاولى مائة

Mattieu : Op. Cit., p. 79, Grousset : Hist. des Crois., (٢٤)

V. 1, p. 437 (Mattieu) عن

Mattieu : Ibid., p. 79, Grousset : Ibid., p.p. 437 - 438. (٢٥)

Willham : Op. Cit., V. 1, p.p. 472 - 473. (٢٦) .

وستين اسيرا من المسلمين بعد ان كساهم جميعهم ، وكان هذا من عجب الاشياء (٢٧) . »

كذلك اتضح هذا التعاون بين الجانبين سنة ١١٠٨/٥٠٢م عندما لبى جاولى نداء بلدوين دى بورج وجوسلين وساعدهما في هجومهما على تنكريد امير انطاكية (٢٨) . وعلى مدى هذا العداء بين امراء الصليبيين يكن تنكريد انتهاز فرصة اسر بلدوين وجوسلين وانتزع اجزاء من اراضيهم ورفض رد تلك الاراضى بعد اطلاق سراحهما (٢٩) .

ويشير ابن العديم الى هذا الحدث فيقول انه « في ٥٠١ هـ أو ٥٠٢ هـ اجتمع جاولى سقاوه وجوسلين الفرنجى على حرب تنكريد صاحب انطاكية واستجد تنكريد برضوان فامده بمسكر حلب والتقاوا فقتل من الفرنج جماعة (٣٠) » .

لكن ما نحب ان نشير اليه هو انه اذا كان الخلاف بين بلدوين وجوسلين من ناحية وتنكريد من ناحية اخرى من اجل استرجاع اراضى اماره الرها لصاحبها الشرعى بلدوين بعد اطلاق سراحه كان من الاسباب التى دفعت بلدوين الى ان يمد يده لجاولى ، فان جاولى من ناحية اخرى مد يده لبلدوين لانه بعد طرده من الموصل بواسطة مودود - كما سبق ان اشرنا - كان يطمح في تكوين اماره لنفسه ، ان لم يكن في الجزيرة فليكن في حلب على حساب رضوان من ذلك ما ذكره ابن الفرات من ان جاولى صمم العبور الى الشام والاستيلاء على حلب بعد مهاجمة رضوان للجماعة الرهوية التى كانت تحمل مال الفداء الخاص ببلدوين دى بورج (٣١) .

وكان جاولى قد استولى بالفعل ٥٠٢ هـ سبتمبر ١١٠٨م على مدينة باليس وهى من اعمال حلب (٣٢) . وانتزعاها من اصحاب رضوان بن

(٢٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك د ١ مخطوط ص ٢٢ (ب) ،
العيني : عقد الجمان د ٣ م ٦٢٨ .

Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٢٨)
Mattieu : Ibid., p. 86.

(٢٩)
(٣٠) ابن العديم : زبدة الطلب ؛ د ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ؛ د ١ ص ٢٤ (ب) ، ٢٥ (ا) .

(٣٢) العيني : عقد الجمان ؛ د ٣ م ٦٤٠ .

Setton : Op. Cit., V. I, p. 394,

عش و قتل جماعة من أهلها (٣٣) . ولما تحقق الملك رضوان من هزم الأمير جاولى على قصده استنجد بتفكير أمير أنطاكية وخوفه علقبة استيلائه على حلب لأنه في هذه الحالة لن يكفى بتهديد أنطاكية وحدها وإنما سيهدد الصليبيين جميعا بالشام « والصواب أن أكون أنا وأنت يداً واحدة عليه حتى نجليه من هذه الديار فلجابه طنكريد الى ذلك (٣٤) » . ولم يلبث أن خرج تنزيد من أنطاكية فأرسل اليه الملك رضوان بأحد أعوانه من الأتراك ومعه ستمائة فارس (٣٥) .

ولما علم جاولى بذلك كاتب بلدوين صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته وذهب له بما بقى عليه من مال المفاداة الذي قرره عليه حين أطلقه من أسره فسار في عسكره ولحق بالأمير جاولى وهو بمنبج (٣٦) ويبدو أن بلدوين لم ينس أن جاولى أكرمه في الموصل (٣٧) .

وفي تلك الأثناء وصلت الأخبار الى جاولى بأن الموصل أخذت واستولى عليها مودود ، وبذلك ضاعت خزائنه وأمواله قتالاً لذلك (٣٨) . وبقى جاولى في الف فارس وانضم اليه خلق من المتطوعة ونزل على تل باشر والنجا الى جوسلين (٣٩) .

ومن الواضح أن أحداث تلك الفترة تبدو مضطربة متداخلة في

ونسميد عاشور . الحركة ، د ١ ص ٤٥٣ . وبالس مدينة بالشام بين حلب والرقبة (ابن الأثير الباهر ص ١٨) .

(٣٣) ابن خلدون العبر ، د ٥ ص ٤٠ .

(٣٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ، د ٢٥ (١) ، المعنى : عقد الجمان ، د ١٥ ص ٣ ، ٦٤٠ ، الطباخ الحلبي . اعلام النبلاء د ١ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٤٠ وهو يسمى تنكريد هنا (شكرى)

Michel : Op. Cit., p. 215.

(٣٥) ابن الفرات : مخطوط ، د ١ ص ٢٥ (١) - المعنى : د ١٥ ص ٣

Grousset : L'Empire, p. 83.

(٣٦) ابن الفرات : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن خلدون :

العبر ، د ٥ ص ٤٠ - ٤١ الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٢ .

Michel : Op. Cit., p. 215.

(٣٧)

(٣٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ١ ،

ص ٢٥ (١) ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٤١ .

(٣٩) ابن الفرات : مخطوط ، د ١ ص ٢٥ (ب) ، ابن خلدون ، د ٥ ص

ص ٤١ ، الطباخ ، د ١ ص ٤٠٣ .

المصادر ، اذ يصعب التوفيق بين ما سبق ان ذكرنا من ان جاولى قد اخرج بالفعل من الموصل عندما هجر الى الشام واستولى على بالس واستعان ببيلووين مما يتعارض مع ما ذكرته بعض المصادر من ان اخبر استيلاء مودود على الموصل بلغت جاولى وهو بالشام . ويبدو ان المقصود بذلك هو الاستيلاء الكامل على الموصل من قبل مودود بدليل ما ذكره ميخائيل السرياني من ان رجال جاولى كانوا متحصنين في القلعة (٤٠) . وان زوجته كانت بالقلعة لتتولى امر الدفاع عنها (٤١) .

وبذلك تكون حلفان كل منهما فرنجي اسلامي ، الاول ويضم جاولى وبلدوين دى بوج وجوسلين ، في حين يضم الثنائي تنكريد ورضوان حاكم حلب (٤٢) . وحدث الاشتباك بين الفريقين عند اطراف تل باشر حيث دارت معركة طاحنة بدأت بتفوق الفريق الاول ، ولكنها تحولت بسرعة الى جانب تنكريد الذي نجح في ان ينزل هزيمة ساحقة بخصومه (٤٣) .

ويمعد ذلك النصر العظيم عاد تنكريد الى انطاكية (٤٤) ، في حين فر بلدوين هاربا واحتى بقلعة الراوندان (٤٥) ، وقيل بقلعة دلوك (٤٦) . اما جوسلين ففر الى تل باشر حيث اصبح في مامن (٤٧) . ولاهن الفرات وسف شيق لتلك المعركة سنذكره عندما نتناول العلاقة

Michel : Op. Cit., p. 215. (٤٠)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394. (٤١)

(٤٢) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٣ .

Grousset : L'Epopée, p. 83.

(٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٥٣ ،

Mattieu : Op. Cit., p. 87

الطباخ الحلي : اعلام النبلاء د ١ ص ٢٠٣

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

Mattieu : Op. Cit., p. 87.

(٤٤)

Mattieu : Ibid., p. 87, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٤٥)

Alberti Aquensis : Historiae Liber X... T. 4, p. 649.

(٤٦)

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 442 (Albert),

سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٣ عن

Zoé : Op. Cit., p. 240 (Albert)

Mattieu : Op. Cit., p. 87

(٤٧)

أما ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٥٥ فيذكر (أن

التمس وجوسلين هربا الى تل باشر) يذكر هذا أيضا ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٤١ .

بأنطاكية . أما مسكر حلب فعاد الى رضوان وتسلم باليمن من أصحاب
جاولى (٤٨) .

ولم تلبث حركة الجهاد ضد الصليبيين أن دخلت على يد مودود
حاكم الموصل دورا جديدا ذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه - ٤٩٩ -
٥١٢ هـ / ١١٠٥ م - ١١١٨ م (٤٩) . الذي خلف أخاه بركياروق في حكم
سلاجقة فارس - استاء من تقدم الفرنج في الشام فعزم على تجهيز
جيش قوى ليشرع في حركة جهاد ضد الصليبيين (٥٠) .

وهكذا جمع السلطان محمد قواته في ديسمبر ١١٠٩ م / ٥٠٣ هـ وأرسل
الى الأمير سكيان القبطي أو سكيان بن أرتق (٥١) . صاحب أرمينيا
وأخلاق وميافارقين ، والأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل وأمرهما
بالسير في المسافر الى جهاد الفرنج وحماية بلاد الموصل (٥٢) .
وقد عهد السلطان بقيادة تلك الحملة الى الأمير مودود أمير
الموصل (٥٣) .

وهكذا اجتمع جيش اسلامي كبير زاد عدده عن مائة الف
مقاتل (٥٤) . تحت قيادة مودود ونزلت الجيوش الاسلامية على الرها
في شوال ٥٠٣ هـ (٥٥) (مايو ١١١٠ م) (٥٦) . وحاصروها . وهنا

-
- (٤٨) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ١٥٣ .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289. (٤٩)
Zoé : Op. Cit., p. 241. (٥٠)
(٥١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، د ٥ ص ١٦٩ . يسميه
Kokman ككمان
Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.
(٥٢) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، د ٢
ص ١٥٤ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، د ٥ ص ١٦٩ ، تاريخ أبو الهيجاء ،
د ١ مخطوط رقم ١٤٥ تاريخ حواشي ٥٠٣ هـ .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset Hist. des (٥٣)
Crois. V. 1, p. 449.
Michel : Op. Cit., p. 196. (٥٤)
(٥٥) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ،
Gibb : p. 101 د ٢ ص ١٥٤
(٥٦) ابن القلائسي : نفس المصدر والصيغة .
Gibb : Ibid., p. 102.

يصور متى الرهاوى ضخامة ذلك الجيش بقوله « وصل مودود بجيشه انتشر حول المدينة وغطى بجنوده الجبل والتلال . كل الشرق كان مصطفيا تحت اعلامه (٥٧) » .

وعندما احاط المسلمون بالمدينة متعوا الداخل والخارج بالمسير اليها ، مما اثر تأثيرا سينا في المدينة فاشرف من بها على الهلاك وغلا بها السم (٥٨) . وفي ذلك الوقت كان ملك القدس وامير طرابلس يحاصران بيروت فامرسل اليهم الامير بلدوين دى بورج الامير جوسلين دى كورتناى يطلب التجدة السريعة (٥٩) .

وسرعان ما اتحد زعماء الصليبيين بالثام ، واجتمعت قوات بيت المقدس وطرابلس وانطاكية لحاربة المسلمين (٦٠) . ويعبارة اخرى « اتفق الفرنج كلهم وازالوا ما كان بينهم من الشحناء فتصافى طنكريد وبغدوين وابن صنجيل بعد التفار (٦١) » . وعندما سمع طفتكين في دمشق باجتماع كلمة الفرنج سار هو الآخر ليلحق بالجيوش الاسلامية المحاصرة للرما (٦٢) .

وعندما علم المسلمون بمقترب الصليبيين منهم قرروا الرحيل عن الرها

Mattieu : Op. Cit., p. 91. (٥٧)

(٥٨) ابن التلائس : الذيل ، ص ١٦٦ تاريخ ابو الهيجاء ، د ١ مخطوط ، حوادث سنة ٥٠٣هـ .

Mattieu : Ibid., p. 92, Gibb : Op. Cit., p. 102.

(٥٩) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣١ ،

Gibb : Ibid., p. 99

Cahen : Op. Cit., p. 257, Grousset : Hist. des Trois, V. 1, p. 449.

Gibb : Ibid., p. 102. ١٦٦ ص (٦٠) ابن التلائس : الذيل ،

وهذا ما اشار اليه البرت بقوله « تم الاتفاق واتحدت القوات والاسلحة » .

Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 674.

(٦١) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٥٤ ، ابو المحاسن :

النجوم الزاهرة ، د ٥ ص ١٩٩ تاريخ ابو الهيجاء ، د ١ مخطوط حوادث ٥٠٣هـ .

(٦٢) ابن التلائس : الذيل ، ص ١٦٦ ، تاريخ ابو الهيجاء ، د ١ .

حوادث ٥٠٣هـ .

Gibb : Op. Cit., p. 102, Chalandon : Essai sur le Règne

d'Alexis 1er., p. 251.

«وملافتك خصومهم شرقى الفرات فرحلوا عن الرها في آخر ذى الحجة سنة ٥٠٣هـ - الموافق ١٩ يولية سنة ١١١٠م ونزلوا أرض حران على سبيل الخبيعة والمكر (٦٣) . وظنوا انه من الممكن تكرار ما حدث في موقعه حران ١١٠٤م بأن يوقعوا الفرنج في فخ ولكن الفرنج استفادوا من التجربة السابقة (٦٤) . ومعنى ذلك أن تراجع المسلمين الى حران لم يكن نوعا من الهزيمة او من الخوف كما يذهب من كلام بعض المصادر والمراجع (٦٥) .

وفي ذلك الوقت وصل الجيش الدمشقي (٦٦) . أما الفرنج الذين عبروا الفرات ليعتقبوا المسلمين في حران فقد فطنوا لهذا التدبير فخافوا واستسلموا الهلاك واسرعوا بالانسحاب الى شاطئ الفرات وعندئذ تعقبهم المسلمون وغنموا كثيرا من متاعهم وأتوا على عدد كبير من أتباعهم قنلا واسرا وتفريقا في الفرات ، حتى امتلأت أيدي المسلمين من الخنائم والأسلاب والسبي والدواب (٦٧) .

وكان أن أسرع الفرنج الى الرها ليجلوا عنها كافة السكان الضعفاء ثم تركوا بها حامية من الأرمن للدفاع عنها وزودوها بالموث

(٦٣) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٦٦ ، تاريخ أبو الهيجاء د ١ ، حوادث سنة ٥٠٣هـ ، Gibb : Ibid., p. 103.
(٦٤) Cahen : Op. Cit., p. 258, Grousset : Hist. des Crois. V, 1 (٦٤) p. 453.
(٦٥) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 421, Michel : Op. Cit., p. 196, Archier : Op. Cit., p. 148.
(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٥٤ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٨ .
(٦٧) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٧٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٥٥ ، تاريخ أبو الهيجاء ، مخطوط ، د ١ حوادث ٥٠٣هـ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٨ ، وهذا ما أشار اليه البرت بقوله « أن الملك وتفكيره تتبعوا المسلمين الى حران كي يحاربوهم ولكن عندما علموا بخطتهم بداوا في الهرب وانتشروا خلال المناطق المنعزلة لكن أرهق الكثير من بلاط الملك واحتجزت الكثير من القطعان والأطعمة وحملت بعيدا

Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 674.

الكافية (٦٨) . ويعال المؤرخون انسحاب الصليبيين عن الرها بحرصهم على حملة ممتلكاتهم في الشام من هجمات المسلمين . فيقول ابن خلدون « أن الملك رضوان صاحب حلب لما عبر الفرنج الى الجزيرة ، ارتجع بعض الحصون التي كان الافرنج اخذوها بأعمال حلب (٦٩) » . في حين يشير (كاهين) الى أن من أهم الأسباب التي جعلت الصليبيين يجلبون عن الرها وعلى رأسهم الملك بلدوين هو « أنه سمع أن الفاطميين انتهزوا فرصة غيابه وهاجموا بيروت والقدس (٧٠) » .

على أن السكان الذين أجلاوا عن الرها لم يسلبوا من المسلمين فقد باغتهم مودود وقامت مذبحة كبيرة بينهم على نهر الفرات ، ثم انتشر الترك بعد ذلك في كل ديار مضر ينهبوا ما تبقى (٧١) . ولكن عندما طالبت اقامة الجيش الاسلامي حول الرها اخذ المسلمون يعانون مشاكل الامداد والتبوين مما اضطرهم الى التفرق وأصيب فيه كثيرون منهم (٧٢) . وهكذا تبذرت الحملة الاسلامية بعد أن اشرفت على النجاح فعاد بلدوين دي بوج الى الرها ناعيا امارته الخربة (٧٣) .

وبما يكن من فشل هذه المحاولة ، في سلسلة الجهاد ضد الصليبيين في تحقيق اهدافها ، فإنها تدل في الوقت ذاته على افاقة القوى الاسلامية (٧٤) . والواقع أن تلك الحملة تركت آثارا واضحة على

(٦٨) ابن القلائس : الذيل : ص ١٧٠

Gibb : Op. Cit., p. 104

هنا يذكر فولشر أن الرها زودت بمحصول عام ، لأن المواطنين كانوا في حاجة اليه كثيرا بعد أن دمر الأتراك المنطقة المحيطة بالديانة . Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421.

(٦٩) ابن خلدون : المعبر ، ص ١٩٤ .

Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧٠)

• Mattieu : Op. Cit., p.p. 93-94. Fulcherii : Op. Cit.

T. 3, p. 421, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧٢) ابن القلائس : الذيل ، ص ١٧٠ .

Gibb : Op. Cit., p. 104

(٧٣) سمير عاشور : الحركة ، ص ٤٠ .

Albert . Gibb : Ibid., p. 105

(٧٤) حسن حبش : نور الدين والصليبيين ، ص ١٤ .

الرها من الناحيتين الاقتصادية والسكانية سنتناولهما بالتفصيل في مكان آخر من هذا البحث .

على ان المسلمين ظلوا يستنفرون سلطان السلاجقة للجهاد من ذلك انه على الرغم من ان تفكيره لجأ الى شراء مسالة أمير حلب بالمال ١١١٠م الا انه عاد في السلم التالي وقام بغزوة على حلب الثارت الرعب في قلوب الاهالي (٧٥) . الامر الذي جعل رضوان صاحب حلب يرسل مسترخا كلا من السلطان السلجوقي والخليفة العباس في بغداد (٧٦) .

ويقال ان جماعة من اهل حلب ساروا الى بغداد « مستنفرين الناس على الفرنج فأجتمع منهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم وقصدوا جامع السلطان واستفتوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان بتجهيز العنساكر وارسل من دار الخليفة منبرا الى جامع السلطان . فلما كانت الجمعة الثانية تصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم صاحب الباب من الدخول فغلبوا عليه ونظفوا الجامع وكسروا الشباك وهجموا على المنبر فكسروه وبطلت الجمعة وارسل الخليفة الى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق (٧٧) » .

وفي ذلك الوقت كان الصداق قد بلغ أشده بين البيزنطيين والصليبيين مما جعل الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين يرسل مبعوثا الى السلطان محمد السلجوقي يحضه على محاربة الفرنجة وطردهم من البلاد (٧٨) . وترك التراخي في امرهم واستعمال الجدد والاجتهاد في الفتك بهم قبل

Archer : Op. Cit., p. 148, (٧٥)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400 (٧٦)

(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦١ ، المعنى : عقد الجمان ، ه ١٥٥ ص ٦٥٢ ، سعيد عاشور : الحركة ، ١ ص ٤٦٠ عن ابن الأثير ، وكان ذلك ٥٠٤ هـ — ١١١٠ م .

(٧٨) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٦٠ — ٤٦١ عن (Chalandon : Alexis).

اعضال خطبهم واستفحال شرهم (٧٩) . وقد كان وصول رسول ملك الروم الى بغداد في نفس ٥٠٤ هـ ١١١٠م التي وصلت فيها استغاثة اهل حلب بل سبقتها لذلك اندفع اهالي حلب الى السلطان قاتلين « اما تتق الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد ارسل اليك في جهادهم (٨٠) » . وغير بعيد ان ان يكون الكسيوس قد رمى من وراء ذلك كله الى ضرب القوات الصليبية بالاسلامية ليفرغ له الجو وليضعف كلا من الجانبين ، ومع ان هذا الرأي قد خفى على المسلمين الا ان عزيمة بغداد استقرت على وجوب تسيير الجيوش للجهاد (٨١) . وادى هذا التيار الى استئناف حركة الجهاد ضد الصليبيين ، فقامت سنة ١١١١م (٥٠٥ هـ) حركة تعبئة حقيقية داخل الدولة السلجوقية في فارس (٨٢) ، وجهاز السلطان جيشا كبيرا ضم « الأمير بودود صاحب الموصل وسكان القطبي صاحب خلاط وتبريز وبعض ديار بكر والأميران ايلنكي وزنكي أبنا برسق حاكم همدان وخوزستان والأمير أحمد بك واهمديل أو أحمد الثاني الكردي (٨٣) صاحب مراغة في آذربيجان ، وأبو الهيجاء صاحب أربل (٨٤) » . وتحركت جميع تلك

(٧٩) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٧٣ ، المرجع السابق ، ص ٢٦١ من ابن القلائسي ، حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ . ويذكر الأخيران الإمبراطور بعث الى السلطان بالكثير من التحف والهدايا بل ان الإمبراطور عرض على السلطان اتفاق القوات البيزنطية والاسلامية في طرد الفرنج .

(٨٠) ابن الأثير ، الكامل ، د ٨ ص ٢٦٢ ، العيني : عقد الجمان ، د ٣ ص ٦٥٦ ، سميح عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٤٦١ : عن ابن الأثير Archer : Op. Cit., p. 148

(٨١) حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ .

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463. (٨٢)

Cahen : Op. Cit., p. 261. (٨٣)

(٨٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٢ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٥ ، أبو المحاسن : التجوم الزاهرة ، د ٥ ص ٢٠١ ، العيني : عقد الجمان ، د ٣ ص ٦٥٢ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٤ هـ والراجح ان ذلك غير صحيح) ، ابن خلدون العبر ، د ٥ ص ١٩٤

Cahen : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

القوات تحت قيادة مودود من جديد لحاربة الفرنج (٨٥) .

ولم يشأ مودود أن يضيع الوقت ، وإنما رأى أن يهاجم بعض القلاع الصليبية في منطقة الرها ، ونجح في الاستيلاء على بعضها (٨٦) ، حتى إذا ما تكامل تجمع الجيوش الإسلامية في سنجار (٨٧) ، تحرك مودود لمهاجمة الرها ذاتها . وحاصرها ولكنهم لم ينجحوا في الاستيلاء عليها (٨٨) . ذلك أن مدينة الرها كانت محصنة ومزودة بالمؤن منذ العام السابق (٨٩) ، في الوقت الذي كان الجيش الإسلامي يعاني من نقص المؤن ، مما اضطر مودود إلى التخلي عن حصارها (٩٠) .

وهنا نلاحظ أن بعض المصادر والمراجع قد خلطت بين حملة ١١١١م (٥٠٥) هذه وبين حملة مودود الأولى ١١١٠م (٥٠٢) . فنكرت

Mattieu : Op. Cit., p. 96, Michel : Op. Cit., p. 216. (٨٥)

(٨٦) ابن الأثير : الباهر ص ١٧

Mattieu : Ibid., p. 96, Michel : Ibid., p. 216

أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٦٨ (وهو يذكر أن ذلك كان سنة ٥٠٢هـ والصحيح ٥٠٥هـ)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Cahen : Op. Cit., p. 261.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463 عن (Rey: Colonies)

(٨٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٦٢ . سعيد عاشور : الحركة د ١ ص ٤٦١ عن ابن الأثير .

(٨٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ،

Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : V. 1, p. 244,

أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٦٨ ، أبو الفدا : المختصر د ٢ ص ٢٢٥ ابن لوردي : تمة المختصر ، د ٢ ص ٢١ ،

العيني : عقد الجمان ، د ٣ ص ٦٥٤ .

Fulcheril : Op. Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des (٨٩)

Crois., V. 1, p. 463, L'Épopée, p. 89.

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463. (٩٠)

أن المسلمين عندما فشلوا في الاستيلاء على الرها ٥٠٥ هـ تراجعوا الى حران يتبعهم الفرنج ولكن الفرنج حصنوا الرها وحلوا اليها المؤمن والذخائر ثم اجلوا الضعفاء من المدينة ونقلوهم الى الجانب الشامي (٩١) .

والواقع هو أن الجيوش الاسلامية قضت امام الرها ١١١١م (٥٠٥ هـ) بضعة ايام ثم تركتها بعد ذلك واتجهت الى مروج ولكنهم قبل أن يعبروا نهر الفرات توقفوا امام قلعة تل باشر (٩٢) ، وكان ذلك في نهاية يوليو ١١١١م (٩٣) (٥٠٥ هـ) وكان بها عندئذ صاحبها الأمير جوسلين . وقد ضغط الأتراك بأعدادهم الضخمة على القلعة وهاجموها عدة هجمات طوال خمسة واربعين يوما لكنهم اخفقوا في الاستيلاء عليها (٩٤) ، فاكثرتا بتخريب ما حولها من بلاد (٩٥) .

وفي تل باشر حدثت بعض الظروف التي حالت بين مودود وبين تكملة مهمته في امارة الرها ، اذ توفي عندئذ سكان القطبي وحمل جثمانه الى ميافارقين ومنها الى خلاط حيث دفن بها (٩٦) . وهنا يتسنى متى الرحلوى من موت سكان ويعتبر ذلك « عقابا اتزله به السيد المسيح بسبب تخريبه لاقليم الرها والمذابح التي قام بها فيه (٩٧) » .

(٩١) ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ، ص ١٩٤ ، عقد الجبلان ، د ١٥ ص ٣ (من تاريخ بيارس) ، الطباخ الطبلي : اعلام النبلاء ، د ١ ، ص ٤٠٦ .

Mattieu : Op. Cit., p. 96, Archer : Op. Cit., p. 149, (٩٢)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

Cahen : Op. Cit., p. 261. (٩٣)

(٩٤) ابو ثعلبه : الروضتين ، د ١ ق ١ ، ص ٦٨ ، الذهبي : المعبر
Mattieu : Op. Cit., p. 96. د ٤ ص ٩ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463. (٩٥)

(٩٦) الفارقي : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٧ ، الفارقي : تلخيص
تاريخ ميافارقين ، ميكرو فيلم رقم ١٢٤٩ تاريخ ص ١٦٧ .

Mattieu : Op. Cit., p. 97. (٩٧)

كذلك كان البرسقي صاحب همدان قد وصل وهو مريض (٩٨) .

وهكذا كانت وفاة بعض زعماء المسلمين ومرض البعض الآخر من أهم المعقات التي تمكنت وحدة الجيوش الإسلامية وتغلبت هذا بالإضافة إلى ما دب في صفوفهم من خلاف « فقد طبع أحمد يل في بلاد سكرمان وهي أرمينية وخلص ونيار بكر (٩٩) » .

ولا أدل على تفرق كلمة المسلمين وهم على تل باشر من ذلك الاتحاد الذي تم بين جوسلين وبين أحمد يل . ذلك أنه « منذ فترة طويلة سمع أحمد يل عن تجيد شجاعة جوسلين فلم بينهما اتفاق ودي أصبحا عن طريقه أخين » (١٠٠) . ولتفصيل ذلك نجد أن المصادر والمراجع تشير إلى أنه في الوقت الذي كانت تل باشر على وشك السقوط في أيدي المسلمين التمس جوسلين النجدة من أحمد يل الكردي وحمل إليه مبلغا من المال في مقابل قيامه بإعداد الجيش المحاصر فوافق أحمد يل على ذلك (١٠١) .

هذا إلى أن المسلمين بالشام أرسلوا إلى مودود يستنجفونه ضد الصليبيين ، فاستنجد سلطان بن منقذ صاحب شيزر ضد تفكير الذي هدد شيزر وقطع منها كل وسائل الحياة (١٠٢) كذلك استنجد رهبان صاحب حلب بمودود وأحمد الكردي وأرسل يستحثهما على الإسراع إليه فأتوا

(٩٨) ابن القلانسي : الخيل ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ،
سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٥ ، أبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ، د ٥ ص ٢٠١

(٩٩) ابن القلانسي : الخيل ، ص ١٧٦ ،
سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Cahen : Op. Cit. p. 261.

(١٠١) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 464,

سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٦٢
الرجسين عن (ابن المديم) ، حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ،
ص ١٦ (عن ابن المديم ، ابن القلانسي) .

(١٠٢) Cahen : Op. Cit., p.p. 261 - 262.

« انتهى قد تلفت واريد الخروج من حلب فيلذروا الى الرحيل » ومنئذ اقتنع أحمد الكردي الأتراك بترك حصار تل بلتر والاتجاه الى حلب لنجدة صاحبها رضوان (١٠٣) .

وعندما اطمان جوسلين الى اعتماد المسلمين عن قلعته خرج على رأس مجموعة من فرسانه ، تقدر بحوالى مائة وخمسين فارسا ومائة من المشاة وبأمت مؤخرة الجيش المنسحب وقتل منه حوالى ألف رجل ومات الى تل بلتر بغنيمة ضخمة (١٠٤) . وبينما يذكر متى الرهسلى أن مودود غلدر تل بلتر الى شيزر (١٠٥) نجد المصدر الأخرى تشير الى توجهه الى حلب (١٠٦) . وهى المروضة أن يمر عليها أولا بحكم موقعها .

وليس هذا موضع علاج تلك الحيلة بالتفصيل بعد خروجها من الرها وانما سنكتفى بالإشارة الى موقف رضوان حاكم حلب منها وهو الذى استنجد بالسلطان والظليمة منذ البداية ثم ما فتىء يستنجد بجيوش المسلمين وهم أمام تل بلتر . ذلك أنه حدث عندما اقترب الجيش الإسلامى من حلب أن خلف رضوان على أمرته من جيش المسلمين وبدأ يعمل حسابا لاطماع أمراء المسلمين أكثر مما عمل لاطماع تنكريد (١٠٧) . لذلك أرسل الى مودود وأحمد الكردي يخبرهم « بأنه قد انتهى الى حل مع تنكريد(١٠٨) » وبلدر عند وصول الجيش الإسلامى

(١٠٣) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٤٦٢ (عن ابن العديم) .

(١٠٤) المرجع السابق نفس الصفحة عن (Albert)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 464.

Mattieu : Op. Cit., p. 97. (١٠٥)

Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٠٦)

p. 244.

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٢٦ ، أبو الفدا : د ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الوردي : تبة المختصر ، د ٢ ص ٢١ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400. (١٠٧)

Cahen : Op. Cit., p. 262, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, (١٠٨)

p. 464, L'Epopée, p. 90.

الى حلب ، باغلاق ابواب المدينة في وجههم (١٠٩) . ورد جنود المسلمين على ذلك بان عاثوا في ضواحي حلب و « فعلوا اقبح من فعل الفرنج » (١١٠) .

وفي ١١١٢م (٥٠٥ - ٥٠٦ هـ) قام مودود بحملته الثالثة على الرها وفي تلك المرة توجه اليها بمفرده (١١١) . دون ان يشركه اخذ من باقي لبراء المسلمين . وربما يرجع ذلك الى الظروف التي احاطت ببقية الامراء في ذلك الوقت واتسفالهم بخلافاتهم او بمرض بعضهم او وفاة البعض الآخر .

اشارت المصادر العربية الى تلك الحملة بشيء من الازجاء فوصفت كيف سار مودود صاحب الموصل الى الرها في المحرم ٥٠٦ هـ (١١١٢م) فنزل عليها ورعى عسكره زرعها ثم رحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل شأن الفرنج ولم يحتز منهم ، فلم يشعروا الا وجوسلين صاحب تل باثر قد كبسهم وكلفت دواب العسكر منتشرة في المراعي فاختد الفرنج كثيرا من العسكر فلما تاهب المسلمون لقتاله انصرف عنهم (١١٢) .

والواقع ان مودود ظل محاصرا للرها حوالي شهرين من ابريل الى

(١٠٩) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٦ ،
ابو الفدا : المختصر ، د ١ ص ٢٢٥ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر د ٢
ص ٢١ ، كرد على خطط الاسلام ، د ١ ص ٢٩٧ ،

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Michel : Op. Cit.,
p. 216, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset :
L'Épopée, p. 90.

(١١٠) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٦ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401. (١١١)

(١١٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٦٥ ، سبط بن الجوزي :
مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٩ ، العيني : مقصد الجبان ، د ١٥ ص ٤
ص ٦٧١ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

يونيه ١١١٢م (١١٣) (قو القعدة ٥٥٥ هـ ، الحرم ٥٥٠٦هـ) (١١٤) كما ذكر ابن القلانسي . وفي خلال هذين الشهرين حاول مهاجمة الرها مرتين (١١٥) . ويبدو ان هجومه كان مباغتاً لم يتوقعه أهل الرها الذين كانوا مشغولين ببعض أميادهم (١١٦) .

وعندما وجد مودود ان الرها صعبة المنال تحول الى سروج المركز الفرنجي الثاني شرقي الفرات (١١٧) . وهناك ترك غيوله تعرض في المناطق المحيطة دون ان يعنى بانقاذ اية تدابير وقائية ضد أعدائه (١١٨) . ونرى ان جوسلين أسرع الى سروج ليعاقبه بغربة قاسية (١١٩) . ذلك ان جوسلين أسرع على رأس ثلثمائة فارس ومئة من المشاة الى سروج حيث انقض على الأتراك البسالغ مسددهم ألف وخمسمائة ، فوقع بهم واخذ خمسة من زعمائهم أسرى وغنم أمتعتهم ، وعندئذ أسرع من نجاة من الأتراك بالفرار الى حيث مودود قرب الرها . وعندما علم مودود بما حدث تقدم ضد جوسلين الى سروج لكن جوسلين كان قد رحل سرا الى الرها (١٢٠) .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٣)

(١١٤) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٨١

Gibb : Op. Cit., p. 127.

والراجح ان للتاريخ الذي حدده ابن القلانسي هو الصحيح لانه المعاصر اكثر لظك الأحداث وان بقية المصادر السابقة قد أخرجت بداية تلك الحملة شهراً عنه .

Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١١٥)

Mattieu : Op. Cit., p. 100.

(١١٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١١٧)

Gibb : Op. Cit., p. 127. ١٨١ ص

(١١٨) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٨١

(١١٩) ابن القلانسي : نفس الصفحة .

Mattieu : Op. Cit., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., (١٢٠)

V. 1, p. 472.

ويعد أن قضى مودود سبعة أيام أسام سروج عاد مرة أخرى إلى الرها (١٢١) ، حيث كان جوسلين قد سبقه إليها ليساعد بلدوين دى بروج (١٢٢) . ولكن حدث أن قسام الأرمن بمؤامرتهم في الرها ، وهي المؤامرة التي سنتعرض لها بالتفصيل في فصل طبقات المجتمع . وبهذه من أمر هذه المؤامرة الآن أن بعض المراجع أشارت إلى أن مودود أوشك أن يستفيد من تلك الأحداث ويستولي على الرها (١٢٣) .

ومهما يكن من أمر ، فإن مودود لم يوفق في حملته هذه ، وانسحب دون أن يحقق غرضه (١٢٤) .

وتشير المصادر العربية إلى حملة أخرى قام بها مودود ٥٥٠٧ هـ (١١١٢ م) بالاشتراك مع « تيمرك صاحب سنجار والأمير إياز بن أبلغازي وطغتكين صاحب دمشق . وساروا جميعا إلى الشلم فالتقوا بالفرنج الذين اجتمع منهم عندئذ يشدوين صاحب القدس وجوسلين صاحب الجيش واقتتلوا بالقرب من طبرية في ثالث عشر الحرم نهزم الفرنج وكثر القتل فيهم (١٢٥) » . ومعنى ذلك أن جوسلين كان يحارب عندئذ بوصفه تابعاً لملك بيت المقدس . ولم يكن في ذلك الوقت « صاحب تل بلشر والرها » . كما ذكر ابن الأثير (١٢٦) لأن تلك الحملة كانت بعد الخلاف بينه وبين بلدوين دى بروج وبعد طرده من إمارة الرها .

وبهذه من أمر هذه الحملة أنها كانت أولبادرة للاتحاد بين الأمراء

Mattieu : Ibid., p. 101. (١٢١)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472. (١٢٢)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402. (١٢٣)

Mattieu : Op. Cit., p. 102. (١٢٤)

(١٢٥) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٦ ، ابن القرات : تاريخ الدول والملوك د ١ مخطوط ص ٦٦ (ب) ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٢٦ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٢١ .
(١٢٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٨ .

المسلمين يشمال العراق وبلاد الشام منذ مقدم الصليبيين الى الشرق (١٢٧) .

لكن اذا كانت المصادر الاسلامية لم تشر الى اية علاقة ل تلك الحملة بالرها ، فان متى الرهاوى يفكر انه كان لها تاثيرها البالغ عليها . وهو ينفرد برواية مؤداها انه حدث ١١١٣ م (٥٠٧ هـ) ان تقدم الامير مودود قائد جيوش المسلمين على رأس جيش كبير ضد الفرنج ووصل الى حران في الوقت الذي كان بلدوين امير الرها موجودا بقواته في مدينة تل بلشر . فنقل بعض الفرنج كلاما مؤداه ان حشدا من الاهالي تحالفوا على تسليم الرها للأتراك ، وصدق الامير تلك الوشائيات فأرسل في الحال الى امير سروج بان يحضر الى الرها وابره باخراج الاهالي المشتبه في سلوكهم . وهكذا سكت دماء كثير من الابرياء وهلك اناس لا فئب لهم مما ترك اثرا سيئا في نفوس اهل الرها الارمن (١٢٨) .

أما عن مودود ، فلم يلبث ان قتل بيد أحد الباطنية وذلك في ربيع الاول (١٢٩) اكتوبر ١١١٣م (١٣٠) . ويعد مقتل مودود « اقطع السلطان

(١٢٧) حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ — ١٧

Mattieu : Op. Cit., p.p. 104-105.

(١٢٨)

(١٢٩) ابن الاثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ح ١ مخطوط ص ٦٧ (١) . ويبين ابن الاثير ذلك بقوله : ان الامير مودود كان قد اذن للمسكر الاسلامي بالرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه في الربيع بسبب شدة الحر ونفاذ المؤن ، فلما تفرقوا دخل دمشق واقام بها فخرج يوما صلى الجمعة فلما صلاها وخرج الى صحن الجامع بمسكا بيد طفدكين فوثب عليه شخص وضربه بسكين فجرحه اربع جراحات ، وكان صائنا فحمل الى دار طغتكين الذي حاول ان يجمعه ينظر فرغض وقال : « لا لقيت الله الا صائما فانني ميت لا محالة » . وتوفي بعد ذلك نفيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ، وقيل بل خافه طغتكين فوضعه عليه من قتله .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(١٣٠)

محمد الموصل للأمير جيوش بك وسير معه ولده الملك مسعود (١٣١) .
ويبدو أن ولاية الأمير جيوش هذه تمثل فترة انتقال حتى يولى
السلطان مكانه من هو أكثأ ، ولم يلبث أن سير السلطان الأمير قسيم
الدولة آقسنقر الى الموصل وأعمالها واليا عليها (١٣٢) .

وقد أمر السلطان محمد آقسنقر بقتال الفرنج وكتب الى سائر
الأمراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها ومنهم عماد الدين
زنكى بن آقسنقر وتبرك صاحب سنجار وغيرها (١٣٣) . وكان ابن
زحف البرسقى على ماردین فنزلها حتى اذعن له ايلغازى صاحبها
وسير معه عسكرا يقدر بثلاثمائة فارس مع ولده آياز (١٣٤) . ثم وصل
الجميع الى الرها في ذى الحجة ٥٥٠٨ هـ (١٣٥) - ١٥ مايو ١١١٤ م (١٣٦) .
وبلغ عدد جيش البرسقى في تلك الحملة حوالى خمسة عشر ألف
فارس (١٣٧) .

على ان الرها صمدت لآقسنقر « واصلبوا من بعض المسلمين
غرة فاختلوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ

(١٣١) ابن الاثير : الباهر ، ص ١٩ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١
ق ١ ص ٦٩ .

(١٣٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٨ ، ابن واصل : مفرج
الكروب ، د ١ ص ٢٩ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط
من ٧٩ (ب) ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة د ٥ ص ٢٠٧ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491, Setton : Op. Cit.,
p. 403.

(١٣٣) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٨ ، ابن الفرات : تاريخ
الدول والملوك د ١ مخطوط من ٧٩ (ب) .

(١٣٤) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(١٣٥) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٩ .

(١٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٣٧) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ، ص ١٩ ،
أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط د ١
ص ٨٠ (١) .

وحمل المسلمون وقتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارساً من
أعياقهم (١٢٨) . وقد ظل حصار الرها مدة « شهرين وإيام (١٣٩) » .
وقيل شهراً (١٤٠) .

وكان أن دفعت هذه المقاومة مع قلة المؤن أقسنتهم إلى رفع
حصاره عن الرها ولكن قبل عودته خرب مدينتي سيمساط وسروج (١٤١) .
ويقول متى الرحاوى أنه وصل إلى الفرات وخرب كل البلاد الواقعة
على امتداد ضفتيه ثم قصد مدينة البيرة فلجئ جميع كل الفرنج في تلك الضفة
الغربية من النهر ضد عماد البرسقي إلى نصيبين عن طريق الرها (١٤٢) .
والراجح أنه اشتبك وهو في طريق عودته في معركة مع أيلغازي بن أرتق
أمير ماردين لأنه لم يلحق به بنفسه (١٤٣) . فقاتله أيلغازي « وألحق
به الهزيمة وأسر ابن السلطان ولكنه أطلقه بعد فترة (١٤٤) » .
وعاد أقسنتر بعد حملته هذه إلى بغداد . وترك الموصل ليقم بها
الملك مسعود والأمير جيوش بك حتى سنة أربع عشرة وخمسمائة (١٤٥) .

(١٣٨) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط
د ١ ص ٨٠ (١) .

(١٣٩) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، دائرة المعارف
الإسلامية المجلد الثقي ص ٤٧٢ .

Mattieu : Op. Cit., p. 109, Grousset : Hist. des Crois., (١٤٠)
V. 1, p. 491. .

(١٤١) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ص ١٩ — ٢٠ ،
الروستين د ١ ق ١ ص ٦٩ أما ابن الفرات مخطوط د ١ ص ٨٠ (ب) فيذكر
أنه نزل على سروج خمسة أيام وأكل العسكر غلاتها وزرعها . أما
ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٢٩ فيقول (سروج وسنجان
وسيمساط) والراجح أنه أخطأ ووسع سنجان بينهما .

Mattieu : Op. Cit., p. 109. (١٤٢)

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل . د ٨ ص ٢٦٩ .

Mattieu : Op. Cit., p. 109. (١٤٤)

(١٤٥) ابن الأثير الباهر ، ص ٢٠ .

لما ائز الهزيمة التي حلت بأقسنقر على يد ايلغازى فيبدو ان ايلغازى خشى انتقام السلطان ، مما دفعه الى التحالف مع طغتكين حاكم دمشق من ناحية ومع روجر حاكم انطاكية من ناحية اخرى هذا بالاضافة الى ان السلطان اطل برسق بن برسق حاكم همدان ، محل أقسنقر قلدا عاما لحركة الجهاد ضد الصليبيين (١٤٦) .

وبناء على ذلك جمع برسق القوات الاسلامية ووصل امام الرها ١١٥٠م (٥٠٩هـ) وبعد ان « استراح بضعة ايام (١٤٧) » عبر الدرات وتوجه الى حلب (١٤٨) . في حين يشير متى الرهاوى الى انه توجه الى شيزر واستولى عليها ثم نهب تل باشر ومنطقة انطاكية (١٤٩) . والراجح انه بعد ان استراح امام الرها ونهب تل باشر ، توجه الى حلب ثم الى انطاكية وشيزر . وفي تلك الحملة كانت هناك جبهتان متصارعتين ، الاولى تشمل جيش برسق والثانية ضمت المعسكر الفرنجى وانضم اليها ايلغازى ابن ارتق وطغتكين امير دمشق ولؤلؤ الخصى امير حلب والوصى على ابن رضوان ، تاج الدولة ألب ارسلان (١٥٠) . وقد اوقع الفرنج هزيمة بجيش برسق بفضل مساعدات حلب لهم (١٥١) ، ولو ان البعض ينكر انه لم تقم اية معركة بين الطرفين (١٥٢) .

ثم مرت فترة ست سنوات تقريبا لم تخرج فيها حملات من قبل السلاجقة او الموصل ضد الرها ، وان كانت الرها قد تعرضت في

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.	(١٤٦)
Mattieu : Op. Cit., p. 114.	(١٤٧)
Setton : Op. Cit., p. 404.	(١٤٨)
Mattieu : Op. Cit., p. 114.	(١٤٩)
Mattieu : Ibid., p. 115.	(١٥٠)
Mattieu : Ibid., p. 115, Cahen : Op. Cit., p. 274.	(١٥١)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.	(١٥٢)

ربما يكون الفاصل هنا هو رأى ابن الأثير الذي ذكر عن تلك الحملة انه عندما توجه جيش برسق ابن برسق الى حماء للاستيلاء عليها سار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بمساحبها روجيل وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماء فلما بلغهم بلغها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام بفرقتهم فعاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادهم (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٢٧٢) .

تلك الفترة لهجمات من جانب الأراقة كما سنرى ، وفي أثناء تلك الفترة توفي الخليفة المستظهر بالله في سلاطس عشر ربيع الآخر سنة اثنى عشرة وخمسمائة (١١١٨ م) وتولى مكانه ابنه المسترشد بالله (١٥٣) . كذلك توفي السلطان محمد بن ملكشاه ابن الب أرسلان ، سلطان بلاد العراق وخراسان ٥١١ هـ (١١١٧ م) (١٥٤) . وتولى مكانه ابنه السلطان محمود (١٥٥) .

وفي صفر ٥١٥ هـ (١١٢١ م) اقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضك إليها كالجزيرة وسنجار وتصيبين وغيرها للأمير آقسنقر البرسقى (١٥٦) . وهذه هي ولايته الثانية على الموصل ، وكانت الأولى بعد وفاة مودود كما مر بنا في عهد السلطان محمد السلجوقى .

وفي ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) تولى البرسقى الى جانب حكم الموصل ، حكم حلب ، بعد استجداد أهلها به عندما انشغل عنهم حاكمها الأرتقى تيمرتاش بن إيلغازى حاكم ماردين وحلب بأموره الخاصة (١٥٧) . وقد ظلت حلب في حوزة البرسقى حتى وفاته . والواقع أن فترة حكمه لحلب كانت فترة احتكاكات دائمة بين حلب والرها . وعلى ذلك فسوف نرجىء

(١٥٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٨١ ، الباهر ص ٢٢ .
(١٥٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ، ص ١٨٠ - ١٨١
ويذكر ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٧٧ أنه توفي في ٢٤ ذى الحجة ٥١١ هـ .

(١٥٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٢ . وكان ذلك في الخامس والعشرين من ذى الحجة (الكامل ، د ٨ ص ٢٧٧) .

(١٥٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٢ ، الباهر ص ٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٢٥ هنا يذكر ابن الأثير في الكامل سبب توليته يقول « أنه كان في خدمة السلطان محمود ، ناصحا له ملازما له في حروبه كلها وكان له الأثر الحسن في الحرب بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعود عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى ونقدم الى سائر الأبراء بطاعته وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فصار إليها في عسكرة كثيرة وملكها وأقام يدير أمورها ومصلح أحوالها » .
(١٥٧) سبط بن العجوى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ ، الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٦ ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٦٥ . العبنى : عقد الجمان ، د ١٥ ص ٨٤٠ .

تناول العلاقات بينه وبين الصليبيين في تلك الفترة — أي حملاته ضد الفرنج عامة والرها خلاصه في سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) ، ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) ، ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) — إلى الجزء الخاص بالعلاقات بين حلب والرها حتى تولى حكم حلب عماد الدين زنكي ٥٢٢ هـ (١٥٨) (١١٢٨ م) .

وفي سنة ٥٢٠ هـ قتل أقسنقر البرسقي بالجامع الحقيق بمدينة الموصل بعد صلاة الجمعة بيد الباطنية (١٥٩) . فلما توفي ولى السلطان مكانه ابنه عز الدين مسعود الذي سار في الحكم سيرة حسنة ولكنه لم يلبث أن توفي ٥٢١ هـ (١٦٠) . (١١٢٧ م) بعد ثلاثة أشهر فقط قضاهما في حكم الموصل (١٦١) .

وقد استولى مسعود قبل وفاته مباشرة على اترجة (١٦٢) ، وهي التي توفي أثناء حصارها . ولم يكن لهذه الوفاة المفاجئة من نتيجة سوى أن جوسلين أسرع بالاستيلاء على رأس العين وقتل عددا كبيرا من أهلها بختفهم وأسر الباقين رجالا ونساء (١٦٣) .

وبعد وفاة مسعود قلم أخوه الأصغر بالحكم بدلا منه ومساعدته في ذلك جاولى مولى أبيه فأرسل إلى السلطان محمود يطلب « تقرير البلاد على والد آق سنقر البرسقي وبذل الأموال الكثيرة في ذلك (١٦٤) » . لكن السلطان ولى عماد الدين الزنكي على الموصل وذلك في رمضان

(١٥٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٨ .

(١٥٩) ابن الأثير : الكلبل ، د ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ، ص ٣١ .

(١٦٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٢ .

Michel : Op. Cit., p. 228 (١٦١)

(١٦٢) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٣٢٣ ، أبو الفدا ، المختصر ،

د ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردي تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٣٣ .

Michel : Ibid., p. 228.

Michel : Ibid., p. 228. (١٦٣)

(١٦٤) ابن واصل : مغرَج الكروب ، د ١ ص ٣١ ، أبو شامة :

الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ص ١٠٩ (ب) .

وكان السلطان سنجر قد ارسل الى السلطان محمد يساله ان يولى ديبس بن صدقة على الموصل فقبح الخليفة المسترشد

(١٦٥) ابن الأثير : الباهر : ص ٢٤ ، أبو شامة : الروشتين ، ح ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : مخطوط ح ٢ ص ١١١ (ب) أبو الفضائل الحموي : التاريخ المنصوري ، ١٦٤ .

ويقال ان سبب تولية عماد الدين زنكى ان الوفد المرسل الى السلطان كان يضم القاضي بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد الياغيساوى - أمير حلب البرسقى « فحضر دكة السلطان ليخاطباه في ذلك » وكان يخاصان جلولى ولا يرضيان بطاعته ، فاجتمع صلاح الدين محمد الياغيساوى ونصر الدين جقر وكانت بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وأنشئ اليه سره فخوفه نصر الدين من جلولى وتبع عنده طاعته وقرر في نفسه انه انما ابقاه وابخله لاجلته اليهم ومتى اجيب الى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم .

وتحدث معه صلاح الدين في ان يخاطب السلطان في ولاية عماد الدين زنكى وضمن له للولايات والاقطاعات الكثيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين ابن الشهرزورى ، وخاطباه في ذلك وضمن له كل ما اراده فوافقهما على مطلبهما . وربك هو وصلاح الدين الى دار الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد فقالا « انه قد علمت اتيت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تبكن الفرنج منها وقد قويت شوكتهم فاستولوا على اكرها وقد أصبحت ولايتهم من حد ملوكين الى عريش مصر - ما صعد البلاد الباقية بيد المسلمين - وقد كان البرسقى - مع شجاعته - يكف بعض هاديتهم ، فمئذ قتل زاد طمعهم وولده طغل ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع يقب عنها ويحمى حوزتها . وقد انبهينا الحال اليك لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن الاثم من الله والالوم من السلطان . فاقبى الوزير ذلك الى السلطان فشكرهما عليه ، واحضرهما واستشارهما فبين يصلح للولاية فنكرا جماعة منهم عماد الدين زنكى ، وبذلا عنه - تقربا الى خزانة السلطان - مالا جليلا ، فاجاب السلطان الى ذلك لما يطلبه من كفايته وولاه البلاد كلها .

(ابن واصل : مفرج الكروب ، ح ١ ص ٣٢ - ٣٣ ، أبو شامة : الروشتين ، ح ١ ق ٧٥) . ابن الأثير : الباهر ص ٢٥ ، ابن خلدون ، العبر ح ٥ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

ذلك (١٦٦) . وكاتب السلطان محمود « أن هذا أمان الفرنج على المسلمين وكثر سواد الكفار » فبطل هذا التدبير (١٦٧) .

تولية عماد الدين زنكى على الموصل :

وأصدر السلطان محمود منشوره بتولية عماد الدين زنكى على الموصل ، وضم السلطان اليه ولده الملك الب أرسلان أو فروخ شاه المعروف بالخفاجى ليربيه وجعل زنكى أتاكبه ومن ثم عرف زنكى بالأتاك (١٦٨) . وبالفعل تولى زنكى الموصل وولى الأمير جاولى على الرحبة وأعمالها (١٦٩) .

وفى ٥٢٣ هـ (١١٢٩ م) « سار أتاك ووطىء بساط السلطان وعاد بالتوقيع السلطانية بلك الغرب كله (١٧٠) » .

وبنذ تولى أتاك زنكى حكم الموصل هذا الى جانب « الجزيرة والرحبة وحلب مع التوقيع له بجميع البلاد الشامية (١٧١) » فانه لم يهدأ لحظة عن الجهاد الاسلامى وعن التفكير فى الحرب المقدسة ضد الفرنج . والواقع اننا اذا حاولنا الكلام عن شخصية ذلك البطل

(١٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، د ٢ ص ١١٠ (ب) ١١١ (١) .

(١٦٧) ابن العديم : زبدة الطيب ، د ٢ ص ٢٤٤ .

(١٦٨) القرمائى : اخبار الدول وآثار الاول ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٣٣ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط د ٢ ص ١١١ ، ب ، الذهبى : المعبر ، د ٤ ص ١١٢ . ويذكر القرمائى هنا أن معنى أتاك أى الذى يربى اولاد الملوك .

(١٦٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٢ ص ١١١ (ب) ، أبو شامة : الروضتين د ١ ق ١ ص ٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٣٤ ، أبو الفدا : المختصر د ٢ ص ٢٣٩ ، ابن الوردى : تقيمة المختصر ، د ٢ ص ٣٣ .

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الطيب ، د ٢ ص ٢٤٣ .

(١٧١) ابن العديم : زبدة الطيب ، د ٢ ص ٢٤٤ .

الإسلامي مانفا منجد انفسنا في حاجة الى ان نفرد لتلك الشخصية بحثا بأكمله ، لذلك سنكتفى هنا فقط بتناول جهود ذلك القائد الإسلامي العظيم ضد الرها قبل سقوطها في يده ، لنستكمل ذلك الفصل عن العلاقات السلجوقية الرهوية ، والتي مثل السلاجقة فيها ولاتهم بالموصل .

كان زنكى منذ اللحظة الاولى لتوليه حكم الموصل يفكر ويخطط للقضاء على التتوذ الصليبي في الشرق . لكنه لم يرغب ان يقتصر الأمر على حملات روتينية فقط ترسل الى الشلم ، وانما كان يرمى الى أبعد من ذلك . ولكي يحقق ما صمم عليه رأى أن يتأنى ليستطيع أن يحقق مآربه ، لذا فعندما استنجد به أهل حران سنة ٥٢١هـ (١١٢٧م) بسبب ماكانوا يعانونه من ضغط من جانب الصليبيين في الرها وسروج والبيرة وغيرها (١٧٢) ، من المراكز الصليبية التابعة لامارة الرها الصليبية ، نجده بالفعل يتقدم الى حران مستجيبا لطلبهم ولكنه اتجه الى اسلوب السيلاسة ، فأرسل الى جوسلين وهافنه حتى يتفرغ له وتم الصلح بينهما (١٧٣) . وربما كان هذا هو السبب في أن ابن العديم عند كلامه عن توجه زنكى الى حلب في تلك السنة اقتصر على القول بأنه « رمى مسكره زرع الرها (١٧٤) » .

وهكذا لم يقم زنكى بمحاولة جادة ضد امارة الرها في بداية حكمه بالموصل ، وإن كان هذا لم يمنعه من ارسال بعض القوات لمهاجمة الصليبيين في الرها وغيرها بين حين وآخر من ذلك انه ارسل ٥٢٤هـ (١١٢٩ - ١١٣٠م) ألفى فارس لمهاجمة معرة مصرين - وهي للفرنج - ماغارت تلك القوة على تل باثر ولوقعوا بخيل من الفرنج وقتلوا منهم جماعة كبيرة (١٧٥) . كذلك حدث حوالي ١١٣١م - ٥٢٦هـ أن

(١٧٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٢٥ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ٧٧ ، ابن خلدون المعبر ، ج ٥ ص ٢٢٤ يذكر الأخير أن ذلك كان ٥٢٣هـ اما متى الرهاوى فيذكر أنه كان ١١٢٨م - ٥٢٢هـ Mattieu : Op. Cit., p. 148.

(١٧٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٢٥ .
(١٧٤) ابن العديم : زبدة الطب ، ج ٢ ص ٢٤٤ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٧٢ .
(١٧٥) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ٣ مخطوط ، ص ٢٠ (ب) .

توجهت قوات زنكى أمير الموصل ضد الرها ولكن الصليبيين تصدوا لهم وهزمهم واضطروهم للفرار (١٧٦) .

سلاجقة قونية وإمارة الرها :

المقصود هنا بسلاجقة قونية ، سلاجقة الروم . وجد هذه الدولة ومنشئها هو سليمان بن قتلмыш بن اسرائيل بن سلجوق (١٧٧) . فبعد موقعة ماتيكرت افسطس (١٠٧١ م - ٤٦٣ هـ) التي منى فيها البيزنطيون بهزيمة منكرة (١٧٨) ، جاء سليمان بن قتلмыш الى آسيا الصغرى ، وتمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة ربايعها تقريبا (١٧٩) . وقد اختار سليمان مدينة نيقية لتكون مراكزا له وهى المدينة التى أصبحت أول عاصمة لسلطنة سلاجقة الروم فى الانقشول حتى حلت محلها قونية . والواقع انه فى ١٠٩٢ م / ٤٨٥ هـ قامت سلطنة قونية على يد تلج ارسلان الاول بن سليمان (١٨٠) .

كانت أولى احتكاكات سلاجقة قونية بإمارة الرها ، فى عهد تلج ارسلان بن سليمان بن قتلмыш (١٨١) . وهو الذى امتد حكمه من ١٠٩٢ م الى ١١٠٧ م (١٨٢) / ٤٨٥ - ٥٠٠ هـ (١٨٣) . ذلك انه وصل فى ٤٩٩ هـ (١١٠٦ م) فى عسكر كثير وقصد الرها ونزل قريبا منها فارسل اصحاب جكرمش المقيمون بهران يستدمونه لتسلطها اليه ، فوصل اليهم وتسلطها منهم واستبشر الناس بوصله الى الجهاد واقام اياما

-
- (١٧٦) Michel : Op. Cit., p. 233.
(١٧٧) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سلاجقة .
(١٧٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 344 (1968),
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٨٦ (١٩٣٥ م) ،
سميد عاشور : الحركة ، ج ١ ، ص ٨٨
(١٨١) سميد عاشور : الحركة ، ج ١ ، ص ٩٠ .
(١٨٠) نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .
(١٨١) ابن القلائسى : الخيل ، ص ١٥٠ .
(١٨٢) Grousset : Hist des Crois. V. 2, p. 6.
(١٨٣) زامبور : معجم الانساب ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

ولكنه مرض مرضا أوجب عسوقه الى ملطية في حين اقام اصحابه
بحران (١٨٤) .

ويشير متى الرهاوى الى هذه الحملة بأنها كانت في ١١٠٦م اي
(٤٩٩ هـ) ويضيف الى ما سبق ان قلع ارسلان قدم بجيش هائل
وحاصر الرها لبضعة ايام مؤملا ان يصبح سيد هذه المدينة لكنه
اخفق . وعند انسحابه استولى على حران بعد ان اخضع الجهات المجاورة
ام عاد الى بلاده (١٨٥) .

وفي ٥١٨ هـ (١١٢٤م) يذكر متى الرهاوى ان سلطان ملطية العلجوتى
كان من جملة اعضاء التحالف الفرنجى الاسلامى ضد حلب وهو التحالف الذى
كان يضم الملك بلعوين الثانى وجوسلين الاول ودييس بن صدمه
وأخريين (١٨٦) والذى سنتكلم عنه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد ،
وهذا يعنى انه كانت هناك علاقات ود وتحالف بين سلاطين الروم فرع
ملطية وبين الرها . كما يعنى ايضا ان سلطنة سلاجقة الروم او سلاطين
قونية تفرع عنها سلطنة حكمها فرع من السلاجقة في ملطية (١٨٧) .

(١٨٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

Mattieu : Op. Cit., p. 82

(١٨٥)

Mattieu : Ibid., p. 142.

(١٨٦)

لفى نفس الصفحة توجد حاشية تذكر ان
ابو الفرج قد عين اربعة ابناء لقلج ارسلان الاول السابق الذكر وهم :
مسعود وملكشاه وعرب وطغرل ارسلان . خلف الاول والده واتخذ
اقامته في قونية وترك اخويه عرب وطغرل ارسلان في ملطية وسجن
ملكشاه بواسطة غازى الدانشمندى وحرّم من النظر . وعلى ذلك يكون
اما عرب واما طغرل ارسلان هو الذى يشير اليه متى الرهاوى هنا .

اما رنسيمنان فيشير الى انه حوالى ١١١٨م (٥١٢ هـ) كان الذى
يحكم في ملطية هو الأخ الأصغر لطغرل وهو مسعود تحت وصاية ابيه
وزوجها الثانى بلق بن ارتق لكن ربما كان يقصد هنا عرب وليس
مسعود باعتبار ان الأخير كان في قونية .

Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 207-8.

(١٨٧) يؤكد هذا ما ذكر عن أنه « عند بداية حكم الإمبراطور يوحنا

=

وفى ١١٣١م (٥٢٦ هـ) قام جوسلين بحملة ضد سلطان قونية ولكن جوسلين توفى أثناءها (١٨٨) . ويذكر ميخائيل السرياني أنه بعد أن علم (ايلغازى) - والصحيح هو مسعود بن قلعج أرسلان ١١١٦ - ١١٥٥م (١٨٩) (٥١٠ - ٥٥١ هـ) (١٩٠) - بوفاة جوسلين الأول أوقف المعركة وأرسل تعازيه وكتب الى الفرنج تلك الكلمات « لن اشتبك معكم فى معركة اليوم ، كى لا يقال اننى أحرزت النصر على جيشكم نتيجة لوفاة ملككم (١٩١) » .

وينهم من تلك العبارات أن جوسلين توفى قبل احرازه النصر فى تلك المعركة وان كان وليهم الصورى يشير الى أن العدو انسحب قبل أن يموت جوسلين (١٩٢) .

ويبدو أن العلاقات ظلت هادئة بين الجانبين الرهوى وسلاجقة الروم الى ١١٣٨م (٥٣٣ هـ) عندما يخبرنا ابن العبري « أن مسعود حاكم قونية هاجم اقليم كيسوم واستولى على القرى وحرقها (١٩٣) » . وبعد ذلك بحوالى احدى عشر عاما ١١٤٩م (٥٤٤ هـ) اى بعد سقوط الرها بنحو خمس سنوات « أوغل مسعود بن قلعج أرسلان جنوبا فى بلاد الشام بجيش هائل فاستولى على عديد من المدن والقلاع وحاصر تل بائر ونهب جوسلين الثلقى وزوجته واطفاله . ثم ساد السلام

الثانى امبراطور بيزنطة وخليفة الكسيوس من ١١١٨م - ١١٤٣م كان يحيط بملكه فى آسيا امارات تركية سلجوقية ثلاث : مسعود فى قونية وما جلورها وملك غازى فى سيواس وجهاتها وطفرل أرسلان بن قلعج أرسلان فى ملطية وتوابها « (اسد رستم : الروم ، ٢ ص ١٤١) .
William : Op. Cit., V. 2, p. 52, Michaud : V. 2, p. 101. (١٨٨)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6. (١٨٩)

(١٩٠) زامبور : معجم الانساب ، ٢ : ص ٢١٥ .
Michel : Op. Cit., p. 232. (١٩١)
William : Op. Cit., V. 2, p. 52. (١٩٢)
Bar Hébraeus : Op. Cit., V. 1, p. 265. (١٩٣)

بين الجانبين بعد أن أطلق الأمير جوسلين سراح كل رعايا السلطان الذين كانوا في أسره (١٩٤) « .

علاقة الرها بحلب وضواحيها :

احتلت حلب (١٩٥) مكانا بارزا الى جانب الموصل في العلاقات بين الرها والمسلمين ، بقدر ما بنا كيف كانت حلب تحت حكم رضوان ابن تنش بن الب أرسلان السلجوقي عند قدوم الصليبيين . وقد ظلت حلب تحت حكم السلاجقة حتى حوالي ٥١١ هـ (١١١٧ م) عندما استولى عليها الأرتقة — كما سنرى .

والراجع انه لم يكن هناك أى احتكاك مهم بين حلب والرها في عهد أميرها الأول بلدوين البولوني . ولكن في بداية عهد بلدوين دى بورج ، وفي ٤٩٦ هـ (١٠٢٠ م) على وجه التحديد خرج الجيشان الانطاكي والرهوي وتوجها الى حلب « واثابوا بها اياها (١٩٦) » ويمعد مفاوضات بينهم وبين الملك رضوان اتفقوا على أن يدفع لهم « سبعة آلاف دينار وعشرة رؤوس من الخيل ويطلقوا الأسرى » ثم خرج فرنج الرها من تل باشر واغاروا على « بلاد حلب الشمالي والشرقي وأحرقوه وتكرر ذلك منهم (١٩٧) » .

وقد مر بنا ما كان من أسر بلدوين دى بورج وجوسلين سنة ١١٠٤م

William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

(١٩٤)

(١٩٥) تشير (انسا كومنين) في الالكسياذة الى أن حلب كانت تسمى برويا Berroea أو خالب Chalep (Anna Comnena : The Alexias, p. 355.)

أما ياقوت الحموي : معجم البلدان - د ١ ص ١٢٧ فيشير الى اسم مشابه لذلك عندما يسميها اباروا) عن يحيى بن جرير الطبيب التكريتي النمراني . (١٩٦) ابن المديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٤٧ ، الطباخ الطبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩٠ .

(١٩٧) المصدرين السابقين نفس الصفحات :

(٤٩٧ هـ) الى ان تم اطلاق سراح بلدوين ١١٠٨ م (٥٠٢ هـ) على يد جاولى بعد اتفاق تم بينهما على أساس دفع فدية عن بلدوين لجاولى . ثم أطلق جاولى سراح جوسلين أيضا وسيره الى بلدوين كي يرسل الاسرى والمال الذي اتفقا عليه « فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها . وكان معه مجموعة من اصحاب الامير جاولى فأنكروا عليه ذلك واعتبروه غسرا (١٦٨) فرد عليهم جوسلين بقوله « ان هذه البلاد ليست لكم (١٦٩) » .

وبالرغم من ان بلدوين دى بورج أطلق بالفعل — كما تعهد لجاولى — حوالى « مائة وستين أسيرا من المسلمين كلهم من سواد حلب بعد أن كسبهم (٢٠٠) » ، الا أنه في نفس ١١٠٨ م — ٥٠٢ هـ « خرج الملك رضوان من حلب ليتسلم الرقة فظهر في طريقه بسبعين رجلا من الفرنج معهم المال الذى قرره الأمير جاولى سقاؤه على قمص الرها فاخذ الملك رضوان المال وقتل جماعة من الفرنج واسر جماعة وتسلم الرقة من بنى نمير وعوضهم قلمة الجسر (٢٠١) » .

(١٦٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ص ٢٢ (أ) ،
الطبائخ الحلبي : المصدر السابق ، د ١ ص ٣٩٩ .

(١٦٩) ابن خلدون العبر ، د ٥ ص ١٩١ (وهو يذكر ان ذلك كان
٥٠٣ هـ — ١١٠٩ م ولكن الراجع انه اخطأ في ذكر السنة) .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 435.

(٢٠٠) العيني : عقد الجبان ، د ٣ م ١٥٥ ص ٦٢٨ ،
Grousset : Ibid., V. 1, p. 436

(٢٠١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ص ٢٤ (ب)،
١١٢٥ . أما العيني عقد الجبان ، د ٣ م ١٥٥ ص ٦٣٩ ، الطبائخ الحلبي :
اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٠ فيذكر « أنه بينما كان الملك رضوان متوجها
من حلب الى الرقة لتجديتها من بنى نمير الذين استولوا على البلدة من
على بن سالم بن مالك ، وقتلوه . وعند صفين صادف رضوان تسعين
رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى
جاولى فاخذه واسر عددا منهم فلما وصل الرقة صاحبه بنو نمير على
مال فرحل عنها الى حلب » .

وفي سنة ٥٠٨ هـ ١١١٤م توفي الملك رضوان صاحب حلب - وهو الذي سبق ان اشرنا الى تحالفه مع تنكريد ٥٠٢ هـ (١١٠٨ م) - وخلفه في حلب ابنه تاج الدولة الب ارسلان الأخرس تحت وصاية لؤلؤ الخمي . وعندما علم لؤلؤ بأن السلطان أرسل برسق بن برسق على رأس حملة ضد الفرنج ٥٠٩ هـ - ١١١٥م ، خشي أن يستولى برسق على حلب ولذا انضم الى الجانب الفرنجي الذي سبق ان اشرنا ان طفنتين حاكم دمشق وايلغازي كانا قد انضما اليه (٢٠٢) .

وهكذا يبدو ان حلب في علاقتها مع الفرنج في ذلك الدور كانت تنضم في غالبية الأحيان الى الجانب الفرنجي وخاصة امارة انطاكية القريبة منها . هذا وان كانت قد وقفت على الحياد في حركة الجهاد التي قسام بها مودود ١١١١م (٥٠٥ هـ) والتي جاءت أصلا نتيجة لاستئجار حلب بالخليفة . واخيرا أدى تخوف رضوان من السلاجقة أكثر الى أن يعلن لمودود أنه لا يمكنه الاتحاد معهم لأنه اضطلع مع تنكريد وأنه يحتفظ بالحياد (٢٠٣) .

وفي سنة ٥١١ هـ (١١١٧م) دخلت حلب في حوزة الاراقة . وانتهت حسالة الهدنة التي كانت قائمة بين حلب والفرنج . ففي هذه السنة « اشتد الغلاء بأنطاكية وحلب لأن الزرع مرق ولحقه هواء عند أدراكه اطله (٢٠٤) » . وعندئذ انتهز الفرنج الفرصة واغاروا على حلب واخذوا « ما لا يحصيه الا الله » . فاستنجد الأهالي بدمشق ولكن جوسلين ومعه عساكر الفرنج أوقفوا تلك النجدة . وفي نفس الوقت استنجد أهل حلب بالموصل ولكن بدون جدوى بسبب عدم استقرار أحوالها (٢٠٥) . ثم نزل الفرنج على اعزاز « وضايقوها واشرفت على الأخذ وانقطعت قلوب أهل حلب إذ لم يكن يقى حلب معونة الا من عزاز وبلدها وبقيّة

Mattieu : Op. Cit., p. 115. (٢٠٢)

Grousset : Hist. des Crois., V, 1, p. 455. (٢٠٣)

(٢٠٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٨١

(٢٠٥) المصدر السابق ص ١٨١ - ١٨٢ .

بلد حلب في أيدي الفرنج والشرقي خراب مجسب (٢٠٦) « لذا استنجد
اهل حلب بإيلغازي بن أرتق ، محضر الى حلب وملكها من سلطان شاه
بن رضوان بن تتش ٥١١هـ (٢٠٧) .

وهكذا أصبح ايلغازي حاكما على ماردين وحلب ، وحاول عن طريق
التفاوض مع الفرنج ٥١٣هـ (١١١٩ م) أن يجعلهم يرحلون عن اعزاز
مقابل اعطائهم مبلغا من المال « فلم ياتفتوا لقوة طمعهم في امر
الاسلام ، وكان ايلغازي يعجز بحلب عن قوت الدواب وحلب على حد
القتل (٢٠٨) » . فلما يئس اهل عزاز سلموها الى الفرنج فتم الصلح
بينهم وبين حلب على اساس ان يساهوا للفرنج تل هراق (٢٠٦) والى دينار
وتكون لهم من حلب شمالا وغربا . وزرعوا امسال عزاز ومصار
يدخل الى حلب ما يبتاعون به من القوت (٢١٠) .

وفي نفس سنة ١١١٩م (٥١٢هـ) واستنادا الى ما ذكره متى الرهاوي
يبدو انه حدث خلاف بين ايلغازي وبين روجر حاكم انطاكية مما جعل الاول
يجمع جيشا كبيرا يبلغ حوالي ثمانين الف رجلا ويتوجه ضد انطاكية ووصل
بقواته هذه امام اسوار الرها حيث توقف اربعة ايام ثم اتجه الى

(٢٠٦) المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٢٠٧) المصدر السابق ص ١٨٦ ، الذهبي : العبر د ٤ ص ٣٦ اما
أبو الفضائل الحموي : التاريخ المنصوري ص ١٦٢ فيذكر أن دخول
ايلغازي حلب وفتح الفرنج لامزاز كان ٥١٢هـ . في حين يشير ابن العديم :
بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣١٠ ، « ان الفرنج استولوا
على عزاز في شهر رمضان ٥٠١هـ (١١٠٧ م) ولقى اهل حلب منهم
شدة عظيمة الى ان فتصها نور الدين محمود بن زنكي في ٥٥٤هـ «
والراجح ان التاريخ خطأ بدليل ان ابن العديم نفسه هو الذي فكر
انها اخذت سنة ٥١١هـ .

(٢٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٨٦ .

(٢٠٩) يذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، د ٥ ص ٤٥ (انها
من حصون حلب الغربية) .

(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٨٦ .

الفرات وعبره (٢١١) . أما ميخائيل السرياني فيشير الى أن ايلغازي جمع بعض القوات في تلك السنة وغزا بلاد الرها واحرق المحاصيل . وعندما لم يجد أحدا يخرج لمنزلته رجع ودخل اقليم انطاكية واخذ معه بعض الأسرى ثم عاد الى بلاده (٢١٢) .

أما ابن العديم فيشير الى أن ايلغازي توجه في ٥١٣هـ « في عسكر يزيد على أربعين ألفا وقطع الفرات وامتدت عساكره في أرض تل باشر وتل خالد (١١٣) وما يقاربها يقتل وينهب ويأسر وغنموا كل ما قدروا عليه (١١٤) » .

ومهما يكن بين الروايات السابقة من تباين فانها تشير الى الدور الإيجابي الذي قام به ايلغازي الأرقى في تلك السنة ضد الرها .

وقد رد جوسلين في بداية حكمه للرها على تلك المحاولات المداونية من جانب ايلغازي بالاعارة على « منبج والنقرة وأعمال حلب الشرقية » ، واخذ كل ما وجده من دواب وأسر رجالا ونساء (١١٥) .

وفي ١١٢٠م (٥١٤هـ) قاد ايلغازي من جديد حملة ضد الفرنج وهي الحملة التي تركت أثرا واضحا على الرها والتي ذكرها متى الرهاوي بالتفصيل . ذلك أنه خرج على رأس قوات كبيرة بلغت مائة

(٢١١) Matthen : Op. Cit., p. 122.

ويقال أن تلك الحملة كانت في بداية شهر يونيه ١١١٩م .
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 412-13)

(٢١٢) Michel : Op. Cit., p. 205.

ربما تكون هذه هي الحملة التي أشار اليها
(Iorga : Brève Hist., p. 82).

عندما ذكر أن ايلغازي قاد حملة غير ناجحة ضد الرها في ١١١٩م .
(١١٣) يذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان : د ٥ ص ٤١ أنها تلعبة من نواحي حلب .
(١١٤) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ١٨٧ الطباخ الحنبى .
د ١ ص ٤٣٠ .

(١١٥) ابن العديم : المصدر السابق د ٢ ص ١٩٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 415.

وثلاثين ألف محارب . وتوجه مسرعا الى أسوار الرها حيث حسكر
ألمها أربعة أيام حرب خلالها كل الحقول ثم عبر الى سروج واجتاز الفرات
بجزء كبير من قواته وانتقل من تل بآشر الى كيسوم . وهكذا ظل يقتتل
ويأسر وينهب ويخرب حتى جمع الأمير جوسلين قواته وخرج لمطاردة
الأتراك ، واقتضى عليهم وقتل ألفا وعنفذ انسحب ايلغازي ليعسكر
قرب عزاز (١١٦) . وهناك اجتمع الفرنج في جانب واجتمع ايلغازي
وطغتكين في جانب آخر . لكن لم يحدث بينهما اشتباك ما بل عفت هنة
بين الطرفين تناول فيها ايلغازي للفرنج في انطاكية عن « المعرة وكفر طاب
والجبل والباردة وضياعا من جبل السماق برسم هاب وضياعا من ليلون
برسم تل اقدى ، وضياعا من عزاز برسم عزاز (١١٧) » .

ويبدو ان ايلغازي عقد تلك الهدنة حتى يستطيع اعادة تنظيم قواته
من جديد وحتى يتمكن من اضافة فرق جديدة الى جيشه ثم يعود
ثانية الى مهاجمة الفرنج . وبالفعل نجده يتوجه بعد تلك الهدنة « الى
ماردين ليجب العسكر (١١٨) » . بعد ان ترك يحلب ابنه شمس الدولة
سليمان بن نجم الدين ايلغازي مع ثاقبه مكي ابن قرناص الحموي (١١٩) .

ورغم الهدنة القائمة بين ايلغازي والفرنج فان جوسلين أمير الرها

Mattieu : Op. Cit., p. 127, Cahen : Op. Cit., p. 291. (١١٦)

ويذكر ابن العديم : ان ذلك كان في ٢٥ صفر ٥١٤ هـ (ابن العديم : الزبدة ،
د ٢ ، ص ١٩٥) .

(١١٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦ وهو يسمى
تلك الواقعة (موقعة دانيث) وكفر طاب بلدة بين المعرة ومدينة حلب
(ياقوت : معجم البلدان ، د ١٦ ص ٤٧٠) . وجبل السماق هو جبل
عظيم من أعمال حلب الغربية (ياقوت : د ٥ ص ١٠٢) لما ليلون ويقال
ليلول فهو جبل مائل على حلب بينها وبين انطاكية (ياقوت د ١٧ ص ٢٩) .

(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٩٦ .

(١١٩) المصدر السابق ص ١١٨ — ١١٩ .

غدر بالصلح واغار على النقرة والأخص (١٢٠) واحتج بأنه أسر له وإلى منبج أسيرا وأنه كاتب في ذلك فلم ينصف وذلك في شوال ٥١٤ هـ / يناير ١٢١١ م (١٢١) . وقتل وسبى وأحرق كل ما في النقرة والأخص ، ثم أخذ المشايخ والمجانز والضعفاء فنزع عنهم ثيابهم وتركهم في البرد عراة فهلكوا جميعهم (١٢٢) . ثم عاد إلى تل باثر وخرج من جديد فكرر ما فعله في المرة السابقة . لذلك أرسل وإلى حلب إلى ملك بيت المقدس يقول « أن نجم الدين لم يترك هذه البلاد خالية من العساكر إلا ثقة بالصلح » فكان رد الملك « مالى على جوسلين يد » وبذلك تتابعت غارات جوسلين (١٢٣) .

وعندما وجد جوسلين أن أيلغازي قد انشغل عن أمر الشام في مارد بن بديس بن صفقة (١٢٤) ، توجه إلى حلب « واستولى على معقله (١٢٥) » ، كما أفسار على صفين جنوب الفرات وسبى العرب والتركمان ونزل بزاعة والواقعة شمال حلب قرب وادي بطنان ونجح في خرق جزء من جدرانها ، ولم يرفع حصاره عنها إلا بعد أن دفع له

(١٢٠) يذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، د ١ ص ١١٤ أن الأخص بناوح حلب كورة كبيرة مشهورة ، قصبتها خناصره وهي المدينة التي كان ينزلها عمر بن عبد العزيز .

(١٢١) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٩٧

(١٢٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة .

(١٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ١ ص ١٩٧

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٤) ابن العديم : المصدر السابق ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ويفسر ذلك بقوله « أنه في هذه السنة هرب ملك العرب ديبس بن صفقة الأسدي فآكرمه نجم الدولة ملك ثم سار إلى أيلغازي إلى مادين وتزوج ابنته فأنشد به وأجاره ووصل معه الأموال العظيمة والنعمة الوافرة وحمل إليه أيلغازي ما يقوت الأحصاء فاشتغل أيلغازي بديبس عن العبور إلى الشام .

(١٢٥) ابن العديم : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

مبلغا من المال (١٢٦) . وفي مايو ١١٢١م (٥١٥ هـ) هاجم جوسلين قلعة الأنارب الى الجنوب الشرقي من حلب وأحدث منبحة ضخمة في أهلها من المسلمين (١٢٧) .

منفذ « كتب ايلغازي الى ولده ونوابه يأمرهم بصلاح الفرنج على ما يريدون فصالحوهم على سرمين والجزر وابلون وأعمال الشمال على انها للفرنج . وما حول حلب للفرنج فيه النصف حتى أنهم ناصفوهم في رضى العربية وعلى أن يهدم تل هراق بحيث لا يبقى للفتن فيه حكم (١٢٨) » . كذلك طالب الفرنج بتسليم الأنارب فوافق ايلغازي لكن الامالى ناضلوا بسدة من أجلها لذا احتفظ المسلمون بها (١٢٩) .

ولما كانت تلك الشروط مجحفة باهل حلب فانهم لم يستكينوا فخرجوا ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) في عدد هائل الى عزاز لكن الهزيمة حلت بهم وقتل عدد كبير منهم (١٣٠) .

وفي نفس السنة تقدم ايلغازي من ماردين الى حلب ليقاوم الفرنج بعد أن جمع جيشا كبيرا وبعد أن وصل الى حلب اتجه الى شيزر فاجتمع ملك القنس وجوسلين أمير الرها لمقاومته ولكن لم يفتح اى اشتباك بينهما وعاد كل منهما الى بلاده في سبتمبر ١١٢٢م (١٣١) .

(١٢٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٣٠٢ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ص ١٩٨ ،

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٧) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٠٩ من ابن العديم

محمد أحمد حسين : أسامة بن منقذ ، ص ٤٦ .

Setton : Ibid., p. 416.

والأنارب قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية (ياقوت : د ١ ص ٨٩) .

(١٢٨) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ١٩٩ . وهو يذكر أن جوسلين كان ممن تولوا المفاوضات .

(١٢٩) ابن العديم المصدر السابق نفس الصفحة

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416.

(١٣٠) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٠٥ .

Mattieu : Op. Cit., p. 131, William : Op. Cit., V. 1, p. 537. (١٣١)

وفي الوقت الذي دخل فيه ايلغازي حلب توجه بك ابن اخيه ليقتني
اثر الفرنج حتى تمكن كما راينا من قبل من أسر جوسلين نفسه ومعه
ابن خالته جاليران (١٣٢) .

ورغم أسر امير الرها جوسلين الا ان ذلك لم يمنع فرنج الرها من
محاربة اهل حلب انتقاما منهم لما حدث لرئيسهم فتوجه فرنج الرها في
شعبان ٥١٦ هـ - اكتوبر ١١٢٢ م « من تسل باشر وكسوا تسل
قباسين (١٣٣) ، فخرج النائب بيزاعا مع اهلها فالتقوا وانهزم المسلمون
وقتل منهم تسعون رجلا (١٣٤) » .

وفي رمضان ٥١٦ هـ - نوفمبر ١١٢٢ م « توفي ايلغازي بن ارتق ابن
اكسب نجم الدين التركماني الذي كان فارسا شجاعا كثير الغزو كثير
المطاء مولى بمعه مارددين ابنه حسام الدين تهرتاش (١٣٥) » .

وقد راينا كيف أسر الملك بلدوين الثاني نفسه مع جوسلين وجاليران
ثم كيف اقلت جوسلين من الاسر ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) وعاد الى الرها
ليجمع نجدة من انطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس (١٣٦) .
ولكن عندما علم بعودة بك الى خرتبرت واحتجازه للملك مرة اخرى ثارت
ثأثرته وقسم بالمسيدين من اعمال التخريب في اقليم حلب ٥١٧ هـ (١١٢٣ م)

Mattieu : Ibid., p. 131, William : Ibid., V. 1, p. 540, (١٣٢)

سماء متى الرهاوى واليران Michel : Op. Cit., p. 201.

(١٣٣) قرية من قرى المواسم من اعمال حلب (ياقوت الحوى :
معجم البلدان ، د ٥ ص ٤٣) .

(١٣٤) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٠٦ ،

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(١٣٥) الذهبي العبر ، د ٤ ص ٣٦ ، زامبور : معجم الانساب ، د ٢

ص ٣٤٥ ، محمد احمد حسين : اسامة بن منقذ ، ص ٢٧ ويضيف الاخير ان
ابنه شمس الدولة سليمان استولى على ميفارقين ، في حين كانت حلب من
نصيب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق .

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 456, Setton : (١٣٦)

Op. Cit., V. 1, p. 420.

وهي السنة التي تعتبر من أهم سنى الصراع بين الرها وحلب لما شهدته من اشتباكات جمة بينهما . وقد وضح في كل أطوار تلك العلاقات في هذه السنة دور الهجوم من جانب جوسلين ، فقد رأى أن ذلك هو خير وسيلة للدفاع عن حدوده الخاصة وحدود إمارة أنطاكية المدومة النيادة (١٣٧) .

والواقع أن الفرنج اتفقوا على أن يخفوا فشل الحملة الموجهة لانقاذ الملك بأن يوجهوا جهودهم الى أعمال التخريب بحلب ، (١٣٨) ؛ انتقاما لآسر الملك مرة أخرى . فسار جوسلين بمن معه ٥١٧هـ / ١١٢٣م الى «الوادي وقاتل بزاعا ولحرق بعض جدارها ثم أحرق الباب وقطع شجرة وأحرق ما سواه من الوادي . ثم نزل جيلان ثم حلب من ناحية مشهد الجف من الشمال» وخرّب المشاهد والبساتين وكسر الناس عند مشهد طرود بالقرب من بستان النقرة وقتل وسبى مقدار عشرين نفرا (١٣٩) .

ثم رحل « ونزل الجانب الغربى في البقعة السوداء وخرّب مشاهد الجانب القبلى وبساتينه ونهش الضريح الذى به مشهد الدكة فلم يجد فيه شيئا فالقى فيه النار (١٤٠) » . وفي رمضان « نزل السعدى وقطع شجرة (١٤١) » .

(١٣٧) Setton : Ibid., V. 1, p. 420.

(١٣٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Setton : Ibid., 420.

(١٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء د ١ ص ٥٠ ويزاعة بلدة من أعمال حلب في وادى بطنان بين منبج وحلب (ياقوت : معجم البلدان ، د ٥ ص ٤٠٩) أما جيلان فهي قرية من قرى حلب فيها عين تصل مياهها الى حلب (ابن العديم زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤) .

(١٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ القزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٦ .

(١٤١) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، د ١ ص ٥٠ (المقصود هنا رمضان ٥١٧هـ) .

إمارة الرها الصليبية - م ١٢ ١٧٧

هنا يذكر ابن العديم انه كرد فعل لنش جوسلين اضرحة المسلمين سنة ٥١٧هـ (١١٢٣م) امر قاضي حلب ابن الخشاب بموافقة مقدمي حلب ان تهدم محاريب الكنائس التي للنصارى بحلب وان تعمل لها محاريب الى جهة القبلة وتغير ابوابها وتتخذ مساجد (١٢٢) . ولم يبق للنصارى في حلب سوى كنيسة (١٤٣) .

(١٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤ — ٢١٥ اما ابن شداد (ت ٦٨٤هـ) ، سبط بن العجمي (ت ٨٨٤هـ فيذكر ان تحويل الكنائس الى مساجد كان سنة ٥١٨هـ ١١٢٤م . والراجع ان ذلك كان سنة ٥١٧هـ استنادا لراى ابن العديم (ت ٦٦٠هـ) فمثلا ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، د ١ ق ١ ص ٥٠ فيذكر « انه كان بحلب نيف وسبعون هيكل للنصارى منها الهيكل العظيم عندهم الذي بنته هيلانه أم قسطنطين باني القسطنطينية وهى التى بنت كنائس الشام كلها والبيت المقدس وهذا الهيكل كان في الكنيسة العظمى التى هى تجاه الجامع الغربى وكانت هذه الكنيسة معظمة عندهم ولم تزل على ذلك الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ » .

اما سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ مخطوط ص ١٩١ فيذكر انه كان بقلعة حلب جرس عظيم يعلق على برج من أبراجها ، على هذا الجرس سنة ٤٩٦هـ وسبب تعليقه ان الفرنج لما ملكوا انطاكية طبعوا في حلب وضواحيها ، فسالهم رضوان بن تاج الدولة تتش ، ماقتروها عليه اشياء من جبلتها ان يعلق هذا الجرس بقلعة حلب ويضع صليبا على منارة المسجد الجامع موافق . فأنكر القاضي أبو الحسن بن الخشاب — الذى كان بيده زمام البلد — وضع الصليب على منارة الجامع ، لذا راجع رضوان الفرنج في ذلك فاذا نوافق وضعه على الكنيسة العظمى فلم يزل بها الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ ونهبوا ما حولها من القبور فاخذ ابن الخشاب الكنائس ورمى الصليب ، اما الجرس فظل باقيا حتى ٥٨٧هـ وربما كان الخطا في تحديد السنة هو الذى جعل سامى الدهان ينشر ذلك الجزء من أحداث سنة ٥١٧هـ تحت سنة ٥١٨هـ .

(ابن العديم : الزبدة ، د ٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦) اما أهم الكنائس التى حولت الى مساجد فيذكر ابن العديم ص ١٤ — ١٥ « فعل ذلك بكنيستهم العظمى ، وكنيسة الحدادين وكنيسة بدرب الحراف وهى مكان مدرسة ابن المقدم » اما الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٦ فيقول (كنيسة هيلانه والحدادين وموغان والمقدمية) .

(١٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٥ .

وفي تسع عشر رمضان ٥١٧ هـ ١١٢٣ م خرج جوسلين الى الوادي والنقرة والأخص وأخذ ما يزيد على خمسمائة فرس من الدواب والبقر والغنم والجمال ما لا يحصى وقتل وسبى وخرب ما أمكنه وعاد الى تل باشر (١٤٤) - ثم أغار جوسلين على اقليم شبختان واستولى على كل ما كان موجودا به (١٤٥) . كذلك أغار جوسلين « على الجبول (١٤٦) » . وما حولها وأخذ دواب كثيرة وتوجه الى دير حافر وهي قرية بين حلب وبلس ففتح أهلها بالدخان في المخابر وفتح المقابر وسلب الموتى لكتانهم (١٤٧) « .

وهكذا كانت حلب هي أكثر المناطق الإسلامية تعرضا لتخريب جوسلين بعد هربه من الأسر ويعد أن اضاع بك عليه الفرصة في اطلاق سراح الملك بلدوين الثاني .

وفي صفر ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) توجهت مجموعة من أصحاب بك بن بهرام الى عزاز فوقع بينهم وبين الفرنج موقعة انتصر فيها الأتراك وأخذوا من الفرنج حوالي أربعين رجلا وفر الباقون الى عزاز وهم مصابون بجراح كثيرة (١٤٨) . وفي نفس السنة وقعت موقعة منبج بين بك ابن أرتق من ناحية وبين حاكم منبج وجوسلين من ناحية أخرى وهي التي راح ضحيتها بك نفسه .

(١٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٥ : المعنى : عقد الجمان ، د ١٥٥ ص ٨٢٨ .

(١٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٦ .

Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٤٦) قرية كبيرة الى جنب ملاحه حلب ، ينصب فيها نهر بطنان ونهر الذهب ثم يجرد ملحا فيمتار منه كثير من بلدان الشام وبعض الجزيرة (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، د ٥ ص ١٠٧) إما ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٨ فيسميها الجبل .

(١٤٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٦ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ص ٢١٨ .

(١٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٧ ، الطباخ الطبى : د ١ ص ٤٥٢ .

ذلك ان حسان بن كمشتكين كان يحكم منبج (١٤٩) منذ ١٠٩١ م (١٥٠)
 (٤٨٥ هـ) تقريبا . وفي ٥١٨ هـ (١٢٤ م) حدث سوء تفاهم بين حسان
 وبلك فاتفذ بلك اليه جيشا مع ابن عمه تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق (١٥١) .
 « وتقدم اليهم ان يهروا على منبج ويطلبوا من حسان ان يخرج معهم
 للأغارة على تل باشر فاذا خرج قبضوه (١٥٢) » . وبالفعل نفذوا ما
 طلبه منهم بلك وأخذوا حسان أسيرا « حيث حبس في حصن بالو بعد
 ان عوقب وعرى وسحب على الشوك (١٥٣) » .
 ورغم ذلك التعذيب الذى وقع بحسان ، رفض اخوه عيسى ان
 يسلم البلد الى اتباع بلك . بل أكثر من ذلك أرسل عيسى يستجد بجوسلين
 أمير الرها قائلا : « ان وصلتنى وكشفت عنى عسكر بلك سلمت
 اليك منبج (١٥٤) » .

وعندما رأى بلك تشدد عيسى فى موقفه جمع بعض القوات وسار
 ضد الفرنج وتوجه أولا الى حلب ومنها توجه لهاجمة منبج (١٥٥) .
 فى نفس الوقت كان جوسلين قد توجه الى بيت المقدس وطرابلس

(١٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٨ . الطباخ نفس الصفحة .

(١٥٠) Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٥١) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٨ Setton : Op. Cit.,
 V. 1, p. 422,

(١٥٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة ، الطباخ : د ١
 ص ١٥٢ .

(١٥٣) المصدرين السابقين نفس الصفحات . ويذكر ابن العديم هنا
 ان بالو قلعة حصينة وبلدة من نواحي ارمينية بين أرزن الروم وخلاط .

(١٥٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٨ (وهو يذكر أيضا
 ان عيسى نادى بشعار جوسلين بمنبج ايا متى الرهاوى فيذكر ان
 الاستجداد كان بجوسلين وجيوغرى .

(Mattieu : Op. Cit., p. 138), Michel : Op. Cit., p. 211.

Cahen : Op. Cit., p., 298, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422.

Mattieu : Op. Cit., p.p. 137 - 138. (١٥٥)

وبقية المراكز الصليبية يجمع القوات لحرب بك (١٥٦) .

وكان ان التقى الجيش الصليبي مع جيش بك الأرمني بالقرب من منبج في يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول ٥١٨ هـ ، ٤ مايو ١١٢٤ م (١٥٧) .
ويصف لنا متى الرهازي تلك المعركة فيقول أن الاشتباك كان مخيفا .
ورغم ان أعداد المسلمين فاقت أعداد الصليبيين الا ان كفة الصليبيين كانت هي الراجحة في البداية ، فطوقوا الأتراك وأجبروهم على الفرار .
ولكن مجموعة من الأتراك تمكنت من تطويق أمير مرعش — جيوفري —
ومعه مجموعة من نبلاء الصليبيين ، وقتلوا بعضهم وعندما سمع جوسلين بذلك هرب متجها الى مدينته تل باشر (١٥٨) .

اما ابن العديم فيصور لنا نفس المعركة بقوله : « اقتتل المسكران وانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى آخر النهار . وحمل فيهم بك ذلك اليوم خمسين حملة يفتك فيهم ويخرج سالبا ، يضرب بالسيف ويطنع بالرمح ولا يكلم ، وعاد الى منبج فبكت مصليا مبتهلا الى الله تعالى لما جدد على يده من الظفر بالفرنج (١٥٩) » .

وفي اليوم التالي تجدد القتال بعد ان تخلص بك من كل أسراء في اليوم السابق (١٦٠) ، وأعطى بك أوامره بتشديد الهجوم « وهو في غيرة مفرحة بنجاحه (١٦١) » . في اليوم السابق . ولكن بينما

Mattieu : Ibid., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422, (١٥٦)

وكان أهم المنضمين الى جوسلين وقتذاك جيوفري أمير مرعش الى جانب أمير دلوک .

Cahen : Op. Cit., p. 298

(١٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢١٨ — ٢١٩

• Mattieu : Ibid. p. 138,

Mattieu : Ibid. p. 138, (١٥٨)

(١٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢١٩

(١٦٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢١٩ .

Mattieu : Op. Cit., p. 139. (١٦١)

وقف بك يدبر المعركة اذ جاءه سهم من القلعة قتله في الحال (١٦٢) ، عندئذ استدعى « تمرتاش بن ايلغازى وعهد اليه بحكم بلاده (١٦٣) » ، ومن جعلتها حلب (١٦٤) . وعندئذ فكت قواته الحصار عن منبج (١٦٥) . ويصور متى الرهاوى صدى موته بقوله « سبب موته فرحة عامة بين الفرنج ، ولكن على العكس بالنسبة للبلاد التابعة له فقد حملت الحزن العميق فقد كان دائما مشهود له بالتسامح والعطف على الارمن الذين تحت نفوذه (١٦٦) » ، وهذا يدل بالفعل على تسامحه مع الارمن لان متى الرهاوى كان ارمنى الجنسية .

وبوفاة بك تشجع نائباً جوسلين بالهجوم على اقليم شبختان في مايو ١١٢٤م ، اواخر ربيع الاول ٥١٨هـ (١٦٧) . « فاغار على شبختان ونهبها فمسار اليه نائب تمرتاش بحلب وهو عمر الخالص الذى ركب اليه في ثلثمائة فارس فلاحقه على مرج اكساس فقاتله وقتل اكثر من

(١٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٩ ، ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٥ ،

Mattieu : Op. Cit., p. 139, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 423, V. 2, p. 876.

ويذكر ابن العديم (انه قيل ان السهم كان من يد عيسى فوقع في ترقوته البصرى فاتزعه وبعث عليه وقال « هذا قتل المسلمين كلهم » ومات لوقته) اما متى الرهاوى فيقول ان قاتل بك كان احد عباد الشمس . (Mattieu : Op. Cit., p. 139)

(١٦٣) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٥ .
Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٤) العيني : عقد الجبان ، د ١٥ ص ٨٢٤ — ٨٢٥
Setton : V. 1, p. 423,

Mattieu . Op. Cit., p. 139, Cahen : Op. Cit., p. 298. (١٦٥)

Mattieu : Ibid., p. 139, (١٦٦)

Setton : Op. Cit., V. I, p. 423, (١٦٧)

ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٠

كان معه من الفرنج وعلم غاتيا وأنفذ رؤوسهم وما غنمه الى تمرتاش الى حلب (١٦٨) . لذا كافأ تمرتاش عمر الخاص بمنحه حكم حلب (١٦٩) . ومضى تمرتاش الى ماردين في الخامس والعشرين من رجب (١٧٠) .

لم يمض شهر واحد حتى حوصرت حلب من جديد بواسطة الفرنج في شعبان ٥١٨ هـ (١٧١) (أكتوبر ١٢٤٤ م) (١٧٢) . اذ حاصرها الملك بلدوين الثاني وجوسلين أمير الرها (١٧٣) . فضلا عن دبس بن صدقة أمير العرب وسليمان شاه بن رضوان وآخرين (١٧٤) . وهو ما سنتناول اسبابه بالتفصيل عند الكلام من بنى مزيد . وقد أقام الفرنج وحلفاؤهم الحصار على حلب وارتكبوا الكثير من الفظائع التي

(١٦٨) ابن العديم : المصدر السابق والمفحة ، الطباق الحلبى ، اعلام النبلاء ، د ١ ص ٥٤ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423, (١٦٩)

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٣ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١٥ ص ٨٤٠ (من ابن العميد) .

(١٧١) ابن العديم : المصدر السابق والمفحة . لما التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥١٩ فيذكر أن ذلك كان ٥١٩ هـ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, Setton. (١٧٢)

Op. Cit., V. 1, p. 452.

(١٧٣) يسميه التاريخ المظفرى ، حوادث ٥١٩ هـ (جوسلين الرومى)

Mattieu : Op. Cit., p. 141-142, Setton : Op. Cit., V. 1 (١٧٤)

p. 452, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 876-877.

ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، سبط بن العجبي : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ .

فصلها لنا ابن العديم (١٧٥) . وسيط بن العجمي (١٧٦) . بل أن الفرنج هزموا على أن يداوموا حصار المدينة لمدة طويلة حتى يجبروا أهلها على التسليم لهم « حتى أنهم بنوا لهم بيوتا لأجل الحر والبرد (١٧٧) » . ويقال أن الحصار استمر حوالى أربعة أشهر (١٧٨) . وكان يحلب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار والحاجب عمر الخصاص ومعهما قرابة خمسمائة فارس (١٧٩) .

وقد فكر أهل حلب في أن يرسلوا إلى تيمرتاش يستنجدون به وبالفعل خرج وفد منهم إلى ماردين « مسترخين اليه ومستغيثين (١٨٠) » . ولكنه ثم يجدهم لأسباب أوردتها بعض المصادر الإسلامية ، فعضها يتكرّر « أنهم وجدوا أن أخاه سليمان بن أيلغازى صاحب ميقاتين كان قد توفى في رمضان وسار

(١٧٥) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ . فقد فكر أن الفرنج « اتكلموا على حلب يزاهدونها وقطعوا الشجر وخرّبوا المشاهد الكثيرة ونبتشوا قبور موتى المسلمين ، واخذوا نوابيتهم إلى الخيم وجعلوها أوعية لطعامهم ، وسلبوا الأكفان ومعدوا إلى من كان من الموتى لم تنقطع أوساله . فربطوا في أرجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين . . . » .

(١٧٦) سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ . فقد قال : « أكل أهل البلد القطاط في هذه الشدة ولمّا طال الحصار عليهم وقتلت أزوادهم وقع عليهم المرض والفناء » .

(١٧٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٦ ، المعينى : مقد الجمان ، د ١٥ ص ٨٣٩ كرد على : خطط الشام د ١ ص ٢٠٤ .

(١٧٨) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم ، حوادث ٥١٩ هـ .

(١٧٩) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الطبى ، د ١ ص ٥٧ ، أما ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٩٥ فيذكر « أن حلب كانت قد خلت من الرجال ولم يبق فيها غير مئتين وستين رجلا » .

(١٨٠) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الطبى ، اعلام النبلاء ، د ١ ص ٥٧ وكان تيمرتاش قد تولى أمر ماردين من ٥١٦ هـ وظل بها حتى ٥٤٧ هـ . (زامبور : معجم الأسماء ، د ٢ ص ٣٤٥) .

تمردت إلى البلاد ليلتها واستغل بملك تلك البلاد عن حلب (١٨١) .
 والبعض يقول « أنه قال لهم خلّوهم إذا أخذوها عتت وأخفتها (١٨٢) » .
 والبعض يشير إلى أنه « ظهر لهم من أصحابهم تمرتتش بن أيلغازي
 الوهن والعجز والفتور (١٨٣) » . وآخرون ينكرون « لم ينجدهم صاحبها
 تمرتتش لا يثاره الرفاهية والدعة (١٨٤) » .

وكان أن اتجه أهل حلب إلى طلب النجدة من آقسنقر
 البرسقي (١٨٥) . الذي كان مريضاً ، فنذر أن عافاه الله تعالى ليفرج
 من حلب الشدة (١٨٦) . فلما شنّى توجّه إلى حلب « فلما قاربها
 رحل الفرنج ونزلوا على جبل جوش وأبعدوا عن المدينة ، فلما وصل
 ساق ومسكر خلفهم مع أهل البلد فانهزموا بين يديه (١٨٧) »
 وحفظت المدينة (١٨٨) . ويقال أن ذلك كان بتأييد الطبيعة (١٨٩)

(١٨١) ابن المعديم : نفس المصدر والصفحة .
 (١٨٢) سبط بن العجّى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ .
 (١٨٣) ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣١٦ ، العيني : عقد الجبلان ،
 د ٥٨ ص ٨٣٩ .
 (١٨٤) القزّي : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٦ ، كرد علي ، خطط الشام ،
 د ١ ص ٣٠٤ .
 (١٨٥) يسميه ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٩٤ — ٤٩٥ (ككجك
 الرقيق) .

(١٨٦) التاريخ المظفر : ميكرو فيلم حوادث ٥١٩ هـ .
 (١٨٧) سبط بن العجّى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ .
 (١٨٨) Mattiey : Op. Cit., p. 142.
 (١٨٩) يذكر ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٩٥ أن الفرنج « أقاموا
 على حلب تسعة أيام فلما كان اليوم العاشر ، تشاور أهل حلب ، على
 أنهم يخرجون ويطلبون الأمان من القتل . فلما كان بعد العصر أرسل
 الله عز وجل سيلاً عظيماً أخذ الفرنج ودوابهم وجميع ما لهم » . أما
 العيني : عقد الجبلان ، د ١٥ ص ٨٤٠ — ٨٤١ (عن ابن العميد) =

وان وصول آقسنقر البرسقى الى حلب كسان في ذى الحجة ٥١٨هـ
يناير ١١٢٥م (١٩٠) .

وبذلك انتهت فترة الحنكم الأرتقى لحلب واستكمال العلاقات
الحلبية الرهوية من ذلك الوقت وحتى استولى عليها عماد الدين زنكى ،
يصبح مكملا للعلاقات بين ولاية الموصل والرها كما سبق أن اشرنا .

وفي ربيع الآخر ٥١٩هـ (١٩١) ١١٢٥م جمع الأمير سيف الدين قسيم
الدولة آقسنقر البرسقى صاحب حلب والموصل عدسكركه واستولى
على كفر طاب من الفرنج ثم سار الى قلعة عزاز التي كانت تابعة
لامارة الرها (١٩٢) . وكان يصحب آقسنقر في حملته هذه طفتكين
حكيم دمشق بعد أن تم التحالف بينهما (١٩٣) . وقدر متى الرهاوى
جيشهما « بأربعين ألف رجل من صفوة الفرسان (١٩٤) » .

= فيذكر انه « في اليوم التاسع جاء قد عظيم في نهر قويق وذلك قبل
العصر فاحض خيام العدو وفرق خلق خلق كثير وتلف لهم عظيم » .

(١٩٠) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٦

Mattieu : Op. Cit., p. 142,

المعنى : مقد الجبان ، د ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

(١٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٣١ ، الطباخ الحلبى :
اعلام النبلاء د ١ ص ٤٦١ .

(١٩٢) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٨ ، ابن الفرات : تاريخ
الدول والملوك د ٢ ص ٩٢ (ب) ، روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ
احداث ٥١٩هـ ، أبو اللدا المختصر ، د ٢ ص ٢٢٨ ، ابن الوردي : تنمة
المختصر ، د ٢ ص ٣٣ ، الفزى : نهر الذهب ، د ٢ ص ٨٧ ، أما ابن
خلدون : العبر ، د ٥ ص ١٩٩ فيسميها (عزز) .

Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24, (١٩٣)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 425.

Mattieu : Ibid., p. 143.

(١٩٤)

والواقع ان غالبية المصادر العربية اكتفت بالإشارة الى هذه الحملة اشارة موجزة بقولها « انتقل المسلمون والفرنج فانهزم البرسقى وقتل من المسلمين خلق كثير (١٩٥) » . ولم يشر اليها بشيء من التفصيل منهم سوى ابن الفرات (١٩٦) ، في حين وصفها متى الرهاوى وصفا تفصيليا (١٩٧) .

ومهما يكن من امر فقد عقدت هدنة بين البرسقى والفرنج على « ان ينصفهم في جبل السماق وغيره مما كان بأيدي الفرنج (١٩٨) » ثم رحل البرسقى الى الموصل ليجمع المسلكر ويعاود القتال (١٩٩) . بعد ان ترك في حلب ابنه عز الدين مسعود (٢٠٠) . واصطحب معه ابنه ملاك بيت المقدس وابن جوسلين الى قلعة جعبر حيث اودعهم هناك ثم رحل الى الموصل (٢٠١) .

ولم يكد آتسقر يرحل الى الموصل حتى تقدم الفرنج الى رمنية فاخذوها من ابنه في صفر ٥٥٢٠ هـ (٢٠٢) (١٢٦٦ م) فخرج صاحبها شمس الخواص الى آتسقر مستنجدا وعندئذ جع ليارسقى الجشد وسار الى الشام فوصل الرقة في اواخر شهر ربيع الآخر ثم « نزل

(١٩٥) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٨ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٣٣ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥٥١٩ هـ الفزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٧ .
(١٩٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ص ٩٢ (ب) .
Mattieu : Op. Cit., p.p. 143-144. (١٩٧)

(١٩٨) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٢١ .
Mattieu : Op. Cit., p. 145, (١٩٩)

ابن الفرات : مخطوط ، د ٢ ص ٩٢ (ب)
(٢٠٠) ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، الفزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٧ .
Mattieu : Op. Cit., p. 145, (٢٠١)

(٢٠٢) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٣٢ ، الطباق الطبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٦٢ .

بالنقرة على الناعورة واقام به اياما والفرنج يرسلونه فراسله جوسلين على ان تكون الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة (٢٠٣) . فانفق على ذلك . وفي جمادى الآخرة رحل البرسقى الى الأثارب فتوجه اليه ملك القدس وجوسلين وطلبوا منه أن يرخل عن الأثارب ويعود الوضع بينهما الى ما كان عليه ٥١٩ هـ (١٢٥٠ م) ويعيدوا اليه الأثارب فصالحهم على ذلك لأنه « خشى أن يتم على المسلمين ما تم على عزاز (٢٠٤) » . ثم غدر به الفرنج واستمر تردد الرسل بين الجانبين وكل منهما متربص بالآخر وفي النهاية نفذت امدادات الفرنج فعادوا الى بلادهم وعاد البرسقى الى حلب (٢٠٥) .

وبعد وفاة البرسقى خلفه ابنه عز الدين مسمود : لفترة قصيرة ثم توفي هو الآخر . وبعد وفاته حدثت فوضى في حلب وعاد اليها الحكم . الارتقى لمدة سنة تقريبا (٢٠٦) . فانتهز جوسلين امير الرها فرصة الفوضى الموجودة في حلب وتقدم اليها ٥٢١ هـ (١٢٢٧ م) « فنصنع بمال واتصرف عنها (٢٠٧) » .

ويذكر ميخائيل السرياني انه حدث في نهاية ١٢٢٧ م (٥٢١ هـ) ان اجتمع الأتراك والفرنج في سهل حلب للقتال ولكن الأتراك خافوا واتفقوا على اعطاء جوسلين اثنا عشر الف ديناراً سنوياً في مقابل اقرار السلام .

(٢٠٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ، ص ٢٣٢ ، الطباخ : د ١ ص ٤٦٢ .

(٢٠٤) ابن العديم : د ٢ ص ٢٣٣ ، الطباخ : د ١ ص ٤٦٣ .

(٢٠٥) ابن العديم : د ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، الطباخ : د ١ ص ٤٦٣ .

(٢٠٦) يذكر الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٨ انه في ٥٢١ هـ ولى قتلغ حلب وبعد ايام ظهر منه جور وعسف عظيمان وبذ يده الى الاموال لا سيما التركات وقرب اليه الاشرار منفرت منه القلوب وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الارتقى الذى كان صاحبها قديماً فاطاعه اهل البلد واقاموه واليا يوم ٢ شوال ٥٢١ هـ .

(٢٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب : د ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٨ .

ثم دبر الاتراك مؤامرة لدهس السم لجوسلين ولكن محاولاتهم باءت
بالشلل (٢٠٨) .

ثم انقضت بعد ذلك حوالى ثلاث سنوات بدون اشتباكات تقريبا
بين حلب والرها وهى الفترة التى استولى خلالها عماد الدين زنكى على
حلب ووطد سلطانه فيها من ٥٢٢هـ (١١٢٨م) .

وفى ٥٢٥هـ (١١٣٠م) كان نائب زنكى بحلب هو سوار
بن ايتكين (٢٠٩) . فوقعت بينه وبين جوسلين وقعة بناحية حلب
الشمالية فانتصر فيها جوسلين وقتل من المسلمين جماعة (٢١٠) .

لكن لم تمض سنة حتى تجيع الاتراك فى اقليم حلب فتصدى لهم
جوسلين ، فلما علموا ذلك دخلوا اقليم تل بائر ونهبوه (٢١١) . وبعد
ان ترك الاتراك حوالى سبعين فارسا فى المكان ليحرسوه خرجوا لمنازلة
الفرنج مرة اخرى ، ولكن الاتراك تريضوا لهم وابادوا الفرنج جميعا (٢١٢) .
وهذه هى الموقعة التى اصيب فيها جوسلين الاول بكسور شديدة فى كل
جسمه والتى اودت بحياته فى النهاية (٢١٣) .

وفى مستهل حكم جوسلين الثانى ١١٣٢م (٥٢٧هـ) اوقع الامير سيف الدين
سوار بفرنج تل بائر وقتل منهم خلقا كثيرا (٢١٤) . وفى العام التالى
١١٣٣م (٥٢٨هـ) اغارت فرسان الرها على شمال حلب فواقع بهم
سوار وحسان صاحب منبج وقتلوهم بأسرهم وحملوا الرؤوس
والاسرى الى حلب (٢١٥) .

-
- Michel : Op. Cit., p. 224. (٢٠٨)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6. (٢٠٩)
(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٤٧ ، الطباخ : د ١
ص ٤٧٨ .
(٢١١) بن العديم : زبدة الحلب : د ٢ ص ٢٥١
Michel : Op. Cit., p. 233,
Michel : Ibid., p. 233. (٢١٢)
Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 6. (٢١٣)
(٢١٤) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٧٩ .
(٢١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٥٢ ، الطباخ : د ١
ص ٤٨٠ .

ومرت حوالى تسع سنوات لم تتم فيها أى اشتباكات تقريبا بين الرها وحلب ولكن فى ١١٤٢/٥٣٧م يذكر ابن العديم « ان ملك انطاكية خرج الى وادى بزاعا فخرج سوار مردهم الى بلد الشمال واجتمع سوار وجوسلين بين العسكرين فاتفق الصلح بينهما (٢١٦) » .

اما المعنى فيشير الى ان جوسلين هو الذى « اغار على شط الفرات وسبى خلقا ثم وقع الصلح بينه وبين سيف الدين اسوار (٢١٧) » .

هكذا استطعنا ان نلم بعلاقة الرها بالسلاجقة فى فارس ونوابهم فى الموصل البلد الرئيسى لدير ريبة فى الجزيرة (٢١٨) . كذلك علاقة الرها بسلاجقة قونية ثم بسلاجقة حلب كى نصل منها الى اولى العلاقات الارتقية بالرها منذ دخلها ايلغازى ٥١١هـ حتى ٥١٨هـ (١١١٧ م — ١١٢٤ م) عندما استنجد اهل حلب بالبرسقى وظلت تحت تبعيته وتبعية اولاده الى ان استولى عليها عباد الدين زنگى .

ولكى نستكمل علاقة الرها بالاراتقة ، لابد وان نشير الى اراتقة سروج الذين تناولناهم بالبحث عند دراسة ضم سروج الارتقية للرها فى عهد اميرها الاولين ، لذا لا داعى لاعادة دراسة ذلك الفرع مرة اخرى .

علاقة الرها بالاراتقة ماردين :

اما اراتقة ماردين فقد مر بنا ايضا بعد استيلاء بلدوين دى بورج على سروج من بلك الارتقى ٤٩٤هـ (١١٠٠ م) ان هذا الانتصار شجع بلدوين على الاغارة على المنطقة المجاورة لماردين واسر الكثيرين .

فقد ذكر لنا متى الرهاوى انه فى ١١٠٣ — ١١٠٤ م (٤٩٦ — ٤٩٧ هـ) « جمع بلدوين دى بورج بعض القوات وقام بحملة عسكرية ضد الأتراك فى اقليم ماردين فلبادهم واسر اميرهم (٢١٩) » .

(٢١٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٢١٧) المعنى : عقد الجبلان ، ج ١٦ م ١ ص ١٣٢ .

(٢١٨) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 70.

كذلك نستطيع ان نلم بجسائب كبير من علاقات الرها بماردين من خلال علاقات الرها بحلب ، لأن حكام ماردين الأراتقة مدوا نفوذهم الى حلب فترة طويلة كما اثرننا (٥١١ - ٥١٨ هـ / ١١١٧ - ١١٢٤ م) وبعد ذلك أصبحت العلاقات بين أراتقة ماردين فقط - بعد مد ولاة الموصل سلطتهم على حلب - وبين الرها .

ففى عهد جوسلين الأول وبالتحديد حوالى ١١٢٠ م (٥٢٥ هـ) حدث صدام بين حكام ماردين وإمارة الرها (٢٢٠) . وفى بداية حكم جوسلين الثانى استمرت العلاقات العدائية بين الرها وأراتقة ماردين اذ حدث ١١٣١ م (٥٢٦ هـ) « أن طلب احد الأمراء الأراتقة من حكام الدين حاكم ماردين أن يتخلى له عن إقليم شبختان ليحارب الفرنج . فدخل بصورة متتالية إقليم الرها ونهبه ولكن لحق به حوالى ستمائة فارس فرنجى وقتلوا ألف تركى وقبضوا عليه . فأحرقوه على باب الرها . ثم استولى جوسلين على قلعة شبختان ونكها تماماً (٢٢١) » .

علاقة الرها بإراتقة ديار بكر :

أما عن أراتقة ديار بكر فيقال انهم كانوا قد تحالفوا مع الأرمن فى الرها ضد السيادة الفرنجية فى البداية المبكرة لإمارة الرها الصليبية وذلك ١٠٩٨ م (٢٢٢) (٤٩٢ هـ) وهى المؤامرة التى كشف امرها بلدوين البولونى ونكل بالمشتركين فيها او المشتبه فيهم .

ولكن يبدو ان هذا الفرع من الأراتقة تحالف مع إمراء الرها فى أواخر عمر إمارتهم بحليل ما ذكر من انه « فى خريف ١١٤٤ م هاجم زنكى قرا ارسلان الأمير الأرمنى لدير بكر ، الذى كان قد تحالف مع جوسلين فمبار جوسلين خارج الرها بكل جيشه جنوبا الى الفرات ليحصى حليفه ويقطع بطريقة مريبة اتصالات زنكى مع حلب (٢٢٣) » .

-
- Michel : Op. Cit., p. 246. (٢٢٠)
Michel : Ibid., p. 233. (٢٢١)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, Runciman : (٢٢٢)
Op. Cit., p. 211 عن (Albert).
Runciman : Ibid., V. 2, p. 235. (٢٢٣)

علاقة الرها بآمد :

ولما كانت مدينة آمد تعبر المدينة الرئيسية في ديسلر بكر (١٢٢٤) ، لذا رأينا ان نورد علاقتها بالرها في هذا المكان من البحث . وقد انقسمت علاقتها بالرها خاصة في عهد جوسلين الاول الى نوعين : علاقات حربية وعلاقات دينية . اما عن الاولى ففي ١١٢٨ م (٥٢٢ هـ) يشير ميخائيل السرياتي الى « أن جوسلين غزا بلاد آمد ونهب الأتراك والأكراد وخرّب القرى حتى أبواب المدينة لأن الأتراك غزوا اقليم الرها بينما كان جوسلين في انطاكية : ملحقت بهم قوات آمد (٢٢٥) » .

اما في الجانب الديني فيشير ميخائيل ايضا الى انه في ١١٢٩ م (٥٢٣ هـ) « أثّر حاكم ماردين ضد البطريرك اثناسيوس Athanasius بسبب حرمانه لبطريرك آخر اسمه اسحاق ومنعه في نفس الوقت من الخروج من آمد . وفي الواقع ان حاكم ماردين أرسل أكثر من مرة يطلب السماح عن اسحاق هذا وطلب من البطريرك العفو عن اسحاق فلم يوافق أبدا ثم حرض الأمير على ألا يترك البطريرك يخرج من آمد وقيل له : « ان هذا البطريرك رجل مومن وعن قريب سوف يموت هنا وتأخذ انت ثروته » . ولما بقي البطريرك بآمد — كما لو كان في سجن — أرسل الى جوسلين حاكم الرها يطلب منه أن يتشفع له لدى أمير آمد . وبصورة عاجلة أنبأ جوسلين لأمير آمد هذه الكلمات « اذا لم تطلق سراح البطريرك فسأخرب البلاد » . وهكذا سمح الأمير للبطريرك بالرحيل . فخرج من آمد الى الرها لي شكر جوسلين ، ومن هنا صعد الى دير ماربارسوما (٢٢٦) .

(Mar Bar Sauma)

ولاستكمال علاقات الرها بالاراتنة نشير الى انه في ٥٢٣ هـ (١١٢٨ م) « هزم جوسلين الاول علي بن صاحب حصن كيفا (١٢٢٧) » . والمرجح انه كان داود بن سقمان الارمني (٢٢٨) . لأن المعروف ان حصن كيفا

Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢٢٤)

Michel : Op. Cit., p. 22.

(٢٢٥)

Michel : Ibid., p. 228.

(٢٢٦)

(٢٢٧) العيني : عقد الجمان ، د ١٦ م ١ ص ٢٠ .

(٢٢٨) زامبور : معجم الانساب ، د ٢ ص ٣٤٤ (من ٥٠٢ هـ —

٥٣٩ هـ) .

كان إحدى القلاع الأرتقية . كان أول من ملكها منهم سقمان الأرتقي نفسه أخو إيلغازي وذلك ٤٩١ هـ (٢٢٩) (١٠٩٧ م) .

والى جانب العلاقات الأرتقية والسلجوقية بالرها فقد عثرنا على بعض العلاقات بإمكان أخرى تركية ولكن لم يكت ذكرها الا في سنة واحدة أو اثنين ولذا أوردناها في نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عامة . فمثلا أخرى تركية ولكن لم يكت ذكرها الا في سنة واحدة أو اثنين ولذا أوردناها في نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عامة . فمثلا نجد انه كتبت للرها علاقة بالعقيليين في قلعة جعبر بدأت عذائية ثم تحولت الى علاقة ودية في عهد جوسلين الأول أمير الرها . وربما يرجع ذلك الى الدور الذي لعبه ديبس بن صدقة بينهما . « مغل ٩٧ هـ (١١٠٣ م) » أشار الفرنج من الرها على الرقة وقلعة جعبر فاستاقوا المواشي وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين وكانت القلعة والرقة لسلطان بن مالك ابن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه ٤٧٩ هـ (٢٣٠) .

ويشير اسمه بن منقذ الى انه في عهد جوسلين الأول « أغار جوسلين على الرقة والقلعة وأخذ كل ما عليها وسبى وساق غنائم كثيرة ونزل مقابل القلعة لمركب نجم الدولة مالك صاحب القلعة زورقا وعبّر الفرات الى جوسلين وكان بينهما معرفة قديمة (٢٣١) ، وملك عليه جميل . وظن جوسلين ان في الزورق رسولا من ملك فجاءه واحد من الفرنج وقال « هذا ملك في الزورق » فقال « ما هو صحيح » فاعتبر آخر قال « قد نزل ملك من الزورق وهو جاسني يمشي » . فقام جوسلين والتقاء وأكرمه ورد عليه جميع ما كان أخذه من الغنائم والسبي (٢٣٢) .

(٢٢٩) القرماتي : أخبار الدول ، ص ٢٧٨

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 451.

(٢٣٠) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٢٢٠ ، ابن الوردي تنبيه

المختصر ، ج ٨ ص ١٤ ، زامبور معجم الانساب ، ج ٢ ص ٢٠٦ .
(٢٣١) بسبب علاقة ديبس بن صدقة بمالك وتوسط الأخير له عند جوسلين كما سنرى .

(٢٣٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٩٠ .

إمارة الرها الصليبية - م ١٣ ١٩٣

كذلك اغار جوسلين سنة ٥١٤هـ (١١٢٠ م) على العريسلان
والتركمان النازلين بصفين قربقرية جعبر على الفرات « فغنم من اموالهم
ومواشيهم شيئا كثيرا » (٢٣٣) .

ومن العلاقات التركية الرهوية ما ذكره ميخائيل السريتي في ١١٣٤م
(٥٢٩ هـ) « انه عندما توجه جوسلين للصلاة في القدس نهب
الأتراك بقسوة كل الاقليم وخرّبوا واحرقوا قرية حصارم (٢٣٤) » .

علاقة الرها ببني داتشمند :

سبق ان راينا انه عند قيام اماره الرها الصليبية كان شرق
الاناضول تحت حكم امير تركي قوى هو الملك غازي محمدستكين
بن الداتشمند حاكم سيواس (٢٣٥) .

حقيقة ان ما عثرنا عليه في المصادر والراجع بالنسبة لعلاقة الرها
بالاتراك من بني داتشمند يعتبر بسيطا لكن هذا لا يمنع من الإشارة اليه .

كانت أولى تلك العلاقات وأهمها في المصادر هي علاقة الرها
ببني داتشمند في سيمساط منذ قيام الإمارة - كما سبق أن
اشرنا (٢٣٦) . يلي ذلك أنه عندما أسر الأمير الداتشمندي ، الأمير
بوهيوند كان يلهل أيضا أن يأسر الأمير بلديون البولوني ومما يدل على
ذلك ما ذكره (البرت) على لسان ابن الداتشمند عندما قال : « اني
أمل في الحصول على بلديون ذاته كما حصلت على بوهيوند في وقت
قصير (٢٣٧) » .

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٢ ، أبو الفدا : المختصر ،
د ٢ ص ٢٣٤ ، ابن الوردي تكملة المختصر ، د ٢ ص ٢٨ : العيني : عقد
الجهان ، د ١٥ ص ٧٦٨ ، الطبّاخ الطبّي اعلام النبلاء ، د ١
ص ٤٣٦ - ٤٣٥ .

Michel : Op. Cit., p. 253.

(٢٣٤)

(٢٣٥) زابور : معجم الانساب ، د ٢ ص ٢٢٠ حكم من ٤٧٧ هـ
لى ٤٩٥ هـ .

(٢٣٦) انظر ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢٣٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII., T. 4, p. 525.

وفي ١١٤١م « توفي غازی الدائشمندی (٢٢٨) فلم يكن الاحتفاظ
بوحدة ارضه اذ استقر ابنه ذی النون في قيصرية (٢٣٩) واحد اخوة
المتوفى المسمى يافى سين احتل سيواس كما احتل أحد بنی دائشمند
ايضا ملطية وبذلك صارت هناك عندئذ ثلاث امارات لبني
دائشمند هذا الى جانب مسعود السلجوقي في قونية والذي اتحد
مع ذی النون في مواجهة امرة الرها (٢٤٠) » .

علاقة الرها ببني مزيد في الحلة :

وبالنسبة لعلاقة امرة الرها ببني مزيد في الحلة ، فيجدر بنا
أن نعطي نبذة عن الحلة وملوكها المعاصرين لامرة الرها الصليبية
ثم موقتها من الامارة . والحلة هي مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت
تسمى الجلمعين (٢٤١) . اختطها الأمير سيف الدولة بن بهاء الدولة
الأسدي الناصري ، صدقه بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد
سنة خمس وتسعين وأربع مئة (٢٤٢) . وسامعه على ذلك انشغال
سلطين السلاجقة من اولاد ملكشاه ابن الب ارسلان بالخلافات بينهم
خليفة بركياروق ومحمد وسنجر (٢٤٣) وكانت لجة ياوي اليها السباع
فنزل بها باهله وعسكره وبني بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة
وقد قصدها التجار فصار افضل بلاد العراق واحسنها في حياة

(٢٣٨) كما ذكر زامبور : معجم الانساب ، د ٢ ص ٢٢٠ هو
ابو المظفر محمد بن ناصر الدين بن كيشكين (توفي ٥٣٧هـ) .
(٢٣٩) تولى ذو النون عماد الدين بن محمد سنة ٥٣٧هـ في سيواس
زامبور : معجم الانساب د ٢ ص ٢٢٠ .

Cahen : Op. Cit., p. 365.

(٢٤٠)

(٢٤١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، طهران
١٩٦٥ (منشورات مكتبة الأسد رقم ٧ ، ص ٣٢٢ .
(٢٤٢) الذهبى : المعبر ، د ٤ ص ١ ، سبط بن العجمي : كنوز
الذهب ، د ١ ص ٥٢ وهنا نجد زامبور يذكر أن سيف الدولة صدقه
تولى حكم الحلة من ٤٧٩ الى ٥٠١ هـ (زامبور : معجم الانساب ، د ٢
ص ٢٠٧) .

(٢٤٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان (المصدر السابق) ص ٣٣٢ .
ص ٢٤٥ - ٤٣٦ .

سيف الدولة صدقة فلما قتل بليت على عمارتها(٢٤٤) . وكانت تسمى
أيضا الحطة السيفية (٢٤٥) أو الحلة المزينة (٢٤٦) . كان صدقه هذا
يلقب بملك العرب(٢٤٧) . وفي ٥٠١ هـ (١١٠٧ م) قتل سيف الدولة
صدقه(٢٤٨) ملك العرب بعده ابنه نور الدولة أبو الاغر(٢٤٩) .

وقد لعب ديبس دورا ايجابيا في تأييد الفرنج ضد المسلمين وكانت
بينه وبين الخلفاء العباسيين في تلك الفترة خلافات شديدة ، ربما هي التي
دفعته الى اتخاذ مثل هذا الموقف وخاصة خلاله مع المسترشد بالله
« اذ خرج ديبس عليه أكثر من مرة (٢٥٠) » . وكان يذهب القرى ويزرع
البلاد (٢٥١) . وفي ٥١٢ هـ (١١١٨ م) طلب ديبس من السلطان محمود
« ان يرده الى الحلة وغيرها مما كان أبوه يتولاه من الاعمال فاجابه الى
ذلك وولاه ما كان أبوه يتولاه من ذلك فمعظم ورع شأنه (٢٥٢) » .

والواقع ان أكثر السنوات التي برز فيها التحالف بين الأمير ديبس

(٢٤٤) ياقوت : المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٢٤٥) الذهبى : العبر ، د ٤ ص ٢ .

(٢٤٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥٢ .

(٢٤٧) الذهبى : العبر ، د ١ ص ١ ، ٢ ، ٧٨ ، ابن الجوزى بالمنتظم ،
٩٠ ص ٣٢ .

(٢٤٨) الذهبى : المصدر السابق ص ١ هنا يفكر ابن الفرات تاريخ
الدول والملوك د ١ مخطوط ص ١٤ (١) أنه لما قتل اصف السلطان
محمد ملكته اليه وولاه اصحابه فدخلها الخبط والفساخ .

(٢٤٩) ابن الجوزى : المنتظم ، د ١٠ ص ٥٢ الذهبى : العبر د ٤
ص ٧٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب د ١ ص ٥٢ ، زامبور : معجم
الانساب ، د ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٥٠) الذهبى : العبر ، د ٤ ص ٧٨ سبط بن العجمى : كنوز
الذهب ، د ١ ص ٥٢ .

(٢٥١) ابن الجوزى : المنتظم ، د ١٠ ص ٥٣ .

(٢٥٢) ابن شلكر الكتبى : ميون التواريخ ميكروفيلم بدار الكتب
د ١٣ رقم ١٦٧٢ تاريخ ص ٧٩ .

العربي وبين إمارة الرها هي ١١٢٤ م (٥١٨ هـ) أي في عهد الأمير جوسلين دي كورتساي . اذ يبدو أنه تم تحالف سرى بين ديبس وبين الفرنج بعد الصراع الشديد بينهما وبين الخليفة المسترشد ، ولذا أراد ترمثاش بن ايلغازي حاكم حلب ان يأمن جانب ديبس . وكان الملك بلدوين الثاني قد انتقل من سجن بلك بعد وفاته الى حلب (٢٥٣) ، وعندئذ بدأت مفاوضات بين الملك بلدوين وبين ترمثاش ، استقر الرأي فيها على ان يسلم الملك في مقابل اطلاق سراحه « الاثارب وزرنا (٢٥٤) وكفر حلب والجزر (٢٥٥) وعزاز وثمانين الف دينار والا يكون له علاقة بديبس (٢٥٦) » .

لذا كتب ديبس قوسا من أهل حلب وأرسل اليهم بعض الدنانير « وسامهم تسليها ، فكشف ذلك رئيسها فضائل بن صاعد بن بتيح فاطلع عليه ترمثاش بن ايلغازي فاخذهم وعذبهم وشق بعضهم ومصادر بعضا وأحرق بعض (٢٥٧) » وبذلك فشلت محاولة ديبس هذه في الاستيلاء على حلب .

Mattieu : Op. Cit., p. 180, Setton : Op. Cit., V. 1, p: 428. (٢٥٣)

(٢٥٤) بليدة من نواحي حلب القريبة (يلقوت الحموى : معجم البلدان ج ١٠ ص ١٣٦) .

(٢٥٥) كورة من كور حلب (يلقوت حموى : معجم البلدان ، ج ٦ ص ١٣٣) .

(٢٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٢١

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452,

هنا يذكر ابن العديم : ان ديبس كان قد وصل منهزما من المسترشد بعد أن كسره وقتل خلقا من عسكره فترك بلاده وحمل ما قدر عليه من المين والعروض على ظهور الطايا ووجد على مسالم بن مالك بن بفرن الى قلعة دوبر واستجار به فاجاره وغاصب المسترشد والسلطان محمود في امره .

(٢٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ج ١ ص ٤٥٥ .

ثم كان أن تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثاني على الشروط المتفق عليها بعد أن دفع من المبلغ المحدد عليه وهو عشرين ألف دينار (٢٥٨) « وكان القوائم بالمفاوضات بين الملك وثرثاش هو الأمير أبو العساكر سلطان ابن منقذ . وانتقل الملك الى شيزر حتى حضرت رهائن ببله ائهم ابنته وابن جوسلين وتم اطلاق سراحه يوم الجمعة سابع عشر ، رجب ٥١٨ هـ (٢٥٩) (١٢٤٤ م) . ولكن بمجرد أن أصبح الملك حرا تنكر للمهد الذي بينه وبين ثمرثاش ورفض التنفيذ قائلا « ان للبطريرك الذي لا يمكن خلافه سألني مما بذلت وما الذي استقر ، فحين سمع حديث عزاز وتسليم حصنها منى ابي ، وأمرني بالدفع عنها وقال ان خطيئتك تلزمني ولا اقدر على خلافة (٢٦٠) » هنا بدأت المفاوضات من جديد ولكن لم تنته الى حل .

ومن هنا بدأ يبرز دور ديبس بن صدقة ملك العرب وأمير الحلة ، فاتصل بالفرننج وقدم لهم خدماته في مقابل مساعدته هو الآخر في تحقيق مآربه . وهناك روايتان ، تذكر الاولى أن ديبس « خالط جوسلين وبغدوين وصفاهم وصافوه بواسطة الأمير مالك بن سالم صاحب جعير واتفق ديبس والفرننج على قواعد تعاقدوا عليها منها أن تكون حلب أديبس والأموال والأرواح للفرننج (٢٦١) » . أما الرواية الثانية فتذكر « انه لما ملك الفرنج مدينة صور طبعوا وقويت نفوسهم فاكثروا من الجوع ثم وصل اليهم ديبس ابن صدقة صاحب الحلة فاطمهم طبعاً ثانيا لاسيما في حلب وقال أن أهلها شيعية وهم يميلون الى لأجل المذهب ، فمضى راوئي سلموا البلد الى وبذل لهم المساعدة وقال انى اكون ههنا عنكم نائبا ومطيعا (٢٦٢) » . ومهما تختلف الروايات فقد تم بالفعل تحالف بينهم وساروا جميعا الى حلب لحصارها .

(٢٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٢ .

(٢٦٠) المصدر السابق نفس الصفحة ، الطباخ ، د ١ ص ٤٥٥ — ٤٥٦

(٢٦١) ابن العديم نفس الصفحة ، الطباخ ، ص ٤٥٦ .

(٢٦٢) العمى : عقد الجبل ، د ١٥ م ٤ ص ٨٣٩ ، الغزى : نهر

الذهب ، د ٣ ، ص ٨٦ ، كرد على : خطط الشام ، د ١ ص ٣٠٣ — ٣٠٤

وقد اشترك في هذا الحصار مدينة حلب كل من الملك بلدوين الثاني ملك القدس وجوسلين الأول أمير الرها (٢٦٣) . وديبس ابن صدقة وساططان شاه بن رضوان (٢٦٤) . وكان بصحبة ديبس عيسى بن سالم بن مالك ويغى سيلان بن عبد الجبار صاحب بالنس (٢٦٥) ، كما يغيب اليهم متى الرهاوى أيضا سلطان ملطية (٢٦٦) .

وحاصر هؤلاء الحلفاء ، الفرنج والعرب الأتراك والمسلمون ، حلب من كافة الجهات إذ خرج ديبس وجوسلين من تل بلشر وقصدوا ناحية الوداي فانسدوا الزرع ، ثم رحلوا ونزلوا مع الملك بلدوين على حلب (٢٦٧) . ثم وصل اليهم الملك سلطان شاه بن رضوان . «ونزل بغدوين مقدم الفرنج من الجانب الغربي من حلب في الحلبة ونزل جوسلين على طريق عزاز وما يجاوره يمينه ويسره ، ونزل ديبس وساططان شاه بن رضوان ما يلي جوسلين من الشرق وفي صحبة ديبس عيسى بن

Mattieu : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

(٢٦٣)

(٢٦٤) سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ ، ص ٥١ ، ابن المعديني : الزبدة ، د ٢ ص ٢٢٤ . هنا يشير متى الرهاوى الى ديبس باسم (صدقة — Sadaka, Sale) ابن ديبس ، والواقع أنه ربما خلط بين الأب لابن . وما يرجح ذلك أن متى نفسه يعرفه بأنه صهر أيلغازي ، وبذلك يكون ديبس وليس صدقة . أما ابن أبيك : كنز الدر ، د ٦ ، ص ٤٩٤ فيشير الى ديبس خطأ بأنه ديبس البرسقي سيف الدولة . والصحيح أن سيف الدولة الذي قصده هو أقيسنقر البرسقي وليس ديبس . أما عن سلطان شاه فيذكر متى أنه الابن الأمقر للسلطان تنش ، ولكنه في الحقيقة حفيده وابن رضوان بن تنش .
(Mattieu : Op. Cit., p. 142).

(٢٦٥) ابن المعديني : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٤

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452,

Mattieu : Op. Cit., p. 142,

(٢٦٦)

وهو هنا كما سبق أن اشرنا لها عرب أو طغرل أرسلان بن قلع أرسلان .

(٢٦٧) ابن المعديني : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

مسالم بن مالك . وفزل يعقوب سيان بن علاء الجبار بن أرتق صاحب
بالسن مما يلي ديبس من الشرق (٢٦٨) . «

وبعد أن قاسى أهالى حلب كثيرا من قلة الأرزاق ومن كثرة
الهجمات (٢٦٩) . كما سبق أن شرحنا — التجأوا الى آقسنقر البرسقى
أمير الموصل يتوسلون اليه أن يحضر لنجبتهم (٢٧٠) . ولكن البرسقى
كان مريضا لا يستطيع الحركة لشدة ضعفه ومنع الدخول اليه فوصل
الى ديبس من أخبره بذلك « فغضب البشارة في عسكره وارتفع عنده
التكبر والتهايل ونادى بعض أصحابه قى أهل حلب ، قد مات من أمتهم
نصره (٢٧١) » . ولكن البرسقى سرعان ما شفى فتوجه الى حلب فلما
اقرب منها ارسل اليهم يقول « اننى لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج
يقاثلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصار أصحابى فيها فاجبوه
الى ذلك (٢٧٢) » . عندئذ وصل الى حلب فرحل الفرنج عنها بدون
أى خسائر (٢٧٣) . وأراد جنده أن يتعقبوهم فرفض ذلك (٢٧٤) .

(٢٦٨) ابن العديم : المصدر السابق من ٢٢٤ الطباق الحلبى :
د ١ ص ٢٥٦ .

Mattieu : Op. Cit., p. 142, (٢٦٩)

سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١

Mattieu : Ibid., p. 142, (٢٧٠)

ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣١٧

(٢٧١) الطباق الحلبى : أعلام التبلاء ، د ٦ ص ٥٨ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ، ص ٣١٧ ، المبنى : عقد الجمان ،

د ١٥ ص ٨٢٩ .

Mattieu : Op. Cit., p. 142, Grousset : Hist. des Crois (٢٧٣)

(L'Anonyme). V. 2 p. 877 عن

(٢٧٤) هنا يذكر ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣١٧ أن البرسقى

منهم بنفسه وقال « قد كفيينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة
تركهم حتى يتقرر أمر حلب وتمسك حالها وتكثر ذخايرها ثم حينئذ
نقتصدهم ونقتلهم » .

=

ويعمد انسلحاب ديبس عن حلب اتجه الى الموصل فخرّبها وخرّب
كل الاقاليم التابعة للبرسقى (٢٧٥) .

والراجح ان ديبس ظل بعد تلك الهزيمة على موقفه العدائى
من الخلافة والمسلمين آتلا ان يجد الفرصة مرة اخرى كى يجد فى
الفرنج سندا له . والدليل على ذلك ما ذكره ابن العديم ٥٢٥ هـ ١١٣٠ م
من « ان ديبس وصل منهزما من المسترشد وخبى خبره فترة ثم ظهر
بعد مدة انه وصل الى قلعة جعبر ، وأودع ابن السلطان عند مالك
صاحبها ، وسار الى جوسلين واستند الى الفرنج فلم ير ما
يعجبه (٢٧٦) » .

وفى ٥٢٩ هـ ١١٣٤ م قتل ديبس بن صدقة وقيل ان السلطان ميسعود
هو الذى قتله بعد مقتل المسترشد بثمانية وعشرين يوما (٢٧٧) .
وهكذا استراح المسلمون من هذا الأمير العربى الخائن للقضية الاسلامية
فى ذلك الوقت ، والذى لم يكن يعنيه الا المنفعة الشخصية فقط .

ولاستكمال علاقات الرها بالمسلمين عامة يصدر بنا الاشارة الى
علاقة الرها بالقبائل العربية القريبة من دمشق الى جانب علاقتها
ببيروت .

اما سبط بن المجبى : كقوز الذهب ، د ١ ص ٥ (الصينى :
عقد الجمان ، د ١٥٥ م ٨٣٩ - ٨٤٠ ، فيذكر ان سبب محرم تعقبه
لهم انه « عندما طلب منه أبو الفضل بن الخشلاب ان يتعقبهم قائلا :
لوسلت خلفهم لاختناهم باسمهم فاتهم بخيرون فقال له : تعلم ان فى بلدكم
ما يقوم بكم ويمسكركى لو قدر والعياذ بالله علينا كسرة .
فقال : لا فقال : وما يؤمننا انهم لو كسرونا ودخلنا البلد وتوا علينا
ما نفعلنا انفسنا ولكن الله تعالى قد دفع شرهم » .

Mattieu : Op. Cit., p. 142. (٢٧٥)

(٢٧٦) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ، ص ٢٤٧ .
(٢٧٧) التاريخ المظفرى : ميكروفيلم حوادث ٥٢٩ هـ - ابن الجوزى :
المنتظم ، د ١٠ ص ٥٢ ، ٥٣ ، الذهبى : المعبر ، د ٤ ص ٧٨ . ويذكر
زامبور : معجم الأنساب د ٢ ص ٢٠٨ ان مقتل نور الدولة ديبس كان
فى ذى الحجة ٥٢٩ هـ .

ففى ٥١٣ هـ ١١١٦م سار خوسلين فى مائتى فارس فكبس طائفة من طى يمرغون بينى خالدا - وهم بطن من عامر بن معصعة من العدنانية ٢٧٨ - فأغار عليهم وغنم أموالهم (٢٧٩) ، وسألهم عن بقية قوتهم من بنى ربيعة فأخبروه أنهم بوادى السلاللة بين دمشق وطبرية فأسرع اليهم بقوة مكونة من خمسين فارسا كما سير اليهم قوة أخرى مكونة من مائة وخمسين فارسا وتواعدوا على كبس بنى ربيعة . وعندها علم بنو ربيعة بذلك أرادوا الرحيل ، لكن أميرهم مر بن ربيعة منعهم . وكان عدد بنى ربيعة مائة وخمسين ، فلما وصل المائة وخمسين فارسا للرنجيا دارت معركة بين الجانبين . « فظهرت من أمير بنى ربيعة شجاعة وحسن تدبير وجودة رأى (٢٨٠) » . « فقتل من الفرنج سبعين وأسر اثنا عشر من مقدميهم فبذل كل منهم فى فداء نفسه « مالا جزيلا وعدة من الأسرى » أما جوسلين فانه ضل فى الطريق وبلغه خبر الواقعة فأتجه الى طرابلس فجمع جيشا ورحل الى عسقلان فهزمه المسلمون هناك وعاد مغلولاً (٢٨١) .

أما من علاقة الرها ببيروت فما عرفنا عليه فى المصادر يتركز فى فترة حكم بلدوين دى بويج أمير الرها الثانى .

وفى ذلك الوقت كانت بيروت تابعة للفاطميين فى مصر بعد زوال معظم ملكهم فى الشام ، ولم يبق لهم السيادة الا على بعض الثغور البحرية التى منها بيروت . ففى ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) « وصل قيص

(٢٧٨) القلقشندي : نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب ، ص ٢٤٢ وهم بنو خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن معصعة .
(٢٧٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ص ١٩٨ .

(٢٨٠) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، العينى : عقد الجبان ، ج ١٥ ص ٧٥٣ ، أبو اللدا : المختصر ، ج ٢ ص ٢٣١ ، ابن الوردي : تمة المختصر ، ج ٢ ص ٢٥ .

(٢٨١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ص ١٩٨ .

الرّها مقدّم الفرنج في عسكره الى ثغر بيروت فنزل طامعها في افتتاحه وحاربه وصلبته وطال قتله عليه ولم يتهيا فيه مراد فرحل عنه (٢٨٢) .

وفي ٥٥٠٣ هـ (١١١٠ م) سار جوسلين صاحب تل بشير والتابع الاول لبلدوين دى بورج الى بيروت « لمعونة النازلين عليه من الفرنج ويستجد بهم على عسكر مودود النازلين على الرّها وفي شوال من السنة سقطت بيروت في يد الفرنج (٢٨٣) » . وقد ذكر متى الرهاوى « ان جوسلين ساعد في الاستفلاء على المدينة وايدى شجاعة كبيرة في ذلك (٢٨٤) » .

بهذا امكنا اعطاء صورة مفصلة عن علاقة امارّة الرّها الصليبية بالقوى الاسلامية بقدر ما استعفتنا به المصادر الاصلية والراجع المختلفة .

ثانيا : علاقاتها بالامارات الصليبية في بلاد الشام :

تقدم هنا بالامارات الصليبية في بلاد الشام ، بيت المقدس وانطاكية وطرابلس . وسنبداً اولاً بدراسة علاقات امارّة الرّها مع الصليبيين عامة قبل تأسيس الامارات الثلاث ثم نطوّا بالعلاقة مع بيت المقدس بامتيازها كتبت أبرز الوحدات الصليبية في الشرق بل كتبت تمثل القنطرة العليا بالتسمية لبقية الامارات ثم نتبعها بامارة انطاكية القريبة من امارّة الرّها والتي كتبت على صلة دائمة بها سواء ودية او عدائية ونطوّا اخيراً بتناول علاقة الرّها بامارة طرابلس ، وهي كما سنرى لم تكن كبيرة .

لها من علاقة الرّها بالصليبيين في الدور الاول ، فيلاحظ انه ما كاد يتم مقيم امارّة الرّها الصليبية ، حتى شارك بلدوين البولونى بنفسه في الحصار الذي فرضه الصليبيون على انطاكية فاشترت الخنادق اللاتينية الى انه « غادر الرّها بعد شهرين فقط من تبني ثوروس له

(٢٨٢) ابن القلائسى : الذيل ، ص ١٤٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام :

مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوانث (٣٠١ - ٥٥٠٠) ص ٢٧٦ .
Gibb : Op. Cit., p.p. 54-55,

(٢٨٣) ابن العلقسى : الذيل ، ص ١٦٧ .

Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(٢٨٤) .

الى انطليكة (٢٨٥) . ويؤكد مشاركة بلدوين اللسليبيين في تلك المهمة مذكرته المصادر الاسلامية ايضا من انه كان يوجد في انطليكة في ذلك الوقت « الملك بروديل ومنجبل وكندفري والقمص صاحب الرها وبمعد صاحب انطليكة (٢٨٦) » . والواقع اننا لا نعرف من المقصود (بالملك بلدوين هنا) حيث انه لم يكن هناك ملكا للسلبيين عندئذ وكان بلدوين البولوني كما رأينا أميرا للرها فقط كذلك (بيموند او بوهيموند لم يكن قد أصبح (صاحب انطليكة) حتى ذلك الوقت . ولعل المصادر العربية تشير اليهما بحكم ما أصبحا عليه بعد ذلك لأحكام ما كانا عليه فعلا عندئذ وقت حصار انطليكة .

والراجح ان بلدوين لم يلبث أن عاد الى الرها للأهتمام ببلارته الجديدة وحمايتها مما أحاط بها من أخطار فضلا عن الاحتفاظ للسلبيين عامة بركيزة أولى في المشرق الاسلامي . ولكن بلدوين حرص في الوقت نفسه على ألا يفقد الارتباط بينه وبين بقية المسلمين المحاصرين الانطليكية فكان يطلق أخبارهم ويتابع المصائب التي واجهوها وحاصة في الميرة والمون (٢٨٧) . ويقال ان بلدوين أسرع بإرسال الكثير من المون اليهم (٢٨٨) . كما أرسل ايضا « كميات كبيرة من الذهب والفضة والملابس الحريرية والخيول المتنازة ذات القيمة العالية الى أخيه الدوق جودفري وإلى زوبرت فلاندر وروبرت النورماندي وغيرهم من الأمراء (٢٨٩) » . ويبدو ان تلك الهبات كانت كثيرة جدا مما اكسبه حب الجميع (٢٩٠) .

Baldriet Episcopi Dotensis : Historia ... T 4, p. 81 (٢٨٥)

(٢٨٦) ابن الأثير : الكامل ، ٨٠٤ ص ١٨٧ ، المعينى : عقد الجمان ،

٥٠٣ ص ٣

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 237-238. (٢٨٧)

Archer : Op. Cit., p. 63, Cahen : Op. Cit., p. 213. (٢٨٨)

Alberti Aquensis : Historiae Liber IV, T. 4, p. 395, (٢٨٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 238:

هنا يضيف (ميشو) الى قائمة المسلمين أمراء (شارترس وبلوا Chartres, Blois) ويذكر ان بلدوين نسي عن قصد أن يقدم شيئا من العون لبوهيموند .

(Michaud ; Op. Cit., V. 1, p. 287).

Alberti Aquensis : Op. Cit., p. 395.

(٢٩٠)

وفي تلك المرحلة يعطينا وليم الصوري أول صورة للانقسام بين المسلمين بسبب تبليغ المصلح الفردية فذهب الخلاف بين رضوان أمير حلب وبين حاكم مدينة عزاز (٢٩١) . واستجد الأخير بجونفري أخى بلدوين الذى طلب من أخيه المشاركة معه بجيشه لنجدة ذلك الصديق المسلم . وكان أن تم ذلك ثم عاد بلدوين الى الرها وجونفري الى انطاكية (٢٩٢) .

ويهمنا أنه في خلال تلك الحملة ، قام بلدوين بدموع أخيه جونفري لزيارة الرها — كما سبق أن اثرتنا — وكان الدافع الأول لجونفري على الموافقة على تلك الدعوة هو « استمرار الوباء بأنطاكية بصورة مثيرة واستمرار ارتفاع الموت الجامى بين الناس (٢٩٣) » . وصحب جونفري معه الى الرها حاشيته وعددا كبيرا من الناس المحتاجين ليدفعهم بحاجاتهم الضرورية (٢٩٤) ، وهؤلاء حصل بعضهم على اقطاعات بالرها واستقروا فيها (٢٩٥) . في حين عاد البعض الآخر الى لخوانهم الصليبيين في انطاكية بعد أن لفدق عليهم بلدوين الكثير من الهبات (٢٩٦) .

ثم كان أن استولى الصليبيون على بيت المقدس ومن ثم بدأت علاقات مباشرة بين إمارة الرها من ناحية وبيت المقدس الصليبية من ناحية أخرى

ويتطور جزء من هذه العلاقات في الزيارة التي قام بها بلدوين أمير

-
- William : Op. Cit., V, 1, p. 301. (٢٩١)
 William : Ibid., V. 1., p.p. 301.-304.. (٢٩٢)
 William : Ibid., V: 1, p. 304. (٢٩٣)
 Alberti Aquensis : Historiae Liber V. T. 4, p. 435, (٢٩٤).
 William.: Op. Cit., V: 1, p. 304
 Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 234. (٢٩٥)
 William : Op. Cit., V. 1, p.p. 301.-305. (٢٩٦)

الرها بوهيموند امير ايطاليا لبيت المقدس ١١٠٠م (٢٩٧) ، (٢٩٤ هـ)
ويبدو ان بلدوين وبوهيموند صادقا متاعب جمة خلال رحلتها الى المدينة
المقدسة حتى وصلا سالين (٢٩٨) ، وعندئذ استقبلهم جودفري
وتكريد واتباعهم بفرحة عظيمة (٢٩٩) . ثم زاروا الامكن المقدسة في
القدس في الوقت الذي كانت المدينة تفوح منها رائحة جيف المسلمين
الذين سقطوا. قتل بحراب الصليبيين عند استيلائهم على بيت
المقدس (٣٠٠) .

هذا الى ان بلدوين امير الرها شارك في اختيار دايمبرت بطريركا
على بيت المقدس (٣٠١) ، وان كانت المصادر المعاصرة لا تشير الى
ان دايمبرت اعطى تفويضا بحكم امارة الرها لبلدوين اسوة بالتفويض
الذي حصل عليه جودفري وبوهيموند (٣٠٢) . وربما يرجع ذلك الى
ما كان هناك من خلافات بين بلدوين ودايمبرت .

واخيرا عزم كل من بلدوين وبوهيموند على الرحيل والعودة فتم
توزيعهما « في فرح شامل وسعادة واشترك في التوديع رجال الدين
وجيهور القادة وجودفري نفسه بل انهم صاحبوهم الى نهر الاردن ،

(٢٩٧) تذكر المصادر اللاتينية المعاصرة ان الرحلة بدأت في نوفمبر
١٠٩٩م وكان الوصول الى بيت المقدس في مارس ١١٠٠م .
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.

Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 704.

اما المراجع الانجليزية الحديثة فتشير الى ان تلك الزيارة كانت في
ديسمبر ١٠٩٩م .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 281, Zoé : p 177.

والراجع هو ما ذكرته المصادر اللاتينية ، خاصة وان المؤرخ مولثر كان
مصاحبا لبلدوين في تلك الرحلة .

Fulcherii : Ibid., T. 3, p.p. 365 - 366. (٢٩٨)

Zoé : Op. Cit., p. 178. (٢٩٩)

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366. (٣٠٠)

Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. T. 4, p. 512. (٣٠١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 403. (٣٠٢)

وهناك اغتسلوا جميعا في النهر لينتعمشوا ثم انفترقوا (٣.٣) .
ويعاد بلدوين الى الرها وعاد بوهيموند الى انطاكية (٣.٤) .

ثم كان ما سبق ان ذكرناه من وفاة جوفري حاكم بيت المقدس ،
وحلول اخيه بلدوين محله ليتوج ملكا على المدينة المقدسة باسم الملك .

ومن الطبيعي ان تكون العلاقات قوية بين مملكة بيت المقدس في عهد
ملكها بلدوين الاول وبين امارة الرها بحكم ما بين بلدوين والرها من
علاقات سابقة ، وتتضح هذه العلاقة عندما امر امير الرها بلدوين
دى بورج اذ يقال ان جكرمش ارسل الى تنكريد يعرض عليه اطلاق
سراح الامير بلدوين مقابل اطلاق سراح اميرة سلجوقية نبيلة كانت لديه
او ان يدفع مقابل اطلاق سراحها خمسة عشر الف بيزانت (٣.٥) .
هنا اسرع ملك القدس بلدوين الاول بالكتابة الى بوهيموند ان يسلم
الاميرة ولا يفوت فرصة اطلاق سراح بلدوين ، لكن امير انطاكية كان
يفضل ان يظل الامير بلدوين في الحبس (٣.٦) ، وسوفه نشاول موقف
انطاكية بالتفصيل من هذا الموضوع عند تناول علاقتها بالرها .

وعندما اطلق سراح بلدوين — كما سبق ان اوضحنا — واحتكم النزاع
بين الرها وانطاكية لم تدخل انطاكية ضمن نطاق النفوذ الانطاكي
لملك بيت المقدس وانما كانت الرها هي التي تتبعه فقط « لذا احضر
تنكريد امام مجلس البارونات واجبر سريعا على الصلح مع بلدوين دى بورج
وجوسلين دى كورضاى ولم يقد الامر فقط عند حد اعلانه الولاء لملك
القدس ، بل اجبر على الركوع امامه (٣.٧) » . ويفضل تدخل الملك

Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 512. (٣.٣)

Alberti Aquensis : Ibid., p. 512, Gesta Tancredi : Op. Cit., (٣.٤)

T. 3, p. 704, William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

Alberti : Ibid. Liber IX, T. 4, p. 619. (٣.٥) كانت تلك الاميرة

قد اسرها تنكريد انشاء تتبعه لجكرمش عند حصار الأخير للرها
بعد حران .

(Zoe : Op. Cit., p. 215.)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45.

(٣.٦)

Zoé : Op. Cit., p. 241.

(٣.٧)

بلدوين عندئذ تم الصلح بين انطاكية والرها من ناحية وبين طرابلس وانطاكية من ناحية اخرى (٣٠٨) . أما عن الرها « فقد حصل الملك من تنكريد على تنازل بدون مقابل عن كل ما وضع يده عليه من امارة الرها (٣٠٩) » .

وعندما هاجم مودود الرها ١١١٠م (٥٥٤) وهددها الجيش السلجوقي التركي الاسلامي ، خاف بلدوين دى يورج من تكلم القوى الاسلامية في المشرق فسدده ولسرع بالاستنجاد بالملك بلدوين الاول ، فارسل اليه جوسلين دى كورتناى ليطالب منه المساعدة العاجلة (٣١٠) .

وكان الملك بلدوين في ذلك الوقت يحاصر بيروت كما مر بنا . فلم يستطع أن يتوجه الى الرها الا بعد انتهاء حصار بيروت وخاصة وان المدينة كفت عندئذ على وشك السقوط (٣١١) . وبعد أن تم الاستيلاء على بيروت عاد بلدوين وحشده الى بيت المقدس (٣١٢) .

Cahen : Op. Cit., p. 251.

(٣٠٨)

Cahen : Ibid., p. 251.

(٣٠٩)

أما (سبتون) فيذكر أن ذلك كان في مقابل ممتلكات أخرى فقد قال « أنه من اعظم منجزات الملك بلدوين الاول أنه جعل تنكريد يتخلى عن ادعائه في الرها وأن يمتريف باعادة بلدوين دى يورج قريب الملك الوها . وفي مقابل ذلك منح الملك بلدوين لتنكريد اقطاع طبرية ، الناصرية وحيفا وأصبح تنكريد تابعا رسميا لبلدوين بسبب تلك الاقطاعات » .

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 398)

Mattieu : Op. Cit., p. 91, Grousset : Hist. des Crois., (٣١٠)

V. 1, p. 449, L'Epopée, p. 87, Archer : Op. Cit., p. 147.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451, Archer : Op. (٣١١)

Cit., p. 147,

سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٦ — ٥٧ { عن صالح بن يحيى : تاريخ بيروت }

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti Aquensis : (٣١٢)

Historiae Liber XI., T. 4, p. 671.

ليعطى الصليبيين فيها فكرة عن خطورة وضع الرها (٣١٣) ، ويطلب منهم المساعدة (٣١٤) .

وبالفعل جميع قواته وانضممت اليها قوات طرابلس وتوجه مع جوسلين الى الرها ويصحبهم بعض القوات الأرمنية (٣١٥) . وكان ذلك في بداية يونية (٣١٦) . لو في منتصف مايو (٣١٧) .

والبواقع ان الملك بلهوين استطاع ان يجمع جيشا ضخما بلغ مدده حوالي خمسة عشر الفا (٣١٨) ، ولم يلبث ان انضم تنكريد الى ذلك الحلف الفرنجي (٣١٩) . بعد ان ارسل اليه الملك يدموه ان يتصل ببقية الفرنج وصفيية ما بينهم من خلافات (٣٢٠) . ولمل هذا ما دنع بعض المؤرخين الى القول « بان سنة ١١١٠ م شهدت وحدة صليبية بين امراتهم في السلم (٣٢١) » .

وكانت فرحة بلهوين دى بورج عظيمة عند رؤية الجيوش الصليبية وعلى رأسها الملك بلهوين وقد آتت لنجبتة (٣٢٢) . وقد سبق ان ذكرنا

-
- Mattieu : Op. Cit., p. 92. (٣١٣)
Alberti : Op. Cit., Liber XI, T. 4, p. 671, (٣١٤)
سياتى التفسير في الملاحق
Mattieu : Op. Cit., p. 92, Zoé : Op. Cit., p. 242, (٣١٥)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451 من (Albert),
سميد عاشور : الحركة ، ١ ص ٥٧
Cahen : p. 257, Archer : p. 148
Cahen : Ibid., p. 257. (٣١٦)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399. (٣١٧)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 من (Albert), (٣١٨)
L'Epopée, p. 87.
Fülcherit : Op. Cit., T. 3; p. 421, Alberti : Op. Cit., (٣١٩)
Liber XI... T. 4, p. 672, Jean Richard : Op. Cit., p. 42.
Alberti : Ibid., p. 672, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, (٣٢٠)
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288. (٣٢١)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 من (Albert), (٣٢٢)
L'Epopée, p. 87.

أحداث تلك الحملة عند كلامنا من العلاقات بالموصل ، ولكن ما نود الإشارة إليه هنا هو أن ملك بيت المقدس ظل يقود حركة المقاومة الصليبية من الرها حتى جاءته بعض الأخبار بأن الفاطميين انتهزوا فرصة غيابه وهاجبوا ممتلكاته مما جعله يعجل بالعودة إلى القدس (٣٢٣) .

وفي سنة ١١١٢م (٥٠٧ هـ) مر بنا كيف وقّع الخلاف بين بلدوين دى بوج وجوسلين دى كورثاى وطرد الأخير من الرها وتوجه إلى القدس فاقطعه الملك بلدوين الأول طبرية والجليل ليستفيد من خبراته العسكرية في مخازية المسلمين .

وكانت أول تجربة مر بها جوسلين وهو في القدس هي موقعة طبرية (ثالث عشر محرم ٥٠٧ هـ) (٢٢٤) . (١١١٢م) بين الفرنج والمسلمين وهي الموقعة التي ذكر ابن الفرات أن الجيش الفرنجى فيها كان بقيادة ملك بيت المقدس وصيه جوسلين فضلا عن أمير أنطاكية روجر (٢٢٥) . وفي تلك الموقعة حلت الهزيمة بالصليبيين « وأسر ملكهم بغدوين وأخذ سلاحه لكنه أفلت من الأسر وفرق من الفرنج خلق كثير في بحيرة طبرية وأخطط السم بالهاء حتى امتنع الناس من شرب الماء أيام (٢٢٦) » . وتزيد بعض المصادر الإسلامية الأخرى (٢٢٧) . رأى ابن الفرات في أن بلدوين دى بوج لم يشارك في تلك المعركة ، وربما شغلته أمور إمبرته وأخطار الترك المتحفرين للانقضاض عليها وأخذها ، من المشاركة في ذلك . ويخرج من هذا الرأي أسامة

Zoe : Op. Cit., p. 242, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٣٢٣)

سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٨ ، p. 458,

(٢٢٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، د ١ ص ٦٧
(١) ، ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٦ أما ابن خلدون فيخطئ في ذكر التاريخ حيث يقول أن ذلك كان في منتصف المحرم ٥١٠ هـ .

(٢٢٥) يسميه ابن الفرات المصدر السابق ص ٦٧ (١) (سروحال) .

(٢٢٦) ابن الفرات : المصدر السابق ، ص ٦٧ (ب) ٦٨ (١) .

(٢٢٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٦ ، أبو الندا : المختصر ، د ٢

ص ٢٦٦ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٢١ .

بن منقذ وحده لينفرد. بالقول بأن حكم الرها شارك في تلك الحركة (٣٢٨) .
ومن الواضح أن أسامة أخطأ في اعتبار جوسلين حكم الرها وقتذاك .

ثم تعاقب الأحداث. ومات الملك بلدوين الأول كما مر بنا ١١١٨م وتولى مكانه بلدوين دى بورج أمير الرها بفضل موقف جوسلين دى كورنثاي الذي تولى حكم الرها . ويطلق جروسية على وضع الرها وملاقتها ببيت المقدس في تلك المرحلة فيقول : « كانت إمارة الرها في أول الأمر مستقلة تباعا عن القدس واتصلت أول مرة بمملكة بيت المقدس عندما أصبح بلدوين الأول ملكا قاطع بلدوين دى بورج الرها ، ثم ازداد ذلك الاتصال قوة عندما اختير بلدوين الثاني (دى بورج) ملكا على بيت المقدس ، فاقطع الرها لجوسلين (٣٢٩) » .

ثم كان أن توجه ايلغازي لمهاجمة الفرنج في زردنا ، فلتجتمع الملك بلدوين مع جوسلين أمير الرها وبعض البارزين من أمراء أنطاكية لصدده ، على أنه لم يحدث اتصال مع المسلمين عندئذ بسبب مرضى ايلغازي وحمله إلى حلب حيث تولى (٣٣٠) .

وعندما وقع جوسلين في أسر ملك الأرتقي ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٣٣١) .
(٥١٦هـ) خدت إمارة الرها في وضع قلق مما جعل ملك بيت المقدس يضمها تحت قيادة حامية إمارة جيوفري الراهب ، حكم مرمش حتى يتكثف أمر جوسلين . وهكذا انت جهود الملك بلدوين ونائبه جيوفري الراهب إلى المحافظة على إمارة الرها ، وقام الملك بعدة إجراءات إدارية وسياسية وعسكرية ، توجت بالمعاهدة بينه وبين سليلين بن عبد الجبار حكم حلب في ٩ أبريل ١١٢٣م (٣٣٢) . ومن هذا يبدو أن الملك بلدوين الثاني تعمل ميثا جنسيا في ذلك الوقت بسبب الأوضاع الصليبية العامة التي غدا فيها الصليبيون ، بعد مقتل روجر حاكم

(٣٢٨) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١١٤ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538. (٣٢٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 537. (٣٣٠)

Mihel : Op. Cit., p. 210, William : Ibid., V. 1. p. 540. (٣٣١)

Seton : Op. Cit., V. 1, p. 419. (٣٣٢)

انطاكيا قيل ذلك بثلاثة سنوات ثم اسر جوسلين ، فضلا عن ان مملكة بيت المقدس ذاتها اُحاطت بها المخاطر كما بينا من قبل . وحسب الملك بلدوين انه قام بوسيليتين في وقت واحد على الرها وانطاكيا (٣٢٣) .

وهكذا حتى كان اسر ملك بيت المقدس نفسه - كما مر بنا - ١١٢٣م . وفكر البعض ان اسره كان اثنائه توجهه لهرمض حصار ملك عن قلعة كركر (٣٢٤) . في حين ذكر البعض الآخر انه توجه ضد ملك للانتقام من اسر جوسلين ، فاسر (٣٢٥) . اما وليم الصوري فيذكر ان اسره كان نتيجة لاهمال حراس الملك نفسه اثناء تجوله في بلاد جوسلين للأطمئنان على سير الأمور فيها « فقد تقدم الملك الى ارض امير الرها ، وتمنى ان يقدم بعض العون لاولئك الناس الذين حرما من زعيمهم . وبينما كان يتجول ، يستقصى الأحوال بعناية فائقة . ويشرف بدقة على تحصين القلاع تحصينا طيبا وعلى اعداد الفرسان والشاة والامدادات الواردة من الاسلحة والمؤن . . . اذ هاجمه ملك فجأة في غفلة حراسة (٣٢٦) » .

وهكذا خلت ثلاث امارات صليبية هي انطاكيا والرها وبيت المقدس من حمايتها المذابين عن بيضتها (٣٢٧) .

وقد راينا كيف بذل الأرمن سواء في داخل خربتيرت او خارجها أو من اهل الرها نفسها أقصى ما في وسعهم حتى اطلقوا سراح جوسلين ، الذي اخذ على عاتقه اطلاق سراح الملك .

كان جوسلين عند وصوله الى الرها « منقلا بالمعصية التي عهدهت اليه (٣٢٨) » ، فلم يتمكن من الاقامة في الرها مدة طويلة (٣٢٩)

-
- (٣٢٣) سميد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ من ٥١١ .
(٣٢٤) ابن الأثير : الكامل : د ٨ من ٣١٣
(L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872
(٣٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 133.
(٣٢٦) William : Op. Cit., V. p. 540.
(٣٢٧) حسن حشني : نور الدين والصليبيين ، ص ٢٠ .
(٣٢٨) William : Ibid., p. 544
(٣٢٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 456.

لذلك رحل الى انطاكية ولكنه لم يجد فيها القوات الكافية لتحرير الملك فأتجه
وفقا لنصيحة البطريرك برنارد الى القدس (٣٤٠) . « حيث شرح
البطريك والامراء الملكة ظروف الكرسي التي لحقت بالملك وروى كل
التفاصيل الخاصة بالعائت ورجاعهم أن يرسلوا نجدة في الحال لان
وضع الملك مخوف بالخطر ، لا يسمح بأى تأخير » (٣٤١) .

ونتيجة لتوسلات جوسلين « اجتمع كل اهلى الملكة كرجل واحد
وحملوا صليب الصابوت معهم ، ويدلوا الرجل في الحال ثم انهم حملوا
من المدن التي مروا بها على تميزات مما زاد من اعدادهم حتى
وصلوا الى انطاكية وهناك انضمت اليهم جيوع فبيرة وساروا تحت
قيادة جوسلين الى تل باثر (٣٤٢) » .

لما من الملك بلدوين الثاني فقد ظل في حبس بك يحران حتى
توفي بك في موصلة بنج ١١٢٤م (٥١٨هـ) كما مر بنا فنقل الجيع الى
حلب (٣٤٣) ، التي كان يحكمها آنذاك تيرتاش بن ايلغازي . ومع ذلك
لم تتوقف جهود الأمير جوسلين من أجل تخليص الملك من الحبس ، من ذلك
انه تم ١١٢٤م الاتفاق بينه وبين الملكة زوجة بلدوين الثاني من ناحية
وبين تيرتاش من ناحية أخرى على فداء الملك مقابل مبلغ كبير من المال ،

William : Op. Cit., V. 1, p. 544, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 502.

William : Ibid, p. 545. (٣٤١)
وهنا يذكر جروسية أن بطريك القدس في ذلك الوقت
كان Gormond de Picquigny (Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 502)
وكان القم بالوصلية على القدس هو الكسابل ابو ستاس جزينية
Cahen : Op. Cit., p. 298.

William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Zoé : Op. Cit., p. 298, (٣٤٢)
Cahen : Op. Cit., p. 297, Grousset : Hist. des Crois., V. 1,
p. 502.

Mattjeu : Op. Cit., p. 139. (٣٤٣)

على أن يقيموا رهائن ابنه الملك وابن جوسلين ، ومعهما خمسة عشر شخصا من كبار القوم (٢٤٤) .

وكان أن تم إطلاق سراح الملك بلدوين الثاني بعد أن دفع عشرين ألف دينار (٢٤٥) . ويعلق متى الرهاوى على إطلاق سراح الملك بأن الفصل فيه يرجع إلى جهود جوسلين (٢٤٦) .

وقد برزت جهود الملك بلدوين الثاني في مساعدة إمارة الرها بعد إطلاق سراحه متضمنا حاصر البرسقي عزاز التابعة للرها ١١٢٥م - ١١١٩م وقد أوضح متى الرهاوى ذلك بالتفصيل (٢٤٧) . وفي ١١٢٦م (١١٢٠م) هاجم البرسقي الأكراب متوجهة للاقتلاع ملك بيت المقدس وجوسلين دي كورتناي ثم تم الصلح بينهما ، كما سبق أن بينا في علاقة الرها بحلب .

والواقع أن إمارة الرها شاركت بجهودات واسعة في مساعدة التوسيع الفرنجي الذي قلعه ملك القدس ١١٢٦م على حساب المسلمين وخلاصة على حساب أنطكية دمشق (٢٤٨) .

وفي ١١٢٧م (١١٢١م) تدخل ملك بيت المقدس بين كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثاني أمير أنطكية وأبني خلافا نشأ بينهما (٢٤٩) ، كما سترى بعد ذلك . وفي ١١٢٨م (١١٢٢م) (٣٥٠) ، توفي طغتكين حاكم دمشق وخلفه ابنه بوري الذي نكل بالباطنية في دمشق ، لذا خاف الباطنية في بانباس على أنفسهم وسلموها للفرنج (٣٥١) . عندئذ تحركت

(٢٤٤) وابن جوسلين هنا هو جوسلين الثاني. Mattieu : Ibid, p. 139. (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428).

(٢٤٥) ابن الحديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

Mattieu : Op. Cit., p. 140. (٢٤٦)

Mattieu : Ibid., pp. 143 - 144. (٢٤٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 426. (٢٤٨)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651. (٢٤٩)

(٣٥٠) ابن الأثير الباهر : ص ٢٨ .

Cahen : Op. Cit., p. 348. (٣٥١)

في نفوس الفرنج رغبة شديدة لايتلاك دمشق والاقليم الحبيطة بها (٣٥٢) .
 وكان ابن أرسل الملك بلدوين الى الغرب يستعنه لارسال حملة صليبية جديدة
 للمساعدة في الاستيلاء على دمشق ، وبالفعل تقدم عدد كبير « من
 الرماح من الرجال النبلاء الى الملكة (٣٥٣) » ، والى جانب هؤلاء
 القادمين شارك كبار انراء الصليبيين في الشرق في التهام بظك المهمة
 وعلى راسهم « فولك امير آتجو ويولز Pons امير طرابلس ويوهيوند
 الثاني امير انطاكية وجوسلين الاول امير الرهنا (٣٥٤) » .

وقد وصلت الى الشرق مجموعات من الصليبيين على رأس كل منها
 امير وتقدم الجميع نحو دمشق في ديسمبر ١١٢٩م (٣٥٥) (٣٥٣)
 ولكن بات المحاولة بالفشل لسببين اوضحهما ولهم السوري : الاول
 الشغال كل فريق بالحصول على غذائهم لنفسه فقد عنت الجيوش
 « الى الاحتفاظ بكل فريق بعيدا عن الآخر حتى تستطيع كل جماعة ان
 تطالب شيئا ما تجده ولا تقتسمه مع الآخرين (٣٥٦) » . وهو
 ما شجع بوري حاكم دمشق (٣٥٧) ، على ان يدبر هجوما ملحا ضد
 وهم متفرقون على هذا النحو (١٥٨) :

والسبب الثاني للهزيمة كان تدخل المنابة الالهية لصالح المسلمين
 فقد هبت عاصفة شديدة بمطره مصحوبة بالسياب علس
 الصليبيين (٣٥٩) .

Gibb : Op. Cit., p. 195. (٣٥٢)

William : Op. Cit., V. 2, p. 40. (٣٥٣)

William : Ibid., V. 2, p. 41, Cahen : Op. Cit., p. 348, (٣٥٤)

Gibb : Op. Cit., p. 195.

Cahen : Op. Cit., p. 348. (٣٥٥)

William : Op. Cit., V. 2, p. 41. (٣٥٦)

(٣٥٧) هنا خطأ ولهم السوري فاشار اليه بأنه (ملخكين) .

William : Ibid., V. 2, p. 41. (٣٥٨)

William : Ibid., p.p. 41-42. (٣٥٩)

ثم حدث في اواخر ايلم ا الملك بلدوين الثاني ان توفى بوهيموند الثاني امير انطاكية ١١٣٠م (٣٦٠) . كما سنرى - وحاولت زوجته اليس ابنة الملك بلدوين نفسه ان تحرم ابنتها كونستانس من حقها الشرعى في الحكم ولكن بلدوين اسرع الى انطاكية وعهد الى جوسلين الاول بان يحكم انطاكية بوصفه وصيا على كونستانس حتى تتزوج ويصبح زوجها اميرا لانطاكية (٣٦١) . وهذا يشهد على مدى ثقة بلدوين في الامير جوسلين . واخيرا توفى بلدوين الثاني ملك القدس في ٣١ اغسطس ١١٣١م (٣٦٢) ، فحل محله في ١٤ سبتمبر فولك الانجوى Foulque d'Anjou زوج ابنته ميلزاند التي كان قد تزوجها في ١١٢٩م (٣٦٣) .

والواقع ان عهد الملك بلدوين الثاني يظهر فيه الارتباط الشديد جدا بين الرها وبيت المقدس ، فلم يبخل الملك بحمل النجدة اللازمة الى امارة الرها في غالبية الظروف عندما تهدد الامارة باى خطر خارجي يهدد مصالحها ، وبالتالي مصالح الصليبيين عامة ، لانها كما سبق ان ذكرنا الحصن الشرعى الواقى للامارات الصليبية كلها .

اما عن خليفة بلدوين الثاني على عرش القدس لا لانه لم يستطع في غالبية الاحيان ان يفرض سلطته على امراء الشمال - نعمى اميرى الرها وانطاكية - ونتج عن ذلك سقوط امارة الرها (٣٦٤) ، كما سنرى .

ولكن مع ذلك فقد حدث ١١٤٠/١١٣٤م ان حلت الهزيمة بالملك فولك امام زنكى وطلب الملك نجدة اميرى الرها وانطاكية فخفا بالفعل لنجدة (٣٦٥) . وفي ١١٤٤م (١١٣٩) عندما حاصر زنكى الرها

Michel : Op. Cit., p. 230, G. Schlumberger : (٣٦٠)

Sigillographie de l'Orient Latin, p. 32.

Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (٣٦١)
p. 255, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

G. Schlumberger : Op. Cit., p. 3. (٣٦٢)

G. Schlumberger : Ibid., p.p. 4-5. (٣٦٣)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317. (٣٦٤)

(٣٦٥) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين : ص ٣٠ (عن الاعتبار) .

وارسل جوسلين الثالى يستنجد بمملكة بيت المقدس ارسلت الملكة ميلزاند جيشا بقيادة حاكم نابلس وحاكم طبرية (٣٦٦) . وانتظر جوسلين في تل باشر وصول جيش الملكة لكنه جاء متاخرا جدا (٣٦٧) . وسوف نتناول موقف القدس بالتفصيل عند دراسة ردود الفعل المختلفة لسقوط الرها .

والواقع ان علاقات الرها بالقدس كان يطلب عليها باستمرار الطابع الودى .

اما عن علاقة الرها بأنطاكية : وهى اقرب امارة صليبية الى الرها في الشمال ، فانها انصفت بالعداء وسوء التفاهم بعكس العلاقة بين الرها والقدس ، التى اتسمت غالبا بطبع الود والتحالف كما رأينا . وقبل ان نتناول علاقات امارتى الرها وأنطاكية ، يجدر بنا الرجوع قليلا الى الخلف للوقوف على جذور تلك العلاقة . فقد افاضت المصادر اللاتينية والارمنية بتوضيح الخلاف الذى قام بين بلدوين البولونى من ناحية وبين تنكريد ابن الحث بوهينوند امير أنطاكية الاول من ناحية اخرى امام طرسوس ثم امام المضيصة سنة ١٠٩٧م (١٠٩٠ هـ) عند مجيء الحملة الصليبية الاولى الى الشرق ولكننا سنكتفى بالإشارة الى ذلك بإيجاز لأنه وان كانت خارجة عن نطاق العلاقات بعد تأسيس الامرات ، ولكن كان لها في نفس الوقت تأثيرها بعد ذلك .

اما عن الخلاف امام طرسوس فقد كان ذلك مبكرا في سبتمبر ١٠٩٧م (٣٦٨) . عندما سبق تنكريد بلدوين البولونى في الوصول الى تلك المدينة « مستفيدا من الطرق القصيرة » ، وبذلك كان الاول في الوصول الى قيلقية (٣٦٩) . ثم حضر بلدوين بعده الى نفس المكان لاستقبله تنكريد بحب وكرم (٣٧٠) . لكن عندما رأى بلدوين اعلام تنكريد ترفرف

William : Op. Cit., V. 2, p. 142. (٣٦٦)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236. (٣٦٧)

Harold Lamb : Op. Cit., p. 126. (٣٦٨)

(٣٦٩) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس من ١٧٦

William : V. 1, p. 178,

William : Ibid., V. 1, p. 180. (٣٧٠)

على المكان تضامى وطلب مقاسمة تنكريد في المدينة فرغض قائلا :
« اننى ارغض كل قسمة معك (٣٧١) » .

وبعد جدل طويل بينهما امر بلدوين على رايه فاقسار عليه تنكريد
بتحكيم الاهالى الذين كانوا بالفعل يميلون الى جانب تنكريد (٣٧٢) . لكن
بلدوين مددهم « ان لم ينزلوا علم تنكريد ويرفعوا عليه بدلا منه فسوف
يسلم المدينة وكل الضواحي الجاورة للتدمير (٣٧٣) » . لذا خشى
الاهالى لان جيش بلدوين كان الاكثر عددا (٣٧٤) . فرمى علم بلدوين
مكان علم تنكريد « وخبط تنكريد مشاعره وانسحب خوفا من قيام
قتال بين القوات الفرنجية واتجه الى مدينة ائنة (٣٧٥) » .

وبعد رخل تنكريد امر بلدوين اهالى طرسوس بفتح ابواب المدينة
امام جنده ليدخلوها ، مستخدما في ذلك مزيجا من التهديد والانتذار ؛
فتفتحوا الابواب وسبعوا لبلدوين وقوانه كاملة بالدخول ، وتخلوا له عن
برجين وضعوها تحت تصرفه في حين احتفظ الاتراك الذين كانوا لا يزالون
بالمدينة بملكية الابراج الاخرى (٣٧٦) .

وفي نفس تلك الليلة كان بوهيموند قد ارسل قوة من ثلاثمائة نورماندى

(٣٧١) المؤلف مجهول : امبال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥
Harold Lamb : p. 127, هنا يذكر المؤلف المجهول أن الاهالى

تدخلوا بين الاميرين وطلبوا تعيين تنكريد حاكما لمدينتهم . هنا احتج بلدوين
بقوله «لن تدخل المدينة بما ونهبها وايتم على هراستها من يصيب النسيب
الا ولى وليعتها من يستطيع غزوها . فقال تنكريد « يا ابغض هذا المسلك
الى نفسى واتعدا منه اننى لا اريد أن اسلب النصارى ولقد اخترانى
رجل هذه المدينة اميرا عليهم وهم لا يريدون سوى اميرا » .

(٣٧٢) المؤلف مجهول : امبال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ .
William : Op. Cit., V. 1, p. 180. (٣٧٣)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300, Zoé : Op. Cit., 137, (٣٧٤)
المؤلف المجهول المصدر السابق نفس الصفحة .

William : Op. Cit., V. 1, p. 181, Zoé : Op. Cit., p. 138, (٣٧٥)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

William : Op. Cit., V. 1, p. 182. (٣٧٦)

لمساعدة تنكريد ، فلما وصلت الى طرمبوس وعلمت ما تم لجيش تنكريد طلبوا من بلدوين السماح لهم بالدخول للبيت فرمض واضطروا للبيت خارج ابنوار المدينة (٣٧٧) . « وفي مسكون الليل خرج الاتراك الموجودين بالمدينة خلسة في هدوء تام مصطحبين معهم زوجاتهم وأطفالهم وعبيدهم واماءهم وكل ما يملكون . فقد كانوا لا يستطيعون الشعور بالأطمئنان في ديارهم مع الضيوف الذين وعدوا عليهم (٣٧٨) » . وفي اليوم التالي قام الفرنج فوجدوا المدينة خالية من السكان « فاستغربوا لهرب العدو الصامت (٣٧٩) » . لكنهم اكتشفوا مذبحة أحد لها الاتراك الراحلون في الجيش المسيحي النورماندى الذى رمض بلدوين ادخله الى المدينة في اليوم السابق (٣٨٠) .

والواقع أن هذا الحادث ألّب على بلدوين الكثير من رجاله البارزين « ونسبوا اليه قتل رفائهم » (٣٨١) وكان أن تعرض بلدوين بسبب هذا الحدث للتجريح والتقد حتى من أتباعه أنفسهم (٣٨٢) بل لقد انعقدت الاعتبار لدى الكثير من الرؤساء السليبيين (٣٨٣) ولم يهدأ الحال نوعاً ما الا بعد أن « اتسم بلدوين أن السبب الوحيد الذى منعه من السماح بدخول الحجاج النورمان الى المدينة ، انه وعد مخلصاً بعدم السماح بدخول أى شخص المدينة حتى يصل الدوق (جودفري) وهكذا هذا التمس وتم الصلح » (٣٨٤) .

ثم تقدم بلدوين بعد ذلك حتى وصل الى المصبغة التى كان قد سبقه اليها اينسا تنكريد ، وعندما علم تنكريد باقتراب بلدوين « عزم على

William : Ibid., V. 1, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 138, (٣٧٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٧٨)

William : Ibid., V. 1, p. 183.

(٣٧٩)

{ مؤلف مجهول أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس من ٥ (٣٨٠.)

William : Ibid., V. 1, p. 183, Zoé : O. Cit., p. 138 من

(Albert), Setton : Op. Cit., p. 300.

William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٨١)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٨٢)

Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٣)

William : Op. Cit., V. 1, p. 184.

(٣٨٤)

أن يرد من نفس الزاوية المعسلة الشريرة التي تلقاها (٣٨٥) ٢
لذا انقض تنكريد بنفسه ومعه خمسمائة فارس مدرع على معسكر
بلدوين ونشبت معركة قاسية سقط فيها الكثير وأخذ بعض الأسرى من
كلا الجانبين ، وفي اليوم التالي هدأت مشاعر الكراهية وسكن الغضب
وأرسلت الرسل لطلب شروط السلم وإعيد الأسرى إلى كلا الجانبين
وعاد السلم (٣٨٦) .

وبعد ذلك توجه بلدوين إلى مرعش وانضم إلى الجيش الأصلي
وهناك وبخه أخوه بشدة عما حدث وكذلك فعل بقية الزعماء
الصليبيين (٣٨٧) . وبعد ذلك أجه تنكريد إلى الإسكندرونه فاستولى
عليها (٣٨٨) .

من خلال هذا العرض السريع للعلاقة بين بلدوين وتنكريد قبل تأسيس
الإمارات الصليبية . يمكن أن نستشف بعض الرواسب التي أثرت
فيها بعد على علاقتها ببعض . والواقع أن المصادر المعاصرة كانت عند
عرضها لتلك الأحداث السابقة تقف في صف تنكريد وتمتدح جانبه في حين
اعتبرت سلوك بلدوين نوعاً من القسوة وحسب الذات .

ثم كان أن قامت إمارة أنطاكية كوحدة سياسية مستقلة ، وعندئذ
ظهر موقف الرها منها عندما أسر بوهيموند (٣٨٩) أمير أنطاكية ووقع
في قبضة بنى دأنشند كما سبق أن اشرنا . ويهنا هنا أن نتناول
موقف أمير الرها من بنى دأنشند وإلى أي مدى تحرك لنجدة بوهيموند .

Gesta Tancredi in Expeditione hierosolymitana : (٣٨٥)

Auctore Radulfo Cadomensi (R.H.C.), Hist. Occid.,

T. 3, p. 637, William : Op. Cit., V. 1, p. 185.

William : Ibid., V. 1, p. 185, Setton : Op. Cit., V. 1, (٣٨٦)

p. 301, Zoé : Op. Cit., p. 138.

Zoé : Ibid p. 138.

(٣٨٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٣٨٨)

(٣٨٩) هو بوهيموند الأول بن روبرت جوسكارد أمير تازنت . كان

بوهيموند أميراً لأنطاكية من ١٠٩٨ م . وتوفي في كلودادي بوجليا

Canossa de Puglia (G. Schlumberger : Op. Cit., p. 31.

هنا يقال ان بلدوين عرف بالحادث « عن طريق بعض الفساريين الذين وصفوا له تلك الكارثة » (٣٩٠) أو ان بوهيموند نفسه هو الذي استنجد ببلدوين (٣٩١) .

وعندما سمع بلدوين بذلك « تعاطف مع الأمير كما لو كان اخا شقيقا له ، وحركته تلك الكارثة بقوة » (٤٩٢) بل قيل انه « حزن على زواجه ورفيقه ويكى على ما آل اليه امره (٣٩٣) » لذا تقدم بسرعة لنجدة (٣٩٤) . ونزل بلدوين « مع مائة من الرجال المشاه المختارين وأربعين من الفرسان المجهزين الى سهول ملطية لتخليص بوهيموند (٣٩٥) » كما ضم اليه جماعة من رجال انطاكية لمساعدته (٣٩٦) . ولكن بلدوين لم يستطع تقديم أى عون لبوهيموند بعد ان اخذه بنو دانشمند وانسحبوا ، وبعد ان تعقبهم بلدوين ومن معه لمدة ثلاثة أيام بدون جدوى عاد الى ملطية فخضعت له ثم عاد الى الرها . اما اهالى انطاكية فقد تملكهم الغضب الشديد وانصرفوا الى شئونهم (٣٩٧) .

وفي ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عندما تقدم بلدوين البولونى الى القدس ليتولى حكمها مكان اخيه جودفرى الذى مات قبل فترة قصيرة، اتجه أولا الى انطاكية

William : Op. Cit., V. 1, p. 411, Secunda Pars : (٣٩٠)
 Historiae... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 552.
 Fulcherii : Op. Cit... T. 3, p. 368, Gesta Francorum: (٣٩١)
 T. 3, p. 519, Alberti Aquensis : Historiae Liber
 VII ... T. 4, p. 525.

William : Op. Cit., V. 1, p. 411. (٣٩٢)
 Secundo Pars : Historiae ... Op. Cit., T. 3, p. 552. (٣٩٣)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 411. (٣٩٤)
 Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525 (٣٩٥)
 Gesta Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 519, Michaud (٣٩٦)
 Op. Cit., V. 1, p. 52.
 Fulcheri : Op. Cit. ... T. 3, p. 368. (٣٩٧)

حيث استقبل استقبالاً حافلاً من أهلها . وبعد أن استراح فيها ثلاثة أيام استأنف رحلته إلى بيت المقدس (٣٩٨) .

وقد حدث في يناير ١١٠١م (٣٩٤ هـ) أن خرج بلدوين دى بورج إلى سروج لحمايتها من سقمان الأرمني فحلت به الهزيمة في أول الأمر ، واضطر إلى الفرار إلى الرها ومنها أسرع لطلب المعونة من أنطاكية (٣٩٩) وبعد الحصول عليها تقدم إلى سروج .

وفي ١١٠٢م (٤٩٦ هـ) اشتركت جيوش الرها وأنطاكية في القيام ببعض الهجمات على المسلمين في شمال الشام فهاجموا « قرية المسلمية (٤٠٠) وقتلوا بعض أهلها وقطموا على عدة مواضع قلاع أخفوها (٤٠١) » ثم توجهوا إلى حلب وأقاموا بالبلد عدة أيام وبعد التفاوض مع رضوان أئبرها استقر الحال على أن يدفع لهم مبلغاً من المال وبعض الخيول ويطلقون الأسرى المسلمين الموجودين عندهم (٤٠٢) .

وفي ١١٠٢م — ٤٩٧ هـ أطلق سراح بوهيموند بعد أن ساهم بلدوين دى بورج في خديته (٤٠٣) وبعد إطلاق سراحه مباشرة تم التحالف بينه وبين بلدوين دى بورج واتخذ موقفاً هجومياً ضد مسلمي حلب وقرى قريبة على أئبرها (٤٠٤) .

Albefi Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, (٣٩٨)
p. 527.

Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. (٣٩٩)
V. 2, p. 870.

(٤٠٠) قرية على طريق حلب تبعد عنها أحد عشر كيلوا متراً
(ابن الحديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧) .

(٤٠١) ابن الحديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ .

(٤٠٢) ابن الحديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٤٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoë : Op. Cit., p. 212,
Harold Lamb : p. 240.

Bréhier : Vie et Mort de Byzance, p. 315, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

ثم كانت معركة حران ١٠٤٠م (٤٩٧هـ) التي شارك فيها كل من بوهيموند وتنكريد (٤٠٥) ، كما شارك فيها بطريق انطاكية اللاتيني برنارد دي فالنيس (٤٠٦) . ومرتبطا كذا ببلدوين في الانطاكيين الى عدم تسليح ملوك حران من اهلها ، (٤٠٧) ، الى جلب النزاع مع الانطاكيين حول ايها يرفع علمه أولا على المدينة (٤٠٨) ، مما ادى الى هزيمتهم بمقد ذلك والواقع انه اذا كان يلزم من كلام ابن الاثير كما مر بنا عند الكلام من موقعة حران - ان الجيش الانطاكي لم يحارب في تلك المعركة اطلاقا (٤٠٩) . فان المصادر اللاتينية تشير الى الاشتراك الفعلي للانطاكيين في تلك المعركة (٤١٠) . اما (كاهن) فيعتبر نجاح الانطاكيين غير كامل في تلك المعركة (٤١١) . والحقيقة انه ربما دفع الى هذا الاختلاف في مدى مشاركة الانطاكيين ، ان العسكر الانطاكي لم يصب بضرر (٤١٢) .

وبعد اسر بلدوين دي بورج وجوسلين وفرار بوهيموند وتنكريد الى الرها اختار الامالى تنكريد وصيا على الرها الذي صد عنها هجوم

-
- Alberti Aquensis Historiae Liber IX... T. 4, p. 615, (٤٠٥)
 Gesta Tancredi : Op. Cit. ... T. 3, p. 710, Matieu : Op. Cit.,
 p. 71,
 ابن العباسي : الذيل ص ١٤٣ ، مسبط بن الجوزي : مرآة الزمان ،
 هـ ٨ في ١ ص ٩ .
- Alberti : Ibid., p. 615, William : Op. Cit., V. 1, (٤٠٦)
 p. 456, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 403 من (Albert),
 Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 42.
- Michel : Op. Cit., p. 195. (٤٠٧)
 Matieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, (٤٠٨)
 p. 458, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Michaud : Op. Cit.,
 V. 2, p. 33.
- (٤٠٩) ابن الاثير : الكلب ، هـ ٨ ٢٢١ - ٢٢٢ .
- Gesta Tancredi : Op. Cit. ... T. 3, p. 710, Alberti : Op. Cit., (٤١٠)
 Cit., Liber IX... T. 4, p. 615-616.
- Cahen : Op. Cit., p. 238. (٤١١)
 Matieu : Op. Cit., p. 72. (٤١٢)

جكرمش ١١٠٤م — (٥٤٩٧) ثم خضعت الرها لحكم ريتشارد دى سالرن
الذى ازهق الامارة كثيرا بحكمه كما بينا من قبل .

والواقع انه كان من الممكن أن يتم اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة
١١٠٤م بعد العرض الذى قدمه جكرمش بأنه مستعد أن يطلقه في مقابل
اطلاق تنكريد لاميره سلجوقية كان قد أسرهما في نفس السنة ، أو أن يدفع
لتنكريد خمسة عشر الف بيزانت لاطلاق سراح الاميره (٤١٣) . وبالرغم
من أن ملك بيت المقدس ارسل الى انطاكيه يطلب من بوهيموند وتنكريد
الا ينوتا تلك الفرصة لاطلاق سراح بلدوين لكن بوهيموند وتنكريد كانا
يحتاجان الى المال بينما عودة بلدوين مسوف تقضى تنكريد بعيدا
عن وصايتيه على الرها ، ويعود خلى الوفاض . لذا اجابا بأنه
ليس من السياسة أن يظهرها في صورة المتلفين على الموافقة على العرض
لأن ذلك من شأنه أن يجعل جكرمش يرفع الثمن إذا ترددا ولكن في
نفس الوقت فانها رتبا مع الأمير جكرمش الحصول على المبلغ ويبقى
بلدوين في الأسر (٤١٤) فقد كتبت الرها « مر عظيم جدا وفو أهمية
تجارية كبيرة (٤١٥) » .

وبعد اطلاق سراح بلدوين وجوسلين ، قدم تنكريد لبلدوين مبلغا
كبيرا من المال . ولكنه عرض على الأميرين الرجوع الى الرها « بشرط
أن يكونا تابعين لامارة انطاكية مرفضا (٤١٦) » .

هنا يعود بلدوين الى تل بشر ويطلب مؤازرة جاولى والأتراك
من ناحية وكوغ باسيل الأرمني من ناحية أخرى (٤١٧) . أما تنكريد

Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 619. (٤١٣)
Alberti : Ibid., p. 619, Runciman : Op. Cit., V. 2, (٤١٤)
p. 45, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Cahen : Op. Cit., p. 248.
نص خطاب الأميرين الى الملك مع الملاحق.

Zoé : Op. Cit., p. 215. (٤١٥)
Mattieu : Op. Cit., p. 86. (٤١٦)
Mattieu : Op. Cit., p. 85, Alberti : Op. Cit., Liber X... (٤١٧)
T. 4, p. 649, Cahen : Op. Cit., p. 249, Zoé : Op. Cit.,
p. 239, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 436.

فقد استدعى لمؤازرته رضوان حاكم حلب ، وأمير قلعة جعبر (٤١٨) .
وقامت بين الامرين حرب طاحنة « كان جوسلين فيها — على
وجه الخصوص — نشطا ضد تنكريد لأن قلعة كانت تقع في ذلك الجانب
من الفرات وكان بذلك قريبا من اراضي انطاكية (٤١٩) »

ولما كانت هذه الحرب تعتبر نوعا من الانقسام بين الفرنج
وكانت تهدد الوجود الصليبي في شمال الشام لذا تدخل كبار الشخصيات
الصليبية (٤٢٠) ، الى جانب بطريك انطاكية برنارد وتمكنوا من
فض النزاع (٤٢١) . وعادت الرها الى اميرها الشرعي (٤٢٢) .

وما كاد امير الرها يسترجع امارته حتى نشأ خلاف بين جاولي
ورضوان واستجد جاولي ببلدوين ورضوان بتنكريد وبدأ الصراع من جديد
بين الامرتين . والواقع اننا فصلنا ذلك الصراع عند الكلام عن علاقة
الرها بالموصل ٥٠٢ هـ (١١٠٨ م) ولكن ما نود أن نضيف هنا هو
ما ذكره ابن الفرات واكدّه فولشر من أن المعركة بين الرها وانطاكية
كانت حوالى ثلاثة اشبكات متتالية انتهت بانتصار تنكريد (٤٢٣) .

وهكذا نبعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج حدث اصطدامان بين

- (٤١٨) Cahen : Op. Cit., p. 249.
كان امير قلعة جعبر في ذلك الوقت شمس الدولة سالم بن ملك بن بدران
٤٧٩ — ٥١٩ هـ (١٠٨٦ — ١١٢٥) زامبور : معجم الانساب ، ص ٢٠٦ .
(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.
(٤٢٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 410, William : Op. Cit.,
V. 1, p. 475.
(٤٢١) ابن الاثير : الكامل ، ص ٨ من ٢٥٣ — ٢٥٤ ابن الفرات : مخطوط ،
د ١ ص ٢٣ (١) .
Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois.
V. 1, p. 438.
(٤٢٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٤ : ابن الفرات : مخطوط ،
د ١ ص ٢٣ (١) .
(٤٢٣) Fulcherii : Op. Cit. ... T. 3, p. 410,

==

الرها وانطاكية ؛ الاول اثير بسبب تشدد تنكريد في عدم ارجاع الرها لبلدوين والثاني بسبب استنجد رضوان بتنكريد ضد جاولى وبالتالي استنجد جاولى ببلدوين ضد رضوان .

ولم يمر عام واحد حتى شرع مودود بأمر من السلطان السلجوقي في سياسة الجهاد ضد الفرنج كما مر بنا . وهنا نجد رأيا ينفرد به منى

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، د ١ ص ٢٥ (ب) — ٢٦ (ب)

وهنا يعطينا ابن الفرات وصفا شيقا لبعض ما حدث فقال ان تنكريد برز اثناء القتال بين الصغين المتحاررين واستدعى جوسلين وتحادنا والأمير جاولى ينظر اليهما . « ولم يعلم ان هذه عساة القوم وان العدو يجتمع بمعدوه ويحاربه ويقرر حاله » فخشي ان يكون الاميران الصليبيان قد اصطالحا ضد مصلحة المسلمين . ولكن لم يصل الطرفان الى شيء من هذا ، وتنادوا بالحرب من جديد . وهنا رأى جوسلين ان الأمير جاولى قد اعتزل من المعسكر فوصل اليه وقال له : « يا مولاي هذا زينا فلا تظن غير هذا فلم يجبه الى قوله وظل على اعتزاله » وعاد جوسلين وتنكريد للاشتباك من جديد وكانت الحملة الاولى من اشد حملاتهم . وفي الحملة الثانية « كان جوسلين لا يقصد الا طنكريد ، وطنكريد مثله فطامنا وتضاريا بالسيوف وأبلى كل واحد منهما ثم استل كل منهما رحما وطامنا فسبق طمعة. طنكريد الى جوسلين فقتلته عن ظهر فرسه وحمل صاحب مرعش على طنكريد بطمعة فصرمه ايضا وظن ان جوسلين قد قتل ، وكان صاحب مرعش هو حامل علم جوسلين » . فلما رأى أصحاب جوسلين انه قد سقط على الأرض انهزموا ، لكن جوسلين نهض وسار الى الحصن لممنعته أمه من الدخول وقالت « الى أين أيتى لم أكن رزقتك » . فقال لها « والله ، ما انهزمت حتى طمعت طنكريد حق الطمن ونازلته حق المنازلة » فقالت « والله لا اصحتك حتى اتأكد من ذلك من طنكريد نفسه » . وبالفعل ذهبت لتنكريد وسألته هل قاتله ابنها حق قتال ، فقال لها « والله ما انهزم ولكن سقط على الأرض كرها وانهزم عنه اصحابه وقد ضربني في الثلاث حملات وضربته عدة ضربات » وأكد كلام تنكريد جبهة من الفرسان فانصرفت .

الرهاوى عن سبب قدوم تلك الحملة ولو أننا نستبعد الأخذ به ، وهو « ان كلا من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى أراد ان يعلن الحرب ضد تنكريد ، فقد كانت قلوبهما مليئة بالحق ضد - ربما لهزيمة العام السابق - ففكرا تفكيرا غير لائق بمسيحي وهو الاستنجد بشرف الدولة (مودود) (٤٢٤) » ثم يعود متى بعد ذلك وينكر « ان الاسير وجد ان بلدوين دى بورج تحاشاه فتوجه ضد الرها وبذلك أسرع بلدوين في ارسال جوسلين دى كورتناى ليستنجد بالملك بلدوين أثناء حصاره لبيروت ضد مودود (٤٢٥) » . وهذا يكفى لضحض النص السابق وتأييد القول بأن الحملة أرسلت أملا من جانب السلاجقة ضد الفرنج . ويؤيد رأينا هذا ما ذكر من أن تنكريد لم يعبأ بانقاذ الرها في بادىء الامر لان بلدوين الثانى دى بورج اتهمه بتحريك تلك الحملة الاسلامية ضد الرها والتآمر مع المسلمين ضده (٤٢٦) .

والواقع ان جروسية يعزو ذلك - أى الصلق كل امير التهمة للآخر بتحريك تلك الحملة ، الى ما سبق من تعاون كلا الجانبين مع الترك ضد بعضهما (٤٢٧) . فذلك كانت أولى كلمات بلدوين دى بورج للملك بلدوين عندما حضر لنتجته ، هي شكواه من « تنكريد مدوه المحرك للغزو التركى (٤٢٨) » . وعلى ذلك فقد « كان امير انطاكية على علاقة سيئة مع الرها بسبب تمهدهاته مع المسلمين ضدها (٤٢٩) » لذلك فقد دعا الملك بلدوين الاول تنكريد الى أن يتصل ببيقية الفرنج واذا كان لديه

Mattieu : Op. Cit., p 91. (٤٢٤)

Mattieu : Ibid., p. 91. (٤٢٥)

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber XI. T. 4, p. 670. (٤٢٦)
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٦ عن (البرت) .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449. (٤٢٧)

Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : (٤٢٨)
Ibid., p. 459.

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289. (٤٢٩)

شكاوى يحضرها (٤٣٠) . وقد تردد تنكريد وقوانه في المشاركة مع الصليبيين ضد تلك الحملة التركية ، ولكنه عاد وأدرك أن عدم تعاونه مع أخوانه الصليبيين في حريهم ضد الأتراك يسىء الى سمعته في المحيط الصليبي بل يعتبر خيانة في حقهم ، لذا سار بقوة تقدر بحوالى ألف وخمسمائة فارس الى الرها ، حيث استقبل من الملك استقبالا وديا (٤٣١) وبعد ذلك سألته عن سبب موقفه العدائى من أمير الرها فأجاب بأن الرها كانت منذ عهد بعيد — أيام الحكم البيزنطى أو انتركى — ضمن نفوذ أنطاكية (٤٣٢) عندئذ رد الملك على تنكريد قائلا : « اذى تنكريد ان ما تطلبه غير صحيح . انك تستند على وضع البلاد زمن السيادة الاسلامية لكن يجب ان تعلم اننا عندما رحلنا من اجل الحرب المقدسة ، كان معروفا ان ما سيدنزه كل منا من المسلمين سيؤول اليه . . لذا قلنا باسم كل المسيحية الموجودة هنا احثك على صلح صافق مع بلدوين دى بورج . واذا فضلت التأمر مع الأتراك فان تستطيع البقاء بيننا وسوف نحاربك بدون شفقه (٤٣٣) » وأمام هذا الشعور العام الذى تلى الخطبة الملكية اضطر تنكريد للخضوع (٤٣٤) وتخلّى عن مشاعر الكره والحسد (٤٣٥) أى أن خضوع تنكريد كان تحت ضغط الظروف المحيطة به في ذلك الوقت — هنا يجب ان نستعيد الى ذاكرتنا ما حدث قبل تأسيس الامارات من صراع بين تنكريد

(٤٣٠) : Grousset , Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672.

Hist. des Crois., V. 1, p. 452, Setton : Op. Cit.,
V. 1, p. 399.

(٤٣١) : Grousset : Ibid., p. 452, Alberti : Ibid., p. 672.

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٧ عن (Stevenson)

(٤٣٢) : Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 452.

هنا يذكر البرت ان تنكريد كان يرغب في الحصول على ضريبة سنوية على الرها .

(Alberti : Op. Cit., p. 672).

(٤٣٣) عن Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 453, L'Épopée, p. 88

(Albert), Zoé : Op. Cit., p. 242.

(٤٣٤) : Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 453

(٤٣٥) : Archer : Op. Cit., p. 148.

وبلديون وكيف رجحت كفة بلديون أيضا - وفي المعركة التي دارت بين المسلمين والصليبيين بعد ذلك نجد رأيين أحدهما يذكر أن تنكريد اضطر للانتسحاب إلى سميساط لأنه علم أن مؤامرة تدبر ضده هو وجباةته (٤٣٦) . والرأي الثاني يشير إلى أنه بمجرد أن اجتمع الجيش الفرنجي للتوجه ضد الأتراك ، بادر الجمع النورماندي بالانتسحاب (٤٣٧) .

وفي ١١١١ م (٥٠٥ هـ) كانت حملة مودود الثانية كما رأينا على الرها وهي التي توجهت إلى حلب بعد ذلك وفقا لرغبة رضوان ، حتى أغلق رضوان أبواب البلد في وجه الجيش التركي مدعيا أنه أنهى خلافاته مع تنكريد وعندئذ توجه هذا الجيش إلى أنطاكية وتوقف في شيزر فما كان من تنكريد إلا أن جمع حوله كل الفرنج فلق به الملك بلديون الأول ملك بيت المقدس وبرترام أمير طرابلس وبلديون دى بورج أمير الرها (٤٣٨) . واجتمعوا عند أنطاكية أو قسارية (٤٣٩) وتقابل الفريقان بعد ذلك عند شيزر ولكن لم تحدث معركة وانسحب الجانبان كل إلى بلاده (٤٤٠) . هكذا فشلت حملة مودود ١١١١ م في كل خطواتها لأن المسلمين كانوا يفتقرون إلى وحدة تنظم صفوفهم في الوقت الذي اتحد فيه الصليبيون جميعا من أطراف العراق وشمال الشام إلى جنوب فلسطين تحت رعاية بلديون الأول ملك بيت المقدس (٤٤١) . تلك الوحدة التي أكد (برويه) وجودها في سنتي ١١١٠ - ١١١١ م بين الصليبيين بفضل جهود الملك بلديون الأول (٤٤٢) .

Mattieu : Op.Cit., p. 93, Grousset : Hist. des Crois., (٤٣٦)

V. 1, p. 45 (Mattieu).

Zoé : Op. Cit., p. 242.

(٤٣٧)

Mattieu : Op.Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, (٤٣٨)

p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(Setton) (٤٣٩) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٦٥ عن

Grousset : d., p. 90.

Mattieu : Op.Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, (٤٤٠)

p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(Ru man) (٤٤١) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٦٥ عن

J. Pra . . Op. Cit., T. 1, p. 28.

(٤٤٢)

وفي ١٢ ديسمبر ١١١٢م توفي تنكريد أمير أنطاكية (٤٤٣) . فحل محله في حكم إمارة أنطاكية روجر السالرنى ابن ريتشارد (٤٤٤) : الذى تولى ادارة الرها فترة ، أثناء أسر بلدوين دى بورج كوصى عليها من قبل تنكريد .

ويبدو إنه قبل وفاة تنكريد وبالتقريب في الفترة ما بين ١١١٠م - ١١١٢م (٥٠٤ - ٥٠٦) أيدت الرها جناب أنطاكية ضد بيزنطة مثلها في ذلك مثل القدس التى أيدت هي الأخرى أنطاكية . وقد عثرنا على نص نكرته (أنا كومينا) وشعر الى أن الإمبراطور الكسيوس أرسل سفارة للتفاوض مع ملك بيت المقدس ضد تنكريد ودفع له الإمبراطور مبلغا من المال في مقابل ذلك فرمض الملك ، لذا اتجهت السفارة الى الأمير جوسلين دى كورتناى الذى كان يزور القدس للعبادة في كنيسة القيامة . فكان جوابه مشابها لجواب الملك (٤٤٥) . والراجع أن تلك السفارة ذهبت الى القدس قبل أن يطرد جوسلين من الرها وأن جوسلين في ذلك الوقت كان يمثل التابع الرئيسى لبلدوين دى بورج .

وفي عهد روجر تم ارتباط ودى عن طريق الزواج بين إمارة الرها وإمارة أنطاكية ، فقد تزوج روجر من أخت بلدوين دى بورج نفسه (٤٤٦) . ويبدو أن ذلك الزواج تم قبل ١١١٢م لأن وليم المورى يذكر أنه « في ١١١٢م أرسل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسله في مهمة خاصة الى روجر بن ريتشارد حاكم أنطاكية ، الذى كان قد تزوج إحدى أخوات الأمير بلدوين (٤٤٧) » .

Grousset : L'Épopée, p. 91. (٤٤٣)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 482, Cahen : (٤٤٤)
Op. Cit., p. 273,

يسميه ابن الأثير (روجيل) ابن الأثير الكلبي ، ص ٨٠٢

Anna Comnena : The Alexiad ; p. 367. (٤٤٥)

سيأتى النص كاملا في الملاحق .

William : Op. Cit., V. 1, p. 498, Zoé : Op. Cit., p. 246, (٤٤٦)

Grousset : L'Épopée, p. 93, Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

William : Ibid., V. 1, p. 498. (٤٤٧)

ويصبر من تلك العلاقات الودية المتينة في ذلك الدور ، ما ذكره جروسية من أنه « عندما أصبح بلدوين دى بورج ملكا ١١١٨ م » استفادت إمارة أنطاكية بكل تأييد الملكة الفرنجية (٤٨) .

وفي ١١١٥ م (٥٠٩ هـ) كانت حملة البرسقى على أنطاكية والتي مر فيها بالرها (٤٩) لم توجه الى أنطاكية وفي نيته تخريب كل الأقليم المحيط بها (٥٠) . وكان أن استنجد الأمير روجر بالملك بلدوين ملك القدس وبيلدوين أمير الرها (٥١) ، هذا الى جانب بونز أمير طرابلس (٥٢) . وكان بلدوين أمير الرها « في الطليعة بفرقتيه العسكرية وحالسا وقع نظره على العدو ، حتى اندفع عليهم غير مروع بأعدادهم العظيمة ، وذلك بهجوم ضار ، هز كل جيشهم وثبتت الكتائب الأخرى مثاله فتغفوا بأنفسهم بروح مثابرة ضد قلب قوات العدو وحاربوها بالسيوف يدا ليد (٥٣) » . ويقال أن لؤلؤ (٥٤) ، أخبر الفرنج بتحركات البرسقى لذا باغته روجر وبعد أن كان متفوقا في البداية اضطر للهرب (٥٥) .

وفي بداية عهد جوسلين دى كورتناى كأمير للرها غزا ايلغازى الأقليم المحيط بأنطاكية وكان بصحبته طغتكين حاكم دمشق ودييس أمير الحلة العربى السابق الذكر . فنددوا استنجد روجر بالملك بلدوين — أخو زوجته — ويجوسلين أمير الرها ويونز أمير طرابلس « وتفرغ اليهم بالحاح وعجلة الا يتأخروا في المجيء لمساعدته في الهجوم الطويل (٥٦) » .

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 482. (٤٨)

Mattieu : Op. Cit., p. 114. (٤٩)

Mattieu : Ibid., p. 115. (٥٠)

Galiterii Cancellarii Bella Antiochena : II Bellum — (٥١)

Art X. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 188,

William : Op. Cit., V. 1, p. 504, Mattieu : Op. Cit.,

p. 115.

Cahen : Op. Cit., p. 273, Setton : Op. Cit., V. 1, (٥٢)

p. 404.

William : Op. Cit., V. 1, p. 504. (٥٣)

(٥٤) لؤلؤ الخصى الوصى على الب أرسلان بن رضوان حاكم حلب .

Cahen : Op. Cit., p. 274. (٥٥)

William — Op. Cit., V. 1, p. 528. (٥٦)

مخفوا جميعا لنجدة ولكن رغم ذلك كان النصر لابلغازى (٥٧) . ومعنى ذلك انه في عهد جوسلين الاول استمرت العلاقات قوية بين الرها واطليكية ، وازدادت هذه العلاقات قوة « عندما تزوج جوسلين دى كورناتى اخت روجر حاكم اطلليكية وهى ماريا السالارنية والتي سبق ان فكرنا انه تلقى عزاز مهرا لها (٥٨) . في حين اشار راي آخر انها كانت ابنة روجر نفسه وان ذلك كان حوالى ١١٢٠م (٥٩) .

ثم حدث ١١٢٥م (٥٩) ان حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها فخف اليها الفرنج جميعا لمساعدة جوسلين ضد أعدائه وساهم رجال اطلليكية البارزين بدور كبير في المعركة (٦٠) .

والواقع انه بعد ذلك الدور بدأت العلاقات الرهوية الاطلليكية تدخل في صراع مكشوف أكثر مما كان بين سنتى ١١٠٨ - ١١١٠م (٥٠٢) - (٥٠٤) . وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد كاحد العوامل المسببة لسقوط امارة الرها ، لكننا نذكره هنا بحكم تسلسل العلاقات وحتى لا تكون هناك فجوة غير مفسر اليها في علاقات الرها باطلليكية .

مضى خريف ١١٢٦م (٥٢٠) وصل الى اطلليكية ابن بوهيموند الاول ، الذى رحل من روما وحكم اطلليكية ، وحمل نفس اسم ابيه (٦١) . فكان يحمل اسم بوهيموند الثانى (٦٢) . تزوج بوهيموند هذا الاميرة (اليس Alix) ابنة بلدوين الثانى ملك القدس (٦٣) ، وفي نفس السنة ٥٢٠ هـ قتل البرسقى (٦٤) .

William : Ibid., p. 528. (٥٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418. (٥٨)

Cahen : Op. Cit., p. 291. عن (l'Anonyme Syriac) (٥٩)

Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, (٦٠)
p. 24.

Michel : Op. Cit., p. 224, Schlumberger : Op. Cit., p. 32. (٦١)

وكان وصول بوهيموند الثانى الى بلاد الشام في (١٨ رمضان ٥٢٠ هـ) ابن شدداد : الاغلاق الخطيرة د ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠ هـ .

Schlumberger : Op. Cit., p. 32. (٦٢)

وهو ابن بوهيموند الاول وكستانس (Constance)

Schlumberger : Ibid., p. 32, Grousset : Hist. Hist. des (٦٣)

Crois. V. 1, p. 651.

(٦٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ص ٣١ .

نوفمبر ١١٢٦م (٤٦٥) . وقد أدى ذلك الى قيام غوضى بحلب فانتزها كل من جوسلين الاول وبوهيموند الثانى واسرعا الى حلب آملين اخذ المدينة وسط الفوضى وكان ذلك ١١٢٧م هنا نشب بين الجانبين الرهوى والانطاكى عداء على (٤٦٦) . وهنا يذكر وليم الصورى « ان لسباب هذا العداء الخطير بين بوهيموند الثانى وجوسلين الاكبر كانت غير معروفة (٤٦٧) » . ولكن من الراجح ان سبب ذلك هو ان جوسلين كان يأمل ان يعطى عرش القدس بصد الملك بلدوين الثانى ولكن زواج بوهيموند من ابنة الملك بلدوين ضيع عليه تلك الفرصة (٤٦٨) .

واذا كان جوسلين قد انصرف عن حلب بعد ان « صونع بهال (٤٦٩) » فان الصراع انتقل الى انطاكية بعد ذلك ، وقد استعان فيه جوسلين بالأتراك ضد بوهيموند (٤٧٠) . وقد أشار وليم الصورى الى ذلك بقوله « دعا جوسلين لمساعدته مجموعات من الأتراك وإقام أسسا سابقة مهيبة لاعتقابه وبمساعدهتهم انتقم من أراضي انطاكية بالانار والسيف واجبروا أهلها - الخدم الحقيقيين للمسيح . على ان ينحوا لنير عبودية غير مستوجب (٤٧١) » . أما ميخائيل السريانى فيذكر ان جوسلين « استولى على كل شيء وجده في اقليم انطاكية ماعدا الرجال (٤٧٢) » . لذا أسرع الملك بلدوين الى انطاكية وعن طريق مؤازرة البطريرك برنارد دى مالنس ، تم الوفاق بينهما (٤٧٣) . فقد غضب البطريرك واقتل الكنائس وأوقف القداسات والصلوات وأوقف

(٤٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٥٣٠ .
 Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651. (٤٦٦)
 William : Op. Cit., V. 2, p. 34. (٤٦٧)
 Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 651. (٤٦٨)
 فقد كان جوسلين يأمل في العرش لقربانه أولا من الملك بلدوين وثانيا بحكم انسابيق التي حصلت فكل من بلدوين الاول والثانى ، ارتقى بعد إمارة الرها عرش القدس (سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٣١) .
 (٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٨ ، الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٨ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651. (٤٧٠)
 William : Op. Cit., V. 2, p. 34. (٤٧١)
 Michel : Op. Cit., p. 224. (٤٧٢)
 Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651. (٤٧٣)

الأجراس والجنائزات على الموتى ، لذا أجبروا على عقد الصلح وأعاد
جوسلين كل الغنية (١٧٤) .

ويبدو أن الوضع بين أمارتى الرها وأنطاكية عاد الى هدوئه
النسبى حتى فبراير ١١٢٠م - رمضان ٥٢٤هـ ، عندما قتل بوهيموند
الثانى فى معركة ضد الأمير غازى الدائشمندى (١٧٥) . وعندئذ
حاولت أرملة له ليس السيطرة على الحكم وحرمان طفلتها كونستانس
صاحبة الحق الشرعى فى الحكم من طريق تدبيرها للمكائد (١٧٦) .
فما كان من رجال أنطاكية البارزين إلا أن جمعوا مجلسا ثم استنجدوا
بالمك بلدوين للمساعدة (١٧٧) . ويقال أن اليس وصلت فى تحديها
للأنطاكيين الى درجة الاستجداد بزنى إسماعيلتها ، ولكن لسوء حظها
وقع خطاب الاستجداد فى يد والدها ومرف بالمؤامرة (١٧٨) . عندئذ
أسرع الملك بلدوين الى أنطاكية كما توجه اليها أيضا جوسلين دى كورنتاى
أمير الرها (١٧٩) . ولكن اليس منعهم من الدخول إلا أن بعض القادة
المدنيين والدينيين عصوا أوامرهما وفتحوا أبواب المدينة لهم (١٨٠) .
وعندئذ أصدر الملك بلدوين مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على

Michel : Op. Cit., p. 224.

(١٧٤)

Michel : Ibid., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32, (١٧٥)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431,

ابن شداد : الأملق الخطير عند ميكرونيلى حوادث ٥٢٠هـ . (هنا يخطئ
أحد مؤرخى الأرمن فيجعل تاريخ وفاة بوهيموند الثانى هو تاريخ توليته .
فيذكر أن بوهيموند خلف روجر ١١٢٠م فى حكم أنطاكية :

Jacques D. Iasavardens : Hist. de l'Arménie, T. II, p. 316.

(١٧٦) اسحق مبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٥٧ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(١٧٧)

Setton : Ibid., V. 1, p. 431, J. Prawer : Op. Cit.,

(١٧٨)

T. 1, p. 317.

Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 (١٧٩)

p. 255.

هنا يذكر ابن العبرى : أن ذلك كان سنة ١١٢١م. ولكن الراجح
أنه كان ١١٢٠م .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431, Prawer : Op. Cit., T. 1, (١٨٠)

p. 317.

كونستانس ابنه بوهيموند الثاني في حكمها لانطكية والمناطق التابعة لها حتى تتزوج فيصبح زوجها ليبرا على انطكية (٤٨١) .

وفي ١١٢٠م ايضا قبلت بين الرها وانطكية علاقة دينية ذلك ان (حنا ماديا) عندما توجه الى مدينة كيموم ليم اختياره بواسطة مجيئها الديني ، بطيريك يعقوبيا على انطكية ، وجد المدينة محاصرة بواسطة سلاجقة الروم - كما سبق الذكر - لذا توجه ذلك البطريك الى تل باشر حيث تمت رسالته تحت رعاية جوسلين الاول في كنيسة تل باشر اللاتينية فاصبح بطيريك لدير - Dovalr - وبذلك خلف البطريك البعقوبي لانطكية اتلس وتم ذلك بالتمديد في ١٧ فبراير ١١٢٠م - بفضل تايد جوسلين الاول ومساعدته (٤٨٢) .

وفي ١١٢١م - ٥٢٦هـ توفي جوسلين الاول وخلفه في حكم امارة الرها جوسلين الثاني الذي رغب في ان يحكم انطكية بكان ابنه لكن اهالي انطكية والبطريك لم يوافقوا على ذلك واحتفظوا بالمدينة لابنه بوهيموند (٤٨٣) .

وفي اغسطس ١١٢١م توفي الملك بلدوين الثاني (٤٨٤) فحاولت اليس تحقيق اطامها بن جديد ولكن مولك ملك بيت المقدس الجديد منعها من ذلك بالقوة واجبرها على الفرار الى اللاتينية ثم تمت خطبة كونستانس لريوند دي بواتيه Raimond de Poliers الذي كان وقتها في بلاط هنري الاول ملك انجلترا (٤٨٥) .

هنا يقال ان اليس استعانت في محاولتها الاخيرة بجوسلين امير الرها (٤٨٦) . ونحن لا نستبعد هذا الرأي وخاصة ان جوسلين الثاني كان قد تقدم الى انطكية ١١٢٢م (٥٢٧هـ) لمساعدتها ضد غزو الاثراك لها (٤٨٧) .

ومهما يكن الامر فانه بزواج ريوند دي بواتيه من كونستانس ابنه

Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : V., 1, p. 255. (٤٨١)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 7. (٤٨٢)

Michel : Op. Cit., p. 233. (٤٨٣)

Schlumberger : Op. Cit., p. 3. (٤٨٤)

(٤٨٥) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة من ١٥٧ - ١٥٨ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 433, Prawer : Op. Cit., (٤٨٦)

T. 1. p. 317.

Michel : Op. Cit., p. 234. (٤٨٧)

بوهيوند الثاني أصبح اميرا لانطاكية من ١١٣٦ - ١١٤٩م (٤٨٨)
(٥٣١ - ٥٤٤) مما قضى على اطباع الطامعين في امارة انطاكية
ومن بينهم جوسلين الثاني نفسه .

وفي ١١٣٧ - ٥٣٢ هـ جددت ظروف في امارة انطاكية استدعت تدخل
الامير جوسلين الثاني . وترجع جذور تلك الاحداث الى ١١٣٥م عندها
توفي قسطنطين ملك ارمينيا الصغرى (٤٨٩) فخلفه على العرش ليو
الاول اخو ثوروس الذي انتزع من البيزنطيين ، المصيصة واذنه
وطرسوس وتقدم منتصرا حتى شواطئ البحر المتوسط . وعندما
تولى ريموند دى بواتيه امارة انطاكية ١١٣٦م أصبحت حدوده متقاربة
جدا مع حدود ليو الأرمني فكان لابد من الاحتكاك بينهما بحكم كونهما
رئيسين طموحين . وكان أن وقع ليو الأرمني في كمين (٤٩٠) نصبه له
ريموند بالاشتراك مع بلدين أمير مرمش (٤٩١) وظل ليو أسيرا داخل
احدى القلاع لمدة شهرين حتى تم الاتفاق على اطلاق سراحه مقابل
التنازل عن بعض المدن ودفع مبلغ من المال وأن يقدم ابنه كرهينة
ومن ناحية أخرى وعده ريموند بمساعدته ضد الامبراطور البيزنطي
حنا كومنين (٤٩٢) .

ومع ذلك فانه ما كاد يتم اطلاق سراح ليو حتى حثت بعده وهاجم

-
- Schlumberger : Op. Cit., p. 32. (٤٨٨)
Tournèize : Ibid., p. 173. (توفي ريموند ٢٩ يونيه ١١٤٩م)
Tournèize : Ibid., p. 173. (٤٨٩)
Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournèize : Op. Cit. (٤٩٠)
Cit. p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 316.
ولو أن الأخير يخطئ فيعتبر أن ذلك كان في عهد بوهيوند .
Gregoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Cahen : Op. Cit. (٤٩١)
p. 358.
Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournèize : Op. Cit. (٤٩٢)
Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152,
Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 316, Cahen:
Op. Cit., p. 358.
لما المدن التي وعد ليون بتسليمها هي المصيصة واذنه Sarovanticar
وكان المبلغ حوالي ٦٠٠٠٠ دينار . او Roc de Saravant

ريموند واستولى من جديد على المدن التي كان قد تنازل عنها (٤٩٣) مدعيا « أنها اغتصبت منه بالخديعة والقوة » (٤٩٤) لذا استنك الجاقين في حرب أريقنت فيها دماء كثيرة (٤٩٥) رغم تدخل الملك فولك لاصلاح الوقت (٤٩٦) وجاء ذلك العداء كارثة على الأرمن والفرنج جميعا : لأن المسلمين انتهزوا الفرصة للانقضاض على الجاقين المتحاربين (٤٩٧) هذا الى جانب الاخبار التي بدأت تنذر باقتراب الجيوش البيزنطى (٤٩٨) . لذا توسط جوسلين الثانى بين الجاقين في ذلك الوقت ، بحكم أن والده كان متزوجا من اخت الأمير ليو . وأوقف المداوات وأصاح بين الطرفين وتم ذلك ١١٣٧م (٤٩٩) .

في نفس الوقت الذى وصلت فيه اخبار استعدادات الإمبراطور لحملته على الشام ١١٣٧م وصلت أنباء أيضا بأن فولك ملك بيت المقدس لقي هزيمة على يد زنكى فأرسل الملك يستنجد بريموند أمير انطاكية . وكان وضع ريموند عندئذ حرجا للغاية فمن ناحية لم يكن يود أن يبرح إمارته في ذلك الوقت حتى لا يتمكن العدو البيزنطى من الاستيلاء عليها . وفي نفس الوقت كان عليه أن يطلب نداء الملك ، لذا « مهد الى كل من جوسلين الثانى أمير الرها وبلحوين أمير مرمش بمهمة حماية إمارته » وأسرع هو ليقدم العون للملك ، ومنعذ أثر زنكى التفاوض مع فولك وبذلك عاد ريموند الى إمارته (٥٠٠) .

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebiz : Op. Cit., (٤٩٣)
p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172. (٤٩٤)

Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317. (٤٩٥)

Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Tournebiz : Op. Cit., (٤٩٦) .
p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172. (٤٩٧)

Cahen : Op. Cit., p. 358. (٤٩٨)

Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan : (٤٩٩)

Op. Cit., p. 173, Cahen : Op. Cit., p. 358.

وينكر كاهين أن ذلك كان في شتاء ١١٣٦م — ١١٣٧ .

(٥٠٠) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٥٩ . ولكن الراجح أن جوسلين لحق بريموند لنجدة الملك هو الآخر عندما وصله استنجد الملك به أيضا . وربما يكون أمر انطاكية ترك لأمير مرمش وحده ويرجح

وقد حدث ١١٢٨م (٥٣٢ هـ) عندما تقدم الامبراطور حضا كومنين الى شيزر للاستيلاء عليها وفقا لما تم عليه الاتفاق بمقتضى الحلف الفرنجى البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى موضع آخر من البحث أن تقاسم جوسلين وريموند عن مساعدة الامبراطور فى الاستيلاء على شيزر . ولذا سخط الامبراطور عليها ، وعندما التمس منه حاكم شيزر أن يترك حصارها مقابل مبلغ من المال وافق وانصرف عنها (٥٠١) .

على أن الامبراطور انسحب من شيزر ليطالب بأنطاكية ، وعندئذ أرسل جوسلين الى أنطاكية عناصر استشارت غضب الجاهير وحقدتها . وفى الوقت الذى تظاهر هو بأن الجاهير فى أنطاكية تتهمه بالخيانة وتطالب بقتله وكان أن نجحت حيلته . وانسحب الامبراطور من المدينة بعد أن أصيب بعض أفراد حاشيته (٥٠٢) ويبدو أن جوسلين دبر تلك الخدمة لا بدافع مصلحة أمير أنطاكية فحسب بل أيضا خوفا من أن يسيطر الامبراطور البيزنطى على الرها إذا تمت له السيطرة على أنطاكية .

وثة نص يذكره ولهم الصورى يشير الى تجديد المهاد ١١٢٨م بين أنطاكية والرها إذ يذكر أن جوسلين أرسل فى تلك السنة الى بطريك أنطاكية الذى كان موجود فى سقاية اثر نزاع بينه وبين ريموند حاكم أنطاكية (٥٠٣) فظهر جوسلين الثانى الود تجاه البطريك فكاية فى ريموند ودعاه للحضور وبمه بطاقته الى الرها لتأييده ومنصرته . فلبى البطريك الدعوة وحضر الى الرها حيث استقبل باحترام كبير من كل الأساقفة ورحب به الأمير جوسلين ترحيبا لائقا (٥٠٤) .

هذا رأى ابن الفرات الذى ذكر أن جوسلين أسرع فى ذلك الوقت لنجدة الملك (ابن الفرات - تاريخ الدول والملوك د ٣ ص ٩١) (١) .

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 95 — 96. (٥٠١)

William : Ibid., V. 2, p. 100, Bréhier : Vie et Mort, p. 325, (٥٠٢)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(٥٠٣) قيل أن سبب ذلك النزاع هو موافقة ريموند على اقرار بطريك بيزنطى فى أنطاكية .

(William : Op. Cit., V. 2, p. 117, J. Prawer : Op. Cit.,

T. 1., p. 327).

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 116 — 117.

(٥٠٤)

وعندما علم الأمير ريموند بذلك أرسل سفارة الى الرها
تطلب الى البطريرك الرجوع الى وظيفته فاستجاب البطريرك لذلك (٥٠٥).

وفي ١١٤٤م (٥٢٦) وهي التي سقطت فيها إمارة الرها كما سنتناول
ذلك بالتفصيل فيما بعد — كان العداء لا يزال قائما بين الرها وانطاكية
او بالأحرى بين جوسلين الثاني وريموند . ولذا حدث عندما استفتك
جوسلين بريموند لنجدته بوصفه أقرب جيرانه الصليبيين ، اعتذر ريموند
باعتذار شتى (٥٠٦) بل قيل أن ريموند لم يستطع أن يخفى سروره
وشماته لما حل بجوسلين (٥٠٧) . ويعلق وليم الصوري على ذلك
بأنه نسي قول (هورس) « عندما يكون منزل جارك يحترق فإن منزلك
يصبح في خطر (٥٠٨) » . ومن جهة أخرى فإنه يقال أن سبب اعتذار
ريموند في ذلك الوقت من نجدة الرها كان مرجعه انشغاله بمنازعته
مع الإمبراطور البيزنطي الجديد مانويل (٢٠٩) .

والواقع أنه مهما تكن ظروف ريموند فإن الواجب كان يلقى عليه أن
ينجد جوسلين أولا ثم يفكر في مصالحه الخاصة بعد ذلك لأن ما يهدد
الرها سيهدده هو بالدرجة الثانية . وهذا ما بينه نيرسيس شنور هالي
في مرفيته عن سقوط الرها في يد زنكي يقول مخاطبا انطاكية على
لسان الرها :

اليك حديثي وعتابي
يا شقيقتي الحبيبة انطاكية
ايه ايها القرينة الحبيبة
لم لم تسهرعي الى
وانت في البسر والمسمة ؟
لم لم تمدي الى يد المونة
بل شمت بي وتركتيني
اقع في ايدي الكافرين ؟
هلبى وامنى الى نحيبى
وشاطريني حسرة اضرمت فؤادى

William : Ibid., p. 117.

(٥٠٥)

William : Ibid., V. 2, p. 142.

(٥٠٦)

William : Ibid., V. 2, p. 201, Grousset : L'Épopée, p. 163.

(٥٠٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

(٥٠٨)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 447.

(٥٠٩)

وولولى معى وانتجيبى
وواسى قلبى الجريح(٥١٠)

وحتى بعد سقوط الرها وعند محاولة جوسلين استرجاعها للمرة الثانية ١١٤٦م (٥٤١ هـ) رفض ريموند تقديم المساعدة بدعيها « أن الحملة تخطيطها سوء » (٥١١) ورغم أنه كان واضحا لدى جوسلين أن زنكى سيهاجمه بسرعة ، إلا أنه لم يستطع أن يغفر لريموند رفضه مساعدته ، لذلك دخل معه فى نزاع علنى (٥١٢) .

وهكذا تطلبت العلاقات بين الرها وأنطاكية بين المراء حيناً والتحالف أحياناً فضلاً عن العلاقات الدينية . وإن كان الغالب على تلك العلاقات هو الطابع المداينى .

أما عن علاقة الرها بالارة طرابلس : فأتنا لم نعثر على نصوص كاملة تشير الى تلك العلاقات (لذا استقينا معلوماتنا من بين النصوص الخاصة بالعلاقة بين الرها وبيت المقدس من ناحية والرها وأنطاكية من ناحية أخرى ، وذلك فيما عدا المصادر اليسير الذى شاركت فيه الرها وزميلاتها ، بقية الامارات الصليبية فى نجدة طرابلس مثل حصار بارسين (٥١٣) ١١٢٧م (٥٤١ هـ) والغالب أن العلاقة بين امارتى

Nersés Schnorhali : Op. Cit., p. 231. (٥١٠)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240. (٥١١)

Runciman : Ibid., V. 2, p. 238. (٥١٢)

(٥١٣) بارسين « بليدة بين حمص والساحل تلتفظ به العمامة (بعيرين) وهو خطأ والصحيح بارين (ابن الأثير : الباهر - ص ٥٩) ولذا نجد بعض المصادر والراجع تكتبها بعيرين والبعض الآخر يكتبها بارسين .

فمن كتبوها بعيرين (ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ٩٠ ، (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط د ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الوردي د ٢ ص ٤١ ، الفزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، د ١٦ ص ٩٤ ، أما من كتبوها بارين فهم (ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٢ ، ابن الأثير : الباهر ص ٥٩ ، أبو شله : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن ابيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٢٥) والغريب أن ابن الأثير ذكر التسميتين فى كتابيه .

أما المصادر والراجع الأجنبية فتشير إليها باسم (Montferrand)

=

الرها وطرابلس كانت ذات طابع ودي في إطار تبعية الجانبين لمملكة بيت المقدس وذلك منذ قيام إمارة طرابلس ١٢ يوليو ١١٠٦م (٥١٤) (ذي الحجة ٥٠٢هـ ٥١٥) .

والواقع ان العلاقات بين طرابلس والرها كانت ودية حتى قبل قيام إمارة طرابلس الصليبية . ففي اوائل سنة ١١٠٠ م (٤٩٣هـ) عندما كان بلدوين البولوني أمير الرها متوجها الى القدس بعد سماعه بخبر وفاة أخيه ، سار كما فكرنا وسيط بلاد المسلمين وتحصل هو ورفاقه المشقة الكثيرة ولكنه ما كاد يصل الى طرابلس ، التي كان يحكمها عندئذ فخر الملك ابن عمار (٥١٦) . حتى استقبله أمير طرابلس المسلم « بالترحاب وتوطدت الصداقة بينهما وقدم له أمير طرابلس الخبز والتبيز والخبره ان دقلق حاكم دمشق والقائد جناح الدولة اقاموا له كنيما على الطريق حتى يأخذ حنره » (٥١٧) .

ويبدو ان موقف ابن عمار هذا انما يعزى الى سوء العلاقات بينه وبين دقلق صاحب دمشق (٥١٨) .

وكانت اول علاقة للرها بطرابلس بعد ان اصبحت الاخيرة إمارة صليبية هو مشاركة طرابلس في الحملة المتوجهة من بيروت بعد الاستيلاء عليها ١١١٦م (٥٠٤ هـ) الى الرها لتجديتها من خطر الأمير مودود وجيشه المحاصر لها . ذلك ان برترام الصنجيل (٥١٩) توجه لنجدة الرها « بكل قواته صحبة الملك بلدوين ملك القدس (٥٢٠) » . ثم حدث ١١٢٣م (٥١٧ هـ) بعد أسر الملك بلدوين الثاني ان صارت كل من بيت المقدس والرها وأنطاكية محرومة كلها من رؤسائها

(William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87, J. Prawer : Op.

Cit., T. 1, p. 322, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70).

(٥١٤) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ من ٣٧٢ .

(٥١٥) ابن القلائس : الذيل ، ص ١٦٣ .

(٥١٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، د ٥ من ١٧٩ .

Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 520 (٥١٧)

Zoë : Op. Cit., p. 184. (٥١٨)

(٥١٩) هو برترام أمير تولوز والابن الأصفر لريموند الصنجيل .

(G. Schulmberger : Op. Cit., p. 58).

Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 671. (٥٢٠)

Grousset : Hist. de Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert).

في حين كانت طرابلس تحت حكم الأمير بونز Pons (٥٢١) تتراس
تلك الإمارات كما مر بنسأ (٥٢٢) .

وفي ١١٢٤م (٥١٨هـ) عندما استنجد عيسى أمير منبج بجوسلين ضد
بلك الارتقى سار جوسلين إلى بيت المقدس وطرابلس وجميع بلاد
الفرنج وحشد ما يزيد على عشرة آلاف فارس وراجل وتقدم إلى
منبج (٥٢٣) . واشترك بهم في تلك المعركة .

كذلك حدث ١١٢٥م (٥١٩ هـ) عندما حاصر البرسقي عزاز أن
سار لنجدها ملك بيت المقدس ومعه بقية الأمراء الفرنج ومن بينهم
أمير طرابلس بونز بن برترام (٥٢٤) . وكان جيش طرابلس يكون الجناح
اليسر للجيش الصليبي في تلك المعركة (٥٢٥) .

وفي ١١٣٧م شوال ٥٢١هـ (٥٢٦) عندما تعرضت إمارة طرابلس
لتهديد زنكي وحصاره أسرعت الرها لتقديم المعونة لشقيقتها الصليبية .

(٥٢١) بونز بن برترام هو أمير طرابلس من ١١١٢ — ١١٣٦م ،
تزوج أرملة تكريد بعد وفاته .

(Schumberger : Op. Cit., p. 58).

Grousset : L'Épopée, p.p. 120 — 121. (٥٢٢)

(٥٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٨ .

Setton : Op. Cit., V. 6, p. 422.

Mattieu : Op. Cit., p. 143. William : Op. Cit., V. 2, p. 24. (٥٢٤)

William : Ibid., V. 2, p. 24. (٥٢٥)

(٥٢٦) تشير غالبية المصادر والراجع الإسلامية إلى أن ذلك كان

٥٣١هـ ومنها :

ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٧ ، التويري : نهلية العرب ،
مخطوط ، د ٢٥ ورقة ٤٧ : ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ٩٠ (ب) ،
ابن الوردي : تته المختصر ، د ٢ ص ٤١ ، الغزي : نهر الذهب ، د ٣
ص ٨٩ ، ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٢٥ والمعيني : عقد الجبان ،
د ١٦ م ١ ص ٩٤ . في حين ينفرد مصدران فقط بأن ذلك كان ٥٣٤هـ
وهما ابن الأثير : الباسر ص ٥٩ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١
ص ٨٧ . وبذلك يكون ابن الأثير : ذكر الرايين في كتابيه والراجع أن ذلك
كان ٥٣١هـ بمقابلتها بسنة ١١٣٧م التي ذكرتها المصادر والمراجع الأجنبية
William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

وبما أنسا مستنلول حصار بارين على يد زنكى بالتفصيل في الجزء الخامس بجهاد الاسلام قبل امقاطله للرما فسوف نحاول هنا بقدر الامكان التركيز فقط على دور الرما في تلك المعركة .

فلك ان بارين كانت ذات موقع استراتيجى هام لانها تشرفه على الطريق الرئيسى لبلاد الشام الاسلامية من حماه الى حمص (٥٢٧) . وكثت عند حصار زنكى لها تلمحة لأمير طرابلس ريموند الثانى (٥٢٨) . وموقعها في الجزء الشرقى من الإمارة (٥٢٩) . وقد حدث عند تعرضها لحصار زنكى ان طلب ريموند المصونة من القدس أولا (٥٣٠) ولكن عندما أدرك الملك تنوق زنكى اضطر للجوء الى حصن بارين نفسه للاحتواء به فاسبحوا شبه مسجونين بعد أن حاصرهم زنكى داخله (٥٣١) وفي تلك الانتفاء كان قد قتل في المعركة بينهم وبين زنكى جونفري الاخ الأكبر لجوسلين (٥٣٢) .

وبعد ان استقر الملك بالحصن ومعه مجموعة من النبلاء تشلوروا واتخذوا قرارا بان يستجدوا بالميرى الرما وانطليكية : وببطريك القدس ليأتى لنجدهم ومعه كل أهالى المملكة (٥٣٣) .

وبالفعل توجه لحد الرمل الى الرما متوسلا بالميرى الذى جمع كل قواته واسرع لنجدة الملك ، وصحبه أمير انطليكية في تلك المهمة (٥٣٤) . فضلا عن بطريك القدس (٥٣٥) . وعندما علم زنكى باقتراب تلك الجيوش

- J. Prawer : Ibid., T. 1, p.p. 322 — 323. (٥٢٧)
 Cahen : Op. Cit., p. 398, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323, (٥٢٨)
 Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.
 J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322. (٥٢٩)
 Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70. (٥٣٠)
 J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323. (٥٣١)
 ابن النرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط د ٣ ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، أبو شامة ، الروضتين د ١ ق ١ ص ٨٧ ، النويرى : نهاية الأرب مخطوط د ٢٥ ورقة ٢٧ .
 William : Op. Cit., V. 2, p. 86. (٥٣٢)
 William : Ibid., V. 2, p. 87. (٥٣٣)
 ابن النرات : تاريخ الدول والملوك : د ٣ ص ٩١ (أ) . (٥٣٤)
 J. Prawer : Op. Cit., p. 323. (٥٣٥)

المسيحية الى جانب احتمال ومسول الجيش البيزنطي بعد ان استنجد الصليبيون بالروم (٥٣٦) ، اختار ان يفلوئ اعداءه الموجودين داخل القلعة والذين كثت حالتهم قد وصلت الى درجة شديدة من السوء مما دفعهم الى قبول شروط الصلح بسرعة ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد .

وما كاد الملك ورفاقه يفلتون من الحصار ويتوجهون الى عكا حتى علم الملك بمقدم اميرى الرها واتطاعية فقابلهم بتأمر عظيم وشكر حبهم ومروءتهم (٥٣٧) ، وبعد ذلك انسحب الاميران كل الى بلاده (٥٣٨) .
مكذا كان الود والتحالف هو السمة البارزة في علاقة الرها بطرابلس.
ثالثا : علاقة الرها بالارمن خارجها :

سبق ان اشرنا الى الدور المهم الذى قام به الارمن خارج الرها ١٠٩٧ م (٤٩٠ هـ) في ارشاد بلدوين البولونى ، عبر مسالك قيليقية الوعرة وخاصة جهود بالكراد الارمنى وغيره من الارمن الذين كان لمساعدتهم الاثر الاكبر في تسهيل مهمة بلدوين في تحقيق هدفه بتأسيس امارة صليبية له في الشرق .

والواقع ان علاقة امارة الرها الصليبية بالارمن خارجها كانت اغلبها علاقات ود وتحالف يدخل ضمنها زواج غالبية امراء الرها بارمينيات - وبعضها عبارة عن توسع من جانب الامارة على حساب الارمن ، ولكن يندر ان نجد علاقة عداة شديدة بين الامارة والارمن خارجها . ولا اقل من تتبع تلك العلاقات وفقا لفترات حكم امراء الرها المختلفين .

لها من اول امراء الرها الصليبية وهو الامير بلدوين البولونى فانه لى يدعم حكمه فى الامارة ويكتسب رضاء الارمن ، وبعد وفاة زوجته الفرنجية يادر بالزواج من الاميرة (اردا) (٥٣٩) الارمينية وكان أبوها

(٥٣٦) ابن الاثنين : الباهر ، من ٦١ ، الكامل ، د ٨ ص ٢٥٨ ، ابن واصل : بفرج الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ٩١ (١) ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٨٧ التويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، د ٢٥ ورقة ٤٧ .
William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 438 (٥٣٧)
(٥٣٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، د ٢ ، ص ٩١ (ب) .

Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 433. Alberti Aquensis : (٥٣٩)
Op. Cit.,... Liber III... T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit., ١

باتفاق المصادر ، أحد لمرء الأرمن قوى النفوذ والثروة في ذلك الوقت حتى ان صداقتها بلغ حوالى ستين ألف بيزانت (٥٤٠) .

ويهمنا من امر هذا الزواج ان الكتاب الأرمن اعتبروه « تحالفا للمصالح اقر بواسطة التمسب ودخل عن طريقه مسيحيو الشرق ضمن نطاق التنظيمات القطاعية الصليبية » (٥٤١) في حين اشار اليه بعض الكتاب الأوروبيين المحدثين بأنه « كان زواجا سياسيا (٥٤٢) » . والواقع اننا لا نستطيع ان نقرر ان تلك الزيجة كانت بعيدة كل البعد عن تلك الصورة ، فالواقع ان ثراء والد الزوجة ربما أفرى بلدوين بالحصول على ثروة وافرة مما يدعم المركز المالى لامارته الناشئة .

اما عن علاقة بلدوية البولونى بكوغ باسيل واخوة باكراد ، فان كوغ باسيل كان عند قيلم إمارة الرها ، يحكم كيسوم وزعبان وقلمة الروم (٥٤٣) ؛ أما باكراد فقد اعطاه بلدوين حكم مدينة الراوندان بعد الاستيلاء عليها كما مر بنا هنا يشير كل من البرت ووليم الصورى الى العلاقة بين بلدوين واخيه جودفرى وهذين الأميرين الأرمنيين في نص خلاصته انه بينما كان جودفرى مقيما بالقرب من تل باشر وراوندان ، بلغته شكوى الناس من الاخوين باكراد وكوغ باسيل وكيف انهما اثقالا كاهل الأهالى وعلى وجه الخصوص اهل الاديرة بالالتزامات الثقيلة ومن ناحية أخرى فان هذين الاخوين ارسلوا الى الأمير بوهيموند يستثيرانه ضد أمير الرها . ولذا سخط جودفرى عند سماعه تلك الاتهامات وارسل ضد كوغ باسيل وباكراد قوة حطمت قلاعهم (٥٤٤) . وهكذا يبدو كيف غدر بلدوين بالأمير باكراد رغم الخدمات الجليلة التى قدمها له الأخير .

كذلك تركز جانب هام من العلاقات بين إمارة الرها الصليبية والأرمن في عهد بلدوين البولونى في علاقته بجيريل أمير ملطية ، وهى

V. 1, p. 372, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, =
L'Epopée, p.p. 104, 205.

Alberti : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. (٥٤٠.)
V. 1, p. 64.

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 169. (٥٤١)

Grousset : L'Epopée, p. 104. (٥٤٢)

Grousset : L'Empire, p. 386. (Albert) عن (٥٤٣)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber V ... T. 4, p. 441. (٥٤٤)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304 — 305.

العلاقة التي سبق أن تكلمنا عنها بالتفصيل أثناء الكلام عن عهد بلدوين البولوني في الرها وعند الكلام أيضا عن علاقة الرها بانطاكية عندما أسر بنو دانيشمنند بوهيوند أمير انطاكية ١١٠٠م حتى انتهى الأمر بأن أعلن جبريل أمير ملطية ولاءه لبلدوين ودخل تحت طاعته في تلك السنة (٥٤٥) .

والراجع أن جبريل كان قد عرض على بلدوين القدوم إلى ملطية منذ اللحظة الأولى لتأسيس الإمارة بدليل ما ذكره ميخائيل السرياني من أنه « بعد أن وصل الفرنج إلى الرها وحكموها بذل جبريل جهده ليحمل الفرنج يحضروا ويستولوا على ملطية (٥٤٦) » . ويبدو أن انشغال بلدوين بتدعيم إمارته في بادئ الأمر ثم بأخماد المؤامرة التي قامت ضده في مستهل حكمه هو الذي منعه من تلبية طلب جبريل بسرعة ، لذا لجأ جبريل كما رأينا إلى بوهيوند ، وانتهى الأمر إلى دخول ملطية بالفعل تحت سيطرة الرها .

على أنه ما كاد بلدوين يغادر ملطية عائدا إلى الرها بعد أن ترك بها حامية مكونة من خمسين جنديا حتى عاد بنو دانيشمنند من جديد لحاصرة ملطية دون جدوى (٥٤٧) .

ثم كان أن شهد عهد بلدوين دي بوج نشاطا واسما في العلاقات بين الرها والأرمن خارجها ، من ذلك أن بلدوين دي بوج لجأ إلى نفس أسلوب بلدوين البولوني لتأكيد مكلفته لدى الأرمن فتزوج من مورفيا ابنة جبريل (٥٤٨) . حكم ملطية كما سبق أن ذكرنا والتي حملت إليه صداقا كبيرا جدا (٥٤٩) ، أشيع خزانة بلدوين . ومع ذلك فإن هذا التحالف لم يحل دون هجوم الأتراك من بني دانيشمنند على ملطية وأخذها ١١٠٣م (٥٥٠) (٥٤٩٧) ومن أهم الزيجات التي تمت أيضا

Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525, Gesta (٥٤٥)

Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 519, R.H.C. : Hist. Occid.,

T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 412.

Michel : Op. Cit., p. 187. (٥٤٦)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII. T. 4, p. 525. (٥٤٧)

Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, (٥٤٨)

p. 93, Cahen : Op. Cit., p. 230, Setton: Op. Cit., V. 1,

p. 392, Zoé : Op. Cit., p. 228, Grousset : Hist. des

Crois., V. 2, p. 868. عن (L'Anonyme).

William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228. (٥٤٩)

Zoé : Ibid., p. 210. (٥٥٠)

في عهد بلدوين دى بورج التي ربطت بين امارة الرها من ناحية وبين ارمينيا الصغرى من ناحية أخرى ، زواج اخت بلدوين دى بورج من ليون الاول ملك ارمينيا الصغرى (٥٥١) .

ولم تقف علاقات الرها بالأرمن في ذلك العهد على المصاهرات وانما حدث « فيما بين سنتي ١١٠٢ - ١١٠٣ م (٤٩٦ - ٤٩٧ هـ) ان ساعد ثوروس بن قنسطنطين (١١٠٠ - ١١٢٩ م) (٥٥٢) . الصليبيين في رد هجمات البيزنطيين عن الرها وانطاكية (٥٥٢) » . وفي ١١٠٤ م (٤٩٨ هـ) تنازل طاطول الأرمني صاحب مرعش عن مدينته لجوسلين دى كورتناى (٥٥٤) .

وقد مر بنا كيف أسر بلدوين دى بورج حوالى خمس سنوات بعد ذلك وكيف عارضت انطاكية في رد امارته اليه بعد ذلك مما ادى الى الخلاف بينه وبين تكريد ١١٠٨ م (٥٥٢) بسبب ذلك . بل ان بلدوين اضطر الى اعلان الحرب ضد تكريد وهى الحرب التي استنجد فيها بلدوين بجاولى . كذلك توجه بلدوين في ذلك الوقت الى كوغ باسيل حاكم رعبان وكيسوم بالقرب من بهسنى (٥٥٥) . الذى كان قد

Korga: *L'Arménie Cilicienne*, p. 94, Zoé: *Op. Cit.*, p. 296 (٥٥١)

هنا يضيف (ابورجا) ان اخت بلدوين اُسمت بعد زواجهما في ارمينيا ديرا لاتينيا .

Michel : *Op. Cit.*, p. 198. (٥٥٢)

Pasdermajian : *Op. Cit.*, p. 203. (٥٥٣)

(٥٥٤) سعيد عاشور : سلطنة الممالك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٣ عن (Runciman)

ويسميه ميخائيل هنا امير الأبراء ويذكر انه باع في نفس الوقت صورة العنزاء المقدسة الى ثوروس بن قنسطنطين بن روبان في مقابل مبلغ ضخم من المال ثم رحل الى القسطنطينية .

Michel : *Op. Cit.*, p. 75.

Michel : *Op. Cit.*, p. 187, Setton : *Op. Cit.*, V. 1, p. 393, (٥٥٥)

Cahen : *Op. Cit.*, p. 250, Grousset : *Hist. des Crois.* V. 1, p. 52.

يسميه (كونسيل) كل من ابن الأثير : الكامل : د ٨ ص ٢٥٣ : ابن الفرات : مخطوط د ١ ص ٢٣ (١) اما ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٤ فيسميه (ابو سيل الأرمنى) .

«جبع الجيش الأرمني القوي في قلعته العسكرية الحصينة في الجزء الشرقي من طوروس المواجه للفرات (٥٥٦) » .

وعندما ذهب بلدوين الى كوغ باسيل يلتبس منه المساعدة ضد تنكريد ، استقبله كوغ باسيل استقبالا وديا واغدى عليه الهدايا (٥٥٧) ، اذ وجد ان مصالحهما تتفق في مواجهة تنكريد الذي طمع في الاستيلاء على قيليقية بأكملها ، بعد ان استولى على مدينة المصيصة فعلا ، ومن ناحية أخرى فقد عانى اهل الرها الكثير من ابن عمه ريتشارد دى سالرنو الذي حكم امارتهم حكما استغلاليا (٥٥٨) . لذلك لم يبخل كوغ باسيل بتقديم معونته الى بلدوين دى بورج ضد تنكريد « فأنجده بالف فارس والف راجل (٥٥٩) » . أما متى الرهاوى فيقدر المعونة التي قدمها كوغ باسيل لبلدوين « بفرقة عسكرية مكونة من ٨٠٠ محارب (٥٦٠) » . وقيل انه ارسل معه كذلك فرقة من المرتزقة تعمل لحساب الامبراطور البيزنطي (٥٦١) .

وربما يتساءل البعض لماذا لم يتجه بلدوين الى جبريل ، والد زوجته ليمده بما يحتاج اليه من نجدة ؟ الراجح ان كوغ باسيل كان اغنى بالقوات البشرية التابعة له ، بينما كان جبريل اغنى بماله .

لذا نجد ان بلدوين لم يفوت فرصة الاستفادة من جبريل بعد عودته امارته اليه ، حتى وصل الامر الى حد ابتزاز امواله كما اشار وليم الصوري (٥٦٢) .

ومعها تعرضت ارها لتهديد مودود ١١١٠م (٥٠٤) اسرع اليها الملك بلدوين الاول لتجديتها مع بقية الفرنج كما مر بنا وساهم بمضى الرؤساء الأرمن في مؤازرة امارة الرها وعلى رأسهم كوغ

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 436. من (Mattieu) (٥٥٦)

Grousset : Ibid., p. 436, Cahen : Op. Cit., p. 250. (٥٥٧)

(٥٥٨) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥١ { (عن البرت)

Grousset : Ibid., p. 437,

(٥٥٩) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : مخطوط ،

د ١ ص ٢٣ : (١) ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ١٩١ ، سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٢ عن (Stevenson)

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 438.

Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٥٦٠)

Mattieu : Ibid., p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٦١)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 479 - 481.

(٥٦٢)

باسيل (٥٦٣) . الذى « أصدر أوامره الى قواته الشعبية بالاستعداد والتوجه الى سمياط (٥٦٤) » .

وفى ٥٥٠٦ (٥٦٥) (اكتوبر ١١١٢ م) (٥٦٦) . توفى كوغب باسيل « فحكيت زوجته بعده مرعش وكيسوم ورعبان وتحصنت من الفرنج وكانت امرأة عاقلة مضطرت امر البلاد احسن تدبير (٥٦٧) » . وقد مر بنا كيف حاصر البرسقى الرها ١١١٤ م (٥٥٨) وعندئذ أرسلت اليه زوجة كوغب باسيل تقول « ان زوجى اوصانى بعد موته ان اخاطب المسلمين وان اجانب الفرنج واتنا من الموالين لك فأرسل الى من اجتمع به واكون تحت امرك : فقبل ولاءها (٥٦٨) » . ويقال ان السبب فى تقديمها الولاء للبرسقى هو ان زوجها قاسى من عدوان تنكريد ١١١٢ م (٥٦٩) (٥٥٦) بل ان تنكريد كان يطمح فى امارته بعد موته هذا الى انه يبدو ان بعض الأرمن الذين طردهم بلدوين الثانى من الرها ١١١٣ م (٥٥٧) نزعوا الى كيسوم حيث حوضوا دغا باسيل - ابن كوغب باسيل المتبنى - (٥٧٠) . على محاربة السلاجقة ضد الصليبيين (٥٧١) .

ويقال ان الفرنج الموجودين فى كيسوم ورعبان با كانوا يطمون بذلك حتى غابروها الى اطلاقية (٥٧٢) . وقد رأى الفرنج ان ذلك خيانة كبرى فى حق المسيحية فضلا عما فى ذلك التحالف من تهديد مريح للامارات الصليبية فى الشمال (٥٧٣) .

Mattieu : Op. Cit., p. 92, Cahen : Op. Cit., p. 257, (٥٦٣)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 299 { ٥٧ من ١ د الحركة ، د ٥٧ }
Archer : Op. Cit., p. 148. (Stevenson) عن
Mattieu : Op. Cit., p. 92 (٥٦٤)

(٥٦٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .
(٥٦٦) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٧٢ .
(٥٦٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ ، مخطوط ٤
ص ٨٠ (١) .

(٥٦٨) ابن الفرات : المصدر السابق ، د ١ ص ٨٠ (١) .
(٥٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.
(٥٧٠) Michel : Op. Cit., p. 198.

كانت زوجة كوغب باسيل قد أرسلته فقط .
(٥٧١) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٧٢ عن (Runciman)
(٥٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ٤ ص ٨٠ (ب) .
(٥٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٧٣ .

لذلك ففى ١١١٥م (٥٥٠٩) شرع بلدوين دى بورج فى الحرب ضد باسيل دغا Vasil - Dgha فحاصر رعبان الحصينة واستمر على ذلك فترة دون الوصول الى نتيجة رغم انه كان يحاصرها من كل الجهات (٥٧٤) . ثم توجه باسيل دغا بعد ذلك الى صاحب ارمينية الصغرى الامير الارمنى ليون بن قنسطنطين بن رويان واخو ثوروس ليتزوج ابنته « مدعا ثوروس باسيل وقبض عليه غدرا وقاده الى الرها (٥٧٥) » .

وفى الرها عذب باسيل بقسوة على يد بلدوين حتى اضطره ليسلم كيسوم ورعبان بل وكل بلاده وذلك ١١١٦م (٥٥١٠) (٥٧٦) .
نذلك اشهر ميخائيل السريانى الى ان بلدوين دى بورج امتلك كيسوم ورعبان فى تلك السنة (٥٧٧) .

وفى نفس ١١١٦م استولى بلدوين على قلعة الروم الى الشرق من سبيساط والى الجنوب من الرها قرب الضفة الغربية للفرات وكانت جزءا ايضا من ممتلكات باسيل دغا (٥٧٨) .

اما عن كركر التى كانت تابعة للامير قنسطنطين الارمنى الذى سبق ان ساعد بلدوين الاول فى الاستيلاء على الرها (٥٧٩) . فنجد ان ميخائيل السريانى يشير الى ان بلدوين دى بورج ضمها لامارة الرها ١١١٦م (٥٨٠) ، فى حين يشير متى الرهاوى ان ذلك حدث ١١١٧م (٥٨١) وان بلدوين دى بورج سجن قنسطنطين فى

Mattieu : Op. Cit., p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275. (٥٧٤)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 493.

Mattieu : Op. Cit., p. 116. (٥٧٥)

Mattieu : Ibid., p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275, Grousset (٥٧٦)

Op. Cit., V. 1, p. 493, L'Empire, p. 387 عن (Matieu).

سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٧٣ عن (متى الرهاوى)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 408 هنا يضيف متى الرهاوى « ان باسيل دغا لجأ بعد ذلك الى القسطنطينية حيث استقبل بحفاوة كبيرة — هو والقوات التى صحبته — من الامبراطور البيزنطى » .

Michel : Op. Cit., p. 199. (٥٧٧)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154. (٥٧٨)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494. (٥٧٩)

Michel : Op. Cit., p. 198. (٥٨٠)

Mattieu : Op. Cit., p. 117, Grousset : Hist. des Crois., (٥٨١)

V. 1, p. 494.

حميساط حتى هلك في احد الزلازل الأرضية (٥٨٢) .

وفي ١١١٧م أيضا توجه بلدوين دى بورج ضد أحد الرؤساء الأرمن المشهورين هو أبو الفريب — Abelgh'arib — حاكم البيرة (٥٨٣) . وصحبه في حملته هذه أمير مروج . وكلفت البيرة ذات موتع استراتيجي في المكان الأول من الأهمية على مجرى الفرات على طريق الرها مينقلب (٥٨٤) . وظل بلدوين يحاصر البيرة حوالي سنة كاملة حتى فقد أبو الفريب كل أمل فسلم البيرة . وكل الأقليم إلى بلدوين (٥٨٥) .

وهكذا يكون بلدوين قد استولى بين سنتي ١١١٥م - ١١١٨م على ممتلكات كل من دغا باسيل حاكم كيسوم وربعان وقلعة الروم وأبو الفريب حاكم البيرة وقسطنطين حاكم كركر ، وذلك عن طريق القوة والضغط حتى أن متى الرهولى يذكر مدى ذلك بقوله « اننا نود أن نحصى الجرائم العديدة للفرنج ، ولكننا لا نجرؤ أو نتجاسر لاننا تحت نفوذهم (٥٨٦) » .

والواقع ان سياسة بلدوين التوسعية عن طريق العنف لم تستمر طويلا ففي ١١١٨م توجه كما مر بنا الى القدس حيث توج ملكا . هنا يعقب او لدنبرج على سياسة بلدوين البولونى ودى بورج مع الأرمن فيقول « أنه بالرغم من صلاتهما فإن سياسة التحالف والامتيازات المتبادلة فرضت على الفرنج بحكم ظروف الساعة نفسها (٥٨٧) » .

وهكذا كان عهد بلدوين دى بورج عهدا ظهرت فيه علاقات امرة

Mattieu : Op. Cit., p.p. 117-118. Grousset : Op. Cit., (٥٨٢)
p. 494.

Mattieu : Op. Cit., p. 116-117. (٥٨٣)

(Setton) عن (٥٨٤) سميد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٧٣

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 493

هنا يذكر جروسية أنه رغم أن البيرة دانت بالطاعة لبلدوين الأول ١٠٩٩م إلا أنه تركها تتمتع بكيانها كإمارة أرمنية . ولكن كانت تعترض بطريقة مكثرة بين الرها وبغداد .

Mattieu : Op. Cit., p. 117. Grousset : Hist. des Crois., (٥٨٥)
V. 1, p. 494.

Grousset : Ibid., V. 1, p. 494 عن (Mattieu) (٥٨٦)

Zoé : Op. Cit., p. 210 (٥٨٧)

الرها بالأرمن خارجيا في ثلاثة أرباط . أما زواج متبادل أو ود وتحالف
أو عداة وتوسع الملقوة من جانب الرها .

وفي عهد جوسلين دي كورثاي تجددت علاقات الزواج من أرمينيات ،
لقد اتخذ جوسلين من أخت ليون الأول ملك أرمينيا الصغرى (٥٨٨) .
(١١٢٩ — ١١٣٦ م) (٥٨٩) . أو أخت ثوروس الأول (٥٩٠) . أو بمعنى
آخر ابنة قسطنطين (٥٩١) . زوجة له ، لأن ثوروس وليون كانا
وندى قسطنطين .

ومن أبرز العلاقات بين الأرمن والرها في عهد جوسلين دي كورثاي.
تلك المحولة البطولية التي ساعد بها الأرمن في إطلاق سراح جوسلين
من سجن خربتير كما مر بنا . ذلك أن الأمر لم يقتصر عندئذ على جهود
رعايا جوسلين الأرمن محسب (٥٩٢) . بل تعداه إلى الأرمن في خربتير
سواء في قلعتها أو في البلد نفسها (٥٩٣) . أو في طريق عودته إلى
الرها خاصة جهود أحد الفلاحين الأرمن الذي أسهبت المصادر
المعاصرة في الأثارة بجهوده في هذا المجال (٥٩٤) .

وما أن علم تلك بأمر حرب جوسلين ووقوع القلعة — كما مر بنا —

Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152. (٥٨٨)

Michel : Op. Cit., p. 198. (٥٨٩)

Zobé : Op. Cit., p. 298. (٥٩٠)

Iorga : L'Arménie cilicienne, p. 93 عن (Allshan (٥٩١)
Sissouan)

Mattieu : Op. Cit., p. 134, Cahen : Op. Cit., p. 297, (٥٩٢)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 541 - 542, Grousset : Hist.

des Crois., V. 2, p. 876, عن (L'Anonyme),

Archer : Op. Cit., p. 162.

Matti.u : Op. Cit., p. 134, Michel Op. Cit., p. 211 (٥٩٣)

Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419

Grousset : L'Empire, p. 300, عن (Foulcher), Archer :

Op. Cit., p. 163.

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 456 Cahen : Op. Cit., p. 297, (٥٩٤)

Archer : Op. Cit., p. 163, Setton : Op. Cit. V. 1 p.420,

Zobé : Op. Cit., p. 298, Grousset : Hist. des Crois. V. 1,

p. 592, L'Épopée, p. 123 عن (Foulcher)

بيد الملك ورفاقه حتى اسرع اليها واستعادها (٥٩٥) ؛ ولم يتم ذلك بالطبع في سلام بل راح ضحيته كل الارمن تقريباً الذين وجدهم بك في القلعة (٥٩٦) وحتى الذين ظلوا على قيد الحياة وقعوا في قبضته (٥٩٧) .

وقبل ان تنتقل الى عهد جوسلين الثاني نحاول التعرف على علانة الرها بركرك في عهد جوسلين الاول . فقد كانت زوجة قسطنطين حاكم المدينة قد ظلت تحكها - بعد ان زج بلدوين دى بورج زوجها في السجن - حتى عهد جوسلين الثاني (٥٩٨) . وعند اسر الملك بلدوين الثاني كان يحكم كركر ١١٢٢م - (٥١٧ هـ) ميخائيل بن قسطنطين (٥٩٩) . وثمة نص لميخائيل السرياني يوضح علاقة كركر بالبرة الرها بعد ذلك يقول « في عهد بك خرج ميخائيل الارمنى من قلعة كركر وتنازل عنها . وبعد مقتل بك استولى عليها من جديد الى ان هاجمه بعض الاتراك ؛ ولما لم يكن قادراً على حماية نفسه فله هرب في الغرات ، ثم تنازل لجوسلين عن كركر . حتى باعها جوسلين بخمسة دينار (٦٠٠) » .

وفي ١١٢٧م تمت في عهد جوسلين الثاني رابطة قوية بين امرة الرها والارمن في ارمينيا الصغرى . ذلك انه حدث في تلك السنة خلاف بين ريموند الثاني امير اطلكية من ناحية وبين ليون ملك ارمينيا من ناحية اخرى ، وبحكم قرابة الاخير من جوسلين فقد توسط بينهما واقام الصلح بين الجانبين الذين تحالفا ضد الامبراطور البيزنطى (٦٠١) .

على ان البيزنطيين احتلوا قيليقية بين سنتي ١١٢٨ - ١١٤٥م -

(٥٩٥) أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ٢٢٧ ، ابن الوردي : ج ٢ ص ٣١

Mattieu : Op. Cit., p. 134, William : Op. Cit., V. 1. p. 543,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, Zoé (٥٩٦)

Op. Cit., p. 298.

William : Op. Cit., V. 1, p. 544.

(٥٩٧)

Cahen : Op. Cit., p. 276.

(٥٩٨)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2 p. 875 من (L'Anonyme) (٥٩٩)

Michel : Op. Cit., p. 244.

(٦٠٠)

وهو يقصد هنا ميخائيل الارمنى ، ميخائيل بن قسطنطين

Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan (٦٠١)

Op. Cit., p. 172. Tournèbize : Op. Cit., p. 173. Cahen :

Op. Cit., p. 358.

(٥٣٣ - ٥٤٠ م وكان آخر حاكم لآرمينيا عند الغزو البيزنطي هو ليو الأول (٦٠٢) .

رابعا : علاقة الرها بالدولة البيزنطية :

للتعرف على اهم العلاقات بين اماره الرها الصليبية والدولة البيزنطية في الفترة التي ندرسها ، ينبغي الرجوع الى الوراء ، اى الى ١٤٣م (١٢٣١م) عندما حاصر القائد البيزنطي حنا كوركاس الرها (٦٠٣) . والواقع ان هذا الحصار لم يتبعه دخول الرها في حوزة البيزنطيين ، لان ذلك لم يتم الا بعد حوالى قرن من تلك الحيلة (٦٠٤) ولكن اهمية ذلك الحصار ترجع الى ما تبعه من مفاوضات طويلة بين البيزنطيين والخلافة العباسية محورها رغبة البيزنطيين في الحصول على صورة المسيح المقدسة التى كانت موجودة بالرها حتى ذلك الوقت . وقد بينا فيها سبق - عند الحديث عن تلك الصورة - كيف انتهت تلك المفاوضات بموافقة الخليفة المتقى ٣٣١م - ١٤٣م على التخلي عنها في مقابل اطلاق سراح الاسرى المسلمين الموجودين في القسطنطينية (٦٠٥) . وبالفعل تم نقل ذلك الاثر المقدس الى القسطنطينية في ١٥ أغسطس ١٤٤م وسط احتفال دينى عظيم (٦٠٦) .

forja : L'Arménie Cilicienne : p. 94, Cam. Med. Hist. (٦٠٢)
V. IV, Part 1, p. 785.

Ostrogorsky : Op. Cit., p. 245, Cam. Med. Hist., V. IV, (٦٠٢)
Part 1, p. 785.

Cam. Med. Hist.: Ibid., p. 140. (٦٠٤)

(٦٠٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ص ٢١٤ ، ابن السامى : اخبار الخلفاء ، تاريخ تيمور رقم ١٠٢ مخطوط من ٨٠

Le Strange : Op. Cit., p. 104.

اما ابن العبرى فيذكر ان ذلك كان ١٤٢م
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p.p. 162-3)

Ostrogorsky : Op. Cit., p. 246, Encyclopaedia of Islam (٦٠٦)
V. 3, Part 2, p. 996, Cam. Med.

Hist.: Ibid, p. 141.

وبضيف الرجوع الاخير ان نقل ذلك الاثر كان آخر انتصارات عهد الامبراطور (Romanus Lecapénus)

لانه بعد حوالى اربعة اشهر بالتحديد في ١٦ ديسمبر ١٤٤م قبض على الامبراطور ووضع في جزيرة Prote حيث توفي في ١٥ يونية ١٤٨م
Cam. Med. Hist., p. 143.

وفي ١٠٣٠م (٤٢٠ هـ) « كان يحكم الرها أميران عربيان فارسل أحدهما الى الامبراطور ميخائيل وباع له نصيبه ، فجاءت القوات البيزنطية وتولت السلطة واقاموا امكن دفاعية قوية هناك وعنتما سبع حاكم حلب بذلك ارسل الى الرها جيشا استولى عليها وهرب المسيحيون الى الكتيمة العظمى حتى حل الشتاء ونزلت الثلوج وعنفذ جعلوا الشتاء ذريعة وتنزلوا عن البلد ورحلوا (٦٠٧) » .

وفي ١٠٣٢ (٤٢٤ هـ) توجه القائد البيزنطي جورج مانليكس الى الرها واستولى عليها محققا بذلك قمة انتصاراته (٦٠٨) . على تلك الحيلة استولى البيزنطيون على الاثر المقدس الثاني في الرها وهو خطاب المسيح المشهور الى ابجر ملك الرها السابق الذكر واحتفل في القسطنطينية « احتفالا كبيرا بوصول ذلك الاثر اليها (٦٠٩) » . وبعد ذلك ظلت الرها ضمن الممتلكات البيزنطية حتى تقوم الصليبيين (٦١٠) او على الاصح حتى بداية غزوات الأتراك السلاجقة (٦١١) . « فبينما كانت نيقية على مشارف البسفور بيد الأتراك السلاجقة منذ ١٠٨١م (٤٧٤ هـ) فان مدنا أخرى متطرفة في الشرق مثل انطاكية بالقسام والرها شرقي الفرات — ظلت تابعة للدولة البيزنطية فقامت بها حاكيات بيزنطية وزعماء من الأرمن يمتدحون بالسيادة للقسطنطينية ، وقد استمرت الرها على ذلك الوضع حتى ١٠٨٧م — ٤٨٠ هـ (٦١٢) » .

ويؤكد تبعية الرها لبيزنطة قبيل وصول الصليبيين ما قاله الشاعر

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 192-193. (٦٠٧)

وكان حاكم حلب آنذاك هوشب الدولة ابو كامل نصر بن صالح بن مرداس الذي حكم من ٤٢٠ : ٤٢٩ هـ (الطبائخ الطبي: اعلام النبلاء، ٢ ص ٣٢٢ ، المينى : عقد الجمان ، د ١٤ م ٥ ص ٨٢٧ — ٨٢٨) .

Ostrogorsky : Op. Cit., p. 285 (٦٠٨)

لها أبو الفضائل الحموي التاريخ النصوري ص ١٥٠ فيذكر ان الرها سلمت للروم ٤٢٣ هـ ويتفق معه في ذلك ميخائيل السريتي الذي يقول انها دخلت ضمن حوزتهم ١٠٣١م . Michel : Op. Cit., p. 280 . ولكن الراجع ان حملة جورج مانليكس كانت في العام التالي وانها هي التي لكت استيلاء البيزنطيين على الرها .

Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 725. (٦٠٩)

Cam. Med. Hist : Ibid., p. 726. (٦١٠)

Setton : Op. Cit., ١٠٩ ص ٣٠٤ . (٦١١) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ . V. 1, p. 304.

(٦١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية : د ١ ص ٩٤ .

الارمني نيرسيس في قصيدته التي رثى بها الرها اذ تصور الرها تخاطبه
القسطنطينية فتقول .

يا مدينة المظلمة والابهة
يا من شادها الملك قسطنطين
على ابواب آسيا الصغرى
لقد كنت ملكا لك
وجزءا منك يا لم المدائن
وبنيت على ارضى هيكلا
وسميت باسم هيكلك (٦١٣) .

فاذا انتقلنا الى علاقة اسارة الرها الصليبية بعد تأسيسها
بالامبراطورية البيزنطية . نجد ان « تأسيس بلدوين البولونى للامارة
في حشد ذاته يعتبر خروجاً واضحا على الاتفاق الذي أبرمه البيزنطيون (٦١٤) .
ذلك ان الرها كانت اقلية بيزنطيا وكان يجب ان تمود لبيزنطة . وهكذا
ورغم ان بلدوين كان قد حلف بيمين الولاء للامبراطور الكسيوس الا انه
لم يقيم أى وزن لهذا القسم وكان على استعداد لخرقه متى دعت الظروف
الى ذلك ، لذا رفض بلدوين رد الرها للامبراطور (٦١٥) . وقد ادعى
بلدوين انه وصل الى السلطة عن طريق الارادة الشعبية ممثلة في اهالى
الرها الذين نادوا به اميرا عليهم (٦١٦) .

(٦١٣) الأبيات من ٧٦ : ٧٨ ، ٨٩ : ٩٠ . ٢٢٩ . Op. Cit., Nersès
هنا يفسر المترجم الفرنسى دولوريه المقصود بالهيكل هنا « كنيسة
(القديسة صوفيا) » .

Bréhier : Vie et Mort, p. 313, J. Prætor : Op. (٦١٤)
Cit., T. 1. p. 209, ١٠٩ . اسحاق عبيد : روما وبيزنطة
Bréhier : Ibid., p. 313. (٦١٥)

سميد عاشور : الحركة ، ص ١٨٤ عن (Runciman)
جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٠٦
(Ostrogorsky) هذا الى جانب الفدر الذى عاين به
بلدوين الامير تورس كان لطفه للعامل البيزنطى ، فتوروس كان موظفا في
خدمة الامبراطور كما انه كان مضوا في الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية
(اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ - ١١٠) .

J. Prætor : Op. Cit., p. 209, Setton : Op. Cit. V, 1, (٦١٦)
p. 304. سميد عاشور : الحركة ، ص ١٨٤ .

ورغم ذلك فإن الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين (Alexius I Comménus) (١٠٨١ - ١١١٨ م / ٤٧٤هـ - ٥١٢هـ) لم يغفل شيئا ولم يقدم حتى احتجاجا رسميا ، بل فضل السكوت في ذلك الوقت حتى تحين فرصة أفضل ، فقد كانت مسألة الرها عندئذ أقل نسيبا من مشكلة انطاكية الأكثر خطورة (٦١٨) .

وإذا كان البيزنطيون قد انزعجوا من قيام الإمارات الصليبية لما نشأ بين الطرفين من عداوة مرير فاق في قسوته العداوة مع المسلمين ، إلا أنهم اكتفوا في البداية باستعادة جزء من ممتلكاتهم المفقودة في آسيا الصغرى مستغلين ضعف سلاجقة الروم في ذلك الدور (٦١٩) .

ويبدو أن هجمات البيزنطيين أخذت تشتد على الصليبيين حوالى ١١٠٢ - ١١٠٣ م (٤٩٦ - ٤٩٧هـ) فقد سبق أن اشرنا أن ثوروس بن قسطنطين ساعد الصليبيين في صد هجمات البيزنطيين على الرها وانطاكية (٦٢٠) .

والواقع أن موقف البيزنطيين من الصليبيين وخاصة في الرها وانطاكية برز واضحا جليا بعد هزيمة الفرنج في حران ١١٠٤ م (٤٩٧هـ) « فقد كان الإمبراطور يراقب الموقف في قلق في بيزنطة ولم يأسف لسماع إخبار هزيمة الفرنج » (٦٢١) .

وقد سبق أن أوضحنا كيف أن هزيمة الصليبيين في حران أضعفت مركز الصليبيين بالسلام وأحيت آمال كل من الإمبراطور الكسيوس والمسلمين (٦٢٢) . ويبدو أن تمسك الإمبراطور الكسيوس كرمين بحق البيزنطيين في انطاكية جعله يفتح باب المفاوضة من جديد مع الأمير بوهيوند أمير انطاكية . ويبدو أن هذه الخطوة تمت قبل إطلاق سراح بلووين دى بورج سنة ١١٠٨ م بخليل ما اشارت اليه بعض المراجع الفرنجية من « تجدد الاتفاق بين كل من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس وبين بوهيوند سنة ١١٠٨ م بعد هزيمة الأخير في البلقان واثناء

(٦١٧) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304. (٦١٨)

Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p.p. 52-57. (٦١٩)

H. Pasdermajian : Op. Cit., p. 203. (٦٢٠)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 44. (٦٢١)

Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 58. (٦٢٢)

وجوده في السجن الإمبراطوري (٦٢٣) « وفي أثناء تلك المفاوضات أدى بوهيوند يمين الولاء من جديد للإمبراطور ، والراجح أنه اتفق معه في مقابل إصراره على أخذ الطلاكية منه أن يحصل في مقابلها على أرض أخرى في الشام وما بين النهرين ويلهم مما ذكرته (أنا كومنينا) (٦٢٤) أن الرها كانت ضمن تلك البلاد التي سيموض بها الإمبراطور الكيسوس بوهيوند عن أسرته أنطاكية . وربما شجع الإمبراطور على ذلك التمهيد خلو إمارة الرها من أميرها في ذلك الوقت . ويلهم من النص الذي ذكرته (أنا) أيضا أن التمهيد من جانب الإمبراطور لم يقتصر على بوهيوند فحسب بل امتد الى ورثة بوهيوند بشرط خضوعهم أيضا للإمبراطور (٦٢٥) .

والحقيقة أننا لم نعثر في أي مصدر آخر على نص يؤيد ما ذكرته (أنا كومنينا) ، ولكن ذلك لا يحول دون صحة تلك الرواية إذ لا يستبعد أن يكون بوهيوند قد أراد فعلا أن يتخلص من حالة عدم الاستقرار مع بيزنطة بسبب تمسكها بحقها في أنطاكية والذي ستمسك به باستمرار بعد ذلك مقابل أفضل الشروط .

وعندما خلف تفكير بوهيوند في حكم أنطاكية يبدو أنه لم ينفذ ما تمهد به بوهيوند للإمبراطور الكيسوس مما أدى الى تجدد الخلاف بينهما . وبطلنا على ذلك ما حدث عند عودة بلدوين دي بورج من الأسر ، إذ رفض تفكير إعطائه إمارته ، مما تسبب في قيام النزاع بين الجانبين . هنا يشير ابن الفرات الى أنه بعد أن استنجد بلدوين بجولوى كما مر بنا لاجأ الأخير الى جوسلين صاحب تل باشر « وكان بين جوسلين الفرنجي

(٦٢٢) أشرار جروميه الى ذلك الاتفاق تحت اسم معاهدة Deabolis وذكر أنها كتبت بين الإمبراطور الكيسوس وبوهيوند ١١٠٨ م عندما كان الأخير سجيناً لديه .

(Chalandon) من Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 89
أما برويه فقد أشر الى ذلك الاتفاق بقوله (كل ما وعد به بوهيوند الإمبراطور الكيسوس عند هزيمته في البلقان سنة ١١٠٨ م . (J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325) كذلك أشر أرنست بلركر : الحروب الصليبية ، ترجمة المعريتي من ٦٣ (القاهرة ١٩٦٠) بأن ذلك كان بعد هزيمة بوهيوند في دورازو .

Anna Comnena : Op. Cit., p.p. 355-356. (٦٢٤)
المسومة الوحيدة هنا أن (أنا) لم تحدد التاريخ الخاص بهذا الاتفاق
Anna : Ibid., p. 356. (٦٢٥)

وطنكريد حروب كثيرة وعداوة . . وكان طنكريد أقوى بأنطاكية وجوسلين
 اضعف بقلة ملكه وماله ، ولما رأى جوسلين أن لا طاقة له بطنكريد
 أومى أن يحفظ البلاد ويحسن الحصون وسار الى ملك الروم فطرح
 نفسه بين يديه وطلب منه المساعدة فأطلق له خبسة عشر ألف ديناراً
 وشادر من عنده (٦٢٦) . وهذا النص نستشف منه : أن أولى الأمر
 في الرها لم يكن لديهم علم بما تم بين الإمبراطور وبوهيموند ، فضلاً عن
 أن الإمبراطور عندما وجد أن تنكريد غير موافق على ما تعهد
 بوهيموند به أراد أن يكسب حكام الرها الى جانبه ضد تنكريد وبذلك
 لم يتأخر في تقديم المساعدة اليهم كمناسبة لتوطيد العلاقات بين الجانبين .

وثبة دليل آخر على عدم تنفيذ تنكريد لاتفاق الكيسوس - بوهيموند
 هو أن أننا كومنينا نفسها تعود وتذكر أن سفارة اتجهت من بيزنطة الى
 بيت المقدس لتطلب من الملك بلدوين الاول عقد تحالف مع الإمبراطور ضد
 تنكريد في مقابل مبلغ من المال تقدمه الإمبراطور ، ولما رفض الملك
 ذلك العرض خاطب الرسل جوسلين دى كورتناى - الذى كان
 بالقدس عندئذ - في نفس الأمر فرفض هو الآخر (٦٢٧) . ومعنى هذا
 أن الرها عندما اتضح لها الهدف الحقيقى للإمبراطور من وراء كسبه
 ودها ، وأنه يرعى الى وضعها الى جانبه ضد شقيقتها الصليبية رفضت
 ذلك بشدة .

وهكذا كان العداء بين الصليبيين والبيزنطيين على أشده حتى أن
 الإمبراطور نفسه لم يلبث أن أرسل يحرص سلطان السلاجقة محمد
 بن ملكشاه ضد الفرنج ٥٠٤هـ - (١١١٠م) وقد أورد كل من ابن القلائسى
 وابن الأثير أخبار تلك السفارة (٦٢٨) والتي سبق أن أشرنا اليها
 بالتفصيل عند تناول العلاقات بين الرها وسلاجقة فارس في تلك السنة .

وعندما خلف الإمبراطور حشا كومنين (١١١٨ - ١١٤٢م) (٦٢٩)
 ٥١٢ - ٥٣٨هـ) الإمبراطور الكيسوس الاول كانت أهم آمال الإمبراطور

(٦٢٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ، ص ٢٥
 (١) ، (ب) .

(٦٢٧) أوردنا النص مع ألاحق Anna Comnena : Op. Cit.,
 p. 367.

(٦٢٨) ابن القلائسى : الخيل - ص ١٣٧ ، ابن الأثير : الكامل ، د ٨
 ص ٢٦٢ ، سميد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٦٠ - ٦١ عن
 (Chalandon)

الجديدة هي « إعادة تأسيس القوة البيزنطية في وادي الفرات وبدا مصمها على التدخل في شئون مملكة بيت المقدس، ووادي الفرات (٦٣٠) » هذا يعني أن إمارة الرها نفسها كانت محط اطماع ذلك الامبراطور . على أن العلاقات البيزنطية الصليبية دخلت مرحلة جديدة منذ ١١٣٧م - (٥٣١ هـ) ففي تلك السنة توجه الامبراطور حنا كومنين الى كل من قيليقية والشام لتأكيد حقوق الامبراطورية في كل من الاقليمين . فلك أنه اعتبر اعطاء إمارة انطاكية لريموند دي بواتيه من طريق زواجه بكنستانس ابنة بوهيموند الثاني دون الرجوع الى القسطنطينية في ذلك الأمر خرقاً لليمين الذي اقسمه الصليبيون في القسطنطينية لوالده الامبراطور الكسيوس (٦٣١) . هذا فضلاً عن حقه على امراء أرمينيا الصغرى في قيليقية لخروجهم من طاعة الامبراطورية البيزنطية (٦٣٢) .

والواقع ان امراء انطاكية وقيليقية لم يكونوا يجهلون ذلك الشموخ وموقف الامبراطور البيزنطي من كل من الجاتيين (٦٣٣) .

وقد رأينا ما كان من خلاف بين كل من ليون الاول امير أرمينيا الصغرى وريموند الثاني امير انطاكية وكيف تدخل جوسلين الثاني بينهما ١١٣٧م حتى تم الصلح بينهما وعندئذ « تحالف الطرفان ضد الامبراطور حنا كومنين (٦٣٤) » . وكان ان الحق ليو ثواته العسكرية بالقوات الانطاكية للقيام بعمل مشترك ضد الامبراطور البيزنطي (٦٣٥) .

اما الاسباب التي حركت الامبراطور ضد أرمينيا الصغرى وانطاكية في تلك السنة بالذات فاهمها الخلاف الذي سبق أن اشرنا اليه بين ملك

-
- Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204 (٦٢٩)
 اسد رستم : الروم ، ج ٢ ص ٢٩٧ ، هنا يكتبه الكاهن جريجوار
 (Parphyrogénète) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.
 Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 66. (٦٣٠)
 Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Bréhier : (٦٣١)
 L'Eglise et l'Orient, p. 101.
 Grégoire Le Prêtre : Ibid, p. 152. (٦٣٢)
 Jacques de Morgan ; Op. Cit., p. 172, Tournèbize : Op. (٦٣٣)
 Cit., p. 174.
 Jacques de Morgan : Ibid., p. 172, Tournèbize : Ibid (٦٣٤)
 p. 173-4.
 Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152. (Cinnamus) (٦٣٥)

أرمينيا وأمير أنطاكية وبالرغم من عقد الصلح والتحالف بين الطرفين فإن الإمبراطور تقدم إلى قيليقية واستطاع أن يستولى على غالبيتها ويأسر أيون نفسه (٦٣٦) . كذلك عندما اشتد حصار زنكي لبارين ١١٣٧م (٥٣١ هـ) « سار من بالساحل من الفرنج الناجين من المعركة ... إلى بلاد الفرنج والروم يستجدونها » (٦٣٧) . بل قيل إن التساوسة والرهبان هم الذين سارعوا بطلب النجدة من بلاد الروم والفرنج « فحدثت النصرانية وجمعت وقصدوا الشام مع ملك القسطنطينية (٦٣٨) » .

ولكن يبدو أن الإمبراطور لم يستطع القيام بأي عمل إيجابي تجاه الصليبيين المحاصرين في بارين بلليل ما ذكر من أنه عند رجوع الأمير ريموند الثاني أمير أنطاكية إلى لمارته وجدها محاصرة بواسطة الإمبراطور البيزنطي (٦٣٩) . وعندئذ طالب الإمبراطور ريموند بأن يتخلل له من أنطاكية، وفي النهاية أصبح أهلى أنطاكية أنفسهم حكما بين الطرفين (٦٤٠) ، وتم الاتفاق على أنه في مقابل دخول أنطاكية تحت نفوذ الإمبراطور يساعد الأخير الصليبيين في الاستيلاء على بعض المدن التي ما زالت خاضعة للمسلمين في الشام مثل حلب وحمص وحماه وشيزر وأن تصبح تلك المدن عندئذ تحت تصرف أمير أنطاكية (٦٤١) . وهو ما يعرف بالهلف الفرنجي.

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204, Grégoire : Ibid., p. (٦٣٦)
 152. هنا يسمى ابن المديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٢ الإمبراطور
 حنسا (كالياني) أما أيون فيسميه لاون بن رويال .

(٦٣٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١
 ق ١ ص ٨٧ .

(٦٣٨) ابن الأثير : الكلبل ، د ٨ ، ص ٢٥٨ ، ابن واسل : مفرج
 الكروبي ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الليرات مخطوط ، د ٢ ص ٩١ (ب) ،
 النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 325. (٦٣٩)

Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101. (٦٤٠)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Bréhier : Ibid. p. (٦٤١)

101. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit.,

V. 1, p. 439,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147. Jean Richard :

Op. Cit., p. 45,

يوسف الدبس : تاريخ سورية د ٦ ص ٦٤ ، سعيد عاشور : المعركة ،
 د ١ ص ٥٨٤ .

البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى الباب القادم . وكل ما يهمنى هنا هو إبراز العلاقات الرهوية البيزنطية من خلال هذا الحلف خاصة منذ ١١٣٨م - (٥٣٢هـ) عندما بدأ يدخل فى دور التنفيذ العملى .

ذلك أن الامبراطور ارسل فى تلك السنة رسله لدعوة الامير ريموند والامير جوسلين الثانى وامراء آخرين للسير معه لحرب المسلمين ، وبالفعل جند الاميران القوات من كل مناطق نفوذهما وتبعوا الامبراطور (٦٤٢) . وتقدم الامبراطور ومعه ريموند وجوسلين الثانى الى حلب ولكن بعد قتال شديد لم يستطع الفرنج والبيزنطيون الاستيلاء عليها (٦٤٣) . وكان ان توجه الجيش المسيحى الى شيزر ، وهناك دارت بين المسلمين والصليبيين وحلفائهم البيزنطيين معركة حامية ، تحمل الامبراطور فيها الجزء الاكبر من عبء المعركة . فى الجبهة المسيحية ، بينما لم يبنل كل من جوسلين الثانى وريموند جهدا ايجابيا ملحوظا فى الحصار (٦٤٤) . وعندئذ اضطر الامبراطور الى رفع حصاره عن شيزر لاسباب سنتناولها بالتفصيل فيما بعد من بينها الموقف غير الايجابى لاميرو الرها وانطاكية .

ثم انسحب الامبراطور والاميران الصليبيان الى انطاكية ، وهناك طلب الامبراطور من امير انطاكية ان يسلم قلعة المدينة اليه تنفيذا لوعده (٦٤٥) ، وقال له « اتجز وعذك وكن مطيعا واظهر ولائك وامل واجبك وسيكون على سمونا الامبراطورى ان ننفذ الالتزامات

William : Op. Cit., V. 2, p. 94. (٦٤٢)

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset: L'Epopée, p. 155, (٦٤٣)

Zoé : Op. Cit., p. 328,

ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٦٥ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية ، د ٦ ص ٦٤ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 95. Bréhier : L'Eglise...p. 102, (٦٤٤)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 361,

Grousset : L'Epopée, p. 156, Zoé : Op. Cit., p. 328,

Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

J. Prawer : Op. زبدة الطلب د ٢ ص ٢٦٨ (٦٤٥)

Cit., T. 1, p. 327.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 362.

Grousset : L'Epopée, p. 157, Zoé : Op. Cit., p. 329.

الباقية علينا (٦٤٦) . وعندئذ تدخل جوسلين الثاني لينقذ الموقف فرد على الإمبراطور قائلا : « سيدي أن كلمات مسوك الإمبراطوري مشحونة بالفساحة الرائعة وجديرة بكل استحسان ، لأننا نرى أنها تستهدف زيادة قوتنا ككل ، ولكن ثمة أمر جدير بالاعتبار هو أن طلبك ليس رهينا بموافقة امير انطاكية وحده ، وانما يجب استطلاع آراء نبلائه ورأي ورأي رعاياه المخلصين ولذا يجب اعطائه مهلة للتفكير (٦٤٧) » .

وبالفعل لاقت تلك الاجابة استحسانا من الإمبراطور وترك لهم فترة قصيرة للتفكير في الأمر .

وعندئذ اتصل جوسلين سرا عن طريق بعض اعوانه بالناس ليخبرهم بمطالب الإمبراطور ويستثيرهم ويحضهم على التسليح والثورة ولسم تلبث أن شبت ثورة في المدينة وانطلقت الجماهير تسيح في شوارعها (٦٤٨) . « وعندئذ أسرع جوسلين على نرسه الى القصر كما لو كانت الجماهير تطارده ثم التى بنفسه لاحقا عند اقدام الإمبراطور فتعجب الإمبراطور من دخوله المفاجيء وسأله يعلق لماذا يفعل هذا على عكس قواعد التشريفات والسلوك . فاجاب الأمير بان الضرورية تبيح المحظورات . وان الثورة الجماهيرية ارغمته ان يخالف القواعد السلوكية كي يتحاشى خطر الموت على يد الجماهير الغاضبة (٦٤٩) » .

ولم تلبث أن ترامت الى مسامح الإمبراطور صيحات الجماهير « الويل لأنطاكية لقد بيعت للروم (٦٥٠) » . وهاجم الثوار أفراد أسرة الإمبراطور ونهبوه وضربوه ووضعوهم السيف في كل من أبدى أية مقاومة (٦٥١) . مما جعل الإمبراطور يقرر الرحيل عن انطاكية (٦٥٢) .

William : Op. Cit., V. 2, p. 98. (٦٤٦)

William : Ibid., V. 2 p.p. 98 — 99. (٦٤٧)

William : Ibid., V. 2, p. 99, Bréhier : Vie et Mort, p. 324, (٦٤٨)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Prewer : Op. Cit., T. 1,

p. 327, Grousset : L'Eppée, p. 157.

William : Op. Cit., V. 2, p. 99. (٦٤٩)

(٦٥٠) النبس : تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ٦٥ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 100. (٦٥١)

William : Ibid., V. 2, p. 100, Bréhier : Vie et Mort, p. 325, (٦٥٢)

Setton : Op. Cit., V. 2, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 363,

Prewer : Op. Cit., T. 1, p. 327. سعيد عاشور : الحركة

ج ١ ص ٥٨٩ (من وليم الصوري) .

وبعد مضي أربع سنوات عاد الامبراطور حنا كومنين للظهور من جديد في شمال الشام كي يطالب ببططائية مرة أخرى ولكن قيل ان يتوجه اليها بدأ أولاً بإمارة الرها ، كي يضمن جانب جوسلين الثاني لأنه لم يخف عليه ما دبره جوسلين من حيلة لاجلائه عن انطاكية ١١٣٨ . لذا ظهر الامبراطور فجأة امام تل باشر ١١٤٢م - (٥٣٧هـ) وطلب من جوسلين رهائن مما اثار دهشة الأخير لوصول الامبراطور المفاجيء ولكنه ازاء قوة الامبراطور البيزنطى وجيشه الذى لا يضاهى والذى لا يمكن لاي مملكة أن تصمد أمامه بادر بتقديم ابنته (ايزابيلا — Isabella) كرهينة للامبراطور (٦٥٣) . وهكذا فان جوسلين الثاني الذى انتصر على الامبراطور بالخديعة والحيلة منذ أربع سنوات مضت ، وجد نفسه في هذه المرة عاجزاً ضعيفاً فسلم للامبراطور بعض الرهائن التى اكدت طاعته له (٦٥٤) .

وعند عودة الامبراطور حنا كومنين من انطاكية ١١٤٣م (٥٣٧هـ) توفى بأذنه (٦٥٥) . خلفه ابنه مانويل الأول (١١٤٣ — ١١٨٠م) (٦٥٦) . وفى بداية حكم مانويل سقطت الرها في يد زنكى ١١٤٤م كما سنرى .

والواقع ان الشاعر الأرمنى الكبير نيرسيس عندما رثى الرها عند سقوطها على يد زنكى ، طلب من القسطنطينية على لسان مدينة الرها أيضاً ، العونة والثار من المسلمين مما يبين أن بيزنطة لم تقف موقفاً متعاطفاً مع الرها في محنتها فهو يقول :

اليك اتوسل : عبثى

قواتك العاتية

وأطعنى الأعداء في صميمهم ثاراً وانتقاماً (٦٥٧) .

لكن اذا كانت الخلافات بين البيزنطيين والصليبيين قد أدت في النهاية الى ضياع إمارة الرها من أيدي الصليبيين فان ذلك لم يمنع بيزنطة من التفكير مع بقية العالم المسيحى الغربى في استعادة الرها مرة

William : Op. Ci., p. 124, Grousset : His. des Crois., (٦٥٣)

V. 2, p. 146, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 445, Cam. Med.

Hist., V. IV, p. 361 (1936).

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 335. (٦٥٤)

(٦٥٥) أبو الفضائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٦٨ .

(٦٥٦) أسد رستم : الروم ، ص ٢٩٧ .

Nersès : Op. Cit., p. 230 (٦٥٧)

أخرى وردها إلى حظيرة الحكم المسيحي . على أغسطس ١١٤٦م (١٥٤١) أرسل الإمبراطور مانويل خطبا إلى البابا (٦٥٨) ، رداً على خطاب كان قد أرسله إلى الإمبراطور وأخبره فيه أن ملك فرنسا سيتوجه على رأس حملة للانتقام للكنائس المقدسة ولبعوض كارثة الرها . فقد ابتهج مانويل لهذا المسعى من أجل صالح المسيحيين ولتحطيم المسلمين . وقد رد بأنه مستعد لتسهيل مرور الجيش الصليبي وتجهيزه بالمؤن ولكنه طالب في مقابل ذلك ولاء الصليبيين كما حدث في عهد جده الكسيوس كومنين ورغب في أن يجتهد البابا في تنفيذ ذلك المطلب (٦٥٩) .

ومعنى هذا أن الإمبراطور مانويل كانت لديه الرغبة في المساعدة على استعادة الرها ولكن في مقابل الحصول على ولاء الصليبيين له . وربما فضل مانويل أن تعود الرها إلى قبضة الصليبيين خير من بقائها في يد المسلمين . فعند موادتها إلى للمسيحيين يصبح من السهل على الإمبراطور فرض سلطانه على شمال الشام من جديد ولو بطريقة اسمية .

والحقيقة أنه عثر على خطابين للإمبراطور مانويل أرسلهما إلى البابا ايوجين الثالث (٦٦٠) . بعد سقوط الرها مباشرة ولكننا سنرجعه دراسة هذين الخطابين بالتفصيل إلى الباب القسطنطيني عند دراسة ردود الفعل بالنسبة لسقوط الرها .

(٦٥٨) كان البابا حينئذ هو ايوجين الثالث ، — Eugène III

١١٤٥ — ١١٥٣م أسد رستم : الروم ، ج ٢ ص ٢١٠ .

V. Grümel : Deux Lettres de Manuel Comnène au pape, (٦٥٩)

Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 144.

V. Grumel : Ibid., p. 146.

(٦٦٠)

الباب الثالث

نهلية إمارة الرها

جهود زنكى في الجهاد وتكوين الجبهة الإسلامية :

ينسب عماد الدين زنكى الى بنى زنكى الذين يعرفهم ابو المحاسن بانهم « اواسط الدول (١) » عرف أبوه « بالحاجب قسيم الدولة آقسنقر التركى (٢) » . وعندما قتل قسيم الدولة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) لم يخلف من الأولاد الا ولدا واحدا هو عماد الدين الذى كان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين ، فاجتمع عليه ممالك والده واصحابه (٣) . ولما تخلص الأمير كربولقا من سجن حمص بعد مقتل تاج الدولة تتش صاحب دمشق وحلب ٤٨٩هـ (١٠٩٦م) توجه الى حران واجتمع اليه جماعة ومك نصيبين ثم الموصل وماردين وعظم شائه . ثم اخضر ممالك الأمير قسيم الدولة آقسنقر وأمرهم بالخصار الأمير عماد الدين زنكى وقال « هو ابن اخى وأنا أولى الناس به فاحضروه عنده فاقطعهم

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٧٩ فهو يذكر « بنو زكى هم اواسط الدول فان اول من ملك مع الخلاء وتلقب بالسلطان واللقاب العظيمة بنوبوية ، ثم انشا بنوبوية بنى سلجوق . وانشا بنو سلجوق بنى ارتق وآق سنقر جد بنى زنكى هؤلاء . ثم انشا بنو زنكى (اعنى الملك العادل نور الدين محمود الشهيد) بنى ايوب سلاطين مصر وغيرها . ثم انشا بنو ايوب الممالك ودول الترك » .

(٢) الذهبى : المعبر ، ج ٤ ص ١١٢ ، ابن ابيك كثر الدرر ، ج ٦ ص ٤٩٩ ، ابن الفرات : مخطوط ج ١ ص ٧٠ (١) هنا يضيف ابن الفرات ان قسيم الدولة سمى بذلك لانه كان مملوكا للسلطان العادل عضد الدولة الب أرسلان بن داود ميكايل بن سلجوق ، تربى مع ولده السلطان العادل جلال الدولة ابي الفتح ملكشاه واستمر في صحبته الى حين كبر وافضاء اليه لجملة من اعيان دولته واكابر امرائه واخص اوليائه واعتقد عليه في اموره كلها وعلت رتبته ومنزلته. الى ان لقب قسيم الدولة : ابن الفرات : ج ١ ص ١٧٠ ، ب .

(٣) ابن الاثير : الباهر ، ص ١٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، ج ١ ص ٧٠ (ب) .

الاطلسات السنية (٤) ٤ ... وأقام الأمير عماد الدين زنكي في صحبة
الأمير كربوقا إلى أن توفي ... وعندما تولى جركمش الموصل — وهو
أحد ممالك السلطان جلال الدولة ملكشاه — قرب عماد الدين إليه
إلى أن توفي ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) ثم ولى بعده الأمير جلولى سقاوا ،
فاتصل به الأمير عماد الدين . ولما تولى الأمير مودود الموصل من
قبل السلطان محمد بن السلطان جلال الدولة ملكشاه صحبة الأمير
عماد الدين وحضر معه حروبه إلى أن قتل مودود ٥٠٧ هـ (١١١٣ م)
فعماد عماد الدين إلى الموصل (٥) . فلما أمر السلطان محمد
البرسقى بالخروج للجهاد وكتب إلى عساكر الموصل بالخروج معه ،
ساروا وفيهم عماد الدين فأبلى في هذه الحرب بلاء حسنا وعادت
العساكر تتحدث بما فعله وما ظهر له من الشجاعة (٦) . وفي
٥١٦ هـ (١١٢٢ م) أقطع مدينة واسط وولى شحنة البصرة (٧) .
ثم ولى شحنة بغداد ٥٢١ هـ (٨) (١١٢٧ م) ثم ولى الموصل — كما
مر بنا — هذا إلى جانب ديار الجزيرة . ومن الموصل سار إلى
جزيرة ابن عمر فاستولى عليها ثم ضم إليها أيضا نصيبين وسنجار
والخابور وهران ثم حلب وحماه (٩) ، وكلها أماكن كانت بأيدي
المسلمين . ثم بدأ بعد ذلك يسترجع ما كان الفرنج قد استولوا عليه

(٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥ — ١٦ ، ابن الفرات المصدر
السابق ص ٧٠ (ب) .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٦ — ١٧ — ١٩ ، ابن الفرات المصدر
السابق والصفحة .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ١٩ — ٢٠ . ويبدو أن أتابك
زنكي حارب مع القادة المسلمين ضد الفرنج في الشام في سنتي ٥١٣، ٥١٥ هـ
(١١١٩ م ، ١١٢١ م) بدليل ما ذكره ابن أيك أنه في ٥١٣ هـ كسر أتابك
الفرنج على جبل السماق كسرة عظيمة (ابن أيك : كنز الدرر ، ٦٥
ص ٤٨٤) وفي ٥١٥ هـ كسر أتابك الفرنج على تل حورى . (نفس المصدر
ص ٤٨٨) .

(٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٤ . والشحنة لفظ فارسي معناه :
محافظة المدينة ، نائب الملك ، رئيس البوليس . والمقصود هنا من نية
الكناية لضبط البلد من جهة السلطان .

(٨) المصدر السابق ص ٢٨ — ٣١ ، الذهبي : المعبر ، ص ٤٥ ص ١١٢ .

(٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٦ — ٣٧ ، الكامل ص ٨ ص ٣٢٥ .

من بلاد وهو ما سنتناول به بالتفصيل . ويلخص الذهبي صفات زنكى في قوله « كان فارسا شجاعا مهيون النقيصة ، شديد البأس ، قوى المراس ، عظيم الهيبة ، فيه ظلم وزعارة (١٠) » . وايده الاصمهانى في ذلك بوصفه انه « كان جبارا عسوفيا ، نمرى الخلق أسدى الحق ، لا ينكر العنف ولا يعرف العرف (١١) » .

وقبل الحديث عن جهود زنكى في مواجهة الصليبيين نود ان ننقل تلك الصورة المعبرة عن الموقف بين المسلمين والفرننج عند تولي عماد الدين حكم الموصل فقد قال ابن الاثير : « لما ملك المولى الشهيد البلاد ، كان الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت اجنادهم وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وتضامفت سطوتهم ، وعلا شرهم واشتد يطشهم وامتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف اهلها من كف عايتهم ، وتلبعت غزواتهم ، وسابوا المسلمين سوء العذاب وبكجوههم بالتبار والتباب ، واستطار في البلاد شرر شرهم ، وعم اهلها شديد حينهم وعظيم قهرهم ، فنجوم سعد المسلمين منكثرة ، وسما عزمه منفطرة وشمس اقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاسلام منشورة ، وانصارهم على اهل الايمان منصوره » .

وكانت ملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية ساردين وشبختان الى عريش مصر لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحمص ، وحماه ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمد ، فلم يبقوا على موحّد ولا جاحد . ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس العين باستاصلوا ما لاهلها من اثار وعين (١٢) » .

والواقع ان زنكى اختار ان يبدأ بأسلوب المهادنة مع اماره الرها الصليبية بدلا من أسلوب القوة . ففي ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) ارسل الاتابك زنكى الى جوسلين امير الرها لمهادنه مدة يسيرة (١٣) ، او بمعنى آخر دخل معه في علاقة ود وصداقة حتى ان زنكى عندما اراد ان يرتبط ببوهيوند امير انطاكية ، استخدم في تلك المفاوضات جوسلين وسيطا (١٤) . وكان غرض زنكى من وراء تلك الهدنة مع اماره

(١٠) الذهبي : العبر ، ج ٤ ص ١١٢ . (الزعارة هي شراسة الخلق) .

(١١) الاصمهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٦ .

(١٢) ابن الاثير : الباهر ، ص ٣٢ - ٣٣ . (التبار والتباب اى الهلاك والخسران) .

(١٣) ابن الاثير : الباهر ص ٢٧ ، الكامل ج ٨ ص ٣٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ص ٢٢٤ .

Mattieu : Op. Cit., p. 148.

(١٤)

الرها هو التفرغ للاستيلاء على ما بقي له من البلاد الشامية والجزيرية
وامصلاح شأنها والفراغ من اقطاع بلادها لجند يختبرهم ويعرف
شجاعتهم (١٥) .

ولما فرغ زنكى من ضم حلب سنة ٥٢٢هـ (١٦) (١١٢٨م) واعمالها
« عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ، ثم امرهم للفراة
فتجهزوا واعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب (١٧) » .
وكان ان مزم على الاستيلاء على حصن الانارب ، اذ كان ذلك الحصن
شديد الضرر على اهل حلب فقد اجتبع فيه عدد كبير من فرسان
الفرنج الشجيمان وكان « من المسلمين في نحوهم (١٨) » . وكان من
به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغريبة « حتى على
رحا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق (١٩) » .
لذلك سار زنكى الى الحصن ونزل به فلما علم الفرنج بذلك توجهوا
للاقتائه في كابل استعدادهم وكان ذلك ٥٢٤هـ (٢٠) ربيع ١١٣٠م .

(١٥) ابن الاثير : الباهر ص ٢٧ ، الكامل ، د ٨ ص ٢٢٥ :
ابن خلدون المعبر ، د ٥ ص ٢٢٤ .

(١٦) (ابن الاثير : الباهر ص ٢٨ ، الكامل ، د ٨ ص ٢٢٦)
وينكر (ستون) من جيب ان ذلك كان في يناير ١١٢٨م
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 429.)

(١٧) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢١ ، ابو الفدا : المختصر
في اخبار البشر ، د ٣ ص ٢ ، العيني : عقد الجمان ، د ١ ص ٢٥ - ٢٦ .
(١٨) ابن الاثير : الباهر ص ٣٩ .

(١٩) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول
والمملوك ، مخطوط د ٣ ص ١٣ (ا ، ب) ابو الفدا : المختصر ، د ٣
ص ٢ ، د ٤ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٣٥ ، النويري : نهاية
الارب ، د ٢٥ ، مخطوط ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، احداث ٥١٣هـ
العيني : عقد الجمان ، د ١٦ ص ٢٦ .

(٢٠) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، الباهر ص ٣٩ ،
ابن الفرات : المصدر السابق د ٣ ص ١٣ (ا) ، ابو شامة : الروضتين ،
د ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ٣ ، ابن الوردي : تنبيه
المختصر ، د ٢ ص ٣٥ ، ابن قاضي شعبة : الدر الثمين : ميكروفيلم رقم
٢٣٧ (ا) الباب السابع ٥٢٤هـ ، ابن خلدون : المعبر د ٥ ص ٢٢٦ ،
العيني : عقد الجمان د ١٦ ص ٢٥ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 421.

وبالرغم من اجماع كل تلك المصادر على ان ذلك كان ٥٢٤هـ ١١٣٠م .
نجد بعض المصادر اشرت الى ان ذلك كان سنة ٥٢٣هـ مثل :

=

والحقيقة ان الفرنج عندما علموا بتقدم زنكى لقتالهم انقسموا ا
فريقين على رأى ابن الأثير ، فالبعض هونوا أمره والبعض طالبوا بتد
افصى الاستعدادات للملاقاة (٢١) وبالفعل توجهوا اليه فى قوة كبيرة ؛
ذلك فقد اهتموا حينئذ « بجميع الفرسان والأجناد واحضروا من
اطراف البلاد وجمعوا الدانى والقاصى والطبيع والعامى واقتبلوا
جموعهم المحشورة وعسكرهم الجروزة ، وأعلامهم المنشورة ومسلحة
وبنودهم وبلوكهم وكنودهم (٢٢) » .

وببدو ان جند زنكى واصحابه تخوفوا من مقابلة ذلك الجمع
الأعداء (٢٢) فقد ذكروا له « ان لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لا يد
على أى شىء تكون العاقبة » . ولكنه لم يستجب لهم وقال
ان الفرنج متى راونا قد عدنا من بين ايديهم طبعوا وسار
فى اثرنا وخربوا بلادنا ولا بد من لقاءهم على كل حال (٢٤) . لذ
ترك زنكى الحصن وسار لملاقاة الفرنج (٢٥) . وعندما التقى الجب
نصر الله المسلمين وهزم الفرنج اتبع هزيمة ووقع كثير من فرسه
فى الأسر (٢٦) .

النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط د ٢٥ ورقة ٢٥ . وروى المنظر
مخطوط أحداث ٥٢٣ هـ . فى حين ذكر ابن العديم : زبدة الحطب ، د
ص ٢٧ ان ذلك كان فى صفر ٥٢٣ هـ .
(٢١) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢٢) ابن الأثير : الباهر ص ٤٠ . أما تفسير كلمة كنودهم فتد
حاشية لحق الباهر ص ٤١ ان كلمة أمير الفرنسية Comte
للغرب الى (كد) ، (كد) ، (كد) .

ton : Op. Cit., V. 1, p. 489.

(٢٣)

(٢٤) ابن الأثير : الكلبل ، د ٨ ، ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخا
د ٢ ، ص ١٢ (ب) ، العيني : مقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ٢٦ .
(٢٥) ابن الأثير : الكلبل ، د ٨ ، ص ٣٣١ ، ابن الفرات : المص
السيلقي ، د ٣ ص ١٢ (ب) ، العيني : المصدر السابق نفس الصفحة
أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٤ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د
ص ٣٥ ، ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٢٢٦ .

(٢٦) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة ، ابن الفرات : ن
المصدر والصفحة ، العيني : نفس المصدر والصفحة ، أبو فارس
الروضتين ، د ١ فى ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب د ٢٥ مخا
و رة ٢٥ ، روى المنظر : مخطوط ، أحداث ٥٢٣ هـ .

ونقدم زنكى الى جنده طلبا منهم « الاخوان في القتل (٢٧) » . قتلا
 لن هذا اول مصاف حلفاء معهم للثقة من باسنا ما بقى رعبه في
 قلوبهم فعملوا ذلك (٢٨) ، فلم ينج من المعركة الا من هرب اثناء
 الليل أو اختفى بين القتل (٢٩) . ثم عاد زنكى الى الحصن « فاملكه
 منوة (٣٠) » وقتلوا واسروا كل من فيه (٣١) ثم خربه زنكى
 وجعله دكا (٣٢) .

وبعد ذلك توجه زنكى الى حصن حارم (٣٣) . فامرسل من فيه
 من الفرنج اليه يطلبون الصلح ويطلبوا له نصف نخل حارم وهاذونه
 فاجابهم الى ذلك (٣٤) . لان معسكره كان قد « كثر فيهم الجراحات

(٢٧) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١
 مخطوط ٢٦ .

(٢٨) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات ، مخطوط ،
 د ٣ ص ١٣ (ب) .

(٢٩) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ .

(٣٠) المصدر السابق ص ٤٢ ، ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ،
 ابن الفرات : مخطوط د ٣ ص ١٣ (ب) أبو شامة : الروضتين ، د ١
 في ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ مخطوط ورقة ٢٥ ، ابن قاضي
 شهبة : الدر الثمين في سيرة نور الدين ميكروفيل رقم ٢٢٧ (١) الباب
 السابع ٥٢٤ ، الذهبي : المعبر ، د ٤ ص ٥٥ ، أبو الفدا : المختصر ،
 د ٣ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٢٥ ، ابن خلدون : المعبر ،
 د ٥ ص ٢٢٦ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ٢٦ .

النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٢٥ ، المعنى : عقد الجبلان :
 (٣١) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، الباهر : ٤٢ ، ابن الفرات :
 د ٣ ص ١٣ (ب) ، أبو الفدا : د ٣ ص ٣ ، ابن الوردي : د ٢ ص ٢٥ ،
 النويرى : نهاية الأرب د ٢٥ ورقة ٢٥ ، المعنى : عقد الجبلان :
 د ١٦ م ١ ص ٢٦ .

(٣٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : د ٣ ص ١٣
 (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٢٥ ، روض المناظر ، مخطوط ،
 أحداث ٥٢٣ ، ابن قاضي شهبة : الدر الثمين ميكروفيل الباب السابع
 ٥٢٤ ، أبو الفدا : د ٣ ص ٣ ، ابن الوردي : د ٢ ص ٢٥ ، ابن خلدون :
 المعبر ، د ٥ ص ٢٢٦ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ٢٦ .

(٣٣) ذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، د ٦ ص ٢٠٥ أنها حصن
 حسين وكورة جيلة تبناه اطلاقية من أعمال حلب .

(٣٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، الباهر ص ٤٢ ، أبو شامة :
 الروضتين د ١ في ١ ص ٧٨ ، ابن الفرات : د ٣ ص ١٣ (ب) ، المعنى :
 عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ٢٦ . ٢٦ . 431 . V. 1, p. 431 . Setton : Op. Cit.,

والقتل فاراد ان يستريحوا ويرجوا (٣٥) . وعاد زنكى وقد « اشتد لزر المسلمين بتلك الاعمال وضعت قوى الكافرين » وعلما ان البلاد قد جاءها مالم يكن لهم في حسيان وصار قصارى هبهم حفظ ما في ايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا في ملك الجميع (٣٦) .

وفي شعبان ٥٣٠هـ أبريل ١١٣٦م سارت جيوش زنكى مع الامير اسوار نائبه بحلب فقصصوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا اعمال اللاتقية فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا واسروا ، وكان الاسرى سبعة آلاف اسير ما بين رجل وامرأة وصبي ومائة الف رأس من الدواب وخرّبوا اللاتقية وما جاورها ثم توجهوا الى شيزر في منتصف رجب بما معهم من غنائم عظيمة (٣٧) .

وفي ١١٣٧م (٥٣١هـ) اكمل زنكى عملياته العسكرية الاولى بحملته الكبيرة ضد بارين التي كانت تقع في امارة طرابلس الصليبية (٣٨) . ويقبر وليم الصوري قيام زنكى بتلك الحملة ضد طرابلس بانه استغل في ذلك الوقت وضع الامارة الضعيف بعد وفاة بونز وقيام ابنه ريموند الثاني (٣٩) .

ثم سار زنكى على رأس قواته واغار على حصن بارين في شوال ٥٣١هـ (٤٠) وعنفذ ارسل ريموند امير طرابلس الى خاله

(٣٥) ابن الاثير : الباهر ص ٤٢ ، ابو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٧٨ .

(٣٦) ابن الاثير : الكلل ، د ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ١٣ (ب) .

(٣٧) ابن الاثير : المصدر السابق د ٨ ص ٣٥٣ ، النويرى : نهاية الارب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٣٨) يسمى ابن خلدون في العبر . د ٥ ص ٢٣٢ حصن بارين (حصن يعدوين) وهذا غير صحيح .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

William : Op. Cit., V. 2, p. 85. (٣٩)

(٤٠) ابن الاثير : الكلل ، د ٨ ، ص ٢٥٧ ، النويرى : نهاية الارب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ ابو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٨٩ ، الذهبي : العبر ، د ٤ ص ٨٤ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٢ .

ملك القديس « بتومسلات جسادة وتضرع الى فولك ان يحضر بسرمة لمساعدتهم في وضعهم الذي يدعو الى الشفقة (٤١) » . واستجاب الملك فولك لتلك التوسلات ، فجند قواته من المشاة والفرسان وبسرمة وصل الى طرابلس (٤٢) . وهذا ما اشارت اليه المصادر العربية بقولها « جمع الفرنج مارسهم وراجلهم وساروا في قضهم وقضيضهم وملوكهم وقباصتهم وكنودهم الى اتابك زنكى ليبرحلوه من بعرين (٤٣) » .

والواقع ان ملك للقدس تلقى في ذلك الوقت استنجادين اولهما من طرابلس ضد زنكى والثانى من انطاكية ضد الامبراطور البيزنطى حنا كومنين ولكن بعد استشارة اعوانه قرر نجدة طرابلس اولا ثم انطاكية بعد ذلك (٤٤) .

وعندما التقى زنكى بالفرنج قرب حصن بارين قلم بينهما صراع شديد صمد فيه الفريقان طويلا (٤٥) لكن زنكى لجأ الى استخدام الحيلة فكن لهم كميناً وضع فيه غالبية جنده ثم التقى بالفرنج بنفسه مع عدد قليل من رفاقه فطعموا فيه وتبعوه فوقعوا في الكمين (٤٦) . وانجلت الواقعة عن هزيمة الفرنج (٤٧) . عندئذ اشار البعض على الملك بالانسحاب الى داخل قلعة بلرين ، فاستصوب ذلك الراى بوصفه احسن

William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Grousset : Hist. des Crois. (٤١)
V. 2, p. 70.

William : Ibid V. 2, p. 85. (٤٢)

(٤٣) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ، ابن النرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط د ٣ ص ٩٠ (ب) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٢ - ٧٣ (والقلمصة جمع قبض والقومي تعريب حرفى للفظه اللاتينية Comes) وجنفاها (الرقيق) لانه كان في بادىء الامر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته والفظه (Comes) اللاتينية هى التى حورت في اللغة الفرنسية الى (Comte) وامتلت المراجع العربية ان تعربها الى (ك د) ، (ك د) ، (ق د) محقق الباهر ص ٤١ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Cahen : Op. Cit., p. 358, (٤٤)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2., p. 71.

(٤٥) ابو شابة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٤٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٣ مخطوط ص ٩٠ (ب) .

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، النويرى : نهاية الأرب : مخطوط ، د ٢٥ ورقة ٤٧ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ ، William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

خطة عندئذ يبعد أن قتل كل المشاء أو أسروا (٤٨) . لذلك احتسب
يحصن بارين (٤٩) في حين أسر أمير طرابلس هو وبعض فرسقه (٥٠) .
« وغنم المسكر الأسلامي سوادهم وانقلهم وكراهم (٥١) » . ولم
يجعل اللاجئين بيرة معهم الى داخل القلعة بل حبلاوا فقط أسلحتهم ،
وجد ادرك زكى هذه الحقيقة ولذا عزم على تجديد الحصار لبارين ،
وكان واقفاً انه خلال وقت قصير سيستطيع الاستيلاء على القلعة (٥٢) .
« فحصرهم وبنع منهم كل شيء حتى الأخبار فكان من به منهم لا يعلم
شيئاً من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته (يقصد زكى)
على جنوده (٥٣) » .
وفي نفس الوقت كان الفرنج الذين في الحصن واثنين من حسانته ،
محتبين انه لا يمكن لأحد أن ينالهم بسوء وهم به معتمدون (٥٤) .
ولكن ذلك لم يمنعهم من الاتفاق على طلب النجدة من القدس والرها
وأنطاكية وبالفعل سار ثلاثة رسل الى تلك المناطق لطلب نجدة
سريعة (٥٥) . ولم يقتصر طلب النجدة على الإمارات الصليبية في بلاد
الشام فقط بل تمدتها الى بلاد الروم وبقية البلاد المسيحية (٥٦) .

William : Ibid., V. 2, p. 86.

(٤٨)

(٤٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٨ ، الباهر ، ص ٦٠
(وهو يذكر أن ذلك كان ٥٢٤هـ) ، التويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة
٤٧ ، أبو شامة : الروضتين د ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن واصل : مفرج
الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ٩١ (١) ،
أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تكملة المختصر د ٢ ص ٤١ ،
العميني : معاد الجبل ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ ،

William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358. (٥٠)

(٥١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ، ص ٩١ (١) .

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87. (٥٢)

(٥٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ،
د ٣ ، ص ٩١ (١) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٣ .

(٥٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٠ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 87-88. (٥٥)

(٥٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٨ ، ابن واصل : مفرج

لها زنكى فليشد الحشد في تضيقه الحصار على من بالقلمة حتى قلت
 الأقوات والفخار لدى الحاصرين (٥٧) ، فاضطروا الى اكل خيولهم
 ودوابهم (٥٨) . واخيرا طلب الحاصرون الامان من زنكى على ان
 يسلموا اليه الحصن وينجوا بانفسهم الى بلادهم فلم يجبهم الى
 ذلك (٥٩) . « وبلى الاخذهم قهرا (٦٠) » . ولكن عندما سمع زنكى
 باقتراب « ملك الروم واجتماعه بمن بقى من الفرنج (٦١) » . فضلا
 من اقتراب الجيوش التي اتت من الامارات الصليبية الثلاث الاخرى
 لنجدة الحاصرين (٦٢) ، وافق زنكى على طلب الامان « وقرر على
 الحاصرين تسليم الحصن وخمسين الف دينار فوافقوا (٦٣) » .

وبمجرد خروج الملك ورفاقه عرفوا بأخبار اقتراب جيوش النجدة

الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٣ ،
 ص ٩١ (١) ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن خلدون :
 المعبر ، د ٥ ص ٢٣٢ ، المعينى : عقد الجمان ، د ١٦ ص ٩٤ .
 (٥٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ،
 د ٣ ص ٩١ (١) ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ .
 (٥٨) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات :
 المصدر السابق نفس الصفحة ، William : Op. Cit., V. 2, p. 90 .
 (٥٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر
 السابق والصفحة ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن واصل :
 مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٣ .
 (٦٠) ابن الأثير : الباهر ص ٦١ ، أبو شامة : الروشتين ،
 د ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦١) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج
 الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، د ٣ مخطوط
 ص ٩١ (١) .

William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Cahen : Op. Cit., p. 358, (٦٢)

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.

ابن الفرات : المصدر السابق ، د ٣ ص ٩١ (١) .

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر -
 السابق ، د ٣ ص ٩٣ (ب) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٤ ،
 أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٣ ، ابن الوردي : تنبيه الختصر ،
 د ٢ ص ٤١ ، ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٢٢٢ ، الغزى : نهر الذهب ،
 د ٣ ص ٨٩ ، المعينى : عقد الجمان ، د ١٦ ص ٩٤ .

منهم وهى الجيوش التى اختلفت المصادر الاسلامية فى وصفها (٦٤) .
 اما المصادر والمراجع الفرنجية فتتفق على انها جيوش الرها وانطاكية
 وبيت المقدس (٦٥) . هذا الى ان المصادر العربية والافرنجية
 اختلفت من جديد فى موقف اولئك المسيحيين بعد ان اطلق سراهم
 وبعد ان عرفوا بقرب النجدة منهم . فبعض المصادر الاسلامية
 اكتفى بقوله انهم « ندبوا حيث لم ينفعهم الندم (٦٦) » . والبعض قال
 ان جيوش النجدة عندما قابلتهم « سالتهم عن حالهم فلخبروهم بتسليم
 الحصن ، فلاموهم ووبخوهم وعنفوهم ، وقالوا عجزتم عن حفظه يوما
 او يومين . نحلفوا لهم اننا لم نعلم بوصولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منذ
 حضونا الى الآن . فلما سميت الاخبار منا ظننا انكم قد اهلتم امرنا
 وقعدتم عن نصرنا فحقنا دماعا بتسليم الحصن وافندينا به
 ماوراءه (٦٧) » .

اما وليم الصورى فيقول ان الملك ورفاقه عندما اطلق سراهم توجهوا
 جنوبا من المرتفعات الى الحقول قرب عكا ، وهناك علم ان اميرى انطاكية
 والرها بالقرب منه ، فقابلهم الملك بتائر عظيم وشكر شعورهم
 الاخرى وعظمتهم المفرطة (٦٨) .

وبعد استيلاء زنكى على حصن بارين سلمه الى شمس الدين لاجين

- (٦٤) يذكر ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ (بلغهم اجتماع من
 اجتمع بمسببهم) وفى الباهر ص ٦١ يقول (لقيتهم امداد النصرانية)
 ويذكر هذا الراى ايضا ابو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٨٧ ،
 وبعض المصادر تذكر (تحققوا خروج ملك الروم لنصرتهم) مثل
 ابن الفرات : مخطوط د ٣ ص ٦١ (ب) ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
 د ١ ص ٧٤ . اما النويرى : نهاية العرب د ٢٥ ورقة ٤٧ ، العيني .
 عقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٢
 فيقولوا (اجتماع الروم والفرنج) .
 William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton: Op. Cit., V. 1, (٦٥)
 p. 438.

- (٦٦) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
 د ١ ص ٧٤ ، النويرى : نهاية العرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ ، العيني :
 عقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ .
 (٦٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦١ ، ابو شامة : الروضتين ،
 د ١ ق ١ ص ٨٨ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 91.

(٦٨)

لم يزل في يده ويد أولاده الى عهد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى
نسلم الحصن الى الأمير شمس الدين بن المقدم (٦٩) .
والواقع ان استيلاء زنكى على بارين كان من اهم الأعمال التي
احرزها في مواجهة الفرنج بالشام وهو ما عقب عليه بروييه بقوله « كان
الاستيلاء على بارين نصرا اسلاميا ذا أهمية كبيرة » لانه أعاد اراضى
زراعية لمدن حماه وحمص كانت معرضة على الدوام لخطر الهجوم
الفرنجى (٧٠) .

وفي نفس ٥٣١هـ (٧١) (١١٣٧م) استولى زنكى ايضا على المعرة
وكفر طاب وكان ذلك « في مدة مقامة على بارين (٧٢) » .
بجماع معظم المصادر الاسلامية ، في حين انفرد ابن ابيك بالقول ان ذلك كان
« بمد فتح بارين (٧٣) » . وقد دفع زنكى الى ان يخطو تلك الخطوة
ان الفرنج الذين بالمعرة وكفر طاب كان ضررهم عظيما على المسلمين
لتوسطها البلاد الاسلامية (٧٤) . والواقع ان المصادر الاسلامية
اسهبت في الكلام من عدل زنكى الشديد خاصة مع اهل المعرة بعد
استيلائه على مدينتهم من الفرنج . وقد صور عدله هذا بروايتين الاولى

(٦٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ٢ مخطوط ص ٩١ (ب) .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323. (٧٠)
(٧١) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول
والملوك ، د ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصل : مغرر الكروب ، د ١ ص ٧٤ ،
روض المنظر : مخطوط احداث ٥٣١هـ . في حين انفرد ابن الاثير :
الباهر ص ٦١ بالقول ان ذلك كان ٥٣٤هـ اما الذهبى : المعبر ، د ٤
ص ٧٥ فيقول ان ذلك كان ٥٣٩هـ ، بيتا يفكر ابن قاضي شهبة : الحر
الثمين في سيرة نور الدين ميكروفيلم الباب السابع ٥٢٨هـ ان ذلك كان
٥٢٨هـ . ولكن المرجح ان استيلاء زنكى عليها كان في ٥٣١هـ .

(٧٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مغرر الكروب ،
د ١ ص ٧٤ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تنبئة
المختصر د ٢ ص ٤١ ، المعينى : عقد الجمان ، د ١٦ ص ١ ، ٩٤ ،
ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٢٣٢ ، الفزى : نهر الذهب د ٣ ص ٨٩ .
(٧٣) ابن ابيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٢٥ .

(٧٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ،
د ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصل : مغرر الكروب د ١ ص ٧٤ .

عن ابن الأثير (٧٥) ومن أخذ عنه والثقات لابن واصل (٧٦) ومن
أخذ عنه .

وفي ٥٣٢ هـ صيف ١١٢٨ م سار أتابك إلى حصن عرقه وهو من
أعمال طرابلس محاصره وفتحته عنوه ونهب ما فيه (٧٧) . وفي المحرم
٥٣٣ هـ - ٢٧ سبتمبر ١١٢٨ م « فتح أتابك بزاعا بالسيف (٧٨) » .
كذلك استعاد الأتارب التي كان المصلييون والبيزنطيون قد استولوا
عليها ٢١ أبريل ١١٢٨ م (٧٩) . وفي ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م كانت موقعة
الزيتون مع أتابك زنكي التي هزم فيها الفرنج هزيمة منكرة عظيمة وقتل
منهم مشرين ألف شخص على تل الثعالب (٨٠) وفي نفس السنة أيضا
قتل زنكي من أهل العريش ألف رجل كانوا قد اتفقوا مع الفرنج على
أن يسلموهم بلاد المسلمين (٨١) .

وفي ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م أغار عماد الدين زنكي على أنطاكية عند جسر
الحديد فهزم الفرنج هناك ثم عاد إلى حلب محملا بالغنائم والسبي (٨٢) .
وقيل أن الذي قام بذلك هو نائب زنكي في حلب سيف الدين أسوار (٨٣) .
وفي ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م وهي السنة التي سبقت فتح الرها على يد زنكي

(٧٥) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، أبو الفدا : المختصر ،
د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تكملة المختصر ، د ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر
الذهب ، د ٣ ص ٨٩ ، العيني : عقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ ، الطباخ
الطبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٨٣ .

(٧٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٤ ، ابن الفرات :
تاريخ الدول والملوك ، د ٣ ص ٩١ (ب) ، ٩٢ (١) .

(٧٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٥٧ ،

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٩

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

Cahen : Op. Cit., p. 363, Zoé : Op. Cit., p. 329.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Cahen : p. 363, Zoé : p. 329. (٧٩)

(٨٠) ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٣١ .

(٨١) المصدر السابق ص ٥٣٢ .

(٨٢) العيني : عقد الجبان ، د ١٦ م ١ مخطوط ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٨٣) ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٣٧ ، العيني : المصدر

السابق ص ١٢٣ .

مباشرة استولى زنكى على « جبلين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون
جوسلين (٨٤) » .

تصدع الحلف الفرنجى البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية :

يبدو من دراسة العلاقة بين الصليبيين والبيزنطيين في عصر الحروب
الصليبية أن العلاقة الطيبة التي كانت تسود بينهما أحيانا بدافع العداء
للمسلمين ، كانت لا تلبث أن تتحطم على صخرة المصالح التضاربية مما
أدى في كثير من المراحل الى إثارة الشقاق والخلاف بين الجانبين مما
سهل على المسلمين التغلب عليهم جميعا وخير شاهد على ذلك تمكن
زنكى من إسقاط إمارة الرها .

والحقيقة أن موضوع الحلف الفرنجى البيزنطى (٨٥) أو كما يسميه
البعض البيزنطى الأنطاكى (٨٦) — بحكم خطورة العلاقة بين الدولة
البيزنطية وإمارة انطاكية — احتل مكانا مهما بين صفحات المصادر
والمراجع التي تناولت دراسة العلاقات والاربعينات من القرن الثامن
عشر للميلاد ، السادس الهجرى ، لذا سنحاول بحثه بشيء من التفصيل
للتعرف على جوانبه المختلفة .

والواقع أن طبيعة الحلف الفرنجى البيزنطى لا يمكن فهمها نهيا
واضحا إلا في ضوء العلاقات البيزنطية الأرمينية من ناحية والعلاقات
البيزنطية الأنطاكية من ناحية أخرى . وقد مر بنا كيف كان البيزنطيون
نقمين على الطرفين ، إذ اعتبروا أن إمراء آل رومان الأرمن سلبوا
تقليدية منهم واقتصبوا حقوقهم فيها (٨٧) . هذا الى جانب انطاكية
التي كانت محط أطماع البيزنطيين دائما .

ومهما يكن من أمر فلنأخذ في علاجنا لسقوط إمارة الرها نجد أنفسنا
مضطرين للموقف والتساؤل عن السبب المباشر لتحرك الإمبراطور
جنا كومنين Jean Gommène (١١١٨ — ١١٤٣ م / ٥١٢ —
٥٣٨ هـ) في سنة ٥٣١ هـ ١١٣٧ م ما أدى الى عقد حلف
فرنجى بيزنطى في تلك السنة ؟

(٨٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٧ .

Grousset : L'Empire, p. 223; Grousset : Hist. des Crois., (٨٥)
V. 2, p. 94.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. (٨٦)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Grousset : Hist. (٨٧)
des Crois., V. 2, p. 88.

الواقع ان الاجابة على هذا السؤال تختلف في المصادر العربية عنها في المصادر والمراجع الاجنبية . فبينما تشير غالبية المصادر العربية الى ان سبب تحرك الامبراطور الى الشام ٥٣١ هـ ١١٣٧ م هو استجداد الصليبيين به بسبب حصار زنكي لبارين وانه في طريقه اخضع « ابن ليون الارمني » ثم توجه الى انطاكية (٨٨) . الا ان ابن القلائس المعاصر لحلة الامبراطور هذه يظهر في تاريخه ان الامبراطور خرج اولاً واستولى على بلاد (ابن ليون) في الوقت الذي كان زنكي موجوداً بالموصل وانه عنفها قسماً وحوصرت بارين كان الامبراطور لا يزال في بلاد ابن ليون (٨٩) . معنى ذلك ان استجداد الصليبيين بالامبراطور بسبب بارين كان وهو في ارمينيا وانه لم يعد حلة بسبب بارين بالذات .

اما المصادر والمراجع الاجنبية فتذكر انه حدث في ١١٣٧ م ان انتهى الخلاف بين ريموند دي بواتيه (٩٠) . وليو الارمني بوسنطة جوسلين الثاني بينهما وتمهد الجبلان بالانحصار معا ضد

(٨٨) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٦ ، ابن خلدون العبر ، د ٥ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ . تذكر هذه المصادر : « لما مضت القسوس والرهبان الى بلاد الروم واستنبروهم على المسلمين بسبب صيد الدين ومقاتلته بفرين ... فجهز الروم وساروا الى انطاكية وهي لهم عنقذ مارسوا بها منتظرين المراكب التي فيها الاقبال والسلاح لها وصلت ساروا الى مدينة نيقية فنزلوها وحاصروها ثم صولحوا على مال يؤدي اليهم . ثم ساروا الى مدينة اذنة والمصيصة وهما لابن ليون الارمني محصرهما ملك الروم وملكهما ... ثم توجه الى الشام فحضر مدينة انطاكية في ذي القعدة » . واذا كانت كل المصادر تذكر ان خروج ملك الروم كان في ٥٣١ هـ فان المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ٩١ (عن تاريخ بيبرس) يذكر ان ذلك كان ٥٣٠ هـ .

(٨٩) يذكر ابن القلائس : الذيل ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ بالتواريخ « في ذي القعدة ٥٣٠ هـ وقيل اول المحرم ٥٣١ هـ خرج بملك الروم من القسطنطينية . وفي شعبان ٥٣١ هـ توجه هبة الدين اتيك من الموصل وقطع الفرات ووصل الى حمص . وفي شوال نزل زنكي على الحصن المعروف ببعرين لينزعه من ايدي الفرنج . وفي ذي القعدة نزل بملك الروم على انطاكية وضابطها وجرى بينه وبين مساحيها مصالحة ثم رحل عائداً الى الدروب ، نافلتج ما بقى في يد ابن ليون الارمني » .

(٩٠) يسمى ميخائيل السرياني ريموند دي بواتيه (Bedawi) Michel : Op. Cit., p. 245.

اما المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ٩١ (عن العظيمي) فيسببه بيمند بن بيفس الفرنجي) .

البيزنطيين (٩١) . وجاء هذا التحالف الجديد مهددا لمصالح
الامبراطور حنا كومنين الذي كان يرغب حينئذ في اثبات حقوقه في كل من
انطاكية وقيليقية (٩٢) لذا غزا الامبراطور حنا قيليقية « وكان محتلا
بالغضب ضد ليون (٩٣) » . واستولى على المصيصة وطرتونس
واذنه بل واخذ ليو نفسه اسيرا الى القسطنطينية مع زوجته وبعض
اولاده (٩٤) .

ومضى هذا ان الامبراطور كان قد رتب بالفعل لحملته التي شام
بها ضد قيليقية وان تلك الحملة كانت مقصودة لذاتها ولم تكن شيئا عابرا
عن الامبراطور اثناء توجهه الى الشام كما ذكر برييه « ان الامبراطور
اثناء عبوره قيليقية بجيشه الكبير استولى على طرسوس ثم ظهر امام
انطاكية (٩٥) » . وعلى ذلك يكون تقدم الامبراطور حنا الى قيليقية ثم
الى انطاكية ١١٣٧م ناتجا عن رغبته في الاستيلاء على قيليقية بعد ان
علم بالفقرة الأخيرة من المصلح بين الامير ليو وويموند اللتان ثم لوفيته
ايضا في القصص من انطاكية التي شغلت همما الطاعة منذ فترة
وجيزة بسبب المصلح الأخير ، اما موضوع يارين فقد استجد بمعد
خروجه بالفعل .

وفي بداية ذي القعدة ٥٢١هـ ١١٣٧م ظهر الامبراطور حنا كومنين امام
انطاكية . هنا تكفى المصادر العربية بالقول بان الامبراطور وامير

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournelbe : (٩١)

Op. Cit., p. 173, Issaverdens : T. II, p. 317, Cahen :

Op. Cit., p. 358 عن (Orderic).

Morgan : Op. Cit., p. 172. (٩٢)

Michel : Op. Cit., p. 245. (٩٣)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Michel : Op. Cit., (٩٤)

p. 245. Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Archer : Op. Cit.,

p.p. 191-192.

وربما هذا ما اشار اليه ابن العديم بقوله « لما فتح ملك الروم بلاد
لاون بن رويال دخل اليه لاون متطارحا فقال : انت بين الفرنج والأتراك
لا يصلح لك المقام فسيروا الى القسطنطينية » (ابن العديم : الزبدة ،
ج ٢ ص ٢٦٣) .

Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 101.

(٩٥)

أنطاكية « تصالحا ثم عاد ملك الروم الى بلاد بن ليون (٩٦) »
ليستكل فتحها . والواقع ان تلك الكتب الموجزة في المصادر
العربية هي نفسها التي تشير الى الحلف الفرنجي البيزنطي الذي
نقده ، والذي تناولته المصادر والمراجع الأجنبية بالتفصيل . ذلك انه
حدث في أغسطس (٩٧) ١١٢٧م ان ظهر الامبراطور حنا كومنين املح
أنطاكية وحاصرها وطلب باخذها (٩٨) وعندئذ أسرع امير أنطاكية
باريسال بعض البعوثين الى ملك بيت المقدس ليستشير في الموقف .
وقد رد الملك بأنه لا يمكن اغفال حقوق بيزنطة في أنطاكية (٩٩) .
عندئذ دارت مفاوضات بين الجانبين البيزنطي والأتاكي وهي المفاوضات
التي يذكر (بريه) ان اهالي أنطاكية مثلوا فيها دور الحكم (١٠٠) .
لذا وافق ريموند على اعلان ولائه وتبعيته للامبراطور (١٠١) وتم الاتفاق

(٩٦) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ،
د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مخرج الكروب ، د ١ ص ٧٦ ، النويري :
نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٣ ،
ابن السراط : مخطوط ، د ٣ ص ٩٢ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، د ٥
ص ٢٢٣ المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ ص ٩١ من (المظلي) .
Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., (٩٧)
T. 1, p. 325,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Michel : Op. Cit., (٩٨)
p. 245.
Bréhier : L'Eglise., p. 101, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.
Zoé : Op. Cit., p. 327.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 95-96 عن (٩٩)
(Ordric Vital). Zoé : Op. Cit., p. 327.
Bréhier : Op. Cit., p. 101. (١٠٠)
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153. حاشية من (١٠١)
(Cinnamus) Bréhier : Op. Cit., p. 101, Ostrogorsky :
Op. Cite., p. 336.

عن (Chalandon) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 97.
هنا يذكر بريه وجروسية ان اعلان ريموند الولاء للامبراطور (كان في
معسكر الامبراطور نفسه) ويؤيدها ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٣ ،
الذي يذكر « خرج ريموند صاحب أنطاكية الى مملك الروم وهو مخيم
في معسكره بمرج الديباج وقرر معه الهدنة والموادعة وعاد الى أنطاكية » .
ومرج الديباج « هو واد بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال »
(ياقوت : معجم البلدان ، د ١٧ ص ١٠١) .

على « أن يساعد الإمبراطور في الاستيلاء على حلب ونيسير وحنين وحماه وأن يمنح تلك المدن لريموند كقطائع له يعكسه من قبل الإمبراطور وفي مقابل ذلك يستعيد الإمبراطور أتلطكية (١٠٢) » وقد وعد الإمبراطور ببدء الحرب ضد المسلمين ١١٢٨ م لاستعادة تلك البلدان المثلار إليها (١٠٣) . ولم يقتصر الحلف أو الاتفاق على النواحي السياسية فقط بل تمدها إلى ناحية دينية مهمة وهي أن الإمبراطور شرط فيه « أن يصبح بطريرك أتلطكية من الآن فصاعدا بيزنطى أرثوذكسى (١٠٤) » وقد انفرد ابن القلايسى بين المصادر العربية بالاشارة إلى هذا الشرط (١٠٥) . والواقع أن ذلك الجانب الدينى من الحلف هو الذى جعل جروسية يعقب عليه بقوله « أن ذلك التنازل - من جانب الصليبيين - لم يصبح لسياسيا فقط بل دينيا أيضا . فقد كتبت كل خطوة في الغزو البيزنطى لهذا الاتليم تعتبر تمرا للكثيسة البيزنطية على حساب الكثيسة الأرمنية (١٠٦) » .

وفي ذى الحجة ٥٣١ هـ (١٠٧) - سبتمبر ١١٢٧ م (١٠٨) غادر الإمبراطور أتلطكية ولكنى برنح الراية الإمبراطورية عليها (١٠٩) ونوجه إلى « بغراس ومنها إلى بلاد ابن ليون (١١٠) »

Michel : Op. Cit., p. 245, Bréhier : L'Eglise, p. 101, (١٠٢)

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit.,

V. 1, p. 439. Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147;

Jean Richard Op. Cit., p. 45, Zoé : Op. Cit., p. 328.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. (١٠٣)

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325. (١٠٤)

(١٠٥) ابن القلايسى : الذيل ، ص ٢٦٢ .

Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 147. (١٠٦)

(١٠٧) ابن القلايسى : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن المديم : زبدة الحلب ، ص ٢٦٢ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. (١٠٨)

(١٠٩)

Bréhier : L'Eglise... p. 101, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336.

(١١٠) ابن الأثير : الكامل ، ص ٨٠٨ ، ابن واسل : منرج

الكروب ، ص ١ ، النويرى : نهاية الأرب ، ص ٢٥٨ ورقة ٨ ،

أبن الفرات مخطوط ، ص ٣٩٢ (ب) ، ابن خلدون : المعبر ، ص ٥

ص ٢٣٣ ، المعينى : عقد الجمان ، ص ١٠٦ م ١ ص ٩٥ .

والغريب أن هذه المصادر تذكر أن ابن ليون صالح الإمبراطور بالاموال

==

على أساليب العودة كما ذكرنا لتنفيذ ما اتفق عليه .

ولكن قبل أن ننقل إلى الكلام عن التنفيذ العملي لنص الحلف الفرنجي البيزنطي نود أن نشير إلى أن بعض المصادر العربية المعاصرة للحلف أشارت إلى أنه كُتبت هناك مراسلات بين الإمبراطور زنكي بعد اتهام مقد ذلك الحلف ٣ فقد أنفذ الإمبراطور رسولا إلى زنكي في الشامي والمشرقيين في ذي الحجة ٥٢١ هـ (١١١) . فرد زنكي على تلك السفارة بسفارة أخرى معها « هدية إلى ملك الروم فهو وبزاز » وسقور (١١٢) . « فسياد إليه رسوله ومعه « رسول من قبل ملك الروم أخبره أنه يحلمر بلاذ لاون (١١٣) » . فلما كان يتصدد الإمبراطور من وراء تلك السفارة ؟ هل كان يستهدف التوحيه على ما تصت عليه شروط الحلف الفرنجي البيزنطي ، كي يبعد عن الحلفاء شكوك زنكي وبالتالي تهديداته وبذلك تتاح الفرصة لتنفيذ الاتفاق ؟ ربما كان الأمر كذلك وربما استهدف الإمبراطور من وراء ذلك كسب زنكي إلى جانبته حتى إذا شعر بنوايا غير طيبة من جهة المسلمين تجاهه ؟ ضم زنكي إلى قلبه فيصبح الأخير سندا له لطمع المسلمين من وراء ظهورهم ، وذلك لتقارب المصلحة البيزنطية الإسلامية .

ومهما يكن من أمر ، فله بعد أن لمضي الإمبراطور شهور الشتاء في قيليقية تقدم إلى الشام بجيوشه في ربيع ١١٢٨ م (١١٤) (٥٢٢) « فقد أراد أن يبرز حقوقه الخليفة بنهذه على

وأنخل في طاعته . ولكن الحقيقة كما ذكرت المصادر الأرمينية نفسها كما بينا أن أبو الأرمي كان قد لمر وأرسل إلى القسطنطينية قبل تقدم الإمبراطور إلى أنطاكية وأنه ربما توجه الإمبراطور إلى بلاد الأرمن في هذا الوقت لاستكمال منهما فقط .

(١١١) ابن القلائس : الفيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الجلب ، ص ٢٦٣ .

(١١٢) ابن العديم : زبدة الجلب ، ص ٢٦٢ ، ابن العيني : عقد الجمان ، ص ١٦٦ م ٩١ (من الضميمة) .

(١١٣) ابن العديم : المصدر السابق والمضحة (وقد أشار كاهين إلى تلك السفارات بقوله أنه في شتاء ١١٢٧ م تودلت السفارات بين زنكي وحنا كومنين)

Cahen : Op. Cit., p. 360. William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Prawer : Op. Cit., T. 1, ٩١٤

p. 325.

اتباعه (١١٥) ٤ ، لذا أرسل رسله معهم مرسوم امبراطوري الى كل من امير الرعا واور بطركية يدهوها للسير للحرب معه (١١٦) ، ويدلت الخطوة الاولى لتنفيذ الاتفاق الفرنجي البيزنطي في فبراير ١٢٢٨م - الحزم ٥٣٢هـ متوجها قبض جاكم اطلقكم على كل التجلي والمساكين من حلب كي لا تتسرب اخبار الاستعدادات الصليبية الى زنكي (١١٧) .

وعندما اجتمعت الجيوش المتحالفة توجه الجميع للاستيلاء على حلب ولكن تلك الجيوش اضاعت حوالى اسبوعين امام قلعة بزاعة حتى استولت عليها (١١٨) ، في الخامس والعشرين من رجب ٥٣٢هـ (١١٩)

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, L'Eglise ... p. 101, (١١٥)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.

William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Bréhier : L'Eglise, p. 101. (١١٦)

وهنا يذكر برييه انه دعاهم لحصار شيزر اما في كتبه الثاني فيقول انه دعاهم لحصار حلب (Bréhier : Vie et Mort, p. 324.) اما ميخائيل البريتي فيذكر ان الصليبيين ارادوا ان يخدموا الامبراطور فخرج الى قيليقية فذهبوا اليه هناك وعملوا اتفاقا جديدا وماد الامبراطور معهم لحصار حلب .

(Michel : Op. Cit., p. 245.)

(١١٧) ابن القلائس : الذيل ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ ، ابن المقيم :

زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٤ ، سعيد مشور : الحركة ، د ١ ص ٥٨٥ ،

Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 325, 326,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Grousset : Hist. des Crois.,

V. 2, p. 100.

(١١٨)

Michel : Op. Cit., p. 245, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.

هنا يضيف كل من جيروسية وكاهين

ان الامبراطور ضمها بعد ذلك الى جوسلين الثاني

(Grousset : Ibid., p. 101. Cahen : p. 361)

(١١٩) ابن القلائس : الذيل ، ص ٢٦٥ : ابن الاثير : الكابل ، د ٨

ص ٢٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب د ١ ص ٧٦ ، النوسري :

نهاية الارب ، د ٢٥ ورقة ٤٨ ، المعنى : عقيد الجمان د ١٦ ص ٩٨

وتتصل بعض المصادر ما حدث لاهل بزاعة عندئذ فتقول : « كان

حسين بزاعة في يد امرأة فسلموه الى الروم بالامان بعد ان توثقوا منهم

بالمهود والايمن فمقدروا بهم واسروا من بزاعة حوالى ستة آلاف مسلم

☐

(حوالي مارس ١٢٨م) والواقع أن الوقت الذي ضاع أمام بزاعة لم يكن في مصلحة الجيوش المسيحية « فقد ضل منهم جماعة اظهروا أنهم مستأمنون ، وانفثروا من حطب بالروم فتحرز الناس وتمنطوا وكتبوا عليك زنكي بذلك فوصله الخير وهو على حصص (١٢٠) » وكان ذلك الانذار لأهل حلب قبل الاغارة عليهم بيوم واحد (١٢١) مما اتاح لعباد الدين زنكي أن يرسل اليهم في الحال « الأمير سيف الدين سوار والرجالة الحلبيين وخمسمائة فارس في أربعة من الأمراء (١٢٢) » . فزود سوار المدينة باللون والسلاح ووزع الدفاع عنها بين رجاله وبين أهل المدينة أنفسهم (١٢٣) . ثم قدم الروم والمسيحيون إلى حلب « فقاتلهم لحدوات البلد قتالا شديدا فقتل كثير من الروم وجرح كثير فقتلوا ثلاثة أيام ورحلوا (١٢٤) » . وتوجه الروم إلى الأثراب وملكوها بعد أن هرب أهلها منها وطرحوا النار في خزانها (١٢٥) . ثم وضع الروم

أبو يزيدون . وتصر قاضي بزاعة وجماعة من أهلها تقدر بحوالي أربعمائة نفس وأقام الروم بعد ملكها عشرة أيام يطلبون من اخفى ويخفوا على من فعل المغاير فهلكوا « ابن القلائسي : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٥٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٥ . ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٧ — ٧٨ ، ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٢٦ ، روض المناظر : مخطوط لحدوات ٥٣٢ هـ ، العيني : عقد الجمان ، د ١ ص ٩٨ . ابن التاريخ المنصوري فيذكر ص ١٦٦ — ١٦٧ (أن ذلك كان ٥٣٢ هـ) وهذا خطأ .

(١٢٠) ابن العديم : المصدر السابق ، د ٢ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .

(١٢١) ابن القلائسي : الذيل ص ٢٦٥ .

(١٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٥ .

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 102.

(١٢٣) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٣ مخطوط ص ٩٤ (١) .

(١٢٤) ابن القلائسي : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ،

د ٢ ص ٢٦٥ : فذكر أن ذلك كان (من ٦ شعبان إلى ٨ منه) ، ابن الأثير :

الكليل ، د ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٨ ،

النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجوي : كنوز

الذهب ، د ١ ص ٥٢ ، روض المناظر : مخطوط حوادث ٥٣٢ هـ ، الغزي :

نهر الذهب ، د ٢ ص ٩٠ ، العيني : عقد الجمان ، د ١ ص ٩٨ .

(١٢٥) ابن القلائسي : الذيل . ص ٢٦٥ (وكان ذلك في ٦ شعبان) ،

ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكليل ، د ٨

ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٨ ، النويري :

نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٨

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois.

V. 2, p. 109.

أما ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٢٢٣ فيسمى الأثراب (الأتباد)

أسرى وسبيلها نزاعة بالأتروب ، فتوجه إليهم الأمير مسوار من حلب
وخلصهم وأزل بالروم الهزيمة (١٢٦) عنفتد توجهه ملك الروم إلى معره
النعمان فاستولى عليها كما استولى أيضا على كثر طاب (١٢٧)

اتفق الإمبراطور البيزنطى .بعنفد مع الفرنج واجمعوا على ألتوجهه
إلى شيزر ومنزلتها (١٢٨) . والمعروف أن شيزر حصن مبيع على
مرحلة من حماه (١٢٩) . كان يحكمها الأمير أبو العساكر سلطان
بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى (١٣٠) . وترجع أهمية تلك
المدينة إلى أنها إحدى المدن التى وعد الإمبراطور بالسامده فى
الاستيلاء عليها فى مقابل استعانتة لأتراكيبه (١٣١) ، فضلا عن أنها
مدينة بيزنطية قديمة ذات موقع عسكري هام (١٣٢) . ولكن الفرنج
هم الذين اتساروا على الإمبراطور بالتوجه إلى شيزر يدعمى « أنها
ليست لأتاك فلا يهتم بحفظها والذب عنها (١٣٣) » . ولكن ذلك لم

(١٢٦) ابن القلائسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكلب ، ه ٨
ص ٣٦٠ ، ابن العديم : زبدة الطب ، ه ٢ ص ٢٦٥ ، سبط بن العجبى .
كنوز الذهب ، ه ١ ص ٥٢ ، ابن واصل : مخرج الكروب ه ١ ص ٧٨ ،
النويرى : نهاية الأرب ، ه ٢٥ ورقة ٤٨ ، روض الناظر ، بخطوط أحداث
٥٣٢ هـ . التاريخ المنصورى ص ١٦٧ ، الخزى : نهر الذهب ، ه ٢ ص ٩٠ ،
ابن خلدون : المعبر ، ه ٥ ص ٢٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، ه ١٦ م ١
ص ٩٨ - ٩٩

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 103. -

(١٢٧) ابن القلائسى : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الطب ،
ه ٢ ص ٢٦٦ (المعرة فى الثالث عشر من شعبان وكثر طاب فى منتصف
شعبان) . Grousset : Ibid., p. 103, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٢٨) أسلمة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢
Michel : Op. Cit., p. 245, William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(١٢٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ٥٥ ، أبو شامة : الروضتين ،
ه ١ ق ١ ص ٨١ ، ابن قاضى شعبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ،
ميكرويلم رقم ٢٣٧ (١) الباب السابع ٥٣٢ هـ .

(١٣٠) ابن الأثير : الكلب ، ه ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مخرج
الكروب ، ه ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، ه ٢٥ ورقة ٤٨ ،
العينى : عقد الجمان ، ه ١٦ م ١ ص ٩٩ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2., p. 104. (١٣١)

Cahen : Op. Cit., p. 361. (١٣٢)

(١٣٣) ابن الأثير : الكلب ، ه ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ .

يمنع أميرها أبو العسكر سلطان من الاستيلاء بالأنليك عماد الدين
زنكي للذي سارع لتجديده (١٢٤) .

وهكذا نزلت الجيوش التحالفية على شيزر في شعبان ٥٢٢ هـ أبريل
١٢٣٨ م (١٢٥) . « في ليلة ألف راكب ومائة ألف رجل ومعهم من الكراع
والسلاح مالا يحصى إلا الله (١٢٦) » . وفي الحال أسرع زنكي لنجدة
لدارة شيزر ونزل على نهر العاصي بينها وبين حياه (١٢٧) . ولكنه لم
يجازف بالفخول مع المسيحيين في حرب مباغتة بسنبل مذبذبة
عندهم « لذا كان يركب كل يوم ويسير إلى شيزر هو وعسكره ويقفون
بحيث يرأهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم (١٢٨) » .
أما الجيش المسيحي فقد شدد الهجوم على المسلمين في حين كان دور
الامبراطور البيزنطي بارزا جدا في تلك المعركة يفوق دور جلفائه
للمسيحيين . وقد أورد لنا وليم الصوري وصفا كليلًا لجهود الامبراطور
حينئذ (١٢٩) . ويبدو أن أمير الرها وانطاكية كانا مشغولين باللهو ،

(١٢٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، النويري :
نهاية الأرب د ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضي شعبة : الدر الثمين - ميكرونيلم
الباب السابع حوادث ٥٢٢ هـ ، أبو شعبة : البروضتين ، د ١ ق ١
ص ٨١ ، سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ٥٢ ، أبو الفدا : المختصر ،
د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تمة المختصر ، د ٢ ص ٤٢ .
(١٢٥) ابن القلاسي : الخيل ، ص ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ،
د ٢ ص ٢٦٦ ، أما سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، د ١ ق ١ ص ١٦٢
فيذكر أن ذلك كان في شوال

Bréhier : Vie et Mort, p. 524, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 104.

(١٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٦

Grousset : Ibid., p. 104.

(١٢٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مرجع الكروب ،
د ١ ص ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٨ ، أبو الفدا :
المختصر ، د ٣ ص ١٣ ، ابن الوردي : تمة المختصر ، د ٢ ص ٤٢ ،
سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥٢ ، ابن خلدون : المعبر ،
د ٥ ص ٢٢٣ .

(١٢٨) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ،
ابن واصل : مرجع الكروب ، د ١ ص ٧٨ - ٧٩ ، النويري : نهاية الأرب ،
د ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥٢ ،
أبو الفدا : د ٣ ص ١٣ ، ابن الوردي : د ٢ ص ٤٢ ، سعيد عاشور :
الحركة ، د ١ ص ٥٨٦ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

(١٢٩)

واكثر من ذلك فيقلته اهتمامها بمواصلة الحرب اثروا على الآخرين
بقتلوا من دورهم الايجلى في الحصار (١٤٠) . وبهذا كان تفكك جهود
الحلفاء عند شيزر من اهم العوامل التي اوتت الي فشلهم في الاستيلاء
عليها . اما الاسباب المتبقية التي اتت لرفع الجيوش المسيحية حصارها
عن شيزر (رمضان ٥٣٢ هـ - مايو ١١٢٨ م) (١٤١) .

اولها الاسلوب الذي اتخذه زنكى في مواجهة اولئك الحلفاء اذ حاول
في البداية ان يشن عليهم حربا نفسية ويدخل الخوف في قلوبهم من قوته
وقوة اتباعه فقال لهم « اتمك قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها
الى الصحراء حتى نلتقى فان ظفرت بكم ارحت المسلمين منكم وان
ظفرتم . استرحتم واخذتم شيزر وغيرها » والواقع انه لم يكن له بهم قوة
وانما كان يرهيبهم بهذا القول واتشابهه (١٤٢) . ثم حاول زنكى بعد ذلك ،
الايقاع بالحليين البيزنطى والفرنجى « فكان زنكى يرسل الى ملك الروم
يوهيه بن فرنج الشام خائفون منه فلو فارق بكفه يظفوا عنه ويرسل
الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم : ان ملك بالشام
حاصنا واحدا ملك بلاكهم جميعا فاستشعر كل من صاحبه (١٤٣) » .

كذلك كان من بين العوامل المشجعة على رمح الحصار عن شيزر
ان زنكى عندما كانت الجيوش المتحالفة محاصرة لبزاسة ، « ارسبل
القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى

William : Ibid., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise, p. 102. (١٤١)
Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٤١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٦٠ ، سبط بن الجوزى :
مرآة الزمان ، ج ١ ق ١ ص ١٦٢ ،

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(١٤٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ،
ابو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ٨١ - ٨٢ ، النويزى : نهاية الارب ،
ج ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضي شعبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب
السابع ٥٣٢ هـ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٨١ ، سعيد عاشور :
الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٨٧ .

(١٤٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٦ ،
ابو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ٨٢ النويزى : نهاية الارب ،
ج ٢٥ مخطوط ورقة ٤٨ ، ابن قاضي شعبة ، الدر الثمين ، ميكروفيلم
الباب السابع ٥٣٢ هـ ، ابن خلدون ، المعبر ، ج ٥ ، ص ٢٢٣

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326, Grousset : Hist., des
Crois., V. 2, p. 108.

الى السلطان مسعود يستجده ويطلب العساكر (١٤٤) . ولكن القاضي لم يجد ردا من السلطان لذا وضع بعض رماقه في جامع القصر يوم جمعة ولهمرم بالثورة اذا طلع الخطيب المنبر وبالفعل صاحوا « واسلاماه ! وادين محمدا ! » فترك الناس الصلاة ، ولعنوا السلطان مما اخاف السلطان وامر بتجهيز حملة للجهاد ورغم عدم وصول تلك الحملة الى شيزر لنجبتها - لانه اثناء اعدادها « وصل كتاب انك زكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم (١٤٥) » - فان سماع خبرها كان كفيلا بارهاب الجيوش المسيحية . ومن بين العوالم التي شجعت على رفع الحصار عن شيزر ما بلغهم « ان قرا ارسلان بن داود بن سكرمان بن ارتق عبر الفرات في جموع عظيمة تزيد عن خمسين الف من التركمان وغيرهم ، فاحرقوا آلات الحصار ورحلوا عن شيزر (١٤٦) » .

على أن المصادر والمراجع الأجنبية القتت مسؤولية فشل عملية حصار شيزر على اميرى اطلاقية والرها اللذين تركا المعبد الاكبر في المركة يقع على عاتق الامبراطور بينما انصرفا الى اللهو والمعبث (١٤٧) . « وكان الامبراطور سافطا عندها وجد مدينة ضعيفة استطاعت ان تقاوم جيشه الضخم لمدة طويلة (١٤٨) » . ولكن يبدو ان الامبراطور عندما فقد الامل في تحقيق نصر جاسى على شيزر « فكر في الحصول على نجاح شخصى يسبح له بالانسحاب وهو محتفظ بكرامته (١٤٩) » .

(١٤٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مخرج الكروب ، د ١ ص ٧٩ ، ابن خلدون المبر ، د ٥ ص ٢٣٣ .
(١٤٥) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مخرج الكروب ، د ١ ص ٧٩ - ٨١ ، ابن خلدون : المبر ، د ٥ ص ٢٣٣ ، العيني عقد الجبلان : د ١٦٦ ص ١٠٠ .
(١٤٦) ابن القلائس : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن المديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٨ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 107, Cahen : Op. Cit., p. 361.
(١٤٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 95, Bréhler : L'Eglise ...
p.p. 101 — 102 .

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156,
Hist. des Crois., V. 2, p. 108, Zoé : Op. Cit., p. 323, 331,
Archer : Op. Cit., p. 192, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

William : Op. Cit., V. 2, p. 95. (١٤٨)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110. (١٤٩)

لذلك انتهز الإمبراطور فرصة إرسال أمير شيزر اليه متوسلا
ان يحفظ مدينته في مقابل دفع مبلغ من المال فوافق الإمبراطور على
هذا العرض (١٥٠) . وربما هذا هو الذي دفع البعض الى القول
« بأن امارة شيزر كانت تبرة محالفة للفرننج وتارة معادية لهم (١٥١) » .

واخيرا فلان ثمة عامل مجل برفع الإمبراطور وبالتالي حلفائه
الحصار عن شيزر وهو ما بلغه من أخبار عن مهاجمة السلطان
مسمود سلطان قونية لقبليقية واستيلائه على مدينة اذنة (١٥٢) .
لذلك لم يكد أمير شيزر يدفع المبلغ المتفق عليه للإمبراطور حتى رفع
الحصار عن المدينة (١٥٣) . وعادت جيوش الحلفاء لمشكلة (١٥٤) .
وكان انسحابهم على تلك الصورة من أهم الانتصارات التي احرزها
زنكى في ذلك الوقت ، لذا كافاه السلطان بارسال الخلع اليه (١٥٥) .

وهكذا اخفق التحالف الفرنجى البيزنطى في ١١٢٨م في تنفيذ الخطة
التي تم الاتفاق عليها ١١٣٧م . وكان الكسب الوحيد الذي احرز
الإمبراطور من كل تلك الجولة الطويلة هو ما اخذه من مال من أمير
شيزر العربى في مقابل انسحابه عن مدينته . وبإخفاق الحلفاء في
الاستيلاء على المدن التي سيموض بها أمير انطليكية في مقابل استرجاع
الإمبراطور لانطليكية ، قرر الإمبراطور العودة الى انطليكية وفي نيته
وضع يده عليها بحكم سلطته .

William : Op. Cit., V. 2, p. 96, Cahen : Op. Cit., p. 362, (١٥٠)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110, Zoé : Op. Cit., p. 328,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

يوسف النيس : تاريخ سوريا ، د ٦ من ٦٤
هنا يذكر جروسية ان أمير شيزر قدم للإمبراطور بعض الخيول وبعض
الملابس الحريرية الموشاة بالذهب ومنضدة قبية وصليب مرسع
بالبقوت الاحمر : والمنضدة والصليب سلبا من الإمبراطور رومان ديوجين
بعد كارثة مفزيكرت .

Zoé : Op. Cit., p. 328. (١٥١)
Michel : Op. Cit., p. 245, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., (١٥٢)
p. 153. عن (Cinnamus), Cahen : Op. Cit., p.p. 361-362.
William : Op. Cit., V. 2, p. 96. (١٥٣)

(١٥٤) تاريخ ابو الهيجاء ، د ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث
٥٣٢هـ ، روض الناظر : مخطوط ، احداث ٥٣٢هـ : التاريخ الظفرى :
مخطوط رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٣٢هـ .
(١٥٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ من ٨٣ .

وتملا تقدم الامبراطور البيزنطى بعد ذلك الى انطاكية ودخلها وسط مظاهر المظاهرة واستقبله بطريرك ورجال الدين ، بينما احاط جوسلين الثانى وريموند دى بواتيه بالامبراطور بخدمته (١٥٦) . ويبدو ان الامبراطور اراد ان يمارس حقوقه بتشدد وان يتحاشى اى تصدع متعذر اصلاحه (١٥٧) . وقد اقام الامبراطور فى قصر امير انطاكية « كما لو كان فى قصره الخاص » (١٥٨) . وبعد عدة ايام استدعى امير الرها وامير انطاكية وكل النبلاء للمثول بين يديه ثم خاطب ريموند قائلا انه اضطر للبقاء فى امارته وقتنا طويلا لكى يوسع امارته وذلك وفقا للاتفاق الذى عقد بينهم فى سبتمبر ١١٣٧ م . ولكن ذلك لا يتم فى وقت قصير لذا يجب ان يسمح لقوات الامبراطور بالبقاء فى المدينة او بمعنى اصح يجب ان تسلم قلعة المدينة للامبراطور كي تكون مركزا للعمليات العسكرية ضد المسلمين بدلا من قيليقية البعيدة (١٥٩) .

والواقع ان الامير وبقية النبلاء لم يتصوروا ان يطلب منهم الامبراطور مثل هذا الطلب ولذا هوجنوا به ، ولكن تدخل جوسلين الثانى هو الذى اتفق الموقف — كما مر بنا — بان طلب من الامبراطور مجلة للشاور فى الامر ثم ما كان من اتصاله باعلى انطاكية وتحريضهم على الثورة . وعندئذ ازداد غضب الجياهير وتعرضوا بالاذى حتى لامرأة اميرة الامبراطور نفسه (١٦٠) ولذلك خشى الامبراطور عاقبة اشتداد تيار

(١٥٦)

William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Bréhier : L'Eglise, p. 102,
Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois., V. 2, p. 112,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Zoé : Op. Cit., p. 332.

Cohen : Ibid., p. 362.

(١٥٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Grousset : Hist. des Crois., (١٥٨)
V. 2, p. 112.

(١٥٩) (نص خطاب الامبراطور مع اللاحق)

William : Op. Cit., V. 2, p. 98,

Cahen : Op. Cit., p. 362, Grousset : Op. Cit., V. 2,
p.p. 112-113, L'Epopée, p. 157, L'Empire, p. 223,
Bréhier : L'Eglise ... p. 102,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192.

William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Setton : Op. Cit., V. 1, (١٦٠)
p. 440.

المظاهرات العسكرية ضده لملء الأراء من جديد وأخبرهم انه سحب مطالبه ، ورجاهم تهدئة الجاهير ، وانه قرر الانسحاب في اليوم التالي (١٦١) . لكن ذلك لا يعنى أن اميرى الرما وأنطليكة كنا يجهلان أن الامبراطور أدرك جيدا ما يجئ في مسدروهما ، لذا أسرع بتقديم الاعتذارات للامبراطور عما حدث حتى « أن امير أنطليكة أبدى استعدادة للالتزام بشروط المعاهدة حتى اذا تطلب ذلك تحويل المنية الى أيدي الامبراطور (١٦٢) » . ولكن الراجح أن امير أنطليكة لم يقدم ذلك العرض السخي للامبراطور الا لعله أن الامبراطور لم يعد يفكر في ذلك الوقت الا في الرحيل بسبب اشتداد ثورة الجاهير ضده ، والواقع أن الامبراطور لم يرقب في ذلك الوقت في استخدام القوة ضد حلفائه الفرنج (١٦٣) لذا أخبرهم « بأن اسباب ملحة تضطره للعودة الى بلاده (١٦٤) » . ويعد أن املا علاقات الود من جديد مع ريموند دى بواتيه « طلب منه الاحتفاظ بالقلمة وبكل أنطليكة وأن يكون تابعا مخلصا للامبراطور (١٦٥) » . ثم انسحب الى قلايعيه ومنها الى القسطنطينية (١٦٦) . بعد أن وعد حلفاءه السليبيين بالعودة مرة اخرى وبقوة اكبر لتنفيذ الاتفاق الذي عقد من قبل بينهم (١٦٧) .

ومعنى هذا أن التحالف الفرنجى البيزنطى لم يحقق اغراضه بل كاد الصراع العلنى يدب بين طرفيه . وربما ازدادت تلك الفجوة اتساعا بسبب الرسوم الذى أصدره البابا انوسنت الثانى في ٢٨ مارس ١١٢٨

William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Cahen : Op. Cit., p. 362, (١٦١)
 Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Grousset : L'Épopée, p. 158,
 Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.

(١٦٢)

William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.
 Cahen : Ibid p. 363, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, (١٦٣)
 p. 120.

William : Op. Cit., V. 2, p. 102. (١٦٤)
 Grousset : L'Épopée, p. 158. (١٦٥)

William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Bréhier : Vie et Mort, (١٦٦)
 p. 324 - 325, L'Eglise : p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1,
 p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192, Grousset : Hist. des
 Crois., V. 2, p. 121.

(١٦٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(أواخر ٥٣٢هـ) الذي استنكر فيه وصول الإمبراطور حنا الى قيليقية وما قام به من محاولات ضد الإمارات اللاتينية (١٦٨) . والحقيقة أنه ربما كان الدافع الأكبر الى إصدار البابا لهذا القرار هو ما سبقت الإشارة اليه من الاتفاق بين البيزنطيين والصليبيين على إحلال بطريك بيزنطي محل اللاتيني وهو ما فرضه الإمبراطور في قيليقية بالأجبار ، لذا سارعت البابوية بالتدخل لحسم هذا الموقف .

وفي ١١٤٢م (٥٣٧هـ) عاد الإمبراطور حنا كومنين الى الشام من جديد ولكن هل كان قدومه في تلك المرة - وبعد مرور أربع سنوات على خنيعة حلفائه الصليبيين له ١١٢٨م - لكي ينفذ شروط التحالف الذي سبق أن تم بينه وبينهم ١١٣٧م أن هناك اسبابا أخرى دفعت الى المجيء تلك المرة ؟ حقيقة أن أمير أنطاكية كان قد أرسل له خلال تلك السنوات الأربع يستنجد به ضد زنكي ويرجوه الحضور الى إمارته (١٦٩) ولما اختلف السابق . لكن الإمبراطور عندما قدم تلك المرة كان مصمما على الاستيلاء على أنطاكية . والدليل على ذلك أنه لم يرسل الى الصليبيين بالشام مقدما يطلب منهم الاستعداد للخروج معه لحرب المسلمين كما حدث ١١٢٨م (٥٣٢هـ) وأما وصل نجاة الى الرها « وعسكر بدون سابق انذار أمام تل بئثر (١٧٠) » . ويبدو أن الإمبراطور أراد أن يضمن ولاء جوسلين الثاني له في اتجاهه الجديد ضد أنطاكية لذا طلب من أمير الرها رهائن لفسان ولأته له ولما كان الأخير « غير مستعد كلية وغير قادر على المقاومة » فانه أرسل ابنته ايزابيلا رهينة (١٧١) « ثم تقدم الإمبراطور بعد ذلك وعسكر بالقرب من أنطاكية .

والحقيقة أن الإمبراطور كان ينوى تكوين إمارة على الحدود لابنه

(١٦٨)
William : Op. Cit., V.-2, p. 101, Bréhier : L'Eglise, p. 102.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(١٦٩)
William : Op. Cit., V. 2, p.p. 124-125, Bréhier : Op. Cit.,
p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.
William : Op. Cit., V. 2, p.p. 123 - 124 (١٧٠)
William : Ibid., V. 2, p. 124. (١٧١)

ماتويل تشمل على الانفصول وانطاكية وقبرص (١٧٢) . وبذلك تصبح تلك الدولة الجديدة قاعدة عسكرية ضد المسلمين وفي نفس الوقت توفر حماية للدولة البيزنطية ضد الفرنج الذين لم يفوا للدولة البيزنطية ابدا بموعدهم (١٧٣) .

ومهما يكن من امر فقد ارسل الامبراطور رسلا الى امير انطاكية تطلب منه تسليم المدينة والقلعة (١٧٤) « حتى يصبح قادرا على اعلان الحرب على المدن الجاورة التي بيد العدو ، من قاعدة ملائمة وقريبة (١٧٥) » . وكان ان وقع امير انطاكية في حرج لانه كما سبق ان ذكرنا كان قد استنجد فعلا بالامبراطور على اساس الاتفاق المتعود بينهما . واخيرا اتفق امير انطاكية مع كبار اعوانه ورجال الدين على رفض طلب الامبراطور مستندين في ذلك على ان ريموند لم يرث الامارة وانما تولاهما بعد زواجه ، وليس لزوجه ايضا حق التصرف فيها بدون الرجوع لرايهم (١٧٦) . والواقع ان تدخل رجال الدين في ذلك الوقت يؤكد رفضهم التام لاقامة هيئة كهنوت من رجال الدين البيزنطيين في انطاكية .

وغضب الامبراطور لعدم تلبية امير انطاكية لطلبه ولكنه لم يكن في امكانه القيام بعمل عسكري ايجابي لتحقيق هدفه في ذلك الوقت لان الشتاء كان قد اتبل ببرده القارس (١٧٧) ، فلكفى البيزنطيون بنهب

Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 224, (١٧٢)
(Kinnamos) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٣ عن

Cam. Med. Hist. Ibid. p. 224. (١٧٣)
(١٧٤)

William : Op. Cit., V. 2, p. 124, Bréhier : L'Eglise, p. 102,
Archer : Op. Cit., p. 192.

يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، د ٦ ص ٦٥
William : Op. Cit., V. 2. p. 124. (١٧٥)

(١٧٦)
William : Ibid., V. 2, p. 125, Ostrogorsky ... Op. Cit., p. 336,
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Archer: Op. Cit., p. 192.

(١٧٧)
William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Archer : Op. Cit., 192

اطراف المدينة (١٧٨) . ثم انتخبوا الى قيليقية على اساس العودة في الربيع لتحقيق مطالبهم في انطاكية (١٧٩) . ذلك ان الامبراطور كان يعلم ان الحقوق البيزنطية في انطاكية لها سندها التاريخي فضلا عن تأكيد الصليبيين انفسهم لتلك الحقوق عن طريق معاهدات واتفاقيات علم ١٠٩٧م ، ١١٠٨م ، ١١٢٧م (١٨٠) .

ولكى يخفى الامبراطور غرضه الحقيقي تجاه انطاكية في ذلك الوقت ارسل سفارة الى الملك فولك Fulk ملك بيت المقدس يعرض عليه رغبته في التوجه الى القدس لزيارة الامكن المقدسة (١٨١) ، فضلا عن وضع قواته في مواجهة العدو في تلك الاجزاء (١٨٢) . وكان ان عقد الملك مجلسا للتشاور ثم ارسل ردا لبقا الى الامبراطور مع بعض رسله مرحبا بالامبراطور في حجه الى القدس بشرط الا يصطحب معه الا حوالى عشرة آلاف فقط من رجاله لان مملكته لا يمكنها ان تقدم المؤن لعدد اكبر من هذا والا تمرضت لمجاعة (١٨٣) . وقد اغضب هذا الرد الامبراطور ولكنه كظمه وحمل الرسل بعض الهدايا الى الملك (١٨٤) . وفي نفس الوقت ازداد تصميها على اعلان

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

(١٧٨)

الدبس : تاريخ سورية - ج ٦ ص ٦٥
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٩١ ، اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٥ . والرجع الاخير يذكر سببا آخر لوافقة الامبراطور على رغبة انطاكية وهو وفاة ولده الاكبر الكسيوس . عن
(Otto of Freising)

(١٧٩)

William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

(١٨٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٩١ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, (١٨١)
p. 336, Bréhier : L'Eglise .. p. 102, Zoé: Op. Cit., p. 330.

William : Op. Cit., V. 2, p. 126.

(١٨٢)

(١٨٣)

William : Ibid., V. 2, p. 126, Bréhier : L'Eglise . p. 102.

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Zoé: Op. Cit., p. 330.

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 87.

(النص الكامل لرد الملك مع الملاحق)

(١٨٤)

William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 87.

الصراع العلني ضد الصليبيين بعد انتهاء الشتاء لولا وفاته في ٨ أبريل ١١٤٣م (١٨٥) . وعندئذ حاول امير انطاكية أن يستغل تلك الظروف ويستعيد استقلاله ولكي يبرهن على موقفه هذا هاجم الحاميات البيزنطية في قيليقية ، لكن الامبراطور الجديد مانويل حاربه برا وبحرا مما اضطر الأمير الصليبي الى الذهاب للقسطنطينية راعلا، ولاته للامبراطور (١٨٦) .

والحقيقة ان سنة ١١٤٣م — ٥٣٨هـ لم تشهد فقط وفاة الامبراطور حنا كومنين بل توفي فيها ايضا الملك فولاك ملك بيت المقدس (١٨٧) .

وكانت خسارة المعسكر المسيحي كبيرة بفقد هاتين الشخصيتين البارزتين في تلك الظروف ، مما جعل تلك السنة تبشر بداية النهاية بالنسبة لامارة الرها الصليبية بوجه خاص . ذلك ان اميرها جوسلين الثاني كما سبق أن ذكرنا كان شخصية اضعف بكثير من امراء الامارة السابقين ، ولكن الظروف نفسها خدبته وجعلت زنكي يؤجل اسقاط امارته رغم انها اقرب من بقية الامارات الصليبية الى ممتلكاته سواء في الموصل او في حلب . بل هانسه زنكي حتى تتاح له الفرصة المناسبة ليهاجم تلك الامارة . وكان دخول الرها طريفا في الحنف الفرنجي البيزنطي في السنوات الأخيرة من اهم الاسباب التي جعلت زنكي يؤجل تسديد ضريته القوية الى تلك الامارة . لكن عندما تصدع التحالف الفرنجي البيزنطي — على مراحل — كما مر بنا زالت من طريق زنكي تلك العقبة فتشجع على مهاجمة امارة الرها الصليبية وحالفه التوفيق في اسقاطها كما سنرى .

(١٨٥)

William : Op. Cit., V. 2, p. 127, Bréhier : L'Eglise, p. 102,
Prætor : Op. Cit., T. 1, p. 336, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336

(١٨٦)

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 91-92, Grousset : Hist.
des Crois., V. 2, p.p. 173-174.

(١٨٧)

Charles - Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T.V., Part 1,
p. 802, Cahen : Op. Cit., p. 368.

وهما يذكران ان ذلك كان في ١٣ نوفمبر ١١٤٣م
أما شليبرجية فنذكر ان الملك فولاك توفي في ١٣ نوفمبر ١١٤٤م والراجح انه
أخطأ في ذكر السنة .

(Schlumberger : Op. Cit., p. 4)

الصراع بين امارتى الرها وانطاكية :

ذكرنا بعض اطوار هذا الصراع اثناء بحثنا للعلاقة بين الامارتين ولكننا هنا سنركز على مراحل النزاع والخلاف فقط بين الامارتين . لان ذلك سيتربط عليه تصدع الوحدة الصليبية نفسها في شمال بلاد الشام فاذا اضيف هذا الى التصدع السابق بين تلك الجبهة والجبهة البيزنطية لتصورنا كيف اصبح الطريق مهدا امام زكى لتسديد ضربه الكبرى ضد امارة الرها .

فقد مر بنا كيف بدأت جذور العداء بين امارتى الرها وانطاكية منذ وصول بوهيموند الثانى الى انطاكية ١١٢٦م - ٥٢٠هـ وبزواجه من اليس ابنه الملك بلدوين الثانى ضاعت آمال جوسلين دى كورتناى في امتلاء عرش بيت المقدس . ثم برزت اولى بوادر العداء العلنى بين الامارتين ١١٢٧م - ٥٢١هـ في التسابق لاحراز مكاسب على حساب حلب التى كانت تسودها الفوضى آنذاك . ولكن اذا كان الحلبيون قد انهوا ذلك الموقف الثنائى بدفع المال للفرنج (١٨٨) ، الا ان الصراع استمر بين الاميرين الصليبيين على ارض امارة انطاكية واستعان فيه جوسلين بالأتراك ضد بوهيموند (١٨٩) وكان ان اغار امير الرها وحلفاؤه على انطاكية ونهبها (١٩٠) . ولما وصل الامر الى تلك الدرجة من الخطورة اسرع الملك بلدوين الثانى الى هناك لينهى ذلك الخلاف « المهذب بالخراب (١٩١) » بحكم رابطة الدم بينه وبين الامارتين هابن عمته هو امير الرها وزوج ابنته امير انطاكية (١٩٢) . وقد عاون الملك قى القضاء على هذا الشقاق بطريك انطاكية برنارد دى مالنس الذى أصدر قرار الحرمان ضد الامارتين كى يعيد الاميرين الى صوابهما (١٩٣) . كما امر باغلاق الكنائس وايقاف كل الطقوس

(١٨٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، ج ٢ ص ٨٨ .

(١٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(١٩٠) Michel : Op. Cit., p. 224, Cahen : Op. Cit., p. 305.

(١٩١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(١٩٢)

(١٩٣) William : Ibid., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428.

(١٩٣)

Cahen : Op. Cit., p. 305.

الدينية فيها (١٩٤) . وصاروا منذئذ أن مرض جوسلين مرشسا خطيرا جعله يندم على مسلكه السابق واذلك قبل الصلح مع بوهيموند . بل ان الأمر وصل الى ما هو أبعد من ذلك عندما أعلن جوسلين ولاءه لبوهيموند (١٩٥) . وهو ما أكده متى الرهاوى بقوله « ان بوهيموند استطاع بسلطته التي لا تقهر أن يخضع لقنوده لمة الفرنج فاعترف أمير الرها جوسلين وابن الصنجيل بميادته (١٩٦) » .

وفي فبراير ١١٢٠م منتصف رمضان ٥٢٤هـ توفي بوهيموند الثاني (١٩٧) وحاولت ارملة السيطرة على الحكم — كما مر بنا — وبأن تحرم ابنتها صاحبة الحق الشرعي من الحكم . وعندئذ أسرع بلدوين الثاني من جديد ومعه جوسلين دي كورتناي ليوقفا تصرفها هذا وامسر والدها — على كره منها — مرسوماً بأن يتولى جوسلين الوصاية على انطاكية حتى تتزوج الاميرة كونستانس فيصبح زوجها اميرا على انطاكية (١٩٨) .

ولكن حدث عندما توفي جوسلين الاول وتولى جوسلين الثاني مكانه ان رفض اهالي انطاكية وبطربركها السماح لأمير الرها الجديد بتولى الحكم في امارتهم (١٩٩) . وفي ١١٣٦م — ٥٢٣هـ تزوج ريبوند دي بواتيه من الاميرة كونستانس واصبح اميرا لانطاكية (٢٠٠) .

وفي ١١٢٨م (٥٢٢هـ) وبعد هزيمة البيزنطيين والصليبيين امام شيزر نلح تجديد العداء بين الامارتين ولو بصورة خفية من خلال السطور التي كتبها وليم الصوري حين يقول ان الامير جوسلين الثاني

Michel : Op. Cit., p. 224, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 429. (١٩٤)

William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, (١٩٥)
p. 428, Zoé : Op. Cit., p.p. 283 - 284.

Mattieu : Op. Cit., p. 147. (١٩٦)

Michel : Op. Cit., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32. (١٩٧)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

ابن شداد : الاغلاق الخطيرة ، د ا ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .

Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٩٨)
p. 255.

Michel : Op. Cit., p. 233. (١٩٩)

Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Tournabize : Op. Cit., p. 173.

حلول أن يوغر صدر الإمبراطور ضد الأمير ريموند الثاني حتى يقلل من منزلة الأخير لدى الإمبراطور (٢٠١) . ولو أننا لا نستبعد أن يكون انفراد وليم الصوري بهذه الراوية راجع الى سوء علاقته بأبناء جوسلين الثاني (٢٠٢) . والواقع أن الإمارات الشماليين كانتا في غالبية الأحيان متنازعتين ولكن جهود الملك بلديون الثاني شجعت باستمرار على توحيد الإماراتين في إطار المصلحة الصليبية العامة (٢٠٣) ولو بطريق الضغط والإجبار كما تعددت على ذلك الأمثلة من قبل . أما خليفة بلديون الثاني — الملك فوك — فإنه لم يستطع في غالبية الأحيان بسط نفوذه على أمراء الشمال (٢٠٤) . ولكنه حقق نجاحا في بعضها . وعندما توفي فوك ونولى ابنه بلديون الثالث العرش تحت وصاية أمة ميلزاند (٢٠٥) ضعفت الفرصة للسيطرة على إمارتي الشمال لذا زاد العداء بصورة واضحة بين الإمارات حتى أن أمير الرها — كما رأينا — انتهج لسطوط إمارة الرها ١١٤٤م (٢٠٦) ، وكان ذلك لا يعنيه ولا يضر بمصلحه هو الآخر .

William : Op. Cit., V. 2, p. 97. (٢٠١)

Zoé : Op. Cit., p. 295. (٢٠٢)

(٢٠٣) والحقيقة أن جهود الملك بلديون الثاني (مارس ١١١٨م — أغسطس ١١٣١م) لم تقتصر فقط على الإمارات الشماليين بل تميز حكمه بأنه امتدت فيه قوة المسيحيين ودعيت : حتى ولو نطلب ذلك الدخول في معارك مربعة مع المسلمين المجاورين والتي وقع الملك في أحدها أسيرا في أبريل ١١٢٢م .

(Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 802)

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317. (٢٠٤)

هنا يعلق (هيفل) على حكم فوك وميلزاند بأنه « كان بداية انحلال أعقاب الصليبيين في الشرق »

Charles-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802.

Schlumberger : Op. Cit., p. 4-5 ; Charles-Hefele : Op. Cit., p. 802 (٢٠٥)

William : Op. Cit., V. 2, p. 201. (٢٠٦)

سقوط الرها في يد عماد الدين زنكي ١١٤٤م (٢٠٧) - ٥٥٣٩ هـ .

(١) الظروف المشجعة لزنى على التقدم الى الرها :

كان استيلاء عماد الدين زنكي على الرها أهم خطواته في جهاده الاسلامي ضد الصليبيين والذي استكمله بعده ابنه تور الدين والحقيقة ان الذي شجع زنكي على القيام بذلك العمل الهام عدة حوافز بعضها يتعلق بعلاقات الرها الخارجية وبعضها يخص الرها في الداخل .

فاذا حاولنا التركيز اولا على الحوافز الخارجية ، نجد اننا قد اثرينا اليها اثناء تناولنا للطف الفرنجي البيزنطي والصراع بين الرها وانطاكية . فغالبية المصادر والمراجع الأجنبية تضع في المقام الاول ، ذلك الصراع الشديد بين اميري الرها وانطاكية والذي كان قد وصل الى حد الصدام العلني ، حتى ان كلا منهما كان يفرح لما يصيب الآخر من كوارث ونكبات (٢٠٨) . ويرتبط بهذا ايضا الحافز الثاني وهو انه بوفاة الملك مولاك ، اصبح نفوذ مملكة القدس ضئيلا جدا على اميري الرها وانطاكية وخاصة عندما آل الحكم الى بلدوين الثالث تحت وصاية ابيه ميلزاند (٢٠٩) . ففي ذلك الدور انعمت وجود الشخصية الصليبية القوية التي يكنها جمع شمل الامراء الصليبيين وقت الخطر . فاذا اضيف الى ذلك تصدع الحلف الفرنجي البيزنطي (٢١٠) - كما مر بنا - والذي ازال بذلك عقبة كبيرة من

(٢٠٧) ينفرد ابن العبري : كمصدر سرياني والدبس ولوسترانج بالقول ان ذلك كان ١١٤٥م .

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Le Strange : Op. Cit.,
p. 104, يوسف الدبس : تاريخ سورية ، ص ٦٦ ، ١٠٤ .
ولكن جميع المصادر العربية والانجليزية تؤكد - كما سنرى - ان ذلك كان ١١٤٤م وهو الأرجح .

(٢٠٨)

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 140-141, Prawer : Op. Cit.,
T. 1, p. 337, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton :
Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : Hist. des Crois.,
V. 2, p.p. 174-175.

(٢٠٩)

Charles - Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802, Iorga :
Brève Hist. des Crois., p. 92, Prawer : Op. Cit.
p. 337, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174-175
182, L'Empire, p. 224.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175.

(٢١٠)

طريق زنكي - لا يمكننا التعرف على مسدى طليانة زنكي من ناحية تلك القوى الخارجية التي ان تتمكن من المسارعة بتقديم المعون الضروري لامارة الرها اذا حاجبها .

اما اذا انتقلنا الى العوازل الداخلية فاننا نجد ان التركيز على شخصية جوسلين الثاني امير الرها اذذاك وتصرفاته تأتي في المكان الاول . ذلك ان جوسلين الثاني ولد من ام ارمنيية ، وكان يفضل مجتمع الأرمن والسريان على مجتمع الفرنج (٢١١) . بل يقال انه كان يشعر بالغيرة بين فرسانه الفرنج (٢١٢) . ثم انه لم يشبه والده جوسلين الاول في شجاعته المطلقة وان احتفظ بقدر محدود منها (٢١٣) ، حيث ان بعض المصادر العربية اشارت اليه بأنه « كان صاحب رأي الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر (٢١٤) » . في حين قال البعض الآخر عنه انه « هو عانى الفرنج وشيبتهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم (٢١٥) » .

يضاف الي هذا كله ان جوسلين الثاني كانت تتلمسه روح التسميم (٢١٦) وكان يميل الى حياة الراحة والهدوء ولذا تجلّى عن الأتالة في مدينة الرها وفضل عليها تل بلشر لكي يكون « بعيدا عن القلق المتسبب عن أعدائه (٢١٧) » . وفي مقبره الجديد مارس

(٢١١)

Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢١٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176, L'Épopée, p. 162.

Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢١٣)

(٢١٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٤ ص ٥٦ (١) ، ابن واصل : مغرر الكروب ، د ١ ص ٩٢ ، النويري نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، المعين : عقد الجبان ، د ١٦ ص ١٤٩ .

(٢١٥) أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٤ ، تاريخ

ابو الهجاء ، مخطوط د ١ حواث ٥٣٩ هـ .

Zoé : Op. Cit., p. 337.

(٢١٦)

(٢١٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 140.

حياة مليئة باللهو والترف والفراغ (٢١٨) هذا فضلا عن انه اتحم نفسه في (الأمور الدينية وبغضل في ترهجات رجال الكنيسة البيثوبية (٢١٩) . بل انه تحت مستلر الحج نهج دير سانت برسموما Mar Bar Çauṃa . المقدس لدى اليمانية (٢٢٠) مما اوجد بينه وبين المعاقبة فجوة كبيرة .

اما عن المسائل المتعلقة بالدفاع عن الإمارة ومن الذي كان يتولاه . فالعروف ان أهلها كانوا يشتغلون بالتجارة ويجهلون استخدام الأسلحة (٢٢١) . ولما كان عدد سكان الرها من الفرنج بالنسبة للسكان الأصليين أصغر (٢٢٢) لذا اعتقدت الإمارة في الدفاع عن كمالها على المرتزقة ، وكان هذا النظام له خطوبته ، خصوصا بالنسبة لإمارة الرها بالذات (٢٢٣) .

فاذا أضفنا الى ذلك ان إمارة الرها كانت أكثر تعرضا لهجمات

William : Ibid., V. 2, p. 140, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, (٢١٨)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : L'Epopée, p. 163, Archer : Op. Cit., p. 202.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 178. (٢١٩)

Grousset : Ibid., p. 178, L'Epopée, p. 300. (٢٢٠)

William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1 (٢٢١) p. 446.

والرأجح ان السريان من أهلها هم الذين كانوا زراعا وتجارا مهرة وغير مفرمين يحمل السلاح استنادا الى ما جاء في المصدر اللاتيني

Haytonus Flos : Historiarum Terre Orientis, (Doc. Arm.),

T. 2, p.p. 270-271.)

William : Op. Cit., V.2, p. 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, (٢٢٢) p. 337.

(٢٢٣)

William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1, p.446

فقد ذكر ولیم الصوری أن هؤلاء المرتزقة كانوا لا يلقون أجورا ونقا لزمن ونوع الخدمة المقدمة لكن غالبا ما ينتظرون سنة أو أكثر قبل أن يستطيعوا جمع ما يستحقوه وكانت طريقة الدفع للقوات تشمل حتى على الفرسان ، ومن الواضح انها كانت باهظة أكثر في الرها عن أى مكان آخر ، لأن النبله من السكان الأرمن والمسيحيين الوطنيين الآخرين ، لم يكونوا قد أخرجوا بواسطة النبله الغربيين حتى انه بدون شك اشتملت المرتزقة في بعض الأوقات على المسلمين .

المسلمين بحكم موقعها وأنها تعرضت تحت الحكم الصليبي لها لتدهور الحياة الاقتصادية فيها بسبب التخريب والهجرة التي أصابت جزءها الشرقي (٢٢٤) ، فأننا نخرج من هذا كله بحميلة عن الأوضاع التي شجعت زنكى على توجيه ضربته القاتلة ضدها .

والمواقع أن عماد الدين زنكى وجه جهوده ضد إمارة الرها بالذات في ذلك الدور دون غيرها من الإمارات الصليبية ، للأسباب المشجعة السابقة الذكر فضلا عن أنها كانت الإمارة الصليبية الأقرب الى مركز نشاطه وإلى مقر الخلافة في بغداد . ولا يخفى علينا أن ضررها كان كبيرا على المسلمين إذ امتدت غاراتها حتى بلغت آمد ونصيبين ورأس عين والرقّة وكان حكامها يملكون من قرب ماردین الى الفرات ، عدة حصون مثل سروج والبيرة وسن بن عطير وجملين والموزر (٢٢٥) . هذا فضلا من مدينة الرها ذاتها التي « كانت من الديار الجزرية عينها ومن البلاد الإسلامية حصنها (٢٢٦) » .

كذلك وجد سبيان مباشران دفعا زنكى الى مهاجمة إمارة الرها ، أولهما أنه حدث ٥٣٨هـ / ١١٤٢م أن كان السلطان مسعود قد استعد لمحاربة زنكى لأنه اعتقد أنه هو الذى يحرض لمرء الاطراف عليه وهو اتهام صحيح لأن زنكى أراد عندئذ أن يشغل السلطان وليتمكن هو من فتح البلاد والتكien لنفسه (٢٢٧) . لذلك أرسل زنكى يستعطف السلطان ويستميله وترددت الرسل بينهما حتى استقر الراى على أن يدفع زنكى للسلطان مائة ألف دينار دفع منها زنكى عشرين ألف دينار . ولكن عندما طلب السلطان من زنكى مثوله بين يديه اعتذر بلشتغاله بمحاربة

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٤)

(٢٢٥) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٣ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٤ ص ٥٦ (١) ، العيني : عقد الجبان ، د ١٦ ص ١٤١ . وسن ابن عطير وتسمى أيضا السن وهى قلعة بالجزيرة قرب سميسط (ياقوت : معجم البلدان ، د ١١ ص ٢٦٩) .

(٢٢٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٧ .

(٢٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٦٥ ، الكامل د ٩ ص ٦ .

الفرنجة « فعدوه وشرط عليه فتح الرها » (٢٢٨) .

وثانيهما أن زنكى سمح بقيام تحالف ارتقى رهوى ، أى بين فخر الدين أبو الحارث قرا أرسلان بن داود (٢٢٩) . الارتقى حاكم حصن كيفا وبين جوسلين الثانى : تتأول فيه الأول للثانى عن إحدى قلاعهم بالقرب من كركر ، على أن يساعده الأخير ضد زنكى (٢٣٠) . وقد أرسل جوسلين بالفعل ١١٤٤م نجدة إلى قرا أرسلان (٢٣١) . لذا أراد زنكى أن يضرب ذلك التحالف . ولكنه كان يعلم جيدا أنه لن يستطيع أن يفزل شريكه بالرها مادام جوسلين وأعاونك موجودين بها (٢٣٢) . وأنه إذا توجه إليها وحاول الاستيلاء عليها « اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتمردز عليه ملكها لما هي عليه من الحصانة (٢٣٣) » . لذا استخدم زنكى الحيلة والخداع وبدأ يموه ويخفى غرضه الحقيقي ، فبدأ بهاجمة قرا أرسلان الارتقى في خريف ١١٤٤م (٥٣٩هـ) ، كي يوهم فرنج الرها بأنه مشغول عن التفكير في محاربتهم (٢٣٤) . « فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ويطلبها وسواها

(٢٢٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٥ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١
ص ٩٢ ، الطياخ الحلبي : معالم النبلاء ، د ١ ص ٤٩٨ .
(٢٢٩) زامبور : معجم الانسلاخ ، د ٢ ص ٣٤٤ . تولى من ٥٣٩هـ
١١٤٤م .
(٢٣٠)

Michel : Op. Cit., p. 260, Grousset : Hist. des Crois., V. 2,
p.p. 178 - 179, Cahen : Op. Cit., p. 368, Setton : Op.
Cit., V. 1, p. 461.

Michel : Op. Cit., p. 260. (٢٣١)

(٢٣٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ ، أبو شامة : الروضتين ،
د ١ ق ١ ص ٩٤ ، أبو الهجاء : مخطوط د ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن أبيك :
كنز الدرر د ٦ ص ٥٣٩ .

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
د ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٤ ص ٥٦ (١) ، النويري :
نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ .

(٢٣٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
د ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٤ ص ٥٦ (١) ، النويري :
نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ،

Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 368, Grousset :
Hist. des Crois., V. 2, p. 879, Runciman : Op. Cit.,
V. 2, p. 235.

بروم (٢٣٥) . « عتقنا اهلان جوسلين الثاني من ناحية زنكى وغادر
الرها الى بلاده الشمالية او الغربية (٢٣٦) الى اى تل باشر غربى الفرات .
وفي الحال بلغت زنكى عن طريق اهل حران تحركت امير الرها (٢٣٧) .
وانسه كان محبوا بمعظم رجاله والبارزين في حاميته واكثر محاربيه
شجاعة (٢٣٨) . في حين ترك مدينة الرها بدون حامية ومؤين
كافية (٢٣٩) . على عكس ما كان يفعل امراء الرها السابقين (٢٤٠) .
وعهد جوسلين بالدفاع عن الرها الى المسيحيين الوطنيين تحت توجيه
اساقفتهم (٢٤١) ، والى بعض المرتزقة الذين لم يكونوا يتقاضون
مرتباتهم الا بصعوبة (٢٤٢) .

(٢٣٥) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٧ . ابو ثامة : الروستين ،
د ١ ق ١ ص ٩٤ .
(٢٣٦) ابن الاثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٨ ، ابن واصل :
مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٣ . ابو ثامة : الروستين ، د ١ ق ١
ص ٩٥ ، ابن الفرات ، مخطوط د ٤ ص ٥٦ (١) ، تاريخ ابو الهجاء ،
د ١ مخطوط حوادث ، ٥٣٩ هـ ،

Grousset : L'Empire, p. 300

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Michel : Op. Cit., (٢٣٧)
p. 260,

Cahen : Op. Cit., p. 369, Seton : Op. Cit., V. 1, p. 446,

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235, Grousset : Hist. des
Crois., V. 2, p. 179, 879.

وقد اخطأ ميخائيل السرياني هنا في قوله (ان امير الرها كان قد
توجه الى انطاكية آنذاك) اما ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٧٩ ،
فيذكر ان الذى اخبر زنكى بتحرك جوسلين الثاني كان (جمال الدين
ابو المعالى فضل الله بن ماهان رئيس حران) .
(٢٣٨) ابن القلانسي : النيل ، ص ٢٧٩ ،

(البيت ٦٢٨) Nersès : Op. Cit., p. 246, Gibb : Op. Cit., p. 266..

William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Zoé : Op. Cit., p. 336, (٢٣٩)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 180, 879, L'Empire
p. 300.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177. (٢٤٠)

Nersès : Op. Cit., p. 259, Cahen : Op. Cit., p. 369, (٢٤١)

Grousset : L'Empire, p. 300, Zoé : Op. Cit., p. 336,

-Archer : Op. Cit., p. 202, Runciman : Op. Cit., V. 2,
p. 235

(٢٤٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177, Archer : Op. Cit.,
p. 202.

ب - حصار زنكي للرها واستيلائه عليها :

كتاب زنكي طوائف التركمان ليساعدوه ويؤدوا معه فريضة الجهاد واخبرهم انه لن يقبل اى عذر ، فوصل اليه عدد كبير منهم (٢٤٣) . ثم ارسل زنكي بعض قواته بسرعه الى الرها بقيادة الامير صلاح الدين الياغيسياتى كى يهاجموا المدينة حتى يلحق بهم بقواته ، لكن الياغيسياتى ضل الطريق فوصل متأخرا (٢٤٤) . فى الوقت الذى كان عماد الدين زنكى قد وصل الى الرها فعلا وبدا حصاره لها فى ٢٨ نوفمبر ١١٤٤م (٢٤٥) .

وكان زنكى اول من حمل على الفرنج (٢٤٦) ، فالتجأ هؤلاء الى داخل المدينة واحتوا بأسوارها الحصينة ، وعندئذ شدد زنكى الحصار عليهم ، وسد فى وجه الحاصرين كل سبيل للخروج او الدخول للمدينة للحصول على اى مؤن (٢٤٧) . ووصلت قسوة تشديد الحصار الى درجة « ان الطائر لا يكاد يقرب منها - من الرها - خوفا على نفسه من صوائب سهام منازليها ويقتله المضيقين عليها (٢٤٨) » . وعندما طلب زنكى من اهالى الرها التسليم كى

(٢٤٣) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٧٩

Nersès : Op. Cit., p. 246. (الأبيات ٦٣٠ : ٦٣٤)

ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٧٩
Gibb : Op. Cit., p. 266

هنا يضيف (ميشو) بنظره الواضح فى كتابته ان تلك الاعداد الكبيرة سارعت للانضمام الى زنكى طمعا فى غنية ثرية

(Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 102)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879. (٢٤٤)

(٢٤٥)

Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1,

p. 268

Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 2, p. 879.

Bréhier : L'Eglise, p. 103.

(٢٤٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ،

د ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، المعينى :

عقد الجمان ، د ١٦ ص ١٤٢ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 141, (٢٤٧)

Nersès : Op. Cit., p. 246 (البيت ٦٣٦)

ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٧٩

(٢٤٨) ابن القلانسي : المصدر السابق والصفحة

Gibb : Op. Cit., p.p. 266 - 267,

لا يهلكوا لأنه لا يوجد لهم أي منفذ للنجاة - رغبنا (٢٤٩) ، لأنهم
كلوا يأملون في وصول نجدة اليهم من انطاكية وبيت المقدس (٢٥٠) .

ولكن ماذا كان موقف جوسلين نفسه ؟ الواقع ان كل
ما فعله جوسلين في ذلك الوقت كان محاولة جمع قواته بسرعة
الى جانب استجاده بانطاكية والقدس (٢٥١) . وهنا يعقب
وليم الصوري على موقف جوسلين بأنه تحرك بعد فوات الأوان
« فبدأ كانه يمد الطقوس الجنائزية للموتى ، لهؤلاء الذين أهمل
مساعدهم اثناء المرض والتوصل (٢٥٢) » . ومعنى ذلك ان جوسلين
لم يتنبه للخطر الذي حدد امارته الا متأخرا ، بعد ان ترك الجزء
الشرقي للامارة ونعم بالراحة في جزئها الغربي . والواقع ان جوسلين
لم يخف الى الرها بسرعة عندما علم بالهجوم عليها ، وانما اكتفى
بالبقاء في تل بئثر كي يستطيع منها ان يقطع أي تعزيزات تصل الى
زنكي من حلب . ويبدو ان ثقته في تحصينات الرها كانت كبيرة (٢٥٣) .
ولكن الاسوار والأبراج لم تعد الا قليلا لعدم وجود من يدافع عنها (٢٥٤) .
حقيقة ان أهالي الرها ورجال الدين فيها هم الذين تولوا الدفاع عنها
في تلك الأزمة ، وذلك بقدر ما أسعفتهم طاقتهم ، فاستبسلوا رجالا
ونساء « سواء الأعيان المحترمون او السوقة الذليلون (٢٥٥) » .
هذا الى جانب الدور الكبير الذي قام به رجال الدين عندئذ والذي
سنقتاوله بالتفصيل عند الكلام عن الكنيسة ورجال الدين في الفصل
الآخر .

Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٤٩)

(٢٥٠)

Nersès : Op. Cit., p. 252, Michel : Op. Cit., p. 260, Cahen :
p. 370.

(٢٥١)

William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Zoé . Op. Cit., p. 336.

William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٢٥٢)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 235 - 236.

(٢٥٣)

William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٢٥٤)

Nersès : Op. Cit., p. 251, Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, (٢٥٥)
p. 268,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880, Zoé : Op. Cit.,
p. 336.

لها عن موقف زنكى عندما رأى صمود أهل الرها ودفاعهم المستميت عن مدينتهم (٢٥٦) . فانه امر بتشديد الحصار بدرجة اكبر على المدينة . وعندئذ ظهرت براعة رجاله الخراسانيين والحبليين فبذلوا جهدا كبيرا في حفر الخنادق تحت سور المدينة ووضعوا فيها العوارض الخشبية كي يشعلوا فيها النيران فيسهل انهيار السور (٢٥٧) . و مرة اخرى طلب زنكى من الحاصرين أن يستسلموا بعد ان غدت المدينة على وشك السقوط ولكنهم اصرروا على الرفض ، مؤملين وصول النجدة اليهم ، بل انهم استهزلوا به وتحذوه (٢٥٨) . لذا امر زنكى باشعال النار في الخشب الموجود في الاتفاق تحت السور مما ادى الى انهيار جزء منه سمح للمسلمين بالتسلل الى داخل المدينة (٢٥٩) .

(٢٥٦)

Michel : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 181.

(٢٥٧) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧٩ ،

Michel : Op. Cit., p. 261, William : Op. Cit., V. 2, p. 142. Gibb : Op. Cit., p. 227.

(٢٥٨)

Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 184

ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٨ - ٦٩

(٢٥٩) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٩٤

Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., p.p. 142 - 143,

Nersès : Op. Cit., p. 253.

حيث يقول
حين اتبعثت نيران ملبوم
من أعماق الأرض
ولم تطر من السماء
بل من أجواف الخنادق
واذا بالسور المحصن
ينهار ويتداعى
ويندك من أسسه
لقد فتح الأعداء فيه ثغرة

وقد سارع أهالي الرها الى ذلك الصعد الذي فتح في المسور ليحولوا دون دخول المسلمين منه فما كان من بقية الجيش الاسلامي الا أن اعلى الاسوار التي خلت من المدافعين عنها . وهكذا امتلك زنكى البلد عنوة بالسيف (٢٦٠) . ولم يستطع الاهالي حماية انفسهم من سيوف المسلمين ، حتى عندما لجأوا الى قلعة المدينة وجدوا ابوابها مغلقة فهات الكثيرون مخنوقين من شدة الزحام وكان من بينهم الاسقف اللاتيني نفسه (٢٦١) . وسنرجى الكلام عما أصاب أهالي الرها عندئذ الى حين نعالج طبقات المجتمع في الباب الاخير .

واخيرا سقطت الرها في يد زنكى وقواته في يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م (٢٦٢) . السادس والعشرين من جمادى الآخرة ٥٣٩هـ (٢٦٣) بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوما (٢٦٤) . اما القلعة فقد

(٢٦٠) ابن الاثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٩ ، ابن القلانسي : النيل ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، النويري : نهاية الارب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٥ ، روض المناظر : مخطوط ، حواث ٥٣٩هـ ، أبو الهيجاء ، مخطوط ، د ١ حواث ٥٣٩هـ .

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., (٢٦١)

p.p. 261 - 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269.

William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Cahen : Op. Cit., p. 370.

(٢٦٢)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 157, William : Op. Cit.,

V. 2, p. 144, Tournèze : Op. Cit., p. 163, Gibb. Op.

Cit., p. 267, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٦٣) ابن القلانسي : النيل ، ص ٢٧٩ ، الأصفهاني : تاريخ دولة

آل سلجوق ، ص ١٨٦ . اما كل من ابن الجوزي : المنتظم ، د ١٠

ص ١١٢ - الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، مخطوط ص ١٧٩ (١) ،

أبو الفضائل الحموي : التاريخ النصوري ص ١٦٩ فيذكروا أن ذلك كان

في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة . وأما ابن العديم : زبدة الحلب ،

د ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ فيذكر أن

ذلك كان في ١٦ جمادى الآخرة . والراح أن ذلك كان في ٢٦ جمادى

الآخرة .

(٢٦٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، النويري :

نهاية الارب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٧٠ ،

الديس : تاريخ سورية ، د ٦ ص ٦٧ .

سقطت بعد ذلك بيومين (٢٦٥) . حدث كل هذا دون أن يتقدم جيشي صليبي واحد لنجدة الرها . فانطلقت كما بينا من قبل لم تقدم أية معونة ولم يرسل أميرها أية نجدة بل أنه سر لما أصاب الرها (٢٦٦) أما بيت المقدس فزعم إرسال الملكة ميلزاند بعض القوات لنجدة الرها إلا أنها وصلت متأخرة جدا (٢٦٧) .

وهنا يؤكد كل من نيرسيس وابن العبري أن سقوط الرها كان مرجعه الأثم التي ارتكبها أهالي الرها (٢٦٨) . والتي يرجعها نيرسيس إلى اختلاطهم بالفرنجة (٢٦٩) . أي بالصليبيين الغربيين .
وأما البعض الآخر فيذكر أن السر في سقوط الرها يرجع إلى تغيب

William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Bréhier : L'Eglise, p. 104 (٢٦٥)
Cahen : Op. Cit., p. 370, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401,
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 222.

هنا يذكر الكاهن جريجوار القلعة (بقلمة مانياكس (Maniacès) وان الذي ساعد على سقوطها هو نقص الماء بداخلها .
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158 - 159.

William : Op. Cit., V. 2, p. 142 - 143, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud : Op. Cit. V. 2, p. 104.

William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Grousset : Hist. des Crois., (٢٦٧)
V. 2, p. 182, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

ويشير نيرسيس إلى ذلك بقوله :
لكن لم يصل أحد
من كانوا ينتظرون
بل أن عباد الصليب
في البلاد كلها
تخالطوا وتعامسوا .
عن مديد المعونة الينا

Nersès : Op. Cit., p. 252. (الأبيات من ٨٠٧ إلى ٨١٢)
Nersès : Ibid. p. 252, 268, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (٢٦٨)
p. 269.

Nersès : Op. Cit., p. 245 (البيتان ٥٩١ — ٥٩٢)

منذ تلك الساعة التي بدأت فيها
لصاهر أهل روما ولتقرب البوم

حمايتها عنها (٢٧٠) . والحقيقة أن الجهود الكبيرة من جانب زنكي وقواته الى جانب ظروف الإبرة الداخلية والخارجية آنذاك تضاعفت لتمكين الجيوش الإسلامية من النصر .

كانت المدينة قد تعرضت للسلب والنهب من جانب قوات زنكي فلما دخلها أعجبه ورأى أن تخريب مثلها لا يجوز « فنودي في المساكين برد ما أخذوه من الرجال والنساء والأطفال الى بيوتهم واعادة ما غنّبوه من اثاثهم وأمتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقد منه شيء الا الشاذ النادر الذي أخذ وفارق من أخذ المسكر (٢٧١) » . عندئذ عادت الأحوال الى هذونها مرة أخرى ، فترك زنكي بها بعض قواته بقيادة زين الدين على كوجك (٢٧٢) .

ثم كان أن توجه زنكي بعد ذلك الى سروج فاستولى عليها في يناير ١١٤٥م بعد أن هرب من بها من الفرنج (٢٧٣) . وبذلك لم يبق لجوسلين شرقى الفرات سوى البيرة التي توجه اليها زنكي وحاصرها (٢٧٤) . ليستكمل فتح الجزء الشرقى من إمارة الرها .

Michel : Op. Cit., p. 266.

(٢٧٠.)

(Mar Jean : ذكر ذلك أحد رجال الدين بالرّها وهو
Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢٧١) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، ابن قاضي شهاب : الدر الثمين ، ميكرو فيلم ، الباب السابع ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، المعين : عقد الجمان ، د ١٦ ص ١٤٢ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل : د ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٦٩ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، المعين : عقد الجمان ، د ١٦ ص ١٤٢
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461, Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢٧٣) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٨٠ ، Michel : Op. Cit., p. 268, Gibb : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٧٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، روض المناظر ، مخطوط أحداث ٥٣٩هـ ٣٧٠هـ Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370.

لكن البيرة كانت شديدة التحصين (٢٧٥) . وكان الفرنج الموجودون بداخلها قد زودوها بكميات كبيرة من المؤن الى جانب وضع حامية هائلة بداخلها (٢٧٦) . ولذا استطاعت قوات البيرة الفرنجية أن تقاوم زنكى وتصد له مدة طويلة (٢٧٧) . ولكن عندما نفذت المؤن والذخائر وكانت المدينة تسقط في يد زنكى وقواته جاءت اخباره من الموصل بمقتل نائبه نصير الدين جقر فيها (٢٧٨) . مما اضطره الى الرجوع بسرعة الى الموصل « خوفا من أن يحدث بمعه في البلاد فتق يحتاج الى السير اليها (٢٧٩) » . ولما غادر عماد الدين زنكى البيرة خلف الفرنج الموجودون بها من مودته اليوم فراسلوا حسام الدين تيمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وسلموها اليه (٢٨٠) .

(٢٧٥) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٠ ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٩٠ ، الباهر ص ٧٠ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٠٣ ، تاريخ أبو الهيثم ، مخطوط د ١ حوادث ٥٣٩ هـ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ .

(٢٧٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٩٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، العيني : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ١٤٢ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 191.

(Rey : Colonies franques).

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882, Runciman : Op. (٢٧٧) Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٠ ، ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٠ ، ابن المعصم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، العيني : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ١٤٢ (ويذكر الأخير أن جقر قتل في ٨ ذي القعدة ٥٣٩ هـ / مايو ١١٤٥ م) Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : Op. Cit., p. 268,

وهنا يذكر ميخائيل أن زنكى اصطلع مع الفرنج قبل رحيله ولكن الراجح أن ذلك غير صحيح .

(٢٧٩) ابن الأثير : الباهر ص ٧٠ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٠٣ .

(٢٨٠) ابن الأثير : الباهر ص ٧١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٦ ، أبو الفدا : المختصر : د ٣ ص ١٧ . بن الوردي : تمة المختصر ، د ٢ ص ٤٥ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، روض . طر : مخطوط حوادث ٥٣٩ هـ ، العيني : عقد الجبلان : د ١٦ م ١ ص ١٤٢ .

وهكذا دعمت تلك الخطوة التحالف بين مرنج الرها وأرتنة ماردين ،
لتتلبه مصالح الطرفين في مواجهة أهداف زنكى التوسعية (٢٨١) .

وهكذا لم يبق بيد جوسلين الثلثي من بقايا امارته سوى تل باشر
وسيساط ومرعش وطلوك وعينتاب وقورس وعزاز والاروندان (٢٨٢) .
ومن الواضح أنه بمسقوط الرها سقطت أول لبنة في البناء الصليبي
بالشرق وإذا كانت املرة الرها أول املرة اسمها الصليبيون في الشرق ،
فإن الظروف شاعت أن تكون أول املرة صليبية فنهار امام ضربات
المسلمين (٢٨٣) .

ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرها ١١٤٤م :

١ - رد الفعل من جانب المسلمين :

كان فتح الرها من اهم الاعمال التي جلبت السرور الى نفوس
المسلمين . فقد حمل اليم املا جديدا (٢٨٤) . في استقاط
مقبة الصرح الصليبي في الشرق . وازال عنهم كربا شديدا (٢٨٥) .
وعبر عنه المؤرخون المسلمون المعاصرون بأنه « طار في الاتفاق ذكره
وطاب بها نفسه » (٢٨٦) . كذلك عبر الشاعر الأرمني
(نيرسيس شنورهالي) (٢٨٧) . في قصيدته عن رثاء الرها عن

(٢٨١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ٢ ص ٦٠٩ ، حسن
جهشي : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٨ . ويضيف الأخير أنه مما قتل من
أهمية تلك المخالفات أيها كثر شخصية فردية .

(٢٨٢) سعيد عاشور : الحركة ، د ٢ ص ٦٠٨ .
Grousset Hist. des Crois., V. 2, p. 192.

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 208 - 209. (٢٨٣)

Runciman Op. Cit., V. 2, p. 238. (٢٨٤)

(٢٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ٢١٩ .

(٢٨٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٩ ، أبو قسامة : الروهبتين : د ١
ق ١ ص ٦٩ ، ابن قاضي شهبة : الدر الثمين : ميكروفيلم ، الباب السابع
، ٥٣٩ هـ .

Nersès : Op. Cit., p. 264. (٢٨٧)

فقد ذكر أن الأئمة المسلمين سعدوا الى المآذن هاتفين :
« يا رسول الله محمد
لقد استرددنا ما كنا قد فقدناه :

ديارك ودارك

فرحة المسلمين بذلك الفتح رغم تحامله عليهم في اجزاء كثيرة من تلك القصيدة .

ومن ناحية اخرى فقد رفع ذلك الفتح من مكانه زكى لدى المسلمين ، فمجده الشعراء وطلع عليه الخليفة العباس المقتدى لأمير الله العباس ، وزاد في القالبه ، زين الاسلام الملك المنصور ، تصير امير المؤمنين (٢٨٨) .

اناح سقوط اماره الرها الصليبية تاهين طريق المواصلات الاسلاميه بين الموصل وحلب ورفع الحاجز الصليبي الذي كان قائما بين اترك ايران واتراك الاناضول (٢٨٩) .

٢ - رد الفعل من جانب بقية الامارات الصليبية في الشرق :

حمل استيلاء المسلمين على الرها الحزن الشديد والكآبة بين

== من تلك الامة الضاللة .

العابدة لحجارة صماء .

لقد روينا الأرض من دماهم

وفقا لتعليقات قرآنك

اليك نزل البشرى

يابكة العظيمة ، موطن محمد

ياقبلة الأمانى بكمبتها السوداء .

والقدم الرسومة على صفحاتها

اننا سفرد اليوم اليك

جميع أولئك المشاركة

عباد الصليب الضالين

وخدام يسوع المسيح » .

هذا الى جانب خطاب زكى نفسه الذى حمل البشرى بالنصر الى الخليفة فى بغداد والذى سيأتى فى الملاحق . (Nersās : Ibid., p. 267)

(٢٨٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك - د ١ ص ٦٠ (ب) ،

Cahen · Op Gil., p. 371

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237, Michaud · Op. Cit. V 2,

p.p. 110 - 113 - 114.

Cahen Op Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V.2, p. 238. (٢٨٩)

الصليبيين جميعا في الشرق (٢٩٠) : اذ دق ناقوس الخطر لبقية الامارات الصليبية ، التي لم تستطع ان تقدم اية مساعدة ايجابية للرها وقت محنتها (٢٩١) . حتى جيش القدس الذي كان قد ارسل نجدة للرها ، والذي انضم اليه بعض الفرنج من بقية الامارات ، لم يستطع الوصول الى الرها . ففي رمضان ٥٣٩ هـ مارس ١١٤٥ م علم زنكى باجتماع هذا الجيش في تل عدى Tell'Ada شمال انطاكية - فارسل اليهم جيشا كبيرا من التركمان اعمل فيهم الامر والقتل وشنت جموعهم فرجعوا خاسرين (٢٩٢) .

ومعنا لم تجد تلك الوسيلة لانقاذ امارة الرها بدأت انظار صليبي الشرق تتجه الى الغرب المسيحي من جديد لطلب النجدة (٢٩٣) .

٣ - رد الفعل من جانب المسيحيين الشرقيين :

ولم يقتصر الحزن لفقد الرها على بقية الامارات الصليبية في الشرق بل تعداه الى جميع الطوائف المسيحية الشرقية خاصة الارمن الذين اعتبروا الاستيلاء على الرها ضياعا لجزء هام من كيبتهم ، بحكم تبعيتها لهم قبل قدوم الصليبيين ، فضلا عن انها كانت مقرا لجوسلين الثانى وهو صديق حقيقى لهم (٢٩٤) .

وقد ظهر ذلك الحزن في عدة مظاهر . منها تلك البعثة الأرمينية

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 114, Runciman : Op. Cit., (٢٩٠)
V. 2, p. 238.

Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69. (٢٩١)

Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : p. 269, (٢٩٢)

ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٠ حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٩ (عن الذهبى : تاريخ الاسلام) وهنا يشير ميخائيل السريانى ان سبب تفرق الجيوش الصليبية هو خوفهم من المجاعة بعد قطع المسلمين الامدادات عنهم . اما كاهين فيذكر ان الانتفاكين هم الذين اشتبكوا مع قوات زنكى التركمانية ، وربما دفعه الى ذلك الخطا ان مكان التجمع كان في منطقة قرب انطاكية (Cahen : Op. Cit., p.p. 370 — 371).

Charles - Hefele : Op Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier: (٢٩٣)
l'Eglise, p. 104.

Iorga : L'Arménie, p. 96. (٢٩٤)

التي توجهت الى روما في نوفمبر ١١٤٥م لطلب النجدة من البابا ايوجين الثالث وعقدت في نفس الوقت صلحا مع الكنيسة الرومانية (٢٩٥) .
كان يصاحب تلك البعثة (هيو) اسقف جبلة ، احد اساقفة امارة انطاكية البارزين ، والذي توجه الى الغرب واثار فكرة حرب صليبية جديدة (٢٩٦) . ومن هذا يبدو انه اذا كان امير انطاكية لم يسرع لنجدة الرها ، فان هذا لم يمنع رجال الدين في امارته من القيام بدور ايجابي تجاه الرها .

ومن بين تلك المظاهر ايضا المرائي الشعرية والنثرية التي كتبها بعض رجال الدين من المسيحيين الشرقيين المعاصرين لسقوط الرها والتي من اهمها قصيدة الرثاء التي كتبها نيرسيس شنور هالي (٢٩٧) . هذا الى جانب المقالتين التي رثى بهما الرها (ديونيسيوس) - الذي كان لا يزال شماسا في ملطية آنذاك . كذلك المقالات الرثائية الثلاث التي كتبها باسيليوس Basilus مطران الرها اليقوي (٢٩٨) .
وقد يتضح موقف الأرمن أكثر تجاه تلك الحركة التي قام بها زنكي اذا عرفنا ان بعض المصادر المعاصرة ذكرت ان جماعة من الأرمن بالرها

Bréhier : L'Eglise, p. 104.

(٢٩٥)

Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier : (٢٩٦)
L'Eglise, p. 104, روما : « ان اسقف جبلة وصل الى روما وعيناه قد اغرورقت بالدموع يحذر سامعيه من الخطر الحديق بالكنيسة فيما وراء البحار نتيجة لسقوط الرها ، ومديا رغبته في عبور جبال الالب ليستمطف ملكي الالمان والفرنسيين لاستنقاذها » .

Nersès : Op. Cit., p.p. 242 - 243.

(٢٩٧)

ففي الأبيات ٤٨٥ - ٤٨٨ ، ٥٣٣ - ٥٣٥ يقول
كنت متربعة على عرش فخم
كملك اعتلى مركبته
او ملكة رائدة الجمال
ولكن جاءت ساعة الخنة
وكل ما لسبع على من نعمة
زال واندثر

Michel : Op. Cit., p. 267, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. - (٢٩٨)
p. 270

انتهزوا فرصة قلة الحامية الزنكية بالمدينة وارادوا الايقاع بها .
لكن نائب زنكى بها اعلمه بذلك فانى مسرعا وعاقب هؤلاء بالقتل والصلب
والطرد (٢٩٩) .

٤ - رد الفعل من جانتب البابوية والغرب المسيحي :

انار استنجاد مسيحي الشرق بالبابوية ١١٤٥م فكرة الشروع في
اعداد حملة صليبية ثانية تتوجه لانقاذ الاراضي المقدسة في
الشرق (٣٠٠) . وقد حث على تنفيذ تلك الفكرة ملك فرنسا لويس
السادس ، الذي أعلن في يوم عيد الميلاد ١١٤٥م عن رغبته في انقاذ
الامارات المسيحية في الشرق وبعد ان أصبحت في حال يرثى له بعد
سقوط الرها (٣٠١) . وارسل الملك بالفعل بعثة الى البابا ليوجين
الثالث تحمل ذلك المعنى ، فلاقى الفكرة قبولا كبيرا لديه ، وعاد السفراء
الى فرنسا ومعهم خطاب من البابا يحث فيه الملك الفرنسي وشعبه على
تنفيذ ذلك ، واعدوا ايامهم بالعديد من الخدمات الكنسية وفي نفس الوقت
عين البابا مندوبيا عنه في تلك الحملة هو القديس برنارد Saint Bernard
(٣٠٢) .

مقتل عماد الدين زنكى :

على ان الاجل لم يهل زنكى حتى يستكمل فتح بقية امارة الرها ،

(٢٩٩) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ،
ص ٢ ص ٢٨١ : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ص ٦٠ مخطوط ص ٦٠
(م) ، Cahen : Op. Cit., p. 371 ويضيف المصدر والمراجع
الاخيرين اتصال جوسلين بهؤلاء الأرمن .

(٣٠٠) Charles-Hefele : Op. Cit., T. V, Part 1, p. 803, Edward
Maslin : The Middle Ages, p. 485, George Burton
Adames. Medieval and Modern Hist., p. 114,
Pasdermadjian : Op. Cit., p. 207, Archer : Op. Cit.,
p. 204, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٣٠١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 803 - 804.
Augustin Fliche : Hist. du Moyen Age, T. II, p. 542.

هنا يذكر (هيفل) ان رغبة ملك فرنسا هذه نبعت من رغبته في
اصلاح العلاقات بينه وبين البابوية والتي كانت قد ساءت منذ ١١٤٠م .

(٣٠٢) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p. 804.
من (Labbe : Concilia)

فلم يمر سوى سنة وتسعة أشهر تقريبا على سقوط الرها حتى قتل في
أوائل ربيع الآخر ٥٤١هـ ، منتصف سبتمبر ١١٤٦م (٣٠٣) . وذلك
أثناء حصاره لقلعه جعبر التي كانت بيد مالك بن سالم بن ماذن بن
بدر العقيلي (٣٠٤) . وكان زكي قد أرسل في ذلك الوقت أيضا
جيشا للاستيلاء على قلعة فنك من صاحبها الأمير حسام الدين الكردي
النسوي (٣٠٥) . ويبدو أن زكي كان لا يود ترك أية قلعة وسط
بلاد في يد قوة لا يطمئن إليها ، مبالغة منه في الحزم والاحتياط (٣٠٦) .
لكن بعض مماليكه اغتالوه وهو نائم لأسباب اختلف فيها (٣٠٧) . وبذلك

Michel : Op. Cit., p. 268, Jean Richard : Op. Cit., p. 46. (٣٠٣)

يذكر أن ذلك كان في ١٥ سبتمبر ١١٤٦م . أما جروسية
ورنسيان فيذكran أن ذلك كان في ١٤ سبتمبر .
Grousset : L'Empire, p. 224, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.
أما المصادر العربية فبعضها يذكر أنه توفي في الخامس من ربيع الآخر
٥٤١هـ وأنها ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ١٣ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣
ص ١٨ والبعض الآخر يذكر أن ذلك كان في السادس ربيع الآخر وأنها
ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٩ ، ابن العديم : زبدة
الطلب ، د ٢ ص ٢٨١ . في حين انفرد سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ،
د ١ ق ١ ص ١٦٠ . بالقول أن ذلك كان في يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع
الآخر . والراجع أن هذا الرأي الأخير غير صحيح .

(٣٠٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٨ ، أبو الفدا :
المختصر ، د ٣ ص ١٨ ، زامبور : معجم الأنساب ، د ٢ ص ٢٠٦ .
(٣٠٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٨ ، أبو الفدا :
المختصر ، د ٣ ص ١٨ . وقلعة فنك حصن مجاور لجزيرة ابن ممر وهو
للكراد البشنوية وكان له معهم حوالى ثلثمائة سنة (ابن الأثير : الباهر
ص ٧٣) .

(٣٠٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
د ١ ص ٩٨ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٠٧ .
(٣٠٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٤ ، ابن العديم : زبدة الطلب ،
د ٢ ص ٢٨٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٩ ، سبط بن
الجوزي : مرآة الزمان ، د ١ ق ١ ص ١٩٠ ، أبو شامة : الروضتين ،
د ١ ق ١ ص ١٠٨ . وقد ذكر ابن العديم أن سبط قتله أنه هدد
أحد خدمه المسمى (يرتقش) في النهار فلما كان الليل قتله . وفكر أيضا
أن زكي بعد أن نام نومه فرأى يرتقش يشرب هو وجعاعة من غلمانته
فضل شرابه فتوعدهم فأجمعوا على قتله . أما أبو شامة وسبط بن
الجوزي فيذكran أن سبط ذلك أنه كان إذا نغم من كبير أرواه وأقصاه
واستبقى ولده وخصاه . ولذا فيعد أن خصي جماعة من الغلمان بزحوة
وهو نائم .

خسر الاسلام بمقتله شخصيه من أهم الشخصيات الى تزعمت حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في الشرق في النصف الاول من القرن الثامن عشر للميلاد ، حتى قيل ان المسلمين قتلوا جميعا بقتله (٣٠٨) . وبهذا احدثت وفاته فرحة كبيرة بين الفرنج (٣٠٩) .

وبعد وفاة زنكي انقسمت مملكته الى قسمين . الشرقى ومقره الموصل تولى الحكم فيه ابنه الأكبر سيف الدين غازي بمساعدة جبال الدين محمد الأصفهاني ، والقسم الغربى ومقره حلب وفد آل الى نور الدين محمود بمساعدة صلاح الدين الأيوبياني (٣١٠) . ويمكن أبناء زنكي من المحافظة على ارث والدهم . ولم يلبث نور الدين ان حمل راية الجهاد ضد الفرنج بعد ابيه ، بل صار أكثر منه شدة في التصدي لهم ، مما جعل فرحة الفرنج بوفاته زنكي لاتدوم طويلا .

ضياع الرها واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦م - ٥٤١هـ :

لم تكذ اخبار وفاة زنكي تصل الى الفرنج حتى تجدد لديهم الأمل في استعادة الرها من المسلمين . كان جوسلين الثاني لايزال مقيما في تل باثر عندما علم بذلك الخبر فجمع حوله الفرنج وتقدم الى الرها ليسترجعها بعد أن تأكد من معاضدة مسيحي الرها - خاصة الأرمن - له في تلك الخطوة . واذا كانت غالبية المصادر العربية قد أكدت ان جوسلين هو الذى راسل أهل الرها واخذ موافقتهم

(٣٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٠٩) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 110.

(٣١٠) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ١٣ - ١٤ ، الباهر ص ٨٤ -

٨٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب د ٢ ص ٢٨٥ ، أبو شامة : الروضتين ،

د ١ ق ١ ص ١٠٨ - ١٠٩ . Michel : Op. Cit. p. 268. ويضيف

أبو شامة أن زنكى لم يترك هذين الولدين فقط بل كان له ايضا ولدين وبنتان والوالدين هما قطب الدين مودود وهو أبو الملوك بالموصل ونصرة الدين أمير أميران .

(٣١١) ابن القلائسي : السذيل ، ص ٢٨٨ . ابن الأثير : الكامل ،

د ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ ، ابن واصل : مرجع الكروب ، د ١

ص ١١٠ : سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩١ ، ابن

العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٩٠ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥

ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٨ .

على مساعدته في القيام بتلك الحركة (٣١١) . فان وليم الصوري ذكر ان اهالي الرها كان لهم التأثير الكبير في دفعه الى ذلك . ذلك انه اوضح ان زنكي كان قد ترك بالرها حامية قليلة العدد ، وكان السكان الموجودون بالمدينة آنذاك شديدي الاخلاص للمسيحية . لذا ارسلوا سرا الى جوسلين الثاني واخبروه انه باستثناء الانراك القليلين الذين كانوا يحرسون القلعة ، فان مدينتهم بيد الاهالي ، والحو عليه بشدة ان يجمع القوات ويسرع الى المدينة فيسلمها اليه الاهالي في الحال (٣١٢) .

والراجح ان رغبة جوسلين الثاني الجاحقة في استعادة امارته تضافرت مع التقرير المشجع الذي وصله عن الرها وطبيعة الدفاع منها في ذلك الوقت .

وكان ان تقدم جوسلين الى الرها مصحوبا بما تبقى له من فرسان فضلا عن بعض المشاة ، كما رآقعه بلدوين امير كيسوم ومرعش (٣١٣) . وبمجرد وصولهم الى الرها في ٢٧ اكتوبر ١١٤٦م - جمادى الآخرة ٥٤١هـ (٣١٤) . دخلوها فجأة أثناء الليل (٣١٥) . عن طريق تسلق المشاة لأسوارها بمساعدة سكانها الأرمن وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على برجين من أبراج المدينة ، ولم يلبث ان فتح هؤلاء المتسللون الابواب لبقية رفاقهم بما فيهم جوسلين وبلدوين (٣١٦)

William : Op. Cit., V. 2, p. 158. (٣١٢)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Michel : Op. Cit., (٣١٣)
p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar

Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist.

des Crois. p. 200, عن (Michel), p. 884 من

(L'Anonyme)

Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, (٣١٤)

p.884 (L'Anonyme) عن ٢٢٨ ابن القلائسي : الذيل ، ص ٢٢٨
وهنا اخطأ كل من الكاهن جريجوار وابن العسري في القول بأن
تلك الحركة كانت ١١٤٧م

(Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus

Op. Cit. V. 1, p. 273.)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160. (٣١٥)

Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. . (٣١٦)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist.

des Crois., V. 2, p.p. 200, 884.

وبمجرد دخولهم المدينة أعمل جوسلين ومن معه السيف في المدينة
بتهور (٣١٧) . فقتل كثيرا من المسلمين وهرب الباقون (٣١٨) ،
الى القلعة واحتلوا بها (٣١٩) .

عندئذ أرسل الأتراك الموجودون بالرها رسلا الى حلب
والموصل (٣٢٠) كما أرسل جوسلين رسلا تخير المسيحيين في كل
مكان بعودته الى الرها وتطلب في نفس الوقت التعزيزات . فكان لتلك
الأخبار اثرها الكبير السار بين المسيحيين . وكان سرورهم في تلك
المرّة لا يقل عن حزنهم العميق الذي أحسوا به عند فقد
الرها ١١٤٤م (٣٢١) .

لكن شاء حسن حظ المسلمين ان اهالى الرها كانوا لا يملكون
الا بعض القوات المحرومة من التموين منذ سنتين (٣٢٢) . هذا بالإضافة
الى ان جوسلين ورفاقه القليلين لم يحضروا معهم اى مهندسين ولا آلات
لالحصار (٣٢٣) ، ثم انهم انصرفوا بتهور الى السلب والنهب في أرجاء
المدينة ولم يركزوا جهدهم منذ البداية في الاستيلاء على القلعة (٣٢٤) ،
التي كانت محصنة بعناية ومجهزة تجهيزا جيدا بالمون والأسلحة
والجند (٣٢٥) .

وكان يمكن ان ترجع كفة المسيحيين ولو لفترة قصيرة ، لو ان بقية
الإمارات الصليبية سارعت ودمعت فرحتها وقذّك بتقديم المساعدة
الجديّة للرّها . لكن شيئا من هذا لم يحدث ولم يصل للرّها أية

William : Op. Cit., V. 2, p. 158. (٣١٧)

(٣١٨) ابن القلانسي : الخيل ، ص ٢٨٨ ، العيني : عقد الجمان ،
ج ١٦ ص ١٦٠ .

Michel : Op. Cit., p. 270; William : Op. Cit., V. 2, p. 158, (٣١٩)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

Michel : Op. Cit., p. 270. (٣٢٠)

William : Op. Cit., V. 2, p. 158. (٣٢١)

Zoé Op. Cit., p. 339. (٣٢٢)

William : Op Cit., V. 2, p. 158, Michaud : Op .Cit., V. 2, (٣٢٣)
p. 111.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 ع (L'Anonyme) (٣٢٤)

William : Op. Cit., V. 2, p. 158. (٣٢٥)

تمزيقات (٢٢٦) . وعلى ذلك فرغم سيطرته جوسلين على المدينة إلا أن « القلعة امتنعت عليه بمن فيها من المسلمين (٢٢٧) » .

وبمجرد هجرته نور الدين محمود بن زنكي أمير حلب بتلك الأخبار ، تقدم مسرعا إلى الرها لاستعادتها (٢٢٨) . على رأس قوة مكونة من عشرة آلاف فارس (٢٢٩) . جسدوا في السير حتى « وقعت الدواب في الطرقات من شدة السير » (٢٣٠) . وعندما وصلت القوات النورية إلى الرها شددت الحصار عليها ، وعندئذ أصبح جوسلين والحنفة القليلة من رجاله الفرنج إلى جانب أمالي الرها محصورين بين نارين (٢٣١) . نور الدين ورجاله من الخارج والأتراك الذين كانوا بالقلعة من الداخل ، سيف في الخارج ورعب في الداخل (٢٣٢) . لهذا فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسي ؟

الحقيقة أن غالبية المصادر العربية تشير إلى أنه عند اقتراب نور الدين بقواته من الرها « هرب جوسلين عائدا إلى بلاده (٢٣٣) » . أي أنه لم يحدث صدام بين الجانبين . لذا ابن القلائسي وهو المصدر

Michel : Op. Cit., p. 270, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, (٢٢٦)
p. 210, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٢٢٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٦ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ ،
ابن واصل ، فرج الكروب ، د ١ ص ١١١ ، يسيط بن الجوزي : مرآة
الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٩٠ ،
النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٤ ، أبو شامة : الروضتين ،
فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسي ؟

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Grousset : L'Emoi- (٢٢٨)
re, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p. 201, Zoé : Op.
Cit., p. 339.

Bar Hebraeus : Op. Cit., ص ٢٨٨ ،
Cit., V. 1, p. 273

(٢٣٠) ابن القلائسي : المصدر السابق ص ٢٨٨ ، أبو شامة :
الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٢٥ ، المعينى : عقد الجمان ، د ١ ص ١٦٠ .
William : Op. Cit., V. 2, p. 159, Grousset : Hist. des (٢٣١)

Crois., V. 2, p.p. 201, 202, 884, Zoé : Op. Cit., p.339,

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 111.

William : Op. Cit. V. 2, p. 159. (٢٣٢)

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٦ ص ١٤ ، الباهر ، ص ٨٦ ،

=

العربى المعاصر فيذكر أنه عندما قدم نور الدين وشدد حصاره على الرها اضطر جوسلين الى اللجوء الى أحد أبراج المدينة « ومعه عشرين ألف فارس » ، فنقب المسلمون عليهم البرج حتى اسقطوه وافلت جوسلين مع أصحابه (٣٣٤) . هذا في حين ذكر وليم الصوري ان المسيحيين قرروا بالاجماع ترك المدينة مع الخطرة بالموت اذ كان من الأفضل ان يواجهوا العدو ويشقوا لأنفسهم بالقوة طريقا للنجاة بدلا من ان يصروا على حصار يفنى فيه الجميع اما بالسيف او بالجماعة ، او يصبحوا عبيدا للأتراك (٣٣٥) . وبالفعل نفذ ذلك القرار في الثاني أو الثالث من نوفمبر ١١٤٦م (٣٣٦) ، مما جعل إقامة الفرنج في الرها في تلك المرة حوالى خمسة أيام أو ستة (٣٣٧) .

والواقع ان جوسلين كان لايزال موجودا بالرहा عند قدوم نور الدين اليها فلما اشتد تضيق نور الدين وقواته على الفرنج قرروا الرحيل عن المدينة خلسة . كذلك قرر اهالى الرها مغادرة المدينة سواء عن رضى أو عن غير رضى لأنهم كانوا متأكدين مما سيحل بهم من تنكيل اذا هم ظلوا مقيمين بالمدينة (٣٣٨) ، بعد ان تفكروا لمعدهم . ولن نتناول هنا بالتفصيل وضع اهل الرها عندئذ لأننا سنفصل الحديث عن الأهالى في الباب القادم .

ابن واصل : مغرج الكروب ، د ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٩٠ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٣٤) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٨ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٦ ص ١٦٠ يبدو ان العدد المذكور فيه شيء من المبالغة . William : Op. Cit., V. 2, p. 159. (٣٣٥)

(٣٣٦) (L'Anonyme) من 884 p. 2, V. 2, Hist. des Crois., Grousset : يذكر ان ذلك كان يوم السبت ٢ نوفمبر ويذكر نفس المؤلف في كتاب آخر ان ذلك كان في ٣ نوفمبر . (Grousset - L'Empire, p. 224) .

(٣٣٧) يفكر الكاهن جريجوار أن إقامة الفرنج بالرها كان خمسة أيام . (Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160) . أما ابن العبري فيقول ان ذلك كان ستة أيام .

(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273) . William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, (٣٣٨) Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grégoire Le Prêtre : p. 160, (L'Anonyme) ، من 884 p. 2, V. 2, Hist. des Crois., Grousset : Zoé : Op. Cit., p. 339.

وما أن بدأ جوسلين وفرنسله فضلا عن أهالي الرها يفادرون المدينة أثناء الليل حتى تتبعهم قوات نور الدين فسقط معظم الفرسان الفرنج وفر الباقون (٣٣٩) . وقتل بلدوين أمير مرعش في ذلك الوقت (٣٤٠) . في حين فر جوسلين الى سميساط (٣٤١) . بعد أن جرح في رقبته (٣٤٢) .

وهكذا دخل نور الدين الرها فنهبا وسبي أهلها ففر منها الكثير ولم يبق بها الا القليل (٣٤٣) . وبالرغم من أن الرها كانت ضمن ممتلكات سيف الدين غازي أخو نور الدين الا أنه عندما سبقه نور الدين اليها

Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus: Op. Cit., V. 1, (٣٣٩)
p. 273.

كانت مغادرة جوسلين للرها في الساعة الثالثة صباح ٣ نوفمبر وسط الظلام بعد أن كون طابور من الهاربين وضع بلدوين حاكم مرعش على مقدمته وكان هو يحمي المؤخرة
(L'Anonyme) عن Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 884-885.

Grégoire : Op. Cit., p. 160. (٣٤٠)

Michel : Op. Cit., p. 271.

William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit.,
V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885

عن (L'Anonyme)

ويذكر جريجوار أنه قتل رغم أقدامه البطولي ويفضل حزن الأرمن عليه بصورة مسببة

Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, (٣٤١)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit.,
V. 2, p. 885, Zoé : Op. Cit., p. 339.

Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., (٣٤٢)
V. 2, p. 240.

(٣٤٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ - ٨٧ ،
ابن واصل : مغزج الكروب د ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ،
د ٢ ص ٢٩٠ ، التوبري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٤ ، الفزى :
نهر الذهب ، د ٣ ص ٩١ . وهنسا يصور ميخائيل السرياني خراب الرها
في هذه المرة قائلا : أصبحت الرها خالية مسرلة بالسواد غارقة
بالدماء ، عفنة من جثث أبنائها وبناتها دخلتها الهوام والحيوانات المفترسة .
الأخرى ، لقتلت أثناء الليل بأجساد الرجال الأعزاء الذين قتلوا . ولم
يدخل المدينة أحد من الناس الا من كانوا ينشون لاكتشاف ثرواتها .
(Michel : Op. Cit., p. 272).

ونكل بمن قلموا بالحركة الأخيرة فيها واستعادها للمرة الثانية تركها
سيف الدين له ولم يعارضه فيها (٣٤٤) .

والحقيقة انه مهما تكن تفسيرات أسباب هزيمة الفرنج في الرها في
تلك المرة (٣٤٥) - ما ن ذلك لا يقال من شأن ذلك الفتح الثاني للمدينة ،
وهو الفتح الذي يعتبر نهائيا فضلا عن انه يشير الى حركة اسرداد
اسلامية كبرى (٣٤٦) .

ردود الفعل لمبقوط الرها ١١٤٦م - ١١٤١م :

كان استيلاء المسلمين على الرها للمرة الثانية ١١٤٦م أكثر ايلاما
بالنسبة للمسيحيين من فتجها الأول ١١٤٤م (٣٤٧) . فقد تأكد بهذا
الفتح استيلاء المسلمين عليها فضلا عما حل بأهلها جميعا تلك المرة من
نكيل شديد بعكس المرة السابقة التي كانت أخف وطأة .

ومع ذلك فان بقية الإمارات الصليبية لم تحاول تقديم أية نجدة
سريعة للرها ، حتى انطاكية الشديدة القرب جدا من اماره الرها
رفض أميرها تقديم أية مساعدة ، وبلك مسلحا اثنيا مع ما في ذلك
من خطر عليه . وبالفعل لم تمر سنة على ذلك حتى جرد نور الدين اماره
انطاكية من ارتاج وبذلك كثف الجانب الشمالي الشرقي لتلك الإمارة
وهو الجانب الذي أصبح معرضا للخطر من جانب المسلمين (٣٤٨) .

٢ (٣٤٤) ابن الأثير : الكامل : د ٩ ص ١٤ ، الباهر ، ص ٨٧ ،
ابن واصل : مفتح الكروب ، د ١ ص ١١١ ، سبط بن الجوزي :
مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٨ ،
(٣٤٥) يذكر أولخبرج أن سبب كارثة الرها في هذه المرة هو تهوور
جوسلين ونفاذ صبر رعاياه الأرمن الى جانب تهاون وإهمال رؤساء
الإمارات الصليبية الأخرى (Zoé : p.p. 339 - 340) أما ميخائيل
فيذكر عن ديونيسيوس الأمدى أن ذلك بسبب آثام أهالي الرها
(Michel : p. 273)

ويشارك ميخائيل في رأيه هذا ولیم الصوري
(William : Op. Cit., V. 2, p. 212)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 208. (٣٤٦)

William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Grousset : Op. Cit., V. 2, (٣٤٧)
p. 208.

Grousset : L'Empire, p. 225.

(٣٤٨)

وبرز حزن المعسكر المسيحي على فقدان الرها تلك المرة من خلال بعض قصائد الرثاء التي من أهمها تلك الأثرية التي كتبها ديونيسيوس الأمدي والتي يرجع فيها هزيمة المسيحيين في ذلك الوقت الى انهم عصوا ارشادات السيد المسيح ولم يطيعوه ، وانهم هم سبب ما يصيبهم من خير أو شر ، وان الرب يساعدكم اذا اتبعوا طريقة ، ويكون الشيطان الى جانبهم اذا انحرفوا للشر (٢٤٩) .

كذلك رثى ميخائيل السرياني الرها وأهلها الذين نكل بهم نور الدين وأخذ منه ذلك الرثاء ابن العبري في تاريخه (٣٥٠) . لكن اذا كان مسيحيو الشرق قد اكتفوا برثاء الرها ، فان اخبار سقوطها في تلك المرة كان له اعمق الأثر في الغرب ، وخاصة في ألمانيا وفرنسا حيث ارتفع صوت ينادي بحملة صليبية (٣٥١) ، بطريقة أكثر جدية وأكثر مرعة .

وقد رأينا انه منذ ١١٤٥م كان قد بدأ الاعداد بالفعل لحملة صليبية ثانية تتوجه للشرق لاسترداد الأماكن المقدسة ، فلما وصلت اخبار ضياع الرها للمرة الثانية وما صاحب ذلك من قتل وطرود المسيحيين ، بدأ الملك لويس السابع يبادل بعض الرسائل مع الأمراء الذين يقعون بلادهم على الطريق الذي ستمر به تلك الحملة الجديدة . هذا بالإضافة الى جهود القديس برنارد في الهب حماس بقية الغرب للدفاع عن تلك القضية المقدسة (٣٥٢) .

Michel : Op. Cit., p.p. 272-274. (Paroles d'extoriation (٢٤٩) qu'écrivit Dionysius d'Amide).

سنأتى مع الملاحق

Michel : Ibid., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. (٣٥٠) p. 273.

سنأتى مع الملاحق فهو يقول مثلا :
يا للحرسة على محابه الغيظ ، يوم بغير شفقة !
يا للليل الموت ونهار الجحيم : يوم التخريب ! الذي
اندفع على الاهالى البؤساء ! » .

Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 808-809, (٣٥١)

Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

Charles-Hefele - Op. Cit., p. 809. (I Vacandard . (٣٥٢)

Vie de Saint Bernard).

أما عن موقف الامبراطورية البيزنطية من سقوط الرها في المربعين
فيمكننا ان نستخلصه من خلال الخطابين اللذين ارسلهما الامبراطور
مانويل كومنين الى البابا ايوجين الثالث اغسطس ١١٤٦م ،
مارس ١١٤٧م (٣٥٣) .

ويفهم من الخطاب الاول ان البابا كان قد ارسل الى الامبراطور
البيزنطى مع رسل ملك فرنسا لويس السابع خطابا يحثه فيه على
المشاركة في تقديم المساعدة لحملة صليبية تنار لسقوط الرها ، عقب
سقوطها اول مرة . ثم ارسل اليه معاتبا على عدم رده عليه . والراجع
ان خطاب البابا الاول لم يصل للامبراطور ووصله الثانى فقط لذا
ففى الخطاب الاول للامبراطور مانويل (اغسطس ١١٤٦م) نجده يشكو
للبابا من انه لم تصله منه اية رسائل وانه كان مستعدا لتقديم المساعدة
الممكنة . بشرط ان يقدم الصليبيون له ولاءهم كما حدث في عهد جده
الكسيوس كومنين (٣٥٤) .

لكن البابا لم يرد على الامبراطور بسفارة جديدة ولا برسالة ، لذا
اسرع مانويل بالكتابة اليه مرة اخرى في مارس ١١٤٧م اى بعد سقوط
الرها للمرة الثانية ، وكان هذا هو خطابه الثانى الذى ابدى فيه
مانويل تعجبه من عدم رد البابا عليه بل انه عرض عليه اى اقتراح يروق
له حتى ولو كان الاتحاد بين الكنيستين البيزنطية والرومانية (٣٥٥) .

(٣٥٣) لم يظهر اية اشارة عن هذين الخطابين في المصادر التى ارخت
للحروب الصليبية حتى الحديث منها مثل كتاب جروسية وشالندون .
كانت النسخة الاولى للخطابين مكتوبة بماء الذهب ثم ترجمتا الى اللاتينية :
ثم ضاعت الترجمة اللاتينية . نشرت نسخة للخطابين بواسطة
Amaduzzi الى جانب عدة نسخ مخطوطة منه ما نقله Brial
في جامع التواريخ الغالية الى جانب نسخ كل من Theiner, Miklosich,
Pitra (V. Grumel . Deux Lettres de Manuel Comène au Pape,
Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 143)
(٣٥٤) اما عن محتويات الخطاب الاول فقد ذكرها المصدر السابق
(p. 144)

V. Grumel : Ibid : p. 157-159.
(٣٥٥)
هنا يعلق (جروميل) على اقتراح الامبراطور بقوله « كان الامبراطور ظن
هنا أن سبب عدم رد البابا عليه هو الانفصال الدينى بين كنيستى روما
وبيزنطة . لكن الحقيقة ان سبب تأخر الرد هو أن البابا شعر أن الامبراطور

والواقع أن امبراطور بيزنطة كان يعرض في ذلك الوقت معونته مشروطة بالشرط التقليدي وهو خضوع الحملة الصليبية المزعومة للامبراطور : لأنه لم ينس ما حدث من قبل من تنكر الصليبيين لما كانوا قد اتفقوا عليه مع جده . وفي نفس الوقت رغب الامبراطور أن تظل الممتلكات اللاتينية في الشرق بيد الصليبيين لا المسلمين وبذلك تسهل سيطرته عليها .

والحقيقة أن مسيحي الشرق ظلوا يضعون آمالهم الكبار في نجدة ثانيهم من جهة الغرب . وحتى بعد قدوم الحملة الصليبية الثانية بقيادة الامبراطور الألماني كونراد Conrad و الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII ، كان جوسلين الثاني يأمل في استعادة الرها كما كان ريموند أمير طرابلس يرغب في استرجاع بارين لذلك أرسل هذان الأميران إلى الملك الفرنسي أثناء وجوده في انطاكية بعض الخطابات محملة بالنوسلات هذا إلى جانب بعض الهدايا الغالية الثمن (٣٥٦) .

جبران الرها وبقياء الإمارة حتى أسر جوسلين الثاني :

بالرغم من استرداد نور الدين محمود لمدينة الرها في ١١٤٦م — ٥٤١هـ وبعض منغلقاتها ، فإنه لم يهدأ بل كان يسعى دائباً إلى استخلاص بقايا تلك الإمارة من يد أميرها الذي أضعفته تلك الضربة الثانية لإمارته . ففي ٥٤٣هـ — ١١٤٨م توجه نور الدين من حلب إلى أحد حصون جوسلين للاستيلاء عليه ، وعندئذ لم يجد جوسلين بدا من مسألة نور الدين والمثول بين يديه ، واستعمل من هدواته فرس عنده وخلق عليه (٣٥٧) . وربما استخدم نور الدين أسلوب المسألة عندئذ ليعيد لضربة أقوى فيها بعد . لكن إمارة الرها لم تسلم في ذلك الوقت من تهديد فرع إسلامي آخر ، ممثلاً في سلاطين قونية أو سلاطين الروم فقد تقدم السلطان مسعود الأول بن قلع أرسلان (٥١٠ — ٥٥١هـ / ١١١٦ — ١١٥٦م) جنوباً إلى شمال سوريا منتهازاً فرصة وفاة أمير انطاكية

كما يرغب في الاعتماد على مساعدة الصليبيين في حماية أراضي الإمبراطورية أكثر من استعادة الأراضي التي أخذت بواسطة الإنراك . وأنه كان يأمل في الحصول — عن طريق ضربة واحدة — على ما حصل عليه جده بعد أن بذل الكثير من التعب وبعد مرور وقت طويل « .

Zoé : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٦)

(٣٥٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ٤ ، مخطوط ص ٩١ (ب) .

ربوند ٥٤٤ - ١١٤٩م (٣٥٨) واستولى على مرعش التي كانت بلاقات تدافع عنها في ذلك الوقت (٣٥٩) . بعد وفاة أميرها بلدوين في ١١٤٦م . ثم تقدم السلطان بعد ذلك الى تل باشر وحاصرها رغم أن جوسلين الثاني وزوجته وأطفاله كانوا بداخلها (٣٦٠) .

هنا نجد رأيين مختلفين عن موقف جوسلين عندئذ . أحدهما يذكر أن الملك بلدوين الثالث أرسل نجدة إلى جوسلين من أنطاكية استطاعت أن تحمي عزاز التي كانت مهددة أيضا وقتئذ . ثم ساد السلام بين السلطان وجوسلين ورحل الأول عائدا إلى بلاده بينما توجه الثاني إلى أنطاكية ليشكر الملك على اهتمامه بمسألته (٣٦١) .

والرأي الثاني يذكر أن جوسلين لم يبد أي اهتمام بجمع فرسانه واكتفى بإرسال القوات التي بقيت لديه مع الأمير باسيل أخو (جريجوار الثالث) حاكم كركر ، وأمرهم بحمل المؤن والامدادات للمكان المحاصر ، لكن قوات قرا أرسلان الأرتقي ياغتتهم وأسرتهم جميعا ومن جعلتهم الأمير باسيل ، وقادهم أمام قلعة كركر التي كانت بها زوجة باسيل وأطفاله ، عندئذ تخلى لهم عن المكان في مقابل إطلاقهم للأسرى في أمان وتم اتفاق ودي بين الجانبين . وعندئذ تقدم جوسلين إلى أنطاكية لطلب نجدة لكنه أسر في الطريق (٣٦٢) .

ومهما اختلف الآراء فإن إمارة الرها خسرت جزءا آخر من أراضيها هو مرعش انتقل إلى سلاطين الروم فضلا عن أن تل باشر تعرضت للتهديد ولكنها ظلت بأيدي الفرنج لفترة قصيرة بعد ذلك كما سنرى .

William : Op. Cit., V. 2, p. 200. (٣٥٨)

ويذكر ابن الأثير : الباهر ص ٩٩ أن أمير أنطاكية توفي ٥٤٤هـ أثناء حصار نور الدين لحصن انب (وهو حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب) .

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 163. (٣٥٩)

ولكنه يذكر أن ذلك كان ٥٤٣هـ - ١١٤٩م والراجع أنها ٥٤٤هـ لأنه قام بحمله هذه بعد وفاة أمير أنطاكية

William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

والراجع أن حصار مسعود لتل باشر كان في ٥٤٥هـ استنادا إلى رأي بن العماد الاصفهاني : تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٠٦ .

Willam : Ibid., V. 2, p. 200. (٣٦١)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p.p. 163 - 164. (٣٦٠)

أسر جوسلين الثاني :

اختلفت المصادر العربية في السنة التي أسر فيها جوسلين كما اختلفت أيضا في الطريقة التي أسر بها فمن ناحية تاريخ أسره ، نجد فريقا ينكر أن ذلك حدث ٥٤٥هـ (٣٦٣) . (١١٥٠ م) والبعض يذكر أنه كان ٥٤٦هـ (٣٦٤) . (١١٥١ م) وفريق ثالث يقول ٥٤٤هـ (٣٦٥) (١١٤٩ م) . والراجح أن ذلك كان ٥٤٥هـ (١١٥٠ م) استنادا لرأى ابن القلانسي (٣٦٦) . ذلك أن نور الدين دس لجوسلين بعض التركمان فأسروه لأنه كان « شديد المداوة للملة الإسلامية ، كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفي بعهده (٣٦٧) » . هذا بالإضافة إلى أن نور الدين كان قد جمع قواته وقصد محاربة جوسلين فهزم المسلمين وأسر عددا كبيرا منهم من جبلتهم « سلاح دار » نور الدين ، فأخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين وأرسله إلى والد زوجة نور الدين ، السلطان مسعود بن قلع أرسلان قائلا « هذا سلاح زوج ابنتك وسينائك بصدده ما أعظم منه (٣٦٨) » . وهو يقصد بالطبع أنه سيأتيه

(٢٦٣) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الطب ، ص ٢ ص ٣٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ص ٢٢ (١) ابن قاضي شهبة : الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥هـ .

(٢٦٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ١٢٣ النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ٢٢٩ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥٤٦هـ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ .

(٢٦٥) الذهبي : المعبر ، د ٤ ص ١٢١ ، ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ، ص ٥٥٤ .
(William : Op. Cit., V. 2, p. 201). (٣٦٦)

يوافق هذا التاريخ ٥ مايو ١١٥٠م

(٢٦٧) ابن الأثير : الباهر ص ١٠٢ .

(٣٦٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠١ - ١٠٢ ، الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب د ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٩ ، ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ٣٠١ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، أحداث ٥٤٦هـ ، أبو الفدا : المختصر د ٣ ص ٢٣ .

بعد ذلك بنور الدين نفسه . فلما علم نور الدين بذلك سمم على الانتقام من جوسلين فأحضر جباة من التركمان « ويذل لهم الرغائب » أن هم ظفروا بجوسلين وسلموه إليه إما قتيلا أو أسيرا (٣٦٩) .

وفي أحد الأيام خرج جوسلين في بعض رفاقه أما للصيد (٣٧٠) أو لطلب التجارة من انطاكية فسد السلطان مسعود (٣٧١) . وقيل أيضا أنه قصد انطاكية « مقويا » لاهلها من الفرنج (٣٧٢) وكان التركمان الذين اتفق معهم نور الدين يراقبون تحركاته فأسروه .

هنا تختلف الروايات عن أسره (٣٧٣) لكنها تتفق في أنه بعد أسره سيق في أسلاله إلى حلب فقتل في السجن سنواته الأخيرة حتى مات (٣٧٤) . وقد قرح المسلمون كثيرا بأسره وحزن المسيحيون حزنا شديدا لذلك (٣٧٥) .

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ .
(٣٧٠) ابن الأثير : المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٣٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ١٢٣ ، ابن السكينة : الدر المنقب ، ص ٢١٩ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، أحداث ٥٤٦ هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية د ١٢ ص ٢٢٩ ، أبو الفدا ، د ٣ ص ٢٣ .
(٣٧١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164.
(٣٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٥ ص ٣٢ (١) .
(٣٧٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٣٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ١٢٤ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ٢٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٥ ص ٣٢ (ب) ، ابن قاضي شسبية : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥ هـ ، ابن أيك : كنز الدرر د ٦ ص ٥٥٥ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164, William : Ibid., (٣٧٤)

V. 2, p. 201, Bar Hebraeus : V. 1, pp. 276 - 277.

(٣٧٥) ابن التلنسي : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ٢٣

William : Ibid., V. 2, p. 201. Gibb : Op. Cit., p. 300.

اندثار إمارة الرها بعد أسر جوسلين :

وبعد أسر جوسلين وضاع الفرنج الموجودون في تل باشر ابنه الذي كان لا يزال صغيرا مكانه ، وكان يدعى جوسلين أيضا (٣٧٦) . وبذلك فقدت تل باشر أميرها القوى وأصبحت هدفا للمسلمين أكثر من ذي قبل .

ذلك أنه حدث بعد أسر جوسلين مباشرة أن تقدم نور الدين بقواته إلى عزاز فحاصرها وأستولى عليها في ربيع الأول ٥٥٤٥ هـ ١١٥٠ م بالأمان ، رغم ما كانت تتمتع به من حصانة فائقة . وبعد أن رتب بها من ينظم أمورها رحل عنها إلى حلب (٣٧٧) .

ولما رأت زوجة جوسلين أن المسلمين سيفتزعون بقية الإمارة قطعة بعد أخرى اختارت ادخالها تحت نفوذ المسيحيين . لذلك تنازلت في نفس ١١٥٠ م عن قلعة الروم إلى جرجوار الثالث الكاثوليكوس ١١١٣ م - ١١٦٦ م ، فأصبحت تلك القلعة مقرا لأتباعه حتى ١٢٩٢ م عندما انتزعها منهم سلاطين المماليك في مصر (٣٧٨) .

-- (٣٧٦) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 277.

لذلك أصبحت أمة بياتريس وصية عليه وأصبحت المتصرفة الحقيقية في شئون بقية الإمارة .

(٣٧٧) ابن القلائسي : السبيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٣٠٢ - ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ، ص ٢٢٨ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٨١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٥ ص ١٨ (١) تاريخ أبو الهيجاء ، مخطوط ، د (حوادث ٥٥٤٥ هـ) العيني : عقد الجمان د ١٦ م ١ ص ٢٠٥ ، Gibb : Op. Cit., p.p. 300-301 (وقد انفرد ابن الفرات بالقول بأن ذلك كان ٥٥٤٤ هـ ولكن الراجح أن التاريخ غير صحيح) .

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.

(٣٧٨) هنا يشير مصدر آخر إلى أن التنازل عن قلعة الروم كان ١١٤٧ م ولكن هذا التاريخ خطأ لأنه قبل أسر جوسلين نفسه .

A. Vacant E. Mangenot, E. Amann : Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Part 2, p. 1902 (Paris 1923).

كذلك عندما علم الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول بأن حالة الرها تبوءت على اليأس أرسل ١١٥٠م - ٥٤٥هـ إلى زوجة جوسلين بعض الرسل يحملون لها معونة ضخمة ويعرضون عليها تسليم بقية ممتلكاتها للبيزنطيين في مقابل دخل سنوي لها ولأولادها عندئذ وافقت الأميرة على تلك الشروط (٣٧٩) ، بعد استشارة الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقدس الذي فضل هو ورجال مملكته أن تنتقل تلك المناطق إلى حوزة البيزنطيين عن أن تسقط في قبضة المسلمين (٣٨٠) . وهكذا تسلم البيزنطيون بقليا إمارة الرها . أما غالبية سكانها ومعهم زوجة جوسلين وأولاده فقد صحبهم الملك بلدوين الثالث معه إلى بيت المقدس بعد مصاعب جبة لحقت بهم في الطريق (٣٨١) .

على أن انتقل بقليا إمارة الرها إلى أيدي البيزنطيين شجع نور الدين بصورة أكبر على المضي في طريقه لاستخلاص كافة أرجاء تلك الإمارة المحاطة ووضعها تحت سلطة المسلمين . هذا إلى أن البيزنطيين الذين عهد اليهم مهمة حملية ذلك الحطام الرهوي كانوا غير راغبين في الحرب ، مما جعل نور الدين يشدد هجماته عليهم حتى اضطروهم إلى

William : Op. Cit , V. 2, p. 208, Zoé : Op. Cit., p. 355, (٣٧٩)

Archer : Op. Cit., p.p. 205 - 206, E.R. Hayes : Op. Cit.,
p. 290, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 373. (1936).

Zoé : Op. Cit., p. 355. (٣٨٠)

هنا يذكر شالندون أن إمارة الرها اختفت تماما في ١١٥٢م بعد أن نخلي عنها لإمبراطور بيزنطة . ولكن الراجح أن ذلك كان ١١٥٠م كما ذكر وليم الصوري ، وأنه في ١١٥٢م كانت الغالبية العظمى من أراضي الإمارة قد استعادها نور الدين كما سنرى .

(F. Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 295).

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 210 - 212, E.R. Hayes : Op. (٣٨١)

Cit., p. 290, Zoé : Op. Cit., p. 355.

أما أرشية فيذكر أن زوجة جوسلين لجأت إلى أنطاكية في حين يشبر (أمورجا) إلى أنها توجهت إلى مرعش . لكن الرايين خاطئين .

Archer : Op. Cit., p. 206,

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 88.

الانسحاب عن تلك الاراضي التي ضحوا من اجلها منذ قليل بالاموال
الكثيرة (٣٨٢) .

ففى ٥٤٦هـ - ١١٥١م استولى نور الدين بالامن على تل بلشر وعهد
بشئونها الى الامير حسان المنبجى (٣٨٣) . وفى ٥٤٧هـ - ١١٥٢م
حاول الفرنج الوقوف في وجه نور الدين فجمعوا قواتهم وتوجهوا اليه
وهو في تلوك - احدى المدن التي كانت تابعة لجوسلين الثانى -
فدار بين الجانبين قتال شديد قتل واسر فيه كثير من الجانبين ولكن
الغلبة في النهاية كانت لقوات نور الدين فاستولى عليها (٣٨٤) .

واخيرا استكمل نور الدين بعد ذلك الاستيلاء على بقية حطام
امارة الرها (٣٨٥) . فاستولى على عين تاب وتل خالد وقورس
والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وحصن بسرفوت بجبل بنى
عليم وكفر لاثا وكفر سود ونهر الجوز (٣٨٦) . وكان نور الدين اذا فتح

(٣٨٢) William : Op. Cit , V, 2, p. 212, Zo6 : Op. Cit., p. 355.
(٣٨٣) ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن الفرات :
مخطوط د ٥ ص ٣٧ (ب) ، ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط ،
ص ٣٦٨ ، تاريخ ابو الهيجاء ، د ١ حوادث ٥٤٦هـ . لكن هناك بعض
المصادر ذكرت تواريخ خاطئة لفتح تل بلشر مثل التاريخ المظفرى ، مخطوط .
رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٤٤هـ (ذكر ان ذلك كان ٥٤٤هـ) في حين ذكر
الطباق الحلى : اعلام النبلاء ، د ٢ ص ٢٥ ان ذلك كان (٥٤٩ - ٥٥٠هـ) .
(٣٨٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٣٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ
الدول والملوك ، د ٥ ص ٥٠ (١) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١
ص ١٢٥ ، النويرى : نهاية الارب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ اما ابن شداد :
الاعلاق الخطيرة ، د ١ ميكروفيلم حوادث ٥٥٥هـ فقد اخطأ في القول بان
ذلك كان ٥٥٥هـ .

(٣٨٥) Bréhier : Vie et Mort, Op. Cit., p. 329,

ابن كثير : البداية والنهاية د ١٢ ص ٢٢٩ .
(٣٨٦) ابن الاثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الناهر ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ،
ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ١٢٤ ، النويرى ، نهاية الارب ،
د ٢٥ ورقة ٥٦ ، ابو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ابو الفدا :
المختصر ، د ٣ ص ٢٣ ، ابن السخنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، روض
الناظر ، مخطوط أحداث ٥٤٦هـ .

حصنا لا يرحل عنه حتى يضع فيه حاميات وذخائر تكفيه لمدة عشر سنوات « خوفا من نمرة تتجدد للفرنج على المسلمين فتكون حصونهم مستعدة غير محتاجة الى شيء (٢٨٧) » .

هكذا قضى نور الدين محمود بن زنكى على امارة الرها الصليبية واثبت للفرنج انه اشد اصرارا من ابيه على الجهاد . ويقضائه على تلك الامارة سقط الذرع الواقى الشرقى لبقية الامارات الصليبية في الشرق وبدأت حركة افاقة اسلامية كبرى .

(٢٨٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٣ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٨٥ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ، ص ٢٣ .

الباب الرابع

اوضاع امارة الرها الداخلية والحضارية

يتناول هذا الباب :

- (أ) طبقات المجتمع في الإمارة .
- (ب) الحياة الاقتصادية .
- (ج) كنيسة الرها والحياة الدينية .

طبقات المجتمع :

كان غالبية سكان امارة الرها عند قدوم الصليبيين ممثلين في المسيحيين الشرقيين ، الأرمن والسريان ، اتى جانب قلة من المسلمين كانوا مركزين في مدينة سروج بالذات (١) .

اما الأرمن فكانوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان الرها (٢) .
والراجع أن زيادة عددهم بها يرجع الى الغزو السلجوقي لأرمينيا في القرن الحادى عشر الميلادى اذ لجأ اليها الكثير منهم في ذلك الوقت ومعهم ثرواتهم (٣) .

(١) William : Op. Cit., V. 1,, p. 194,

سعيد عاشور : الحركة ، د ١ من ٢٢٧
هنا يذكر وليم الصورى أن سروج كانت ممتلئة بالمسلمين الى درجة
النفضان .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ من ٢٠٤ : النويرى : نهاية الأرب ،
د ٢٦ ورقة ٧٧ ،

Lammens : La Syrie, V. 1, p. 255, Grousset : L'Empire,
p. 295.

(٣) Michaud : Op. Cit., V. 1, p 241, Encyclopaedia
Britannica V. 7, p 954.

كان مسيحيو الرها يتكلمون باللهجة السريانية الرهوية وعلى امصح
اللهجات الآرامية السامية (٤) .

ويقام اماره الرها السليبية انضم الى العناصر السكانية السابقة
عنصر جديد هم الصليبيون الغربيون الذين سبق ان بينا كيف بدأوا باعداد
قليلة كانت قد صحبت يلدوين دى بوايون عند دخوله الرها (٥) ،
ثم ازدادت اعدادهم قبا بعد بمن انضم اليهم من الصليبيين الذين كانوا
قد سئموا من حصارهم لانطاكية آنذاك ففضلوا الانجاء الى الرها
والاستقرار فيها (٦) . وهناك « أصبح من كان فقيرا منهم يعيش في رخاء
وسعة ومن كان لايملك قرية أصبح سيدا لاحدى المدن (٧) » .

وعلى الرغم من أن عدد الفرنج في اماره الرها كان اصغر من عددهم

(٤) اغناطيوس افرايم الثانى : مقالة في سورية ، ص ٢٠ - ٢٣ .
وهو يذكر أن من فروع اللغة السامية اللغة الآرامية وهي تشمل لهجات
شتى النينقية والتدمرية والرهاوية والفلسطينية والنحوية والنبطية . وقد
كتشفت كتابات شتى بالمرقراطية الرهاوية بعد أن نشرها المستشرق
بونبون في جامع الكتابات السامية (Inscriptions Sémitiques)
ويؤكد اختلاف اللهجة الرهاوية عن اللهجة الفلسطينية «افكره» (بوركيت)
من أن سكان الرها كانوا يتكلمون لغة آرامية قريبة ولكنها ليست مماثلة
لذلك المتكلم بها في فلسطين . (Burkitt : Op. Cit., p. 7).

(٥) Matieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae,

Liber III, T. 4, p. 352, Michaud : Op. Cit., V. 1,

p. 242, Jean Richard : Op. Cit., p. 25, Archer : Op.

Cit., p. 62.

Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., T. 4, p. 435, (٦)

Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234, Michaud:

Op. Cit., V. 1, p. 248, Runciman : Op. Cit., V. 1,

p. 208, Jean Richard : Op. Cit., p. 27, Zoé : Op.

Cit., p. 141.

وكان من بين النبلاء الذين قدموا الى الرها مع عدد كبير من الفرسان
والنساء الأقل مرتبة

"Drogo de Nahella, Reinardus de Tul, Castus de Bederz"

(Alberti : Op. Cit., Liber V. 1, T. 4, p. 441).

Zoé : Op. Cit., p. 226. عن (Foulcher).

(٧)

في أبة إمارة صليبية أخرى (٨) ، إلا أن ذلك لم يحل دون قيام أرستقراطية عسكرية فرنجية في الرها حكمت شعبها المنصرف الى الاشتغال بالتجارة والزراعة (٩) . وكانت السمة البارزة لإمارة الرها الصليبية خلال فترة قبيلها التي امتدت حوالى نصف قرن تقريبا ، أنها كانت إمارة فرنجية أرمنية (١٠) ، وأنها عانت كثيرا من عدم تجانس سكانها (١١) .

التزاوج بين سكان الرها الوطنيين والصليبيين الغربيين :

وقد دعمت الصيغة الأرمنية الفرنجية في إمارة الرها عن طريق الزيجات المختلفة بين الجانبين ، وهى الظاهرة التى بدأها بلدوين البولوني ثم سار على نفس المنوال كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتشاي (١٢) .

والواقع أن غالبية الأمراء الصليبيين القادمين الى الشرق كانوا قد اصطحبوا معهم عائلاتهم الى الأرض المقدسة . وإذا مات الأزواج المحاربون في الحرب فإن الشبان العزاب الأصغر سنا ، كانوا يتخفون من أرامل أولئك المحاربين زوجات لهم وانتشرت هذه الظاهرة في الإمارات الصليبية في المشرق فبدأ الرها التى تزوج أمراؤها الصليبيون من بنات الأمراء الأرمن رويان وثوروس وليون (١٣) . وقيل أن انطلاقية شاركت الرها في تلك الظاهرة الى حد ما فانتشرت الزيجات بين الأمراء الفرنج من ناحية وبين بنات الأمراء الأرمن الاتطاعيين نوى الكتلة العالية والشديدي الاحتكاك بالفرنج في الحياة السياسية والعسكرية من ناحية أخرى (١٤) .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 369, Prawer : Op. Cit., T. 1, (٨)
p. 288.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67. (٩)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ١٨٧ ،
هنا يذكر أولاد نبرج أن أرستقراطية الرها الفرنجية كانت
تتكون من الفالون والفلامند
Wallonne, Flamande
(Zoé : Op. Cit., p. 227). (١٠)

Grousset : L'Empire, p. 316.
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٤٣٧ . (١١)

Grousset : L'Empire, p. 316, Charles Rous : France et (١٢)
Chrétien d'Orient, p.p. 20 — 21.

Zoé : Op. Cit., p. 300. (١٣)

Lammens : La Syrie, V. 1, p. 241. (١٤)

لكن ذلك لايعنى ان الصليبيين اقتصرُوا في زواجهم على الأرمنيّات فقط بل اتخذوا زوجات سريانيّات أو مسلمات بعد ان تنصروا (١٥) ، والواقع اننا نستبعد فكرة تنصر المسلمات . ونتيجة لزواج الصليبيين من الوطنيات نشأ جبل جديد عرف باسم (الأبراخ Poullains (١٦) . ومن أبرز أمثلة هذا الجبل بالنسبة لإمارة الرها الأمير جوملين الثانى .

وإذا كانت أواصر المودة قد ازدادت في الرها بين السكان الوطنيين الأرمن وبين الصليبيين عن طريق الزواج ، فإن العلاقات بين الحكام والحكومين لم تكن ودية على طول الخط . ولم يكن الأرمن دائماً مخلصين لحكامهم الغربيين وربما كان هذا هو سبب التقدم البطيء لتلك الإمارة بالنسبة لبقية الإمارات الأخرى (١٧) .

هذه هى لحظة عامة عن أهالى الرها ككل وعلاقتهم بالصليبيين داخل الإمارة . ولكى يسهل علينا التعرف على موقف الأهالى في مراحل تطور الإمارة المختلفة سنحاول دراسة ذلك وفقاً لفترات حكم أمراء الرها المختلفين ، حتى نصل في النهاية الى مصير الأهالى الوطنيين بعد انتهاء تلك الإمارة .

والحقيقة ان الأرمن فازوا بتصويب الأسد في تلك الدراسة بوصفهم كانوا الغالبية العظمى من السكان ، ولكن ذلك لا يمنع من التعرض للعناصر السكانية الأخرى في الإمارة بقدر ما نستعنتا به المصادر والمراجع المختلفة .

أهالى الرها وبلدوين البولونى (١٠٩٨ - ١١٠٠ م) :

رأينا انه منذ اللحظة الأولى لدخول بلدوين البولونى الرها تلقاه الأهالى بفرحة زائدة واستقبلوه استقبالا حاراً اشترك فيه كل أفراد الشعب وعلى رأسهم ثيودوس . وقد اناضت المصادر المعاصرة والمراجع التى

(١٥) هنا يذكر الأب لامانس أن فولشر دى شارنر قال « أننا أصبحنا شرقيين لأننا لم نتخذ زوجات من بلادنا بل تزوجنا إما سريانية أو أرمينية أو مسجلة بعد أن تنصرت »

(Lammens : Ibid., V. 1, p. 242).

(١٦) فيليب حتى : العرب ، ص ٢٢٣ . Lammens : Ibid., p. 241.

(١٧) Prawer : Op.Cit., T. 1, p. 288.

أخفت عنها في وصف ذلك الاستقبال الرائع (١٨) : إذ استقبل كمنفذ
وسحر للأهالي ولأميرهم (١٩) . وربما اختلفت نظرة كلا الطرفين عندئذ
فبينما نظر اليه ثوروس كمنفذ له من أعدائه الأتراك المحيطين به ، يبدو أن
الأهالي نظروا اليه تلك النظرة أيضا إلى جانب رغبتهم في التحرر من
أميرهم الأرمني الذي اتبع مذهب كنيسة القسطنطينية (٢٠) . ولذا لم
يبد أهالي الرها أي اعتراض على دخول الصليبيين إلى بلادهم ، ويتضح
ذلك أكثر عندما ظهرت نوايا ثوروس في استخدام بلدوين كجندي
مرتزق (٢١) . إذ رفض بلدوين ذلك الوسيط وهدد بالانسحاب من
الرها (٢٢) . وعندئذ تدخل الأهالي والنخوة على حاكمهم بالا يسمح
لبلدوين بالرحيل (٢٣) . بل قيل أنهم هم الذين أجبروا ثوروس
على تبنيه (٢٤) . وبالفعل تم ذلك سواء عن رضى من حاكمهم أو عن غير

-
- Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historia (١٨)
Liber III... T. 4, p. 352, William : Op. Cit., V. 1,
p. 191, Chalandon : Hist. de la première Crois.,
p. 175, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Grousset :
Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit., V. 1,
p. 242 Harold Lamb : Op. Cit., p. 148.
J. Praver : Op. Cit., T. 1, p. 208, Michaud : Op. Cit., (١٩)
V. 1, p. 242.
Zaqé : Op. Cit., p. 139, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206 (٢٠)
Alberti Aquensis : Historia, Liber III., T. 4, p. 353, (٢١)
William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Michaud : Op. Cit.,
V. 1, p. 243.
Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, (٢٢)
Grousset : L'Empire, p. 204, L'Épopée, p.p. 56 — 57,
Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.
Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191 (٢٣)
Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.
William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Cahen : Op. Cit., p. 210 (٢٤)
Duval : Op. Cit., p. 278, Archer : Op. Cit., p. 61.
وهنا يذكر (ستون) أنه كان هناك بعض الأرمن الذين كانوا قليلي الارتياح
لبنى ثوروس لبلدوين (Seton : Op. Cit., V. 1, p. 303).

رضى (٢٥) ، فابتهج الأهالي واحسوا بالطمأنينة في حماية بلدوين (٢٦) .

وكان ان اتجه أهل الرها بعد ذلك الى باهو ايمد ، فتمجلوا التخلّص من اميرهم الأرمني (٢٧) . للأسباب التي اشرنا اليها من قبل ووضعوا مكانه بلدوين (٢٨) الذي أصبح ونقاً لرغبهم أول امير صليبي لأول إمارة صليبية في المشرق .

في بداية حكم بلدوين لإمارة الرها خضع له أهلها واخلصوا له واقسموا له يمين الوفاء (٢٩) . بل لقد كانوا مستعدين للحرب حتى الموت من أجل سعادته ومجده (٣٠) . لذلك صحبته فرقة عسكرية أرمنية ١٠٩٨م الى انطاكية لمساعدة الصليبيين الحاصرين للمدينة (٣١) كما ساعده الأرمن أيضا في حملته التي توجه بها الى سيمساط في بداية حكمه للرها في ١٠٩٨م والتي استطاع عن طريقها ان يرد الى الرها عددا كبيرا من الرهائن الذين كان بك الدانشمندى قد احتجزهم في قلعة سيمساط ، مما زاد من شعبية بلدوين (٣٢) .

وازدادت اواصر المودة بين بلدوين البولوني وبين الأرمن في الرها قوة بعد زواجه من الأميرة الأرمنية اردا (٣٣) . لكن تلك العلاقات الودية

Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191 (٢٥)

William : Ibid., V. 1, p. 191 . (٢٦)

Alberti : Op. Cit., p. 353, William, Op. Cit., V. 1, (٢٧)

pp. 193 — 194, Mattieu : Op. Cit., p. 38, Bréhier:

L'Eglise, p. 77, Duval : Op. Cit., p. 278, Michaud :

Op. Cit., V. 1, p. 246.

Alberti : Op. Cit., p. 355, Fulcherii : Op. Cit.,... T. 4, (٢٨)

p. 339, Cahen : Op. Cit., p. 211, Grousset : Hist.

des Crois., V. 1, p. 59.

Alberti : Op. Cit., Liber III. ... T. 4, p. 355. (٢٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 194. (٣٠)

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201. (٣١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit., (٣٢)

V. 1, p. 208 عن (Albert).

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 433, Alberti : Op. Cit. T. 4, (٣٣)

p. 361, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372, Grousset :

L'Epopée : p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1. p. 64

مرعان ما انتقلت الى كره وعداء من جانب الاهالى الوطنيين لبلدوين عندما فتح ابواب الأبرة على مصاريعها لرفاقه الصليبيين واعدق عليهم ثروات البلاد (٢٤) . في الوقت الذى نحى الاهالى الاصليين وزعماءهم جانبا واستغنى عن مشورتهم مفضلا عليهم الفرسان الفرنج الذين احتقروهم (٢٥) .

لذا دير الاهالى في الرها مؤامرة في ٩٨٠م للتخلص من بلدوين او لطرده من البلاد (٢٦) . لكن المؤامرة انكشفت لبلدوين عن طريق احد الارمن الذين ظلوا مخلصين للصليبيين (٢٧) . وعندئذ امر بلدوين بانزال اشدد العقوبات بالمتآمرين (٢٨) . وهكذا أخف اهالى الرها الارمن والسريان ينظرون الى بلدوين على أنه « طاغية نط عنيف وجشع » (٢٩) . وندموا لتأييده في حكمه عليهم (٤٠) ، بل أن الارمن الذين قاسوا كثيرا من الاحتقار والاضطهاد الدينى من جانب البيزنطيين ، وجئوا في فرسان

(٢٤) يذكر آرتسية بالاضافة الى ذلك أن الكثير من مؤن البلاد وشرواتها نقلت الى المسلمين الملاحمين لانطاكية مما سبب خسفا شديدا على اهالى الرها .
(Archer : Op. Cit., p. 68).

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber V. T. 4, p. 442, (٢٥)
William : Op. Cit., V. 1, p. 305, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 66, L'Empire, p. 205 Runciman .
Op. Cit., V. 1, p. 211, Zoé : Op. Cit., p. 142.

Albert : Op. Cit., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p.p. (٢٦)
305 — 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67,
L'Épopée, p. 58.

(٢٧) ويمسبه البرت هنا انزو (Enxhu أو Enzhu)
Alberti : Op. Cit., p. 442, Grousset : Hist. des Crois.,
V 1, p. 67.

Alberti : Op. Cit., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, (٢٨)
p 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67,

L'Empire, p p 205, 297, L'Épopée, p. 581, Zoé : Op.
Cit., p. 141.

Zoé . Op. Cit., p. 230. (٢٩)

Alberti . Op. Cit., Liber V, T. 4, p 442, William : Op. (٤٠)
Cit , V 1, p. 305.

الدرنج خصنا لا يقل خشونة عن البيزنطيين (٤١) .

وبهذا اتضحت حقيقة مشاعر بلدوين البولوني لأهالي الرها ، ولم يستطيعوا معارضته بصورة جهرية لشدة بطشه بين قلوبهم بالمؤامرة السابقة ، ولذا كظم الأهالي غيظهم في سكوت ، حتى انتهت فترة إمارة بلدوين على الرها وتوجه : ١١٠٠م الى بيت المقدس ليحتل عرشها . ولكن قبل رحيله القتل كامل أهالي الإمارة بالخرائب المختلفة وابتز كثيرا من أموالهم ليدير بها نفقات سفره الى القدس (٤٢) .

أهالي الرها وبلدوين دى بورج ١١٠٠ - ١١١٨م :

وعندما تولى بلدوين دى بورج حكم الرها عمل على استرضاء الأرمن والتقرب اليهم وتحقيق نوع من التآلف بينهم وبين الصليبيين الغربيين ، كي يعيد الثقة في الحكم الصليبي الى نفوسهم ويحوا الأثر السيء الذي تركه بلدوين البولوني في نفوسهم (٤٣) . وكان أن نجح في مصلحته هذه واستحوذ على مشاعر الأهالي الصاعدة (٤٤) . وذلك بوسيلتين : الأولى زواجه من الأميرة مورفيا الأرمنية (٤٥) ، والثانية تقوية الروابط الودية بينه وبين الكنيسة الأرمنية (٤٦) .

وقد برزت أولى المساعدات الحقيقية التي قدمها أهالي الرها لبلدوين في معركة حران ، إذ شاركه فيها مجموعة كبيرة من القوات الأرمنية (٤٧) . التي قتل معظمها في المعركة (٤٨) ، ورفاههم متى

Grousset : L'Épopée, p.p. 58 — 59. (٤١)

Mattieu : Op. Cit., p. 52, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381. (٤٢)

مسيد عاشور : احلركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٨ (٤٣)

Zoé : Op. Cit., p. 230. (٤٤)

Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, (٤٥)

p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cahen : Op.

Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

Grousset : L'Empire, p. 298, Setton : Op. Cit., V. 1, (٤٦)
p. 292 — 293.

Mattieu : Op. Cit., p. 71, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٤٧)

p. 404, V. 2, p. 871, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389,

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

Mattieu : Op. Cit., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٤٨)
p. 407. عن (Albert)

الرهاوي في حزن شديد (٤٩) . على أن أهالي الرها لم يستسلموا للحن بعد هزيمة حران التي أسر فيها بلدوين دي بورج وجوسبلين دي كورتناي كما مر بنا ، وحاول الأهالي انقاذ الوضع الداخلي للرها بسرعة ففعلوا اختيار تنكريد اميرا لهم ووافق هو على طلبهم (٥٠) . ولكن سرعان ما هددت الجيوش التركية بقيادة جكرمش الرها وعندئذ بذل الأهالي كل ما في وسعهم لمساعدة تنكريد لردهم عن الإمارة ، فكان لجهود أهالي الرها في تلك الفترة أثره الفعال في رد الأتراك وفي احراز النصر (٥١) .

وبانتفاء ذلك الدور من ادوار الخطر التركي دخلت الإمارة في فترة من احلك فترات تاريخها ، وهي فترة حكم رينشارد دي سالرنو نائب تنكريد من ١١٠٤م — ١١٠٨م التي قاسى فيها أهالي الرها كثيرا من جراء حكم ذلك الأمير بسبب جشعه ومصارفاته لهم (٥٢) . هذا الى جانب اخفاقه العسكري الذي اودى بحياة الكثير من أهالي الرها خاصة في مواجهة حملة جكرمش على الرها (١١٠٥م — ١١٩٦هـ) (٥٣) .

وبالملاقى سراج بلدوين دي بورج ١١٠٨م → ٥٠٢هـ خرج أهالي الرها

-
- Mattieu : Op. Cit., p. 73. (٤٩)
 Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616, Gesta (٥٠)
 Tancredi : T. 3, p. 712, William : Op. Cit., V. 1,
 p. 459, Bréhier : Vie et Mort, p. 315, Grousset :
 Hist. des Crois., V. 1, p. 407, Setton : Op. Cit.,
 p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.
 Alberti : Op. Cit., Liber IX .. T. 4, p.p. 616 — 617, (٥١)
 Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408, L'Epopée,
 p. 79, Zoé : Op. Cit., p. 214.
 Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., (٥٢)
 V. 2, p. 872, عن (Anonyme), Cahen : Op. Cit.,
 p. 246, Zoé : Op. Cit., p. 214.
 Mattieu : Op Cit, p. 79, Grousset . Op. Cit., V. 1, (٥٣)
 p.p 437 — 438.

هنا يذكر مبنى الرهاوي انه نفذ في ملك المعركة من أهالي الرها حوالي ٥٠ شخصاً . وأن تلك الكارثة حبلت اليأس الى الرها ، فكل عائلة كانت في حزن وكل بيت دوى بالنواح والتاوهات ، وكل الريف المحيط بالمدينة سال مالدوم .

بعودة أميرهم القديم ويتنصصهم من حكم ريتشارد النورماندى وجميعوا الأموال لدفع فدية بلدوين (٥٤) . ثم تطورت الأحداث كما مر بنا وقامت الحرب بين الأمير بلدوين دى بورج وحليفه جلولى من ناحية وبين الأمير تنكريد وحليفه رضوان من ناحية أخرى ، وهى الحرب التى انتهت بهزيمة الجانب الرهوى (٥٥) .

وكان لتلك الهزيمة اثر كبير فى تغير سياسة بلدوين دى بورج الودية تجاه الأرمن بالذات . فما ان علم أهالى الرها بأخبار الهزيمة حتى شملهم حزن عميق وتأسفوا على بلدوين الذى ظنوا أنه قد مات . وفى نفس الوقت خافوا من عودة الحكم النورماندى اليهم مثلا فى شخص ريتشارد ، الذى حلوا لمعه أسوا الذكريات . لذلك عقدوا اجتماعا فى كنيسة القديس حنا بالرها Saint- Jean حضره رئيس الأساقفة اللاتين بالمدينة وطلب الأهالى بأن يتولى أمر الدفاع عن قلعة المدينة بقية رجال الأسقف اللاتين . أتى جانب أهالى الرها حتى يختاروا حاكما جديدا لهم (٥٦) . وتردد عندئذ انهم فكروا فى تولية كوغ باسيل الأرمنى عليهم (٥٧) .

ولكن حدث فى اليوم التالى للاجتماع ان فوجى الأهالى بدخول كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى الرها . وعندما استقصى الأميران أحوال البلاد ، علموا بتلك النوايا الخطيرة التى كان الأهالى قد سهبوا على تنفيذها فاعتبروها نوعا من المحاولات الاجرامية فى حقهم (٥٨) .

وهكذا تحولت سياسة بلدوين دى بورج كلية من الطابع الودى الى أقصى درجات الشدة والقسوة فى معاملة أهالى الرها ، الأمر الذى جعل منى الرهوى يظهر حزنه الشديد على من راحوا ضحية تلك الحركة ، الذى يعتقد أنها قامت أصلا بسبب أصفاء الفرنج لبعض الوثائيات الكاذبة (٥٩) .

Zoé : Op. Cit., p. 240. (٥٤)

Mattieu : Op. Cit., p. 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394. (٥٥)

العنى : عقد الجمان ، ١٥٠٥ م ٣ ص ٦٤٠ — ٦٤١ .

Mattieu : Op. Cit., p.p. 87 — 88. (٥٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 442. (٥٧)

Mattieu : Op. Cit., p. 88. (٥٨)

Mattieu : Ibid., p. 88. (٥٩) وما ذكره منى الرهوى :

« نهبت منازل الرهويين وسملت أعين كثيرين منهم لم يكن لهم أى فئب على

والحقيقة أنه ينبغي أن نشير هنا إلى أن العقاب السريع الذي أنزله ببلدوين بأهالي الرها في ذلك الوقت لم يكن هو الحل الملائم . فماذا كان يفعل الأهالي عندما وجدوا أن أميرهم قد حلت به الهزيمة ولم يعد مما أثار الظن بأنه فقد ؟ اليس معنى ذلك أنهم سيعودون مرة أخرى لحكم ريتشارد القاسي الظالم ؟ مما جعلهم يفتكرون في التخلص من الحكم الفرنجي كلية ؟ لكن ربما كانت الأمور قد سارت إلى عكس ما تطورت إليه إذا كان بلدوين دى بورج قد عالج الأمور بنوع من التروى والتعتل .

ومنذ ذلك الوقت أصبح التماون بين الفرنج وبين الأرمن بالذات ضيقا جدا حيث بدأ الصليبيون في الرها ينظرون إليهم بنوع من الشك والريبة (٦٠) . وبهذا أن كانت سياسة بلدوين في حكم الرها تقوم على أساس الربط بين الصليبيين والأرمن ، إذا به يغير سياسته تغييرا تاما فاستبعد الأرمن من حسابيه كلية واعتمد في حكومته اعتمادا واضحا على رجاله من الصليبيين الغربيين وحدهم (٦١) .

وإذا كانت سياسة بلدوين تجاه الأرمن ١١٠٨م - ٥٠٢هـ قد اصبحت للعنف في معاملتهم ، فإن سياسته مع المسلمين في نفس السنة انصرفت بالتسامح تنفيذًا للاتفاق الودي الذي كان قد تم بينه وبين جاولي عند اطلاق سراحه (٦٢) . والمعروف أن المسلمين في الرها كانوا متركزين تقريبا في سروج في ذلك الوقت إذ كان بها حوالى ثلثمائة مسلم فسمح بلدوين لأصحاب جاولي بتعمير مساجد المدينة (٦٣) ، وخير دليل على تسامح بلدوين مع المسلمين في ذلك الوقت أن رئيس سروج كان مسلما ثم ارتد فسمعه أصحاب جاولي « يقول في الاسلام قولا شنيعا فخرموه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع » فلما علم بلدوين دى بورج بذلك قال « هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله (٦٤) » .

الاطلاق ، وعاقب الفرنج مسيحي الرها عقوبات قاسية ، وابتهجوا لرؤية الدم الطاهر الذى منك » .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 442 (٦٠)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٥٤ (٦١)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 438. (٦٢)

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٠ ،

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p p. 428 — 439.

(٦٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ،

Grousset : Ibid., p. 439. د ١ ص ٤٠٠ ،

وظل أهالي الرها على ذلك الوضع حتى ١١١٠م (٥٠٤ هـ) عندما بدأ مودود كما رأينا حركة الجهاد الإسلامي ضد الفرنج فكان لحملته الأولى في هذه السنة ضد الفرنج أثرها الكبير على الوضع السكاني في الرها ، وقد مرت بنا دراسة تفصيلية لتلك الحملة في الأجزاء السابقة من بحثنا . لكن ما نود أن نبرزه هنا هو أنه عندما فشلت محاولة مودود في استدراج الفرنج إلى حران ليوقع بهم كما حدث في ١١٠٤م (٤٩٧ هـ) ، وبعد أن أمرك الفرنج نوابه عندئذ رجعوا بسرعة إلى الرها وزودوها بالوؤن والحاميات اللازمة (٦٥) ثم عبر الفرنج إلى الضفة الغربية للفرات . عندئذ قرر أهالي الجزء الشرقي من الرها - الأرمن والسريان - الجلاء عن أراضيهم والالتجاء إلى مناطق كيسوم وربعان (٦٦) . خوفاً من بطش الأتراك بهم . وعندما بدأ تنفيذ خطة الجلاء هذه علم مودود وقواته بها وذلك عن طريق اثنين من الفرنج كما يقول متى الرهاوى (٦٧) . وكان أن أسرع مودود إلى الضفة الشرقية للفرات حيث أحدثت مذبحة كبيرة في الأهالي وأسر الكثيرين منهم خاصة من النساء والأطفال كما فرق البعض الآخر في أعداد هائلة في نهر الفرات ، وهو ما فصلته المصادر الأرمنية واللاتينية (٦٨) . إلى جانب المراجع الأرمنية المختلفة (٦٩) والتي أرجع بعضها تلك الإبادة السكانية إلى أن هجرة السكان في ذلك الوقت تمت في تهور وباعداد ضخمة بينما كان جيش كبير من الأتراك يقوم ببعض المناورات العسكرية في الضواحي القريبة (٧٠) . لما الفرنج الذين كانوا قد سبقوا الأهالي في عبور نهر الفرات ، فقد وقفوا على الضفة

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 454, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399. (٦٥)

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 454, L'Épopée, p.p. 88 — 89. (٦٦)

Mattieu : Op. Cit., p. 93. (٦٧)

(منورود وصفا لما لحق بالأهالي مع الملاحق)
Mattieu : Ibid., p.p. 93 — 94. (٦٨)

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421 — 422.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Empire, p. 299, (٦٩)

L'Épopée, p. 89, Cahen : Op. Cit., p. 258, Zoé : Op.

Cit., p. 243, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Archer :

Op. Cit., p. 148.

Zoé : Op. Cit., p. 243. (٧٠)

الغريبة للنهر دون أن يستطيعوا منع تلك المذبحة أو تزويد الأهالي بأي نوع من المعونة . وتنفيذا عن غضبهم سكبوا الدموع الحزينة من أجل تلك المناظر التي شاهدهوها عن قرب (٧١) . في حين رجع مودود الى المشرق وصحبه أعداد ضخمة من الأسرى وغنائم لانتصمى (٧٢) .

وهكذا كان من أهم الآثار المترتبة على حملة مودود على الرها ١١١٠م (٥٠٤) أنها أدت الى أحداث خلطة كبيرة في سكان امارة الرها وعلى وجه الخصوص في جزئها الشرقي (٧٣) . كذلك ترتب على تلك الحملة ضعف فرنج الرها واتجاههم نحو العنف والابتزاز والقسوة وبذلك استثاروا كراهية الأهالي الذين رحبوا بهم أصلا للدفاع عنهم (٧٤) .

والواقع ان شعور الكراهية الشديدة من جانب الأرمن للصليبيين منذ التتكيل الذي لحقهم على يد بلدوين دى بورج ١١٠٨م (٧٥) (٥٠٢) الى جانب المجاعة المتسببة عن حملة مودود ١١١٠م (٧٦) (٥٠٤) والتي قاسى منها أهالي الرها - وبخاصة قسمها الشرقي - اذى كل هذا الى تكير بعض الأرمن في الخلاص من النفوذ الفرنجى وفكروا في تسليم الرها للصليبيين وذلك أثناء حملة مودود على الرها ١١١٢م (٥٠٦) . وكان ان توجه بعض الأرمن الى مودود وتوسلوا اليه ان يؤمنهم على ارواءهم في مقابل تسليمهم المدينة له فوافق مودودا على تلك الفكرة وتسم برجا يطل على الناحية الشرقية للمدينة (٧٧) .

Mattieu : Op. Cit., p. 94, Fulcheril : Op. Cit., T. 3, p. 422, (٧١)
Grousset : L'Epopée, p. 89, Hist. des Crois., V. 1, p. 455,
Archer : Op. Cit., p. 148.

Mattieu : Op. Cit., p. 94. (٧٢)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset : Hist. des (٧٣)
Crois., V. 1, p. 455.

Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 399, 400. (٧٤)

سميد عاشور : الحركة ، ص ١٥٥ (٧٥)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443,

Mattieu : Op. Cit., p. 101. (٧٦)

Mattieu : Ibid., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٧٧)
p. 473.

ويقال أن بعض السريين اشتركوا في تلك المؤامرة

Grousset : L'Empire, p. 299 من (L'Anonyme)

ولكن لخبير تلك المؤامرة وصلت الي اذان جوسلين الأول فأسرع الى الرها ليلحق بالأمير بلدوين . وعندئذ أنزل جوسلين بالسامريين الشد الوان العقوبة والتي بالأتراك من أعلى الجدران فهلكوا في الحال . وبهذا لم يتم استيلاء المسلمين على الرها في ذلك الوقت بفضل جهود جوسلين بالذات (٧٨) .

ورغم التنكيل الشديد الذي تعرض له الأرمن ١١١٢م ، فان ذلك لم يثبط عزائمهم ، بل زاد من كرههم للنفوذ الصليبي . لذا انتهزوا فرصة وجود بلدوين في تل بلشر بعد ان انتزعها من جوسلين دي كورتناي ١١١٢م (٥٠٧ هـ) وحاولوا من جديد تسليم الرها للأتراك أثناء حملة مودود على الرها في تلك السنة (٧٩) .

ويؤكد متى الرهاوى انه لم تكن هناك مؤامرة حقيقية بل ان الامر لم يتعد مجرد بعض الاشاعات الكاذبة ابتكرها بعض الفرنج اليلالين للشر ونقلوها للأمير بلدوين فصدقها بسرعة (٨٠) . ولكننا نرجح انه كان هناك اتصال حقيقى بين اهالى الرها الأرمن وبين الأتراك بسبب ضجرهم في ذلك الوقت من الفرنج ومن حكمهم التمسنى .

وما كاد بلعوين دى بورج يسمع تلك الأخبار ، حتى أمر حاكم سروج بطرد كل اهالى الرها دون أى استثناء (٨١) ، وتم ذلك في ١١ مايو ١١١٣م (٨٢) وقد أورد لنا متى الرهاوى صورة مفصلة لطرد اولئك الاهالى ظهرت فيها مدى قسوة الفرنج في القيام بذلك ، كما عبر عن حسرته الشديدة لاخلاء تلك المدينة التى كانت بمثابة الام لبقية المدن المحيطة بها (٨٣) .

Mattieu : Op. Cit., p. 102. (٧٨)

Mattieu : Ibid., p. 104, Grousset : Hist. des Crois., (٧٩)
V. 1, p. 490.

Mattieu : Op. Cit., p.p. 104 — 105. (٨٠)

Mattieu : Ibid., p. 105. (٨١)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490. (٨٢)

Mattieu : Op. Cit., p. 105. (٨٣)

فقد فكر متى الرهاوى : « ... انه حلت كارثة مريعة بلرها ، لم يعرف الاب ابنه واتكر الابن ابيه ، دوى النواح والتواوهات في كل مكان ، وغمر كل منزل في الحزن والحسداد .. طرد الفرنج الاهلى من منازلهم ، وامروا باحراق هؤلاء الذين اختبلوا في المنازل ، فلم يبق فيها احد الا القليل ، .. »

==

وتلتزم بعض المراجع الحديثة المعبر لقصة بلدوين آنذاك
يدعوى ان مرجع ذلك كان تكرار تأمر الأرمن بالذئب مع الأتراك ضد
الفرنج في الرها (٨٤) .

ويلاحظ انه كان يوجد بالرما عندئذ عدد قليل من السريان (٨٥)
الى جانب بعض الأرمن الذين التجأوا الى كنيسة القديس ثيودور وانضموا
بها ثم انتقلوا الى القلعة تحت حراسة قوية (٨٦) . وعندما رأى بلدوين
دى بوج تعذر القيام بشئون الإمارة بمساعدة هذه المجموعة القليلة من
أهالى الرها فضلا عن رفقه الفرنج اضطر الى استدعاء الأهالى المنفيين
من سبيلسط وتم ذلك في فبراير ١١١٤م (٨٧) (٨٥.٧) . ولكن عودة
الأهالى مرة أخرى الى بلادهم لايعنى في نفس الوقت عودة العلاقات
الطبيعية بينهم وبين أميرهم الصليبي الذي اتسارت اليه بعض المراجع
الفرنجية بأنه « مضطهد الأرمن (٨٨) » . هذا فضلا عن سوء العلاقة
بين الأهالى والصليبيين الغربيين الذين اعتبروا « طلبى منافع وتهم في
سبيل الحصول عليها ارحقوا البلد كثيرا بمعاملاتهم القظة (٨٩) » .

أهالى الرها في عهد جوسلين دى كورتناى ١١١٩م - ١١٢١م :

وعندما تولى جوسلين الأول حكم إمارة الرها حاول جاهدا أن يتقرب
من أهله وخاصة العنصر الأرمنى الأكثر عددا ، وذلك ليزيل ذلك الحاجز
الذى كان قد فصل بينهم وبين الصليبيين الغربيين في الرها في عهد
بلدوين دى بوج ، ولكن يبدو من نفوسهم الأثر السوء الذى تركته قسوته
وشدة بطشه بالأرمن عقب مؤامرتهم ١١١٢م . لذا نجد المؤرخ الأرمنى

فيا للشقاء على شعب أيجر

وقد تم اجلاء غالبية الأهالى الى سبيلسط

(Mattieu : Op. Cit., p. 105,

Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 491, L'Empire. p. 299).

Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 401 — 402, Grousset : Hist. (٨٤)
des Crois., p. 491.

Grousset : Ibid., V. 1, p. 491.

(٨٥)

Mattieu : Op. Cit., p. 105.

(٨٦)

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 491, L'Empire, p. 299.

(٨٧)

Zoé : Op. Cit., p. 262.

(٨٨)

Mattieu : Op. Cit., p. 106.

(٨٩)

المعاصر متى الرهاوى يؤكد أن ذلك الأمير حرص عند تولية شئونهم على أن يظهر المظهر على أهالي الرها (٩٠) .

وتدعيما لذلك السياسة نجده يحذو حذو الأميرين السابقين للرها فتأخذ لنفسه زوجة أرمنية هي أخت الأمير ليون (٩١) . والحقيقة أن جوسلين انطس في حبه لرعاياه الأرمن فبادله حبا بحب (٩٢) . وفي نفس الوقت لم يهمل جوسلين المنصر السرياني ، فحرص على أن يقوى رابطته به أيضا (٩٣) .

من أهم المقاسبات التي أبرزت مدى حب رعايا جوسلين الأول له ما حدث عندما علم أهالي الرها بأسره ١١٢٢م (٥١٦ هـ) — كما بينا من قبل — إذ أنهم لم يفكروا عندئذ في انتهاز فرصة غيابه عن الإمارة لينوروا ، وإنما اظهروا الحزن الشديد وخضعوا الملك بلدين الثاني منتظرين عودته (٩٤) . ولكن عندما أسر الملك في العام التالي أيضا بدأ أهالي الرها — وخاصة المنصر الأرمني — يفكرون في أنجح الوسائل وأسرعها لانتقاذ أميرهم .

وما كاد جوسلين يرسل رسالة إلى رعاياه طالبا منهم النجدة (٩٥) حتى سارع عدد منهم إلى خربيرت — كما مر بنا — وأطلقوا سراح الوجودين فيها ، ولكن بمجرد خروج جوسلين وصل بك الأرقي إلى القلعة وأنزل عقوبته الشديدة بمن فيها (٩٦) . وكان جزاء الجبوعة

Mattieu : Ibid., p. 128. (٩٠)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, William : Op. Cit., (٩١)

V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8. عن

(L'Anonyme), Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172,

Tournebize : Op. Cit., p. 173.

Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 1, p. 590, (٩٢)

Archer : p. 162.

Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois. V 2, (٩٣)

p. 877. (L'Anonyme).

Zoé : Op. Cit., p. 297. (٩٤)

Zoé : Ibid., p. 297, Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : (٩٥)

Op. Cit., V. 1, p. 419.

Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, (٩٦)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 543 — 544, Cahen : Op.

الارمنية الغدائية « أن بعضهم قطع أروا والبعض دفنوا أحياء . وتحول آخرون الى عبيد لرجال تلك الى جانب قله هربوا أحياء (١٧) » . وهكذا لم يرض بعض العناصر الارمنية في الرها بتقديم أرواحها فداء للأمير جوسلين ، واثبتوا ببطولتهم وبذلهم لذاتهم مدى صلتهم وحبهم لذلك الأمير (١٨) .

أهالي الرها في عهد جوسلين الثاني (١١٢١م — ١١٤٤م وموقف زنكى منهم عند فتح الرها :

وعندما ورث جوسلين الثاني إمارة الرها عن أبيه ورث معها حب أهلها الشديد لوالده (٩٦) . كذلك كان جوسلين أكثر إمرأ الرها قربا للأرمن لأنه كان ابنا لأرمنية — كما اثرتنا — فلا غرو اذا أسمته بعض المصادر العربية (جوسلين الأرمني) (١٠٠) .

وقد ظل أهالي الرها ينعمون بالهدوء وحب أميرهم لهم حتى كانت ١١٤٤م — (٥٣٩ هـ) عندما تقدم زنكى للاستيلاء على الرها . وكان جوسلين الثاني قد عهد الى أهالي الرها الأرمن والسريران بحماية المدينة في أثناء تواجده في بل بائر ، فدافعوا جميعا عنها بشجاعة رجالا ونساء ، عظماء وفقراء وبذلوا كل ما في وسعهم لحماية أسوار المدينة (١٠١) . وعندما طلب منهم زنكى تسليم المدينة في مقابل المحافظة على أرواحهم رفضوا بشدة (١٠٢) ، مما جعل زنكى يقرر الاستيلاء على المدينة

Cit., p. 297, Zoé : Op. Cit., p.298, Archer : Op. Cit., p. 163,

ابن المديم : زبدة الطلب ، ج ٢ ص ٢١٣ .

William : Op. Cit., V. 1. p. 544. (٩٧)

Grousset : L'Empire, p. 300. (٩٨)

Zoé : Op. Cit., p. 299. (٩٩)

(١٠٠) ابن المديم : بقیة الطلب ، مخطوط ص ٣٦٨ ، ابن الفرات :

تاریخ الدول والملوك ، ج ١ مخطوط ، ص ٥٦ (ب) ، ٦٠ (ب) ، ٩١ (ب) .

Nersès : Op. Cit., p. 251, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٠١)

p. 268. Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois..

V. 2, p.p. 179, 180, Zoé : Op. Cit., p. 338.

Michel : Op. Cit., p. 280, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٠٢)

p. 268, Nersès : Op. Cit.. p.p. 248 — 249.

ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٨ — ٦٩ وسياتي وصف مفصل لاستبانه الأهالي في الدفاع في الملاحق ضمن قصيدة رثاء الرها .

بالقوة . وعندما سقط جزء من السور ضاعف الأهالي جهدهم لسد تلك
الفتحة التي فتحت والدفاع عنها (١٠٣) . ولكن استيصالهم لم يمنع عنهم
مصيرهم المحتوم آنذاك .

هنا نجد المصادر العربية تكفي بالقول بأن المسلمين اعملوا في اهل
الرها القتل والأسر والنهب والسلب (١٠٤) . أما المصادر الأرمينية
والسريانية الى جانب المصادر والراجع الأفرنجية ، فقد اشارت الى
انه عندما تحول الأهالي جميعا للدفاع عن الجزء الذي سقط من السور ،
اعلنت القوات الزنكية السور ونزلت الى الدفعة وعملت مدبحة هائلة في
اهالي الرها ، فصلها لنا غالبية تلك المصادر بصورة مسهبة (١٠٥) .

وكان أن اسرع بقية الأهالي الذين نجوا من تلك الذبحة الى قلعة
المدينة للاحتباء بها ، فمات أكثرهم خنقا من شدة الزحام (١٠٦) .
والواقع انه مهما بالغت المصادر غير العربية في تصوير التكتل الذي لحق
بالأهالي في ذلك الوقت ، فان هذا لم يكن بالشئ الجديد بالنسبة لأهل

(١٠٣) Michel : (التتميل في الملاحق) ، p. 253, Ibid., Nersès :

Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269.

(١٠٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٨ ، الباهر ، ص ٦٩ ، ابن العديم :
زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧٩ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ٩٥
ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ٢١٩ ، ابن قاضي شهاب : الدر
اللمين ، الباب السابع ٥٣٩ هـ ، النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٥ ورقة ٥١ .

Nersès : Op. Cit., p.p. 255 — 6 (١٠٥)

(مع قصيدة الرثاء في الملاحق)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op.

Cit., p.p. 261 — 262, Bar Hebraeus : V. 1, p. 269,

William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Michaud : Op. Cit.

V. 2, p. 105.

Nersès : Op. Cit., p.p. 257 — 258, Grégoire Le Prêtre : (١٠٦)

Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p. 262, William :

Op. Cit., V. 2, p. 143, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1,

p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud : Op. Cit.,

V. 2, p. 105.

وقد ذكر الكاهن جريجوار أن عدد من هلكوا أمام القلعة قدر بحوالي ألفي
شخص .

الرها ، الذين ذاقوا الكثير على يد بلدوين دى بورج ورعاقه من الصليبيين
الغربيين في السنوات ١١٠٨ م ، ١١١٢ م ، ١١١٣ م .

وعندما دخل زنكى المدينة آمن أهلها وبني ما اتهم منها (١٠٧) ،
وأصدر لوامره لرفاقه باغداد السيف (١٠٨) . والواقع أن هذا الأمان
لم يشمل كل أهالى الرها بل اقتصر فقط على أهلها الأصليين من الأرمن
والسريان (١٠٩) . أما الفرنج فقد أمر زنكى بقتلهم أينما وجدوا ويسبي
زوجاتهم وأسر أطفالهم (١١٠) .

والحقيقة أن زنكى تسامح بالذات مع العنصر السريانى وشجع
الموجودين منهم بالمدينة بكل جوارحه ولجا الى الشفقة في معاملتهم (١١١) .
وأعطاهم مزيدا من الامتيازات ، بعكس الأرمن الذين تأسفوا على الحكم
الفرنجى الذى تضامنوا معه بشدة (١١٢) . وبهذا استطاع زنكى عن
طريق عطفه الكبير على السريان الوطنيين ، أن يقيم جبهة مؤيدة له من ذلك
العنصر في مواجهة الغزاة الغربيين ، وهى نفس سياسة صلاح الدين
فينا بعد (١١٣) .

وهكذا عادت الرها الى ملكايت عليه في اواخر القرن الحادى عشر
مدينة يسكنها الأرمن والسريان تحت حماية الأتراك (١١٤) . وعهد زنكى

(١٠٧) ابن المديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ ، أبو الحاسن : النجوم
الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٧٥ .

(١٠٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Bar Hebraeus :
Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Zoé:
Op. Cit., p. 337.

(١٠٩) Michel : Op. Cit., p. 263, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٠٩)
p. 270, Grousset : L'Epopée, p.p. 163 — 164.

(١١٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Michel : Op. Cit., (١١٠)
p. 263, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Archer :
Op. Cit., p. 202, Grousset : L'Epopée : p. 163,
Cahen : Op. Cit., p. 370.

(١١١) Michel : Op. Cit., p.p. 267 — 268, Grousset : Hist. des
Crois , V. 2, p. 189, L'Empire, p. 300.

(١١٢) Grousset : L'Epopée : p. 164, Hist. des Crois , V. 2, p. 198

(١١٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189

(١١٤) Grousset : Ibid., p. 180.

بالإشراف على شئونها التي زين الدين على كوجك ، الذي عمل الأهالي
معاملة طيبة جدا (١١٥) .

دخول العنصر اليهودي الى الرها ١١٤٦م :

عندما لمس الأرمن في الرها شدة اهتمام زنكي بالعنصر السرياني
ومعاملته الطيبة له لم يرتاحوا لذلك ، فاستغلوا ضعف حجم الحامية الزنكية
في المدينة وبدأوا يتآمرون مع الفرنج للتخلص من تلك الحامية ومن النفوذ
الإسلامي ، وليعيدوا النفوذ الفرنجي مرة أخرى . كان ذلك بعد مرور
حوالي سنة ونصف تقريبا على استيلاء زنكي على الرها (مايو
١١٤٦م) (١١٦) .

ولكن زنكي اشتد في التنكيل بهم ، وكانت عقوبته إما القتل أو الصلب
أو التشريد (١١٧) . ثم أحل محلهم حوالي ثلثمائة أسرة يهودية (١١٨) .
وأصبح لهؤلاء اليهود نفس الحقوق أمام القضاء مثل المسيحيين (١١٩) .
وبذلك دخل الى الرها عنصر جديد ، ولكن دخوله كان موازيا لزوال النفوذ
الصليبي عنها . وربما كان من الممكن أن تسير الأحوال الداخلية في الإمارة
على منوال آخر إذا كان العنصر اليهودي موجودا بها منذ فترة مبكرة أكثر ،
فقد كان اليهود الد أعداء المسيحية عموما (١٢٠) .

نور الدين وأهالي الرها ١١٤٦م (٥٤١هـ) :

وبينما كان السريان وعلى رأسهم البطريرك باسيليوس لا يطلبون شيئا
سوى بقاء النفوذ الإسلامي ، الذي أتاح لهم نوعا من النفوذ المعنوي على

(١١٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69, Cahen : Op. Cit., p. 370

(١١٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338, Runciman : Op. Cit.,

V. 2, p. 238.

(١١٧) ابن القلانسي : الذيل ، د ٢٨٢ ، ابن العديم زبدة الطب ، د ٢
ص ٢٨١ ،

Gibb : Op. Cit., p. 270, Grousset : Hist. des Crois.,

V. 2, p. 195.

(١١٨) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Cahen : Op. Cit.,

p. 371, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.

(١١٩) Lammens : Op. Cit., V. 1, p. 287.

كانت شهادة اليهودي أمام القضاء مساوية لشهادة المسيحي .

(١٢٠) سعيد عائور : الحركة الصليبية ، د ٢ ص ٦١ .

المعتقد الأخرى تأمر الأرمن في الرها لإعادة النفوذ الفرنجي إليها (١٢١) .
وهنا أضناف أحد المراجع المترجمة عن أصل عبري أن من أسباب تأمر
الأرمن أيضا دخول عدد ضخم من اليهود الى البلاد بواسطة زنكى (١٢٢) .

وقد نتج عن تأمر الأرمن استعادة جوسلين الثاني الرها لفترة
قصيرة ، لم تستمر أسبوعا واحدا ، أعقبها تفكيك نور الدين محمود بن
زنكى بأهالى الرها جميعا . وهنا تكفى المصادر العربية بالاشارة
الى مصير هؤلاء الأهالى ومدينتهم في عبارة موجزة « نهبت المدينة وسبى
أهلها فخلت منهم ولم يبق الا القليل (١٢٣) » . أما ابن القلائسى المعاصر
فيعطينا نفس المعنى بصورة أخرى بقوله « محق السيف كل من
ظهر به من نصارى الرها واستخلص من كان أسر من المسلمين ونهب
منها الشيء الكثير (١٢٤) » .

أما المصادر السريانية والارمنية والفرجية وما نقل عنها من مراجع
أجنبية حديثة فنقتصر الحديث بإسهاب شديد عما أصاب الأهالى من
تفكيك في ذلك الوقت عندما كانوا في طريقهم للهرب من الرها .

وقد صادفنا رايلن عن سبب خروج الأهالى . فمبخائل السرياني
ومن نقل عنه يفكر أن الأهالى أجبروا على الجلاء عن مدينتهم بعد أن
أشعل الفرنج النار في منازلهم ومنافعهم (١٢٥) . أما ولیم الصوري
ومن أخذ عنه فيذكر أن هؤلاء الأهالى عندما تيقنوا من فشل محاولة
جوسلين التى شجعوه أصلا في القيام بها ، وعلموا أن كل أمل في المقاومة
قد انتهى وأن كل طريق للتجاسة قد أغلق . ثم تآكدوا أنهم سيعاقبون
بالموت في أطلع أشكاله ، عندئذ فضلوا أن يرحلوا مع زوجاتهم وأطفالهم
وأن يقتسبوا حظا غير اكيد مع أخوانهم في الجيش المسيحي عن أن يموتوا
أو يتحولوا الى العبودية بواسطة المسلمين (١٢٦) .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189. (١٢١)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339. (Traduit de l'hébreu par G. Nahon). (١٢٢)

(١٢٣) ابن الأثير : الكامل ، د ١ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ — ٨٧ ، ابن
العميد : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٩٠ النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة
٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ١١١ ، سبط بن الجوزى :
مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩٢ .

(١٢٤) ابن القلائسى : الدليل : ص ٢٨٨ .

Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273. (١٢٥)

William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 202. (١٢٦)

وهنا نجد في المصدر السرياني وصفاً مفصلاً لكيفية رحيل الأهالي بطريقة مفاجئة غير منظمة قبل أن يشعر بهم المسلمون (١٢٧) . لكن لم تفي لحظات حتى نبه المسلمون إلى حركتهم بسبب الضوضاء العالية التي أحدثها الهاريون . وعندئذ أحاط المسلمون بهم وبدأوا يرمونهم بالسهام فسقط الكثير منهم قتلى (١٢٨) . إلى جانب عدد آخر من الأهالي ماتوا مخنوقين من شدة الزحام لو داستهم الخيول (١٢٩) . وكان للأتراك الموجودين في قلعة المدينة دورهم في التكتيل بالأهالي إذ تتبعوا الذين التجأوا إلى الكنائس وإلى أماكن أخرى مقتلهم أو عذبهم (١٣٠) . وأسر عدد كبير أرسلوا إلى أسواق حلب (١٣١) . أما هؤلاء الذين استطاعوا الخروج من المدينة مع جوسلين الثاني وبلدوين أمير مرعش فقد لحق بهم الأتراك من جديد وأعملوا السيف فيهم مقتل عدد كبير منهم من بينهم بلدوين نفسه (١٣٢) ، عندئذ فر بعض الفرسان الفرنج بخيولهم في حين لجأ المشاء الباقون إلى قلعة خربة كانت بالقرب منهم وتبعهم بعض الأهالي ، وهؤلاء فقط هم الذين استطاعوا الحفاظ على أرواحهم بالفرار إلى سميساط عندما عاد الأتراك لنهب الرها مرة أخرى (١٣٣) . وكان جوسلين الثاني نفسه من بين الذين فروا

(١٢٧) (L'Anonyme) عن Grousset : Ibid., p. 884

(١٢٨) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160,

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885.

(١٢٩) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160,

Grousset Op. Cit., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme).

Michel : Op. Cit., p. 270. (١٣٠)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 204, L'Épopée p. 165 (١٣١)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Grousset : Hist. (١٣٢)

des Crois., V. 2, p. 885.

ويقال أنه في ذلك الوقت عندما تعب المسلمون من القتل « جردوا من بقى من ملابسهم وأحذيتهم وربطوا أيديهم خلف ظهورهم ثم أروهم رجلاً ونساءً بالجرى مع الخيول فمات عدداً كبيراً منهم تحت أقدام تلك الخيول التي داسهم عندما وقعوا » .

Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٣٣) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161.

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 113.

الى ميساط ولو أنه كان جريحا (١٢٤) . وهكذا دفع الأرمن — ومعهم أهالي الرها جميعا — شن لخلاصهم الفرنج غالبا (١٣٥) . ولم ينقذهم عندئذ جوسلين ولا رفاقه الذين أسرع من بقى منهم بالفرار طلبا للنجاة .

وهكذا محيت الرها المسيحية في ذلك الوقت (١٣٦) . بعد ان فقدت غالبية أهلها المسيحيين — الأرمن والسريان — الذين قدر ميخائيل السرياني من فقد منهم في فتوح الرها الأول ١١٤٤م : الثاني ١١٤٦م بحوالي سبعة وأربعين ألف نسمة « قتل منهم حوالي ثلاثون ألفا وأسر وتحول للمعبودية ستة عشر ألفا ونجا حوالي ألفا (١٣٧) » .

وبذلك أصبحت الرها مكانا خريا (١٣٨) ، بعد تاريخ مزدهر طويل ، لذا استحققت الرثاء (١٣٩) .

لكن اذا كانت الرها قد أصبحت لثرا بعد عين وقضى على غالبية سكان الجزء الشرقي من الإمارة ، فإن سكان تل باشرو وما يحيط بها ظلت غالبيتهم موجودين في ذلك الجزء الغربي حتى أسر جوسلين الثاني . وعندما اشترى امبراطور الدولة البيزنطية غالبية ذلك الجزء المتبقى من الإمارة ، قورت زوجة جوسلين وأطفاله الى جانب عدد كبير من الأهالي التوجه الى القدس مع الملك بلدوين الثالث (١٤٠) . وكان أن قتل عدد كبير من الأرمن والسريان النفي عن بلادهم عن الشعبية للتفوذ البيزنطي (١٤١) .

وبالفعل خرج مع الملك كل من أرادوا الرحيل ومعهم قطعان حيواناتهم وضروريات معيشتهم . وفي ذلك الحشد كان يرى رجال من أصول

Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, (١٣٤)
Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois.,

V. 2, p. 885 (L'Anonyme).

Grousset : L'Empire, p.p. 224, 301. (١٣٥)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 92 — 93. (١٣٦)

Michel : Op. Cit., p. 272. (١٣٧)

Michel : Ibid, p. 272, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 273. (١٣٨)

(١٣٩) سنورد رثاء ميخائيل السرياني وكذلك رثاء ديونيسيوس الأسدي في اللاحق .

William : Op. Cit., V. 2, p. 209. (١٤٠)

Zoé : Op. Cit, p. 355. (١٤١)

عالية ونساء نبيلات مع فتيات من اصول عريقة وأطفال صغار وقد
شردوا من وطنهم وتركوا أرض أجدادهم وآبائهم ، في الم عميق (١٤٢) .
وهكذا تشكلت سكان إمارة الرها : كما تمزقت أرضهم . بعد
حياة مليئة بويلات الحروب المتتالية التي تعرضت لها الإمارة ، الى جانب
الكوارث التي لحقت بهم بعد كل مؤامرة شهدتها تلك الإمارة الصليبية .

الحياة الاقتصادية :

رغم غنونا على بعض الاشارات البسيطة عن الحياة الاقتصادية
للإمارة ، أثناء دراستنا للحياة السياسية بها ، الا ان ذلك القليل يعطينا
صورة لا بأس بها توضح ذلك الجانب من بحثنا هذا .

والواقع ان غالبية اهل الرها كانوا زراعا وتجارا الى جانب
بعض الرعا (١٤٣)، حيث كان يوجد بالإمارة بعض المراعى والغابات (١٤٤)،
ومن أهم ثروات المراعى الخيول المتارة (١٤٥) ، ومن أهم اشجار الغابات
شجر البلوط (١٤٦) .

الها الصناعة : فلم نعر الا على اشارة واحدة وسط كتابه وليم
الصوري تدل على أنه وجدت بالرها صناعة الزيوت والخور . فقد
ذكر ان من بين الاشياء التي ارسلها بلدوين البولوني للصليبيين المحاصرين
لأنطاكية (الزيت والخمر) من اقليم تل بامر (١٤٧) .

ولما كانت الزراعة والتجارة هما ابرز معالم الحياة الاقتصادية
للإمارة لذا سنحاول تركيز كلامنا عليهما .

الزراعة :

كانت إمارة الرها من أهم المناطق الزراعية الفنية في اقليم

William : Op. Cit., V. 2, p. 211. (١٤٢)

Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis : Op. Cit., (١٤٣)
p.p. 270 - 271, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

William : Op. Cit., V. 2, p. 212. (١٤٤)

William : Ibid., V. 1, p. 238. (١٤٥)

فقد ذكر وليم الصوري ان من بين ما ارسله بلدوين البولوني من
الرها للصليبيين المحاصرين لأنطاكية الخيول المتارة .

William : Op. Cit., V. 1, p. 497, Grousset : Hist. des
Crois., V. 1, p. 487. (١٤٦)

William : Op. Cit., V. 1, p. 238 (١٤٧)

الجزيرة (١٤٨). الذى اشتهر دائما بخصوبة أرضه ووفرة حاصلاته (١٤٩) ويرجع ذلك الى توافر مياه الرى سواء عن طريق الأنهار أو الينابيع الجوفية والابطار (١٥٠). ومن أهم الحاصلات الزراعية لأمارة الرها الشمير والقمح (١٥١) وقد اشتهرت تل بآثر بقمحا بالذات (١٥٢). كذلك اشتهرت الأمارة بحدائقها الغنية (١٥٣). وكانت الرها بالذات

مشهورة بكرومها الوفيرة (١٥٤) وورودها الجميلة العطرة (١٥٥). لها

Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 456, Michaud : (١٤٨)

Op. Cit., V. 1, p. 75.

Nersès : Op. Cit., p. 241 - 242, Fulcheri : Op. Cit., p. 337, (١٤٩)

Alberti : Op. Cit., Liber IV. p. 393, William : Op. Cit.,

V. 2, p. 212.

Mattieu : Op. Cit., p. 48, Nersès : Op. Cit., p. 241. ١٥٠)

يقول نيرسيس على لسان الرها :

انبثقت من أحشائي مياه حية

وكانت مياه البحر تمتد بين أسوارى

ويعلق دولورييه على ذلك بقوله أن الشامر يرمز بلفظ البحر الى نهر سبوتوس أو ديسان الذى كان يمر بالمدينة . وفي الربيع تتكاثر مياهه لذويان النلوج على جبال طوروس فتكون بحيرة بين الهضبتين المحيطتين بالمدينة .

Mattieu : Op. Cit., p. 49, William : Op. Cit., V. 1, p. 238. (١٥١)

William : Ibid., V. 1, p. 238, Zoé : Op. Cit., p. 295. (١٥٢)

Nersès : Op. Cit., p. 241, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. (١٥٣)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 219, Cahen : Op. Cit.,

p. 113.

ويضيف المرجع الأخير أن كثرة الحدائق المحيطة بالرها جعلتها تظهر ضاحكة باسمه جدا

Mattieu : Op. Cit., p. 48, Alberti : Op. Cit., Liber III (١٥٤)

T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

وهنا يظهر البرت وفرة تلك الكروم بقوله « أن أهالى الرها كانوا يقدمون لبلك حاكم سيمسلا ضرائب بيزنطية من محاصيل وأغراب » ويظهر وليم الصورى نفس المعنى بقوله « أن ثوروس الأرمنى ظلم الأهالى وكان اذا قاومه أحد أثار الأتراك ضده فيصبح ذلك الشخص التعيس خائفا ليس لمقط أن كرومه وحدائقه ومحاصيله النابية تقطع وقطعاته تسلب بل كان يخشى على حياته أيضا » .

Nersès : Op. Cit., p. 241.

(١٥٥)

بذكر نيرسيس أن حدائقها كانت مليئة بالنرجس والزعران والورد والبنفسج .

تل باشر فكانت أشهر فواكهها الخوخ والبرقوق (١٥٦) .

على انه كانت للتواحي الطبيعية الخاصة بالفيضانات المدمرة او قلة الأمطار او البرودة القارسة لثروها على الزراعة في الرها الى جانب الاثر الواضح الذي تركته الحملات العسكرية المتتالية وما ترتب عليها من آثار مدمرة حلت بالأرض الزراعية وما عليها من محاصيل شتى . ومن امثلة ذلك انه حدث في بداية قيام الإمارة تقريبا او على وجه التحديد ١٠٩٩م (٤٩٩هـ) ان الأمطار لم تسقط في أى جزء من اجزاء الإمارة مما تسبب عنه جفاف الأرض وتدمير الأشجار والكروم وبالتالي ، سبب الجذب فناء كبيرا بين اهالى الرها (١٥٧) . ويرجع متى الرهاوى تلك المجاعة الى الغضب الالهى الذى انتقم لموت الأمير ثوروس بطريقة غير عادلة ، بعد ان نقض الاهالى اليمين الذى اقسموه على العلييب والانجيل للمحافظة على حياته ، ثم قتلوه (١٥٨) .

وفي العام التالي ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عاد الرضاء مرة اخرى فغضاع انتساج القمح وللشعير وحملت الأشجار الفواكه وباضت ينابيع المياه بعيانها ووصل الناس والحيوانات الى درجة الشبع من كل شيء (١٥٩) . واستمرت الأحوال على هذا النوال حتى ١١٠٣م (٤٩٧هـ) عندما أصيبت البلاد بفيضان مدمر مصحوبا بأمطار شديدة على شكل سيول مزروجة بالبرد ، فدمر جزءا كبيرا من الأراضى وسقط عدد من المنازل ونفقت حيوانات كثيرة (١٦٠) .

وفي ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما قام مودود بحملته على الرها كان للقرار ، الذى اتخذته أولى الأمر من الصليبيين ذلك - تأثيره البالغ الخطورة على الناحية الزراعية . فقد قرروا اخلاء الجزء الشرقى من الإمارة الأكثر

Cahen Op. Cit., p. 116.

(١٥٦)

Mattieu : Op. Cit., p. 48.

(١٥٧)

Mattieu : Ibid., p.p. 48 - 49.

(١٥٨)

Mattieu : Ibid., p. 49.

(١٥٩)

Mattieu : Ibid., p.p. 68 - 69.

(١٦٠)

تعرضا للخطر من سكانه الفلاحين (١٦١) . وظنوا ان في تلك الخطوة سلامة اولئك السكان الأرمن والسريان . لكن حدث عكس ما كانوا يظنون . فقد دمر الأتراك السريف بأكمله (١٦٢) . وانلقوا كل الحقائق المحيطة بجرها (١٦٣) حتى انه ليس من المبالغة القول بأن هذا الاقليم الفنى الخصيب تحول في يوم واحد الى ارض مجدبة خالية من كل شيء (١٦٤) . وبالإضافة الى ذلك فقد قتلت غالبية أولئك السكان الفلاحين في ذلك الجزء بسهولة أثناء حلولهم عبور نهر الفرات الى الضفة الغربية (١٦٥) - كما اثرتنا - وبذلك كان لحمله مودود هذه اثرها الدمر على الناحية الاقتصادية كما كان لها ايضا اثرها البالغ الخطورة على الناحية السكانية .

وفي ١١١٣م (٥٠٧ هـ) أصيبت اراضى الرها بمجاعة قاسية نتيجة الطقس البارد الذى دمر المحاصيل الزراعية (١٦٦) . هذا الى جانب قلة المشتغلين بالزراعة في ذلك الجانب الشرقى من الامرة بعد مذابح ١١١٠م ، فضلا عن تخوف بقية الزراع في ذلك الجزء من مزاوله أعمالهم حتى لا يتعرضوا لامتداءات الأتراك المتكررة على هذا الجزء المكتشف المرض للخطر (١٦٧) .

Mattieu : *Ibid.*, p. 99, Grousset : *L'Empire*, p.p. 298-299, (١٦١)

Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Zoé : *Op. Cit.*, p. 243,

Cahen : *Op. Cit.*, p. 258.

J. Prawer : *Op. Cit.*, p. 289, Grousset : *Hist. des Crois.*, (١٦٢)

V. 1, p. 456, Setton : *Op. Cit.*, V. 1, p. 399.

Mattieu : *Op. Cit.*, p. 92.

(١٦٣)

Zoé : *Op. Cit.*, p. 243.

(١٦٤)

Mattieu : *Op. Cit.*, p.p. 93 - 94, Fulcheril : *Op. Cit.*, T. 3 (١٦٥)

p.p. 421 - 422, Grousset : *Hist. des Crois.*, V. 1,

p. 456, *L'Epopée*, p. 89, *L'Empire*, p. 299, Cahen :

Op. Cit., p. 258, Setton : *Op. Cit.*, V. 1, p. 399,

Zoé : *Op. Cit.* p. 243.

William : *Op. Cit.*, V. 1, p. 407.

(١٦٦)

حتى اضطر الناس الى اكل الخبز المصنوع من الشعير والذى

كان يخلط احيانا بثمار البلوط .

William : *Ibid.*, V. 1, p. 407.

(١٦٧)

وبينما كان الجزء الشرقى من الإمارة تحت سيطرة بلدوين دى بورج يعانى من الجذب والمجاعة كان الجزء الغربى المحيى بنهر الفرات ينعم برخاء وازدهار فى كافة النواحي ، والمثل فى تل باثر وضواحيها تحت نفوذ جوسلين دى كورثساي (١٦٨) . وقد ترتب على هذا الوضع الشائك - كما بينا من قبل - قيام الجفوة الكبيرة بين بلدوين وجوسلين وطرد الاول للاخير من الإمارة واستيلائه على ممتلكاته الغنية التى ازالته الخطر الاقتصادي الجاثم فى ذلك الوقت .

والراجع ان الاوضاع الزراعية فى شطرى الإمارة ظلت على هذا النهج فى غالبية الاحيان لان الجزء الشرقى ظل اكثر تعرضا باستمرار للغزوات التركية الاسلامية . نمثلا حدث ١١١٩م (٥١٣هـ) عندما غزا ايلغازى بن ارتق الرها ان احرق محاصيلها (١٦٦) . اما حملته ١١٢٠م (٥١٤هـ) فقد نتج عنها تخریب الريف حول الرها (١٧٠) .

التجارة :

اشتغل جزء كبير من سكان الرها بالتجارة (١٧١) . ذلك ان إمارة الرها تمتعت بموقع جغرافى جعلها تسيطر على اهم الطرق التى تصل ما بين النهرين بالساحل (١٧٢) . هذا الى ان مدينة الرها تقع على احد الطرق التجارية العظيمة التى تصل جبال ارمينيا شمالا ببداية الشام جنوبا (١٧٣) . اما سروج فكانت تقع على طريق القوافل من حران والرها الى جسر منبج (١٧٤) .

Willam : Ibid., V. 1, p.p. 497-498, Grousset : L'Empire, (١٦٨)

p. 299, Hist. des Crois., V. 1, p. 497, Setton : Op.

Cit., V. 1, p. 402.

Michel : Op. Cit., p. 205, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٦٩)
p. 249.

Mattieu : Op. Cit., p. 126. (٧٠)

Willam : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit. V. 1, (١٧١)
p. 446, Archer : Op. Cit., p. 202.

Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478. (١٧٢)

Burkitt : Op. Cit., p. 7. (١٧٣)

Le Strange : Op. Cit., p. 108. (١٧٤)

وهنا يعطينا (دوسو) بعض الأمثلة للطرق التجارية في تلك الإمارة منها الطريق من مرعش إلى الرها ، والطريق من دلوك عبر صحراء الشام والذي يمر بحلب ، والطريق من سبساط إلى الرقة على طول الفرات ، فضلا عن الطرق من قورس إلى حلب (١٧٥) .

والواقع أن الأهمية التجارية للرها هي التي جعلت تتكرر يتمسك بها حتى ١١٠٨م (٥٥٠٢هـ) دون المساهمة في إطلاق سراح أميرها بلدين دي بوج لأنه فضل أن يحتفظ لنفسه بإيرادات الاقليم (١٧٦) . ذلك أن وقوع الرها على مفرق الطرق بين الشام وأتليكية من ناحية والعراق وفارس من ناحية أخرى جعلها مركز نشاط تجاري واسع . وكانت علاقات الرها وحدها من الرسوم الخاصة بمرور التجارة تصل إلى أربعين ألف بيزانت ، هذا خلاف المتحصلات الأخرى التي تحصل من أماكن أخرى مثل سبساط وتل بلشر وعينتاب (١٧٧) .

كذلك يقال أن من بين العوامل التي دفعت زكنى إلى إيقاف المذابح والتهب في الرها بعد فتحه لها ١١٤٤م هو رغبته في المحافظة على ازدهار للتجاري فيها (١٧٨) .

كنيسة الرها والحياة الدينية فيها :

قبل أن نتناول بالبحث الحياة الدينية لإمارة الرها وبدي تأثيرها بالحياة السياسية في الإمارة ، يجدر بنا أن نأخذ فكرة عن الطوائف المسيحية في الرها وأهم الكنائس التي تتبعها كل طائفة . هذا مع الإشارة إلى أهم الكنائس التي شيدت في الرها وما بقى منها حتى الفترة المملوكية للإمارة .

والواقع أن الرها تعتبر من المراكز الأولى للمسيحية (١٧٩) منذ أن تلقى أهلها تعاليمها على يد (آديا) رسول المسيح إلى ملكهم

Dussaud : Topographie de la Syrie, p.p. 477-479 (١٧٥)

Zoé : Op. Cit., p. 215. (١٧٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 409. (١٧٧)

Grousset : L'Épopée, p. 163. (١٧٨)

(١٧٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤

William : Op. Cit., V. 2, p. 158,

أبجر (١٨٠) . ومنذ أواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادي ٥٤٢م
أسس الراهب يعقوب البرادعي المذهب اليعقوبي بالرها (١٨١) .
والكنيسة اليعقوبية هي إحدى فروع الكنيسة السريانية الشرقية (١٨٢) .
ويؤمن اليعاقبة بالطبيعة الواحدة للمسيح ويتكلمون العربية (١٨٣) .
وقد ظلت الكنيسة اليعقوبية هي السائدة في الرها الى ان انضمت
اليها الكنيسة الجريجورية الأرمنية (١٨٤) ، التي كان يرأسها
الكاثوليكوس Catholikos (١٨٥) .

Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium . T. 3, (١٨٠)
p. 543, Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit.,
p. 28, Dictionnaire D'Archeologie... T. 4, Part 2, p. 2082.

R. Aubert : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie (١٨١)
Ecclesiastique .. T. 14, p.p. 1424-1425.

وهو يضيف هنا أن يعقوب رسم أسقفا مرأ بواسطة تيودور بطريرك
الاسكندرية بمساعدة اثنين آخرين من الاساقفة المونوفيزيتيين . وعندئذ
أصبح له السلطة على سوريا وما بين النهرين وآسيا الصغرى لكن يعقوب
لم يستقر في الرها بل قضى حياته في الوعظ في سوريا وما بين النهرين
وقبيلية وكبادوكيا وأسس في كل مكان جاليات مونوفيزيتية .

R. Aubert : Ibid., p. 1425, Grousset : L'Empire, p. 311. (١٨٢)

Grousset : L'Empire, p. 311. (١٨٣)

Grousset : Ibid., p. 311. (١٨٤)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151. (١٨٥)

تولى القديس جريجوار كرس البطريركية الأرمنية في القرن الرابع الميلادي
أي في بداية عهد الكنيسة الأرمنية ، ثم تولاها بعده أولاده وأعقابهم من
بعده وكلهم من فرع الأسرة الارسيكية Arsacides

وهنا يذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ح ١٦ ص ٣٩٠ « ان قلعة
الروم كانت مقر بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه بالأرمنية
كتاغيكوس » .

كانت اهم الأعياد الأرمنية :

Pâques.	عيد الفصح
Epiphanie.	عيد الفطاس
Transfiguration.	عيد التجلي
Assomption.	عيد صعود العذراء
Exaltation de la Saint Croix.	عيد ارتفاع الصليب المقدس
Pentecote.	عيد الخمسين أو الحصاد
(Mattieu : Op. Cit., p. 100-101, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152).	

لكن يبدو أنه رغم أن الرها كان يتولى فيها مطرنة يعقبة حتى
 ١١١٩م إلا أنهم لم يلعبوا دوراً مهماً في سلم الكهنوت اليعقوبي
 Hierarchie Jacobite (١٨٦) .

كنائس الرها :

ثم إن الرها اشتهرت بكنائسها التي يزيد عددها على ثمانمائة
 كنيسة (١٨٧) . وكانت أشهر تلك الكنائس وأقدمها : الكنيسة القديمة
 أو الكلدانية التي بناها (آديا) من المال الذي وضمه الملك أبجر تحت
 تصرفه (١٨٨) . وقد ظلت تلك الكنيسة وحيدة بالرها حوالي ثلاثة
 قرون تقريباً (١٨٩) ، وأصبحت بعدة تخريبات بسبب الفيضانات
 والزلازل مابين بداية القرن الثالث وبداية القرن الثامن الميلادي . ولكن
 في كل مرة كان يعاد تجديدها (١٩٠) . وقد وصفت تلك الكنيسة بأنها

R. Aubert : Op. Cit., T. 14, p. 1428. (١٨٦)

وهذا الرجوع يعللنا حصراً لأساقفة الرها اليعاقبة في فترة إمارة
 الرها الصليبية وهم :

Basile (Bar Sabhūni).	مزل ١١٠١م
Ignace (Bar Gadhin).	١١٠١ - ١١٢٠م
Athanase.	١١٢٠ - ١١٢٧م
Basile.	١١٢٧ - ١١٦٦م

(١٨٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ ، القرماني : أخبار الدول
 وأثر الأول ص ٤٥١

Le Strange : Op. Cit., p. 108, Encyclopaedia Britannica :
 V. 7, p. 954, Encyclopaedia of Islam : V. 3, Part. 2,
 p. 997.

Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 38 . (١٨٨)

(١٨٩) غنى ٣٢٤٦ شيدت كنيسة القربين

L'Eglise des Confesseurs

(Duval : Op. Cit., p. 17, 188, Dictionnaire D'Archéologie,
 T. 4, Part 2, p.p. 2004 - 2090).

Duval : Op. Cit., p. 15-16, Dictionnaire D'Archéologie, (١٩٠)
 T. 4, Part 2, p. 2068.

نقد ذكرنا أنه حتى الفيضان العظيم ٢٠١م لم يكن مسيحيو الرها
 يملكون سوى كنيسة واحدة تعرف بالكنيسة القديمة خربها ذلك الفيضان

==

« إحدى عجائب الدنيا (١٦١) » . وقيل أن الروم أشاروا إليها بقولهم « ما من بناء بالحجارة أبهى من كنيسة الرها (١٦٢) » . أما ابن حوقل فيصفها بأنها « ليس للنصرانية أعظم ولا أبدع صنعة منها (١٦٣) » .

والى جانب الكنيسة العظمى بنى بالرها عدد كبير من الكنائس الأخرى كان أهمها في داخل الرها : كنيسة القديس دانيال (١٦٤) . كنيسة القديس بارلاها (١٦٥) ، كنيسة القديس أنيان (١٦٦) ، كنيسة الرسل (١٦٧) ، كنيسة حنا العميدان (١٦٨) ، كنيسة القديس

ثم أصابها نفس الكارثة في فيضان ٣٠٣م ثم أعيد بناؤها ٣١٣م بواسطة كونا اسقف الرها وخليفة سعد . وبعد فيضان ٥٢٥م الذي قلب الكنيسة أعيد بناؤها بواسطة جستنيان ببذخ كبير . -وقلبت الكنيسة مرة أخرى نتيجة لهزة أرضية ٦٧٦م ومرة أخرى ٧١٨م .

(١٦١) Duval : Op. Cit., p. 16, Dictionnaire D'Archéologie...
p. 2063,

المقدس : أحسن التقاسيم ، ص ١٤١ (يفكر أنها كانت بازاج مطبسة بالنسيفساء) .

(١٦٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٦١ .

(١٦٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ .

(١٦٤) Saint Daniel شيدت بواسطة الأسقف Vologèse أو
Eulogius ٣٧٦م .

(Duval : Op. Cit., p. 16, Dictionnaire

D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٦٥) كنيسة القديس Barlâhâ شيدت بواسطة ديوجين أسقف الرها ٤٠٦م

(Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091).

(١٦٦) Saint Etienne التي كانت من قبل معبدا يهوديا ثم أصبحت

كنيسة بواسطة رابولا أسقف الرها ٤٢١م

(Duval : p. 16, 170,

Diction. D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٦٧) L'Eglise des Apôtres شيدت بواسطة Hibha أسقف الرها ٤٣٥م .

(Duval : p. 17, 175. Diction. D'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

(١٦٨) Saint-Jean Baptiste شيدت بواسطة نونوس أسقف الرها ٥٧ — ٧١م

(Duval : p.17, 176, Diction. d'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

آبيا (١٩٩) ، كنيسة القديس كوانا (٢٠٠) ، كنيسة ملرى ام المسيح (٢٠١) . هذا الى جانب كنائس اخرى خارج المدينة (٢٠٢) .

وكان من اشهر الكنائس التى بنيت فى الرها فى العصر البيزنطى ثلاث كنائس ابرزها كنيسة سانت صوفيا او القديسة صوفيا (٢٠٣) . ولم تقتصر الكنائس فى إمارة الرها على مدينة الرها فقط بل تعددت فى بقية مدنها وكان من أهمها كنيسة قورس التى اعتبرت أيضا من عجائب الدنيا (٢٠٤) .

وإذا كانت كنائس الرها قد لاقت رعاية فى العصر الأموى (٢٠٥) ،

(١٩٩) Saint Addée (Duval : p. 17, Diction.: Ibid., p. 2064)

(٢٠٠) Mar Cónâ (Duval : p. 17, Dict. Ibid., p. 2064)

(٢٠١) La Mère de Dieu بنيت مكان المدرسة الفارسية ٨٩١م .

(Duval : p. 17, Dict. : Ibid., p. 2064, 2093).

(٢٠٢) خارج المدينة :

Saint - Cosmas.	كنيسة القديس كوسماس
" Damien.	كنيسة القديس داميان
" Serge.	كنيسة القديس سيرج
" Siméon.	كنيسة القديس سيمون

(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

وفى غرب الرها وجنوبها الغربى على الجبل كانت توجد كنيسة القريين وكنيسة الرهبان القديسة

(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

(٢٠٣) يفكر نبرسيس أن البيزنطيين لما حكموا الرها بنوا بها هيكلا على اسم هيكلم أيا صوفيا (Nerses : Op. Cit., p. 229) أما متى الرهاوى فيسميها Saint Sophie

(Mattieu : Op. Cit., p. 81)

أما الكنيستين الأخرتين فهما كنيسة Mar Theodoros, Mère de Dieu وقد بناهما الأسقف مارد يونس (Michel : Op. Cit., p. 280).

(٢٠٤) ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج ١ ق ١ ص ٣١ .

(٢٠٥) لما هدم جزء من كنيسة الرها بعد زلزال ٦٧١م أعاد معاوية الأول بناءه .

(Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954).

أما عبد الملك بن مروان فقد بنى بالرّها كنيسة للتعميد

(Bar Hebraeus : V. 1, p. 105)

إمارة الرها الصليبية - م ٢٤ ٣٦٩

كان أول الخلفاء العباسيين لم يحترم قدسيتها بل أصبحت المدينة نفسها بالتخريب في عهده (٢٠٦) . وعندما استولى البيزنطيون على الرها ١٠٣١م هرب منها العرب والمسيحيون الموجودون بها بعد ان أشعلوا النار في المنازل والكنائس . لأن مسيحي الرها كفوا بفضلون الحكم العربي على الحكم البيزنطي . وظلت المدينة مهجورة حتى حكمها بيزنطى ، تقى عين عليها المطران دينيسوس فأعاد ازدهارها وبني بها كنيستين (٢٠٧) .

وبعد استيلاء الصليبيين على بلاد الشام ، أنشأوا كرسيتين بطريركين لاتنيين بها هما بطريركية أنطاكية وطريركية القدس . وكان يقع أنطاكية عند كراس مطرانية أمراء الرها وعده استقبالات منها قورس ومرعش (٧٠٨) . وهكذا أصبحت الرها في الفترة الصليبية تضم ثلاثة كنائس هي : الكنيسة اليقونية والكنيسة الأرمنية وهما شرقيتان والكنيسة اللاتينية الغربية .

ووجدت في الرها في الفترة الصليبية حوالي ثمان كنائس رهم بعضها بواسطة الفرنج وخمس من الثلاثة منها للشمامسة اللاتينية (٢٠٩) .

-
- Michel : Op. Cit., p. 279. (٧٠٦)
 Bar Hebraeus :Op. Cit., V. 1, p. 280. (٧٠٧)
 Michel : Op. Cit. p. 191. (٧٠٨)
 كفت أهم الكراسى المطرانية التابعة لأنطاكية طرسوس والمصيصة والرها ودلوك وأفامية . أما أهم الاستقبالات فكانت طرابلس ، اللاذقية ، جبلة قورس ، مرعش ، وجارم .
 Cahen : Op. Cit., p.p. 112 — 113. (٧٠٩)

أهم الكنائس في الرها في الفترة الصليبية هي :

- ١ — كنيسة القديس حنا Saint-Jean وهي كثرائية لاتينية رسمت بواسطة الفرنج
- ٢ — كنيسة القديسة صوفيا Saint-Sophie وهي كثرائية بيزنطية .
- ٣ — كنيسة المقربين Confesseurs
- ٤ — كنيسة القديس توما ، ذات شعائر لاتينية
- ٥ — كنيسة القديس إيمان ، ذات شعائر لاتينية
- ٦ — كنيسة القديس تيودور (وهي التي اختبأ فيها حوالي ثمانين من الأرمن أمام تشكيل أمير سروج ١١١٣م .
 (Mattieu : Op. Cit., p. 105
- ٧ — كنيسة الرسل (بطرس وبولس) .
- ٨ — كنيسة الأربعين شهيد .

ولتسهيل دراسة الأحوال الكنسية والدينية في إمارة الرها سفتاولها
وفقا لفترة حكم الأمراء المسلمين المختلفين لتلك الإمارة لتبين من خلالها
مدى تآكل الحياة الدينية بتجديده المسيحية .

ذلك أنه عند وصول بلدوين البولوني إلى الرها خرج رجال الدين
لاستقباله مع حاكم المدينة وبقية الأهالي في صورة مشرفة جدا وترحيب
زائد (٢١٠) . والواقع أن الترحيب البالغ الذي لاقاه اللاتين من الأرمن
بالذات يشير إلى أنه لم يكن هناك فاصل كبير بين الأرمن واللاتين كما كان
الحال بين الأرمن والبيزنطيين (٢١١) . وعلى ذلك فبعد أن استقر بلدوين
في حكم الرها لم يكن هناك أي نوع من الاضطهاد الديني الذي قاسى منه
الأرمن بالذات على يد البيزنطيين ، بل ساد عهد التسامح الديني (٢١٢) .
وهكذا بدأت إمارة الرها السليبية عهدها في سلام مع الأرمن الجريجوريين
والسريان اليعاقبة واليونان الأرثوذكس (٢١٣) .

أما في عهد بلدوين دي بورج ، فكان لرجال الدين اللاتين دورهم البارز
في حركة التوسع الصليبي الرهوي ، كذلك ظهر في ذلك العهد التحالف
الواضح بين الأمير بلدوين والكنيسة الأرمنية ، وعلى عكس ذلك
تآكل الخلاف في الكنيسة البيزنطية .

ففي بداية ١١٠١م (١٠٩٤ هـ) وعند استيلاء بلدوين دي بورج على
سروج قام الأسقف اللاتيني بندكت أو بابيوس بشور بارز في قيادة الدفاع
الفرنسي في قلعة الديسة (٢١٤) ، حتى استطاع بلدوين احضار النجدة
واستولى على القلعة (٢١٥) .

وفي نفس السنة ١١٠١م بدأ الخلاف بين المطران بارمابوني
Bar cabouni وبين البطريرك الذي عينه مار انثاسيوس السليبي ،
فقد طلب البطريرك من المطران رد جميع الكتب المقدسة التي كانت
مرصعة بالذهب والفضة إلى الخزنة البطريركية ، والتي كان أحد
النوار قد استولى عليها . وبالفعل وعد المطران بردها ، ولكن يبدو

- Willam : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢١٠)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55. (٢١١)
Grousset : Ibid, V., 1, p. 67. (٢١٢)
Zœ : Op. Cit., p. 231. (٢١٣)
Mattieu : Op. Cit., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 250, (٢١٤)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870 - (L'Anonyme)
Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 870. (٢١٥)

انه بعد حصوله عليها رضى ارجاعها الى البطريرك ، وتكر ان اعيان الرها يمارضون في ردها . وعندئذ احتج البطريرك واشترط عليه ايا ارجاعها او اصدار قرار الحرمان ضده (٢١٦) فاقسم اهالى الرها الى قسمين ، الاول ايد البطريرك والثاني عاضد المطران (٢١٧) . وكان ان حاول بلديون دى جورج عقد الصلح بينهما ولكن دون جدوى (٢١٨) . بل ان محاولة مطران ملطية في هذا الجال آتت الى عزل البطريرك له من منصبه (٢١٩) .

ثم فكر مطران الرها في الاستعانة بالبطريرك اللاتينى لأنطاكية برنادى دى فالنس (١١٠١ - ١١٣٥ م) فدعا الأخير البطريرك اثناسيوس امام محكمة في قلعة القديس بطرس في أنطاكية . ويقال ان فرنج أنطاكية توسلوا اليه ان يعفو عن سابوني ولكنه رفض رفضا باتا وفضل الاستشهاد على تنفيذ ذلك الطلب . وعندنا حاول بعض الفرنج الاعتداء على البطريرك بالضرب تصدى لهم بعض الاساقفة ومنعواهم ووبخوهم . ثم صمم برنارد دى فالنس على حبس البطريرك حتى يجمع مجمعا دينيا يعقوبنا لمبحث دعوى بارسابوني (٢٢٠) . ولكن عندما علم امير أنطاكية روجر بذلك احتج على سلوك البطريرك اللاتينى وقال له « انه ليس لديك اى سلطان عليهم » ثم سمح الامير للبطريرك اليعقوبى بمغادرة أنطاكية محملا بالهدايا (٢٢١) .

واذا كان البطريرك اليعقوبى قد توجه بعد ذلك الى آمد واستقر في احد اديرتها ، الا ان ذلك لم يضع نهاية لذلك الموضوع ، لانه أصدر من هناك قرار الحرمان ضد كنيسة الرها اليعقوبية « حتى انه أمر بايقاف اجراسها (٢٢٢) » . وعندئذ انتشر الاضطراب الدينى في الرها فثار بعض رجال الدين بعضهم ضد البعض الآخر ووصل الاضطراب

-
- Michel : Op. Cit., p.p. 193-194. (٢١٦)
 Michel : Ibid., p. 194. (٢١٧)
 Michel : Ibid., p. 197, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٢١٨)
 p. 514, Zoé : Op. Cit., p. 231.
 Michel : Op. Cit., p. 197. (٢١٩)
 Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 515. (٢٢٠)
 Grousset : Ibid, p. 515. (٢٢١)
 Michel : Op. Cit., p. 212. (٢٢٢)

الى حد أن يغض أهالي الرها تصرفوا أطفالهم في كنائس اللاتين (٢٢٣) .
وفي ١١٠٢م حدث اضطراب ديني كبير في بلاد الشام وقيليقية
وامتد إلى الرها ، وهو ما صورته متى الرهاوى بصورة مسهية ، عندما
ذكر أن ذلك الاضطراب قام في البداية بسبب عدم دقة البيزنطيين والفرنج
في تحديد عيد القتيبة في تلك السنة (٢٢٤) . وكان أن قامت في ذلك الوقت
مجادلات عديدة بين البيزنطيين والأرمن بسبب ذلك الخلاف . أما الفرنج
فلم يكن لديهم أي اهتمام بمنأوة الأرمن في تلك النقطة . وكان أن دخل
أهالي انطاكية وقيليقية والرها في مناقشات لا تنتهي حول ذلك الموضوع
لأن البيزنطيين حاولوا فرض ذلك التقويم على الأرمن . واضطر السريان
في الرها إلى الانضمام عن خوف إلى جانب البيزنطيين وتخلوا عن
التحالف الذي كانوا قد عقدوه مع الأرمن (٢٢٥) .
وكان البيزنطيون قد وقعوا في نفس الخطأ عندما لم تشمل أنوار
كنيسة القبر المقدس ، في تلك المناسبة وتعرض حجاج بيت المقدس
للضامح من جانب المسلمين ، وهو ما حدث في عهد الإمبراطور باسيل
حوالي ١٠٠٦م (٣٩٧ هـ) . وعندما تكرر نفس الخطأ في تلك السنة
١١٠٢م ، حذر رجال الدين في الرها الرئيس الأعلى للأرمن
Le Catholico Grégoire ، ولكنه رد عليهم بخطاب طويل
كتبه بخط يده وحتم فيه على الثبات على العقيدة الأرثوذكسية (٢٢٦) .

Michel : Ibid, p.p. 212-213, Grousset : Hist. des Crois., (٢٢٣)
V. 1, p.p. 515-516.

Mattieu : Op. Cit., p. 62. (٢٢٤)

نقد حدد الفرنج والبيزنطيون عيد الفصح
بيوم السبت الموافق ٥ أبريل ، بينما حدد الأرمن والسريان والعبريون
بيوم الأحد الموافق ٦ أبريل وهو يوم أحد السعف .

Mattieu : Op. Cit., p. 63. (٢٢٥)

Mattieu : Ibid., p.p. 63 — 67. (٢٢٦)

صورة مصغرة للخطاب :

« إلى الأصدقاء الحقيقيين للمسيح . . إلى القسس ، إلى كل العظماء
والى كل المخلصين السلام . »

لقد قرأت خطابكم الذي يتفجر بالحب الإلهي . ولقد فهمت تملها
كل ما يحويه من ملاحظات . واننى احكم واشجعكم وأعلمكم الصبر .
وسأصحبكم حتى الموت في كل المناسبات ، في كل أنواع التعذيب ، لن

==

وعندما تلقوا الخطاب أصبحوا أكثر تمسكا عن ذى قبل بالذهب الأرثوذكس . ويذكر متى الرهاوى انه حدث في عيد الفصح ان اضاء اعالي القدس انوار كنيسة القبر المقدس عن طريق التحليل واستخدموا لافساء تلك الانوار الالهية نارا سرية . لكن تلك الانواء اثبتت بالضبط في عيد الفصح الأرمني ، كما شاهد كل المسيحيين الموجودين بالقدس . عندئذ اعترى البيزنطيون الخجل للاحتفال بذلك العيد يوم نحد السف (٢٢٧) وفي ١١٠٢م قويت الروابط الودية بين بلدوين دى بورج من ناحية وبين الكنيسة الارمنية عندما استقبل الأمير ، الرئيس الدينى الاعلى للارمن الجرجوريين ، بسيل الذى قدم الى الرها محموبا بالتباعد من النبلاء والاساقفة والقساوسة ، فتلقاه بلدوين بحفاوة بالغة وقدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا وظهر له ودا كبيرا (٢٢٨) .

وفي العام التالى عندما قلبت معركة حران السابعة الذكر كان لرجال الدين اللاتين دورهم فيها ايضا سواء من الرها لو من بقية الامارات اللاتينية الاخرى ، اذ شارك في تلك المعركة - برنارد بطريك انطاكية وديلمبرت بطريك القدس الذى كان لاجئا في لتطكية حينئذ ، ويندكت رئيس اساقفة الرها اللاتين (٢٢٩) . وقد أسر بنفكت في تلك الواقعة (٢٣٠) . ورغم استنجاده في اسره بشكر يد فانه

==
ابتعد عن وظيفتى ولن اترك واجباتى . واننى مستعد ان اعطى حلا لكل نقطة في كل ما سأسفرك منه . اما انتم فلا تنهوا ولا يأسوا ، لان الله يؤيدنا اذا صبرنا . وسنحارب نحن بقدر استطاعتنا كجنود المسيح الشجعان من أجل الحقيقة . نحن شاهدون على اننا لم نرتكب اى خطأ ولم نفسد اى عقيدة اذا تضامنتم مع مواعظى وعقيدتى فسأكون الضامن لكم امام السيد المسيح . اما من يرغب في المجد الدينوى بدلا من المجد الالهى ، فسيفزع في صفوف هؤلاء الذين لا يعترفون بالسيد المسيح كاله . وسيطرده من جماعتنا ويحرم من بركتنا . بعكس من يؤمن معنا بالله فسيحصل على السعادة الابدية ... آمين » .

Mattieu : Ibid., p. 67.

(٢٢٧)

Mattieu : Ibid., p. 70-71, Grousset : L'Empire, p. 298, (٢٢٨)

F. Charles-Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 21.

William : Op. Cit., V. 1, p. 456.

(٢٢٩)

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX... T.4,p.615, (٢٣٠)

Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 710, William: Op. Cit.,

V. 1, p. 459.

لم ينجده (٢٣١) . ووضع الأسقف في رعية أحد المسيحيين
الروتين علينا اكتشف شخصيته تحركت في نفسه شفقة الحب وسمح له
بالهروب دون أن يلحقه أى أذى . وعاد بندق إلى الرها حيث قوبل
بالمعدي من مظاهر الفرح والسرور (٢٣٢) .

وحى نهاية عهد بلدوين دى بورج في الرها لم تثر على أى شيء
يتمثل بالناحية الدينية بمد ذلك سوى مذكره متى الزهلاوى عن التخريب
الذى أصاب كنيسة سانت صوفيا ١١٠٥م نتيجة انهيار جدارها
الغربي (٢٣٣) .

والواقع أن المصادر المعاصرة لإمارة الرها في تلك الفترة ركزت
غالبية كتاباتها على العلاقات الروحية التركية فضلا عن حركات التوسع
الخارجية من جانب الإمارة على حساب الأرمن خارجها .

لما عهد جوسلين الأول فكان يظل فترة صراع شديد مع جيران
الإمارة المحيطين بها كما بينا في باب العلاقات الخارجية ، لذا لم تبرز
الناحية الدينية في الإمارة في ذلك الوقت إلا من خلال سطور قليلة .

نفي بداية عهد جوسلين يشير ميخائيل السريتي أن بطريرك الرها
توجه إلى تل بشر لقبالته . « فصالحه جوسلين هو وكل الأساقفة
وأعداء كل الزخارف ولوائى الزيت المقدس التى كان قد استولى عليها
اتقاء غضبه من الخزائن البطريركية في دير مسار بروسوا (٢٣٤) » .
والراجح أنه ربما قلم جوسلين باعتدائه هذا على الدير عندما طرد من
الرها بواسطة بلدوين دى بورج ١١١٢م .

وهوالى ١١٢٩م استنجد البطريرك اليمقوبى مار الثلثيوس — السابق
الذكر الذى كان قد رحل إلى آمد — بجوسلين لأنه أصبح شيئا
سجين هناك في ذلك الوقت . فما كان من جوسلين إلا أن أرسل إلى أمير

Gesta Tancredi : Op. Cit.,... T. 3, p. 710. (٢٣١)

نقد كان بندق يصبح على تنكيد قائلا : « تنكيد ، تنكيد قدم المونة »
Alberti Aquensis' Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616. (٢٣٢)

Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 710, Williams: Op. Cit.,

V. 1, p. 459, Grousset: Hist. des Crois., V. 1, p. 406

من (Foucher).

Mattieu : Op. Cit., p. 81.

(٢٣٣)

Michel : Op. Cit., p.p. 259 — 260.

(٢٣٤)

آمد مهندا بتخريب بلاده اذا لم يطلق سراح البطريك . ثم اطلق سراحه بالفضل وعاد الى الرها ثم توجه الى دير مار يرسوما حيث قضى بقية حياته (٢٢٥) .

وكن البطريك بعد عودته الى الرها قد ظل محتفظا بموقفه من بار سلبوني ومصمما على ابقاء قرار الحرمان ضد كنيسة الرها اليعقوبية . لذا تجددت محاولات التوفيق بين الجانبين واشترك في تلك الوساطات جوسلين الأول عن طريق بعض فرسانه ، لكن دون جدوى (٢٣٦) . والراجح ان البطريك توفي وهو متمسك بموقفه من الكنيسة اليعقوبية ، في حين لم يحاول جوسلين اتحام نفسه بشدة في النواحي الدينية .

اما جوسلين الثاني فقد اتحم نفسه في الأمور الدينية وتدخل في شئون الكنيسة اليعقوبية فرفض الاعتراف بتعيين اثناسيوس الثامن وعين هو اسقفا يعقوبيا مديقا له هو بلسيل بارشوماننا Basile Bar Shumana (٢٣٧) . بل أكثر من هذا نهب جوسلين دير سانت يارسوما الذي يكتسه اليمانية (٢٣٨) . والذي ذاعت معجزاته (٢٣٩) . وقد اعترف جوسلين الثاني في آخر حياته

Michel : Ibid., p. 228.

(٢٢٥)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 516.

(٢٢٦)

Grousset : Ibid., V. 2, p. 176.

(٢٢٧)

Grousset : Ibid., V. 2, p. 176, L'Empire, p. 300.

(٢٢٨)

Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 257 — 258.

(٢٢٩)

ينكر ابن العبري : هنا احدى معجزات ذلك القديس بقوله « انه في ١١٣٤م وصلت اسراب عظيمة من الجراد الى الرها ، عندئذ احضر أهالى الرها التابوت الذى وضعت فيه اليد اليمنى للقديس وبوصلوها حدثت المعجزة وتحرك الجراد دون احدثات أى ضرر بالانقليم . ثم استغذ البيزنطيون الطران الفرنجى هيو ليفتح التابوت حتى يمكن لليد ان تظهر ولما رفض الرهبان القيام بذلك سخرؤا منهم قائلين ان التابوت ليس به شىء . فانظر الرهبان لفتح . وعندئذ قصف رعد مفرغ وملائت السماء بالسحب المظلمة وضربت الأرض بأحجار ثقيلة فصلح الناس جميعا (كيريليسون Kuryâlaisson) أى انزل علينا الرحمة ايها المختار عند الله ، وهرب البيزنطيون واخفوا انفسهم . وعندما توقف ذلك القصف اجتمع الناس جميعا وصلوا لمدة ثلاثة ايام » .

في سجنه أن ملحد به من مصائب مرجعه الى آثله بسبب موقفه من ذلك الدير المقدس (٢٤٠) .

رجال الدين والدفاع عن إمارة الرها ١١٤٤م :

وكان لرجال الدين دورهم البارز في الدفاع عن الرها ضد زنكي والقوات الإسلامية ١١٤٤م (٥٣٩ هـ) . فقد تزعم الدفاع في ذلك الوقت رؤساء الطوائف الدينية المختلفة في الرها وعلى رأسهم هيو الثاني الأسقف اللاتيني وباسيل الأسقف اليمقوبي وحنا الأسقف الأرمني (٢٤١) .
واقفاء الحصار حول الأسقف السرياني التوسط لدى الأسقف اللاتيني - باعتباره المثل الأول لرجال الدين بينهم - لعقد هدنة لمدة ليوم مع زنكي على أمل وصول نجدة اليوم . ولكن يبدو ان الأسقف اللاتيني رفض . ومع ذلك فقد أرسل باسيل خطبا بهذا المعنى الى زنكي الا ان أمره انكشف (٢٤٢) .

من هذا نرى ان السريان كانت لديهم نية المسألة تجاه الأتراك ولاغرو في ذلك فقد كان السريان في ذلك الوقت أكثر عداءا للأرمن منهم للأتراك (٢٤٣) .

ثم يستمر سير الأحداث - كما سبق الذكر - وتسقط الرها ، وهنا تشير المصادر العربية الى رجال الدين كشارة موجزة في قولها ان زنكي

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 276. (٢٤٠)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme) (٢٤١)

Cahen : Op. Cit., p. 369, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338,

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.

هنا نجد كل من الصغر السرياني (L'Anonyme) ، بروييه يسمى الأسقف الأرمني Ananias كذلك يذكر (L'Anonyme) هيو الثاني باسم

Papias أما ميخائيل السرياني فيسميه Bafias

(Michel : Op. Cit. p. 282)

أما نيرسيس فيضيف أسقف رابيع هو الأسقف الأرمني أي البيزنطي للأساقفة الثلاثة السابقين .

(Nersès : Op. Cit., p. 259)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme) (٢٤٢)

Zoë : Op. Cit., p. 210.

(٢٤٣)

« مد إلى إريك البلد عنوة » أباد فسوسها وورهبانها (٢٤٤) .

لما المصادر السريانية والأرمينية والمراجع الإفرنجية متشير إلى
جدير رجال الدين يشي من التفصيل .

فبالنسبة للأسقف هيو الثاني فإنه مات في تلك المعركة أمام قلعه المدينة
التي قتل أنه أمر بإغلاق أبوابها حتى لا يلجأ إليها أحد ويشاركه الجميع في
الدفاع عن المدينة . لكن تكدرس الأهالي بشدة أمام تلك القلعة جعل
الكثيرين منهم يموتون خنقا ومن بينهم ذلك الأسقف الذي يقال أيضا أن
أحد الأتراك ضاع في ذلك الوقت (٢٤٥) . والمراجع أنه سقط من شدة
الزحام فاجهز عليه أحد الأتراك . وهنا يعلق وليم الصوري على وفاة
الأسقف اللاتيني بقوله ، أن بعض رجال الدين اعتبروا أن هيو لقي جزاء
أشحه وتكديسه الثروة الهائلة ، دون أن يقدم بعضها من أجل الدفاع
عن المدينة فجنى بذلك ثمار بخله وهلكته نقوده معه (٢٤٦) .

لما الأسقف الأرمني حنا فقد ذكر نيرسيس أنه « نجا من المذبحة
كما نجا يونس من جوف الحوت (٢٤٧) » .

ولما الأسقف السرياني باسيل فقد فصلت المصادر السريانية
الكلام عنه وعن موقف زنكى منه . فقد قيل أنه بعد المعركة وجده
زنكى عارى الجسم فأمر بتدبيره وأخضاره إلى خيمته وهناك وبخه على
عدم تسليم المدينة ، والحفاظ على أرواح من قتلوا فرد عليه الأسقف بأن
« هذه هي إرادة الله وإن ذلك النصر جعل اسم زنكى مشهورا بين الملوك
المائيلين ، أما هو فبريء أمام السيد المسيح لأنه لم يخن عهده . وعندئذ
استهج زنكى من كلام الأسقف ورد عليه « أنت تتكلم الصديق أيها الطران

(٢٤٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٩ أبو شامة : الروضتين ، ص ١ ق ١
ص ٦٥ . تاريخ أبو الهجاء ، ص ١ حوادث ٥٣٩ هـ ، ابن قاضي شعبة :
الدر الثمين ، ميكرونيام الباب السابع ٥٣٩ هـ .

(٢٤٥) Nersès : Op. Cit., p. 259, Michel : Op. Cit., p. 262,

William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Schlumberger : Op. Cit.,
p. 99, rorga : Breve : Hist. des Crois., p. 92, Grousset :

Hist. des Crois., V. 2, p. 881, Zoé : Op. Cit., p. 336.

William : Op. Cit., V. 2, p. 143. (٢٤٦)

Nersès : Op. Cit., p. 260. (٢٤٧)

لأن هؤلاء الذين يحفظون يمينهم يقدرّون من الله ومن الرجال ، وخمسة هؤلاء الذين يثبتون حتى الموت (٢٤٨) .

وزاد من أعجاب زنكى بالأسقف بسبب أنه كان يجيد العربية فاحترمه وعهد إليه بإعادة أسكن المدينة مرة أخرى وأوصاه بحسن معاملته وظل هذا الأسقف حتى وفاة زنكى يتمتع بكنة عالية جدا (٢٤٩) .
ونمتع ذلك الأسقف ليس فقط بتقدير زنكى والمسلمين وإنما أيضا بتقدير وحب الأماشي الذين أحسن إليهم كثيرا بعد فتح الرها ١١٤٤م (٢٥٠) .
والواقع أن معارك الرها في أواخر ١١٤٤م لم يشارك فيها الرؤساء الدينيين للمدينة فحسب بل كان لجميع رجال الدين على اختلاف مراتبهم دورهم الأبرز فيها أيضا ، حتى مات الكثير منهم في تلك المعارك (٢٥١) . وفي إحدى المقالات التي كتبها أحدهم — وهو القديس حنا — وضع البراهين والأدلة لاثبات مسئولية الكرنة على الفرنج لعدم وضعهم حاميات كافية في المدينة التي عهد أمالي البلاد إليهم بالدفاع عنها (٢٥٢) .

كنائس الرها ١١٤٤م :

وعندما بدأ هجوم المسلمين على المدينة ساد التخريب والتدمير كل شيء فيها بما فيه الكنائس التي خرب الكثير منها ونكست صلباتها (٢٥٣) ، ثم أمر زنكى بقصر ذلك التدمير على الكنائس اللاتينية

Michel : Op. Cit., p. 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (٢٤٨)
p. 269, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 188-189.

عن (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 337. Michel

Michel : Op. Cit., p.p. 262-263, Iorga : Brève Hist. des (٢٤٩)
Crois., p. 92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2,
p. 189, 195.

Michel : Op. Cit., p.p. 263-264. (٢٥٠).

فقد مساهم بماله الخاص في شراء حرية الكثير من الأمالي
الذين كانوا قد تحولوا للأسر والسودية .

Nersès : Op. Cit., p.p. 251-253, Bar Hebraeus : Op. Cit. (٢٥١)
V. 1, p. 269.

Michel, Op. Cit., p.p. 266 — 267. (٢٥٢)

(٢٥٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٩ ، أبو ثعلبة : الروضتين ، خ ١ ق ١
ص ٦٥ ، تاريخ أبو الهيثم ، ٢١ مخطوط : حوالي ١٢٣٩ هـ ، ابن قاضي

==

أو تحويلها إلى أيدي المسيحيين الوطنيين (٢٥٤) . أما كنائس الأرمن
والسريان فقد أبقى على الكثير منها وحول البعض الآخر إلى
مساجد (٢٥٥) . ويضيف المصدر السرياني أن زنكى عندما شاهد
روعه الكنائس السريانية أمر بتزويدها بخمسين كبيرين بل أنه « حاول
إشفاء قدميه من القفرس الذي كان يمانى منه عن طريق وضعمها في مياه
من بئر أيجر (٢٥٦) » .

رجال الدين في الرها ١١٤٦م :

وبعد ثورة الرها عقب وفاة زنكى أعاد ابنه نور الدين فتحها،
فقتضى على كل أهالي الرها - كما بينا - أما عن رجال الدين فقد
قتل غالبية الأساقفة والرهبان الذين نجوا من مذابح الفتح الأول للمدينة
على يد زنكى سنة ١١٤٤م (٢٥٧) . ولم ينجح منهم سوى بعض رجال
الدين اليعاقبة الذين فروا فوجدوا ملجأ لدى شركائهم في الدين في ماردين
وشبختان . حيث غولموا بكرم (٢٥٨) . أما مصير الأسقف اليعقوبى
باسيل والأسقف الأرمنى حنا ، فقد فر الأول إلى سيمساط ، أما الثانى
فقد أسر وسير إلى حلب (٢٥٩) .

وعن الكنائس في ذلك الدور فقد تعرض غالبيتها للتدمير مثلما حدث
لبنية منشآت المدينة ، وحتى ما تبقى منها ، فقد هجر وتعرض للسلب
بواسطة جيوش الرها وخاصة أهالي حران (٢٦٠) .

-
- شبهة : الدر المنين ، ميكروغيلم ، الباب السابع ٥٣٩ هـ .
Nersès : Op. Cit., p.p. 262-263, 265-266,
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 108.
Cahen : Op. Cit., p. 370, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338. (٢٥٤)
Runciman : Op. Cit., V.2, p. 237, Dictionnaire d'Hist. et (٢٥٥)
de Géographie ecclési. T. 14, p. 1422.
Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 883. عن (L'Anonyme) (٢٥٦,
Grousset : Ibid., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme) (٢٥٧)
Grousset : Ibid., V. 2, p. 885. (٢٥٨)
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus : (٢٥٩)
Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Ibid, V. 2, p. 885,
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.
Michel : Op. Cit., p. 272. (٢٦٠)

الخاتمة

وبعد فانه يتضح من العرض السابق كيف كانت إمارة الرها من ناحية تأسيسها أولى الإمارات اللاتينية التي قامت في الشرق . وكيف كانت الظروف ملائمة لقيام تلك الإمارة الصليبية دون أن يتحمل مؤسسها الصليبي بلسكويين البولوني مشقة كبيرة ، على عكس الوضع بالنسبة للإمارات الثلاث الأخرى .

وقد أوضحنا في بحثنا كيف بدأت إمارة الرها أرمينية لاتينية ، ولكنها صارت بعد فترة وجيزة إمارة لاتينية صرفة ، بعد أن تخلص أهلها من حاكمها ثوروس الذي كان مكروها منهم - لأمور عدة أهمها أنه من اتباع كنيسة القسطنطينية .

كذلك أوضحنا في هذا البحث العوامل التي ساعدت هذه الإمارة على البقاء حوالى نصف قرن رغم ما تجشمت من مصاعب جمة ومشقات عديدة . ونلخص هذه العوامل فيما يلي : -

أولاً : كان لأهل الرها الفضل الأول والأخير في الحفاظ على تلك الإمارة . ولعب العنصر الأرمني بالذات دوراً بارزاً في هذا المجال : لما لقيه في غالبية الأحيان من معاملة ودية من إمرائها الصليبيين ، بنسب زواج غالبية إمراء تلك الإمارة من أرمينيات ، إذا استثنينا بعض الظروف التي تعرض فيها العنصر الأرمني للتنكيل من جانب الفرنج خلصة عام ١٠٦٨ م ، ١١٠٨ م ، ١١١٢ م ، ١١١٢ م . وإذا كان هذا التنكيل الذي لحق بالأرمن قد تركز بالذات في عهد كل من بلدوين البولوني وبلدوين دي بورج ، فإن عهدى جوسلين الأول والثاني لم يشهدا سوى الأخلاص والحب والتفاني من جانب العنصر الأرمني للإمراء الصليبيين . وخبر مثال على ذلك تلك الحركة البطولية التي قام بها الأرمن لاطلاق سراح جوسلين الأول من سجنه في خريف ١١٢٢ م .

كذلك ساهم العنصر الأرمني بمجهود كبير في الحركة التوسعية لتلك الإمارة على حساب جيوماتها المختلفين . بل إن أهالي الرها جميعاً ضحوا بالكثير من أبنائهم أثناء الصراع بين صليبي الرها وبين المسلمين ، خاصة في معركة حران ١١٠٤ م ثم في ١١١٠ م أثناء حملة مودود على الرها

واخيرا في الدفاع عن الإمارة ضد كل من زنكي وابنه نور الدين ١١٤٤ م ،
١١٤٦ م .

ثانيا : سياسة التسليم للدينى التى اتبعها الأمراء الصليبيون للإمارة
تجاه رعاياهم جميعا بطوائفهم المختلفة من أرمن وسريان كى يجعلوا منهم
سندا كبيرا لهم فى مواجهة المسلمين .

ثالثا : الفنى الاقتصادى الكبير للإمارة والذى حماها لكثير من مرة
من أى حصار إسلامى اقتصادى يقام عليها . حتى عندما خرب الجزء
الشرقى من الإمارة فى ١١١٠م بمسد أن رحل سكانه الزراعيون ، ظل
الجزء الغربى كفيلا بأن يمسد حلجات الأهالى جميعا ، وإن كان ذلك
قد تم وسط بعض الصعوبات .

رابعا : الرابطة القوية التى كانت قائمة بين الإمارة وبين ملكة بيت
المقدس الصليبية اذ ظلت الإمارة حتى سقوطها تحدى بالتبعية
الانطباعية للمملكة (١) . والواقع أن الرابطة بين إمارة الرها
وبين ملكة بيت المقدس كان يدعمها عامل آخر هو أن أول ملكين صليبيين
لبيت المقدس — بلدوين الأول وبلدوين الثانى — كانا قبل ذلك أميرين
للرها تحت اسم بلدوين البولونى وبلدوين دى يورج ، ولذا كانا يشعرا
دائما بالحنين الى تلك الإمارة التى شهدت بداية ظهورها على المسرح
السياسى والعسكرى فى الشرق ، مما جعلها يبدلان كل ما فى وسعها
لتحقيق الأمن والسلام لتلك الإمارة . وخير دليل على ذلك موقف الملك
بلدوين الثانى من أسر جوسلين دى كورتناى ١١٢٢م (٥١٦) وتوجه
الملك للانتقام من أسرية ووتوعه هو الآخر فى أسر الأربعة ١١٢٢م (٥١٧) .

خامسا : وجود بعض العناصر المتشقة المتنافسة فى الجبهة الإسلامية
التي اتلحت بانشقاقها الفرصة لتلك الإمارة كى تصمد حتى فى أخرج
فترات نموها . مثال ذلك التلييد الذى وجدته إمارة الرها ١١٠٨م
(٥٠٢) من جانب الأمير جاولى ، فى الوقت الذى أيد فيه رضوان
صاحب حلب أمير انطاكية تنكريد . وكان من الممكن اذا تكللت الجهود

(١) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 295.

هنا يذكر (بازدمادجيان) أنه فى ١١٠٠م تكونت فى سوريا أوروبا أخرى
على غرار أوروبا الكبرى . وقام بها النظام الانتطاعى بشكل أقسى مما
كان موجودا فى أى دولة قديمة .

(H. Pasdérmadjian : Op. Cit., p. 208).

الإسلامية ضد الأميرين الصليبيين المتنافسين ، لن تقضى على أحدهما ، مثل أمير الرها . كذلك كان من الممكن أن تسقط إمارة الرها ١١٢٢ - ١١٢٣ م . عندما كان أميرها أسيرا هو ملك بيت المقدس نفسه في قبضة بك الأرمني ، لكن الانقسام في صفوف المسلمين والاحتلال الشخصية لعبت دورها في تضييع تلك الفرصة أيضا ، حتى أن ملك نفسه قتل بيد مسلم ١١٢٤ م .

فاذا اضيفت الى ذلك العقبات التي اصطدمت بها حركة للجهاد الإسلامي التي بدأها مودود ١١١٠ م ، لاكتل تأثير هذا العامل في إمداد حكم تلك الإمارة فترة من الزمن . ففي الوقت الذي كان مودود قد أحرز قدرا كبيرا من التقدم في صراعه ضد الفرنج عامة وضد الرها خاصة نراه يقتل بيد أحد البلطية ١١١٣ م (٥٠٧ هـ) . ثم أعقبه في نفس المصير أيضا البرسقي وذلك ٥٢٠ هـ - ١١٢٦ م .

لكن اذا كانت تلك العوامل مجتمعة قد أخرجت بعض الوقت سقوط تلك الإمارة ، بعد أن تجشمت للكثير من المشقات في حماية الجسائب الشر ، للصرح اللاتيني في الشرق ، فلنا أوضحنا في بحثنا العوامل الأخرى التي خلّفت في النهاية للقضاء على تلك الإمارة وأهمها :

١ - تفكك الحلف الفرنجي البيزنطي الذي مثل لفترة من الزمن مانقا مهما ألام جهود زكي .

٢ - العداء بين إمارتي الرها وأنطاكية الذي ترتب عليه انعدام وجود سند صليبي قريب جدا للرها .

٣ - انصراف أمير الرها جوسلين الثاني الى اللهو والعبث عن الاهتمام بشئون الدفاع اليقظ من أمارته .

٤ - ظهور الشخصية الإسلامية القوية ، المثلة في مساد الدين زكي . التي كبدت الصليبيين خسائر جمة في بلاد الشام ، حتى سقطت إمارة للرها على يديه . وكان يمكن أن يمتد الحكم الصليبي لتلك الإمارة فترة أخرى بعد وفاة زكي غيلة ، لولا أن الظروف خيمت القضية الإسلامية في ذلك الوقت فقام ابنه نور الدين بخمّل راية الجهاد الإسلامي ، وأكمل الجهد الكبير الذي بدأه أبوه وحقق هو الآخر قدرا كبيرا من النجاح في ذلك الجبل . وبذلك محا نور الدين إمارة الرها تماما من الخريطة المسيحية ، وهو الأمر الذي حرك الحملة الصليبية الثانية .

هـ - وعند سقوط الرها كان صليبيو السلام غاية في الضعف لا يرجى من ورائهم أى عمل ايجابى سريع ، اذ كانت القدس تحت حكم ملك ثلب قليل النشاط في حين سيطرت النساء على حكم امارتى انطاكية وطرابلس (٢) .

والواقع ان اهم ما عتيت بابرازه في هذا البحث هو الحقيقة الخاصة بأن امارة الرها كانت امارة حرب .. حرب بينها وبين المسلمين من اجل البقاء .. حرب بينها وبين الممتلكات الارمنية خارجها من اجل التوسع .. وحرب حركتها الاضداد والاطماع الشخصية بينها وبين شقيقتها الصليبية امارة انطاكية . هذا الى جانب مشورتها لبنت القدس في حروبها المختلفة ضد المسلمين ، بحكم تبعيتها الاتطاعية لها .

لهذا كانت حياة الاستقرار والهدوء وما يشتملها من ترف وتقدم حضارى من اهم المظاهر التى انتقدتها تلك الامارة . واذا كانت الامارة قد سيطرت على مجموعة من الطرق التجارية الهامة في ذلك الوقت فلا شك في ان تلك الطرق تعرضت للكثير من الاخطار التى عاصرتها الامارة . وهكذا يبدو الجديد في هذا البحث في أنه يعطى صورة متكاملة لامارة الرها من كافة جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية . بعكس الدراسات العلمية التى تركزت فقط على الناحيتين السياسية والحربية ضمن اطار الحروب الصليبية بوجه علم .

هذا فضلا عن أننا استكملنا بعض الحقائق الخاصة بامارة الرها الصليبية ، وصححنا بعض الحقائق التى عالجتها بعض المراجع بطريقة ناقصة او خاطئة ، ولفينا اضاءا على العلاقات الخارجية لامارة الرها ، سواء العلاقات بين امارة الرها وجيرانها المسلمين او بينها وبين الصليبيين والبيزنطيين والأرمن .

واستعنا في كل ذلك بالمصادر الأصلية التى يتركز جزء كبير منها في الموسوعة الضخمة التى تجمع ما كتبه مؤرخو الحروب الصليبية
Recueil des Historiens des Croisades

William of Tyre هذا بالإضافة الى ما كتبه وليم المورى

الذى اعتمدنا على النسخة الانجليزية له المترجمة من اللاتينية .

هذا فضلا عن المصادر البيزنطية واحدا كتاب الالكسياد الذى
كتبته الاميرة (انا كومنين) Anna Comnena : The Alexiad
والمصادر الميريانية وعلى راسها كتاب ميخائيل السريتي
Michel Le Syrien والمصادر الارمنية وعلى راسها ما كتبه
متي الرهاوى والكاهن جريجوار والقديس نيرسيس شنور هالى
Mattieu d'Edesse, Grégoire Le Prêtre, Saint Nersès Schnorhali.
صاحب قصيدة رثاء الرها التى اوردنا الترجمة العربية لقطعات منها
ضمن الملاحق مع بضع ملاحق اخرى جديدة .

ولم نغفل فى بحثنا اهمية المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة ،
وهى التى اقلدنا كثيرا ببعض النقاط الجديدة مثل مؤلفات ابن القلانسي
وابن الاثير وابن العديم وابن الفرات .

كذلك لا نغفل اهمية الكثير من المراجع الحديثة التى لمدتنا ببعض
الآراء الهامة ومنها كتاب بروية المترجم عن العبرية الى الفرنسية والطبوع
بباريس ١٩٦٦م .

J. Prawer : Hist. du Royaume Latin de Jérusalem.

Zoé Oldenbourg : Les Croisades, 1965.

وكتاب اولدنبرج
وكتاب الحركة الصليبية للأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . الذى
استلذت منه كثيرا فى الوصول الى بعض الحقائق التاريخية التى لم استطع
الوصول اليها احيانا فضلا عن نقل بعض الآراء الهامة عنه احيانا اخرى .

ثم بحمد الله

الملاحق

ملحق رقم (١)

نص الرسالة الشفوية التي حملها رسل اتباع جود فرى الى اخيه بلدوين ، ليخبروه بوفاة اخيه وليدعوه الى حكم القدس بدلا منه ١١٠٠ م .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. (R.H.C.)
Hist. Occid., T. 4, p. 526.

« جنود حاكم مملكة القدس — جود فرى — يتمنون لك الصحة . باسم المسيح جئنا اليك بناء على قرارهم ونصيحتهم ، كى نخبرك ان اخاك جود فرى حاكم بيت المقدس قد توفى . وبقاء على ذلك فهم يدعونك بصورة جماعية ان تحضر بسرعة وتقبل مكان اخيك وتجلس على عرشه ، لانهم اتفقوا على الا يعترفوا بسيد آخر عليهم الا ان يكون اخا او قريبا له ، لحسن معاملته الطيبة لهم . ولذا اقساموا الا يحكم بيت المقدس او يجلس على عرشها اجنبى » .

ملحق رقم (٢)

نص خطاب تنكريد الى بوهيموند ، الذى طلب فيه النجدة ضد الأتراك المهاجمين للرها ١١٠٤م بعد وصايته عليها .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 617.

« يتبنى تنكريد التوفيق لخاله السيد بوهيموند — حاكم انطاكية العظيم . لقد تراجعت — بأمر الاله — عن الرها ونزكتها بين ايدينا ، وعينتى مدبرا وحاميا للرها ، فى مكان اخينا المخلص بلدوين ، ولكن جكرمش وسقمان اتحدا من حديد مع قواتهما وحاصروا مدينة الرها مجاة ، ليدمروا قلاعها واسوارها ويقتلوا مواطنيها ويخربوا المدينة ، وياخذونى اسيرا مثل بلدوين ويقودونى الى ارض (البرابرة) . لذا فلاننا

معتدون على ثقة تقديرك ، الذى تكفه دائما للمخلصين للمسيح ، نرنا
 أن نحيطك علما بما يحقق بنا من أخطار ورغم علمنا بالمصاعب التى
 تواجهنا ، إلا أنه يجب استدعاء الحلفاء والأصدقاء من انطاكية والأماكن
 الأخرى بسرعة ، لتقديم المعونة لنا ، بعد أن غلبنا على أبرنا وحوصرنا ،
 حتى نقلل من تهديدات الأتراك ونحدد من غرورهم ونطردهم — باسم
 السيد المسيح — ونفك الحصار الذى يتعرض له حاليا . لأنه يجب أن
 تعلم أننا قلنا في هذه الأرض . . نالنا تفرقنا وأصابنا الإجهاد سنقتل
 ولا نستطيع الوقوف أمام شجاعة الأعداء .

ملحق رقم (٣)

نص رسالة بوهيموند وتكريد الى الملك بلدوين الأول ردا على طلب
 جكروش رد أسيرة سلجوقية كانت في انطاكية في مقابل إطلاق سراح
 بلدوين دى بورج (سنة ١١٠٤م) .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist.,
 Oeccl., T. 4, p. 610.

« نقدم الطاعة الى السيد بلدوين ملك بيت القدس المتعصب
 للمسيحية دون تردد ، وقد قررنا نحن بوهيموند وتكريد أن نكون عند
 حسن ظنك من أجل إطلاق سراح بلدوين السديقي والطييف . لقد كان
 أسرته ومازال مصدر قلق لنا ، لكننا يجب أن نحصل بقدر الأمكان على
 أى مبلغ من المال بالقوة مع الأخ بلدوين من أجل رد الأسيرة السلجوقية ،
 لأننا في حاجة الى المال بشدة لنضع مرتبات الجند ، نحن المظلمين
 لكم باستمرار » .

ملحق رقم (٤)

ما قاله الملك بلدوين الأول لاهالى القدس كي يحثهم على مساعدة
 الرها ضد الأتراك ١١١٠م ، بعد انتصاره في بيروت .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist.,
 Oeccl., T. 4, p. 871.

« بفضل الله وسيدنا المسيح تحققت ارادتنا ونحقق انتصارنا . .

لكن الآن ، ابحث عن ارادتك الطيبة ، انتم جميعا ، كى نقدم المساعدة لامارة الرها ولبلدوين المحاصر فيها ، حتى لا يضطر للانسحاب ، طالما انهم حطناه لنا ، وهم مستعدون لمساعدتنا فى كل وقت ، دعونا نساعدهم ولا نتردد فى التعاطف مع اخوتنا واصدقائنا » .

ملحق رقم (٥)

العلاقات البيزنطية اللاتينية من خلال مفكرته (انا كومينا) عن بعثة الامبراطور الكسيوس كومنين الى ملك بيت المقدس بلدوين الاول بخصوص تنكريد امير انطاكية .

Anna Comnena : The Alexiad., p. 367.

عن :

« عندما وصل بوطوميتس (Butumites) رسول الامبراطور الكسيوس الى المدينة المقدسة كى يتفاوض مع الملك بلدوين ضد تنكريد ، طلب بلدوين من بوطوميتس المال الذى ارسله الامبراطور معه فقال بوطوميتس : « اذا وعدت بانك سوف تساعد الامبراطور ضد تنكريد ، وحافظت بذلك على اليمين الذى حلفته معه عندما مررت ببلاده ، عندئذ سوف اعطيك المال الذى ارسل اليك بدون تأخير » . مع ذلك كان الملك بلدوين شغوفا للحصول على النقود بالرغم من رغبته فى مساعدة تنكريد وليس الامبراطور . وعندما لم يحصل على النقود فضايق ، وكل السلالة البربرية مثله ، فهم دائما فاشرة فاها من اجل الحصول على الهدايا والمال ، لكنها لا تميل الا قليلا لتنفيذ الغرض الذى من اجله دفع المال » .

قابل الرسول ايضا الامير جوسلين دى كورتناى فى يوم عيد القيامة — حيث كان قد حضر للمباداة فى كنيسة القيامة — وجادلها فيما يلائمه . (بخصوص موضوع تنكريد) ولكن عندما اكتشف ان الجواب هو نفس انفعال بلدوين غادر بيت المقدس دون ان ينجز شيئا .

ملحق رقم (٦)

نص حديث الامبراطور حنا كومنين الى امير انطاكية والامراء الصليبيين بعد انسحابهم من شيزر ١١٢٨ م .

William of Tyre : A History of Deeds... V. 2, p. 98

عن

« انت تعلم يابنى العزيز ريموند أننا مكثنا في جوارك وقتا طويلا لحينا لك ، انه يجب أن نوسع امارتك ونهد ممتلكاتك لضرب اعدائنا . ولقد فعلنا ذلك وفقا للاتفاق الذى اتمناه سابقا من خلال وساطة الرجال الحكماء في امبراطوريتنا . محبوب الله ، وانت ياتابنا المخلص ، لقد سنحت الان فرصة مناسبة وهذا وقت لاتجاز وعدنا بوضع كل الاقليم المجاور تحت حكمك كما تنص بوضوح شروط المعاهدة . ولكنك تعرف جيدا وكل هؤلاء النبلاء الذين يقفون معك في حضرتنا يعرفون ايضا انه لكى ننفذ الالتزامات التى نرتبط بها ليس بالأمر الذى يأخذ وقتا قصيرا . على العكس انه لمن الواضح أن شئونك تتطلب اقامة اطول من جانبى وعلاوة على ذلك انفاقا أكثر . لذلك يجب أن تسلم لعنايتنا قلعة هذه المدينة وفقا لمغزى الاتفاق ، ان ثروتنا توضع هنا في امان . قواتنا ايضا يجب ان يؤذن لها بحرية الدخول الى المدينة . الات الحرب التى نحتاج اليها لحصار حلب لا يمكن الحصول عليها بسرعة من طرسوس او عين زربة او المدن القيليقية الأخرى ولهذه الأغراض فهذه المدينة تقدم تسهيلات حسن من أى مكان آخر – انجز وعملك وكن مطيعا للولاء الذى اظهرته ، اعمل واجبك وسيكون عمل سمونا الامبراطورى ان تنفذ الالتزامات الباقية علينا » .

ملحق رقم (٧)

وصف متى الرهاوى لتكامل الأمير مودود وقواته بأهالى الرها ١١١٠م.

عن Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 93-94

خرج كافة أهالى الرها وأهالى الاقليم المحيط بها ، من مخبئهم ومعهم النساء والأطفال في اثر الجيوش الفرنجية المنسحبة .

وحدث منذئذ ان قام اثنان من الفرنج بعمل مغل بالاصول ، اذ وجهوا الى معسكر مودود وارتدوا عن العقيدة المسيحية ، واخبروه بهروب ذويهم وانسحابهم . وكان ان اسرع مودود لمطاردة المسيحيين ، فارتاق الدم في كل مكان . من الرها حتى الفرات ، ولباد أهالى المدينة وأهالى الريف سواء . وعندما وصل مودود الى شاطئ الفرات قتل كل رجال البلاد الذين قابلهم وأمر العديد من النساء والأطفال . وكان الفرنج قد توجهوا قبل ذلك الى الشاطئ المقابل للنهر ، فصاروا

كقطعان من النعاج تمر تحت حد السيف ، وأنزل بهم مودود عقوبة الانتقام الالهى بمثل تلك القسوة حتى سبال الفرات بفيضانات من الدم . هناك كثيرون غرقوا في مياه النهر ، لان اولئك الذين القوا بانفسهم في الماء واجتهدوا للوصول الى الناطق الآخر من النهر لم يستطيعوا الوصول اليه . اما الذين ركبوا المراكب فقد اكتظت بهم حتى غرق منها خمسة او ستة بسبب امتلائها بهم . وفي ذلك اليوم ايضا تعرض كل اقليم الرها للنهب بعد ان اخلى من السكان . كانت تلك هى الكارثة التى اشار اليها الرسل القدامى في كتبهم عندما كتبوا « يا للشقاء على امة ابجر » .

اما الفرنج الذين وقفوا على الضفة الغربية للنهر ، فقد شاهدوا في حزن تلك المناظر مروعة ، دون ان يستطيعوا ان يحولوا دون حدوثها واكتفوا بسكب الدموع الحزينة .

ملحق رقم (٨)

رثاء ميخائيل السريانى للرها ١١٤٦ م .

عن Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 270-272

« يا سحابة الغضب » ويوم بدون شفقة ! حلت فيه كارثة الغضب الشديد على الرهويين البؤساء يا ليل الموت وصباح الجحيم ، ويوم الهلاك ! حل باهالى المدينة العظيمة . يا للحررة ايها الاخوه ! من يستطيع ان يروى او يسمع دون دموع ، كيف ان الام والطفل الذى تحمله بين ذراعيها يخرقهما سهم واحد دون ان يجدا من ينقذهما او ينقزع السهم من جسدها ! وكيف سحقت حوافر الخيل بعد ذلك كل من لحقت بهم في قسوة ! وطوال الليل رشقت اجسامهم بالسهم ، وعند انبلاج الصباح — الذى كان اكثر ظلاما من احلمهم — ضربوا بالسيوف والرمح » .

لقد اهتزت الارض رعبا بسبب المذبحة التى وقعت ، والتى كانت كالمنجل على السابل وكالتار في الخشب . فاستولى السيف على العديد من المسيحيين . واخطلط جثث الاساقفة والشماسة والرهبان ، والنساء والفقراء بعضها ببعض .

وهكذا تحولت الرها الى صحراء مليئة بالرعب ، مغطاه بالسواد ،

تفوح فيها رائحة العفن من جثث أبنائها وبناتها ! فأسرعت إليها الهوام والوحوش ، ودخلت المدينة لتقتات أثناء الليل من جثث القتلى .

نعم ، هُدمت الرها مقرا لأبناء آوى . ولم يعد يدخلها أحد سوى أولئك الذين كانوا يبنشون ليكتشفوا ثرواتها . لها أهالي حران وبقية الأعداء فقد نهبوا الكنائس ومنازل الأعيان قائلين مرحى ! مرحى !

ملخص رقم (٩)

العظة التي كتبها ديونيسيوس الاسدي بصدد خراب الرها ١١٢٦م ونقلها لنا ميخائيل السرياني .

عن : Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 272-273

« كيف يمكن ان نصدق ان السيد المسيح الذي لم يتم فقدان خلقه ، قاد بعض الأعداء ليقوموا بعمليات القتل والسر . . . الخ ؟ ماذا قيل ان هؤلاء تغلبوا دون اذن من السيد المسيح ودون مساعدته ، وهو المطلع على كل شيء ، يكون هذا نوع من السباب ، لان المسيح لا يتغلب ولا تتكاسل يديه منا ، لكن عندما تغلبنا نحن أولا من ارشاداته ، عندئذ سمح بان نهزم بأيدي الأعداء ، حتى نقالب . فنحن السبب فيها يصيبنا من نفع أو ضرر . فإذا اعترفنا بوجوده ، فإن الله يساعدنا ، وعلى العكس اذا اتحرفنا نحو الشرور بحريتنا وباختيارنا وثافتنا الشيطان الى اتجازها . ان السيد المسيح ترك المصائب تحل بنا بسبب ضلالتنا ، كما حدث لأهل الرها الذين كانت نهايتهم اسوء من البداية ، فحلت بهم كارثة مريعة للمرة الثانية لا يستطيع اللسان تحديد نطاقتها . لكن يجب الا ننسى انهما الرجال ان تلك الأمور وغيرها من الأمور المشابهة قد حلت ليس فقط بسبب معصية هذا الشعب وحده بل أيضا بسبب المعاصي الكثيرة التي ارتكبت في كل الأماكن وفي كل البلاد ففي تلك الفترة السيئة امنسد كل شخص عن العدالة وانغمس في الظلم ، ابتعد عن القداسة واسلم للمكر . وتضاعفت المعاصي واصبحت أكثر من شعر الرأس . ومع ذلك فان عددا محدودا هم الذين حلت بهم العقوبة .

ايها الاخوة يجب ان نتوب ونرمد ونخشى عاقبة مجورنا . . . وهذا يكفي الآن » .

ملحق رقم (١٠)

مرثية نيرسيس شنور هالي الأرمني عن سقوط مدينة الرها ١١٤٤م (١) .

Saint Nersès Schnorhali : Ellgie sur la prise d'Edesse,

(R.H.C.), Doc. Arm., T. 1, p. 227 — 268.

نداء لعموم القصارى :

يا عرائس الخدن السماوى (٢)	أية نوحى أيتها الكنائس
المقيوم فى أرجاء العبورة كلها	أيها الأخوة والأخوات الأجباء
يا أم الأرض وفنائها	يا أيتها المدن والقرى
اليكم أوجه رثاى	يا أبها المؤمنون بالمسيح
	فانضموا لعمولى وبكائى

نداء لمدينة القدس :

يا مهد الشريعة والأنبياء	يا قدس ، يا مدينة الله
الذى أشرق على نوره الساطع	يا موطن الله الأوحى
	لأنى أول من اعترف بمساواة الإن للآب
والى بكائى ونحيبى	اصفى الى أيتها الحبيبة
وواسى فؤادى الجريح الكئيب	شاركبى فى أوجاعى وعزيبى

نداء لمدينة روما :

يا موطن العظمه والجلال	وانت يا روما ، يا أم المدائن
الك خطابى وحديثى	يا كرم بطرس الأعظم
اصفى لصوتى من بعيد .	اصفى لوقف مداوسى وكرسية
وانضمى الى بالنحيب	الا أبكى معى ونوحى
فانى فى الأغلال فى غياهب السجون	أمرعى ومدى الى يد المعونة
ممن عادائى واستعدنى	هلمى للثأر والانتقام

(١) هذه بعض مقتطعات من القصيدة التى افترضنا فيها على العفراء المهابة البعيدة عن التطرف والتى ترتبط بموضوع (البحث) . امتتحها المؤلف بقوله (مقالة للأنبا نيرسيس بطريك الأرمن . وضعها بأسلوب الملحة على طريقة هوميروس ونظمها ليرثى بها الرها الكرى وسقوطها عام خمس مئة وتسعة وثلاثون هجرية فى الثالث والعشرين من شهر ديسمبر، الساعة الثالثة ، يوم السبت) ويعلق الناشر دولوربيه على هذا التاريخ بأنه يقابل يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م الساعة التاسعة صباحا .

(٢) الخدن السماوى هو المسيح .

نداء لمدينة القسطنطينية :

اليك دعائي الملهوف
يا من شادها الملك قسطنطين
لقد اصحت قدسا اخرى
لقد كنت ملكا لك
وبسب على ارضي هيكلا
اليك اتوسل . عبثي
واطمني الاعداء في صميمهم ثارا وانتقاما

نداء لمدينة الاسكندرية :

ها اني اصرخ تحت ابوابك
لقد اسسك الاسكندر الاعظم
انك كرمي مرقس
وترعبوا على عرشك
وكاني بك في حال يدعو الى الرثاء ملئ .
كنا يوما مدعاة للحبس والغيرة وامسنا
الآن مدعاة للاشفاق والحسرة
الشفقة الجليظة
ولذلك فاني اتوسل اليك ايتهما
ان ارش معي الآن وابكي.

نداء لمدينة انطاكية :

اليك حديثي وعقلي
يا موطن الرسل ومثلهم
لم لم نهرعى الى
لم لم تهدى الى يد المعونة
هللى واصفى الى تحيبي
وولولى معي وانتحبي
يا لتحياتي الحبيبة انطاكية
اية ايتها القرينة الحبيبة
وانت في اليسر والسعة ؟
بل شمت بي وتركتيني
وشاطريني خسرة اضرمت غواذي
وواسى قلبي الجريح

نداء لمدينة آتي :

اليك ايضا ندائي
ضئى تحبيك الى صوت تحيبي
انظري الى ذلي وثقتي

هلمى وافرجى الغم عنى
ويادرى ألى البكاء على والبسى الحداد
وادعى مم الأرض الى الرشاء والتحبب
واقلقها بانينك المفجع
غير التعزية والسلوان
هيا واجمى مناك
فليس للقلوب المكومة من دواء

الوهسا تسرد تاريخها المجيد وتشيد بفناها :

سادكرها هنا ما أسفه
ثم الويلات التى حلت بى
كنت لما لرهط من البنين
وأرضعتهم من لبن ثدى
ونشأتهم خير تنشئة
وينبوع لبن سحى
وغلات الأرض بامصافها
انعمشت الأغراس الخضراء
وجلبت على الأهالى الفرح والبهجة
فينبعث منها نسيم عليل
وتزين الميادين
وتجعلنى كاحدى جنات عدن
مفهر موفرة وسخاء
وتفوح منها عطور سلاوية
مع اطواق الورود والبنفسج
بها تدره على من ثمار وأرزاق
لما وجد الى ذلك سبيلا مها سعى
الصارثون وزرعوها
والخلات الكثيرة
نيفرحون ويسهجون
ولو وجد من استطاع
لما وجد لى مثيلا
كنت مبرعة على عرشى النخ
او ملكه رائحه الجبال
وهذب مأهذاب مرقه
وكانت الأسوار محيط بى
على الله تعالى من نعم
نفقة من أجل فتوبى وآثامى
وولدت منهم عددا لا يحصى
وربيتهم خير تربية
اذ كنت أرضا خصبة معطاء
لقد تراكمت فى الخيرات
وانبثقت من أحشائى مياه حية
وروت البساتين الفيحاء
وكنت مياه البحر تمتد بين أسوارى
وتغسلنى وتطهرنى
وتعشى الأعشاب والأزهار البهية
ثم تنساب بين الأشجار الكثيفة
وتتمايد بأغصانها الهيفاء
فتغمرنى بالفرجس والزعفران
كم كانت تربتى خصبة غنية
لو شاء أحد حصرها وعدادها
فكأنت تربتى اذا حرثها
تجلب الأرزاق الوافرة
أقوت بها أنأتى
بما أليهم من خيرات حبة .
ان يصف موقعى وصفا ملائما
فى مدائن الأرض كلها
كملك اعلى مركبة
تجلت برداء زركش بالفضة والذهب
وازدانت بلهى الحلل
وحصن مسيع يحمينى

والقلاع الشامخة الرهيبة المقتنة أنبساء والتحصين
كانت كالرؤوس المضمخة على أبدان متينة صلدة
وكان لاسوارى اسمى عميقة وفي أعاليها تسفن كأسنان التيجان .
وكان في مبان فخمة وهيكل رائع شيد في المنطقة الوسطى الغناء
ثم الأسواق والشوارع تمتد بتسيق وانتظام
والقصور الشامخة التي يعجز لسانى
ولسان أى أنسان عن وصف بهائها وروعها
فانها كانت تحاكى الديار المسلوية وتضاهى المواطن العلوية
ماحرة لا مثيل لها

زوال العظمة والرخاء :

ان هذا المجد وهذا الأزدهار الذى حدثت عنه
وسردت قصته بايجاز كان في عصر غابر
لكنه اضحل الآن بعمق . كنت في خير وسعة
كنت في هناء ورخاء حتى اكبرنى من رأى وعظمى
ومن سمع عنى اعجب بى ولكن جاءت ساعة المحنة
وكل ما اسبغ على من نعمة زال واندثر
وانقلب ما كان حلوا الى مر هلقم وبدلا من التعظيم والتبجيل
لا الى الآن سوى الاشفاق

حال الرها بعد فتح الفرنج لها :

لقد تخرجت من السماء الى الأرض من الاعالى الى الحضيض
وطئت وثقلت ونسيت وصايا ربى
وهجرت شريعته واركت الذنوب والاثام
وتدنست بالمنكرات منذ تلك الساعة التى بدأت فيها
اصاهر اهل روما واتقرب اليهم

الاتاك زنكى يحاصر الرها :

لما تحقق زنكى من دلى وهوانى زحف نحوى زحف الشعابين
لبلىسى في كعبى ويرشقنى بسهامه الخفية
اختبأ في الحقول ثم اجهز على على حين عره
في ساعة لا انتظرها اذ انه ما ان تحقق وتيقن
من غياب رجالى وحماتى حتى حاصرني من كل ناحية

وهاجنى بقواته
ولم ينفكوا يحاربونى
ولم يزالوا يعيرون تحركهم
لقد مدججوا بالسلاح واشهروا الحراب
واستتروا وراء مجنات جلديه
وراحوا يرشقونى بسهامهم الحاده
ثم سادو امامى سورا ونصبوا عليه النجيق
وامطرونى بوابل من الحجاره
وجاهدوا واستماتوا
نهر رجالى وابطالى
مقد حمروا كما بحفر الخلود
ثم نصبوا فيها الاعمدة والاوئاد
واعادوا العدة لحرقها
ثم هتفوا باهل المعينه قتلين :
كيلا تموتوا شر ميتة
والافئس المصير «

وسدوا فى وجهى كل سبيل
ويضايقونى ليل نهار
ويقتحمون الميدان بقوات جديده
ورغموا الاقواس والاسنة
ثغرة فى قاعدة السور
من نحت للسور وابراجها
على ما جرت عليه عادتهم
« هلا كفتم عن المقاومة
واستسلموا راهبين لا صاغرين

استماته الروهييين فى الدفاع عن حبيبتهم :

لكن اولئك الابطال
حتى ابوا ورفضوا
الا يخلو الميدان
ولا يصغوا لتهديد العدو
وراوا انه من الأفضل
من ان ينفكوا بمعهدهم
ويهتفون قاتلين :
ايها الاخوة من سيوف العدا
مغتربها رعدة الانذار
يعلن على جميع امم الارض
مازالنا آمنا فى الديار السماوية « .
ولم يزالوا يرددون مثل هذه الاقوال
ويبتادلون عبارات التوعد والتشجيع
والابناء يستعدون للقتال

ما ان سمعوا هذا الوعيد
واقسوا وتماهدوا
ولا ينسحبوا من المعركة
ولا يفتحوا لهم ابواب المدينة
ان يموتوا فى مواقعهم
ثم راحوا ينادون بعضهم بعضا
« ان نخاف ولن نهلع
ولن ندع سالة الأبطال
ولنظفن من بعدنا اسما ابنا
علينا بالشدة ورباطة الحاش

بعضهم لبعض
وراح الأب يحث أبنائه
وعلا نداء المعركة

واقتمح الميايين والمنازل
ولا سوقة مذلولين
وعلى رأى واحد مجتبيين
كل واحد يستحث جماعته
وعلى الوقوف وقفة الشجعان في وجه الاعداء
بلا خوف من سيوفهم
فلم يعد بينهم خاصة موقرين
بل كلهم متساوين متحدين
وكان المطرنة والكهنة
على السبود والنزال
والى لا تفك الا بالاجسام

انقطاع اهل الاهالى في وصول المدد والمعونة :

ولم يزالوا يتبادلون
ها هي ذى الحشود المسلوية
وينظرون من يعينهم
ولا ينفكون ليل نهار
لكن لم يصل أحد
بل ان عباد الصليب
تخاذلوا وتقاعسوا
عندئذ دب الجهد والنشاط
لتنفيذ حيلة المنجنيق
وبسبب معاصي الكثيرة
قطموا على كل سبيل
عبارات التشجيع ويقولون :
آتية لشد ازرنا ومستدقنا .
ويبتون الانظار في الطرق والساك
ينتظرون النجدة
ممن كلقوا ينتظرون
في البلاد كلها
عن مد يد المعونة اليها
في صفوف العدو
على جناح السرعة
والكلى الجسمة
للمدد والمعونة

انهيار طرف من السور واهدات اول ثغرة فيه :

ان نوادي الآن ليدي
اذ اذكر ذلك اليوم الرهيب
ذلك النهار الاسود القاتم
حين انبعثت نيران سدوم (٢١)
ولم تطر من السماء
واذا بالسور الحصن
ويندك من اسمه .
وعلى وروحي يشطربان
ذلك الصباح الظلم
وطلمته السوداء المكفهرة
من اعماق الأرض
بل من اجواف الخنادق
ينهار ويتداعى

(٢١) سدوم وعمورة مدينتان على البحر الميت كثر فيهما الاثم فأمطرهما الله من السماء بالنار والكبريت وهنا يقول (نيرسيس) ان النار لم تطر من السماء كما حدث لسدوم وعمورة بل جاءت من الأرض من الثغرة التي أحدثها المسلمون في قاعدة الأسوار . (عن سدوم وعمورة راجع سفر التكوين ، الأصحاح التاسع عشر) .

صمعة الرهويين الأخيرة :

لكن ابطالنا لم يتراجعوا
مل تعالت صراخاتهم ونداءاتهم
ويشد أزره ببسالة
وصمدوا على خرائب الاسوار
يحرصون بعضهم بعضا على الكفاح
أشهروا الرياح والسيوف
رفعوا راية الصليب بأيديهم
« لا نخافوا أيها الأبناء الأحياء
نائبنا أفضل من هذه الحياة » .

الرهويون يردون الهجمة الاولى :

عندئذ احتشعت قوى الاعداء
واندفعوا على ثغرة السور
ما لبثوا ان هرعوا اليهم
وردهم على أعقابهم .

انحسار الرهويين وسقوط المدينة :

لكن هيهات . وليتئى
لكن لا طائل من الصمت
أرزاء وخطوب جسيمة
والحاربون عن صد الهجوم
بقواته الجرارة
قتلا وسبيا وتدمير
وطوقوها ثم اقتحموها
أبا ضعاف القلوب فخاروا وارتعدوا
والسعس سعوا الى الموت حثيثا
ونجمع نمر قليل من الرجال
لكنهم سرعان ما غلبوا على أمرهم
ولما نكملوه في قتال طويل

يتم ها هنا حديثي
لقد أصليتها وحلت بنا
اذ عندها عجز الأبطال
هتف القائد الجهنمي (زكى)
وأمرهم ان يأتوا على كل شيء
فأحققوا بالمدينة من كل صوب
ولاحقوا الأهليين واحدا واحدا
وأما الأقوياء فازدادوا همة وشدة
وأخرون ماتوا ذعرا وهلما
غير كاف لحماية الأسوار
لما كان قد لحق بهم من أرهاق
كان قد بدأ منذ شهر ونيف

اقتحام الأسوار :

لقد لاحظ العدو ناحية من الأسوار خالية من الحرس

فتسلقوها صاعدين
وما ان شاهد الاهالى ذلك
فاطلقوا اصواتهم صارخين
واقتحم بعضهم الاسوار
حتى استولى عليهم الذعر
واسرعوا الى الهرب .
اهل المدينة يحاولون اللجوء الى القلعة :

ثم ان جمهور الشعب
وهرعوا ممرمين
لكن سيوف العدو فتكت بهم فتكا
الشبان والاطفال
ولم يرحموا شيب الشيوخ
ولا حرمة الكهنة
تراجعوا الواحد تلو الآخر
نحو باب القلعة
فجرت دماؤهم كالسيول :
ذبخوا بلا رحمة
ولا براءة الغلمان
ولا جلال الاحبار

هلاك من وصلوا للقلعة :

لكن حراس القلعة القادرين
انفلوا الابواب في وجه الاهالى
فحاول الشعب ان يلوذ بالفرار
وتهاوتوا على الابواب كملجئهم الاخير
ويتسارعون ويتصادقون
وكانت سيوف الاعداء من خلفهم
اكوابا عالية .
واحدئا من كل جنس وسن .
والامهات يتشبثن باطفالهن
والاناء يسالون عن بنيهم
والانساء يسعون مع آبائهم
لكنهم لم يجدوا من معين
ولا هو يشفق على شقيقته
سقط كل واحد في موضعه
اما الذين نجوا فقد هربوا
من موق جثث القتلى
لكن حدود الاعداء
وراح كل منهم على سجيته وهواه
اما من كان وسيما جبيلا
لا سيما من استحسنوهم

الذين كانوا يحمونها
ولم يسمحوا لاحد بالدخول
هربا من حد السيف
وراحوا يتسابقون اليها
لكن الابواب اقفلت في وجوههم
فتكومت حثثهم على الابواب
رجالا وساء ، شيوخا واطفالا
كانت اللنات يبيكين في اخضان امهاتهن
وبلاقين الموت معهم
لعلهم يحدون وسيلة لتجساتهم
بحثا عن مكان امين
مالشقيق لا ببالي بشقيقه
لانه عاجز عن الحراك
بعد ان كتبت انفاسه وانقطعت
خشية من السيوف الصوارم
وداسوا عليهم ولاذوا بالفرار
لاحقوهم مشهرين السيوف عليهم
يختار فريسه المفضلة
فاتخذوه اميرا
من فتيات وغلمان

ابا الطامعون في السن
وكنسوا جثثهم تكديسا
فما كن احد بكفن
ولا دفن في قبر
لم تسمع في ذلك الماتم الرهيب تراثيم كاهن
ولا صلاة ولا دعاء

رؤساء الطوائف المسيحية يموتون مع رعاياهم :

ثم ان رؤساء الطوائف
المقلبي (٤) والارمني
ضحوا جيمعا بانفسهم
ولم يهملوا قطيعهم
حتى ان امام الفرنج
واستشهد مع رعيته
فقد نجا بمشيئة الله وفضله . كما نجا يونس (٥) من جوف الحوت

والآباء الروحانيين الاربعة :
والرومي والسيرتي
ولم يهابوا الموت
كى ينجوا بانفسهم
خرج بنفسه الى الميدان
ابا رئيس الطائفة الارمينية

عمال السلب واقتهب وتخريب الكنائس :

ولما فرغو من هذه الامور
والذين سفلوا دماءهم بسموئهم
ولملاك آباءهم واجدادهم
والحلل الثمينة
واوعية البخور العطرة
وحلل الذابح
واردية الاحبار
ما يدعوا الى الرشاء والحررة

سلبوا الذين وقعوا في اسرهم
سلبوهم اموالهم واملاكهم
وذهب النساء وحليهن
واتبة النفسة والذهب
وستائر الكنائس
وملابس الكهنة الثمينة
واشياء اخرى كثيرة

ابتهاج الغاليليين بالفوز والنصر :

ابا ائمتهم
فقد صنعوا الى الابراج العالية
وراحوا بصرخون باصوات عالية

المدعوين « علماء »
من حيث تفرع الاجراس
هاتفين قائلين :

(٤) اى الفرنجى .

(٥) هو النبي يونس الذى عرف باسم يونان وجاءت اخباره
في نموءة يونان .

« يا رسول الله محمد »
ديارك ودارك
المنعبدة لحجارة صماء
وفقا لتعاليم قراكتك
يا مكنه العظيمة ، موطن محمد
والقدم الرسومة على صفحتها
جميع هؤلاء المشرقنة
وخدام يسوع المسيح .

لقد استرددنا ملكا قد فقدناه :
من هذه الأمة الضالة
لقد رويننا الأرض من دماهم
اليك نرف البشرى
يا قبلة الامانى يكعبنها السوداء
اتنا مفرد اليك اليوم
عباد الصليب الضالين

رسالة زكنى التى تحمل بشرى النصر الى الخليفة فى بغداد :

« السلام عليك : ابقر
وعلى مدينهم المنيسة
وليس هذه سوى بداية المعارك
ومن اجل الرسول وليك
فانكرنى اذن يوم الجمعة
كى استطيع ازالة يسوع
وانكل بكل من يدمى

ها انذا قضيت على عباد الصليب
وعرضت اسسها لاثعة الشمس
التي ساخوضها من اجل دينك
رسول الله ونبيه
لدى صلاتك فى المسجد
وجميع اتباعه من على وجه الارض
ان لله ولدا .

سبب سقوط الرها فى يد زكنى من وجهة نظر نيرسيس : (على لسان الرها) :

انه لا بحوله وطوله
تكن من فتح الرها
بل من اجل خطايى الجمة

ولا ببأس قواته
وأعمل فيها السيف ومباها
ولكنة ما اقترفته من آثام

مصادر البحث

(١) المصادر العربية المطبوعة :

١ — ابن الأثير الجزري : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين :

(١) الكامل في التاريخ ، د ٨ ، ٩ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(ب) الباهر في الدولة الاتابية (بالموصل) تحقيق عبد القادر احمد طليبات ، الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

٢ — أسامة بن مرشد : (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة أبو الظفر أسامة بن مرشد الكنتاني الشيزري : الاعتبار ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ .

٣ — ابن أبيك الدواداري : (٧٣٢ هـ) أبو بكر بن عبد الله : كنز الدرر وجامع الفرر ، د ٦ ، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٢٨٠ هـ — ١٩٦١ م .

٤ — ابن الجوزي : (ت ٥٩٧ هـ) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف المشيانية ، حيدر آباد الدكن ، د ٩ ، ١٣٥٩ هـ ، د ١٠ ، ١٣٥٨ هـ .

٥ — الحسيني : أبو الحسن علي بن أبي الفوارس ناصر بن علي : أخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ، ١٩٣٣ .

٦ — ابن حوقل : (عاش في القرن العاشر) أبو القاسم محمد بن علي الوصلي الحوقلي البغدادى : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة الحياة ببيروت .

٧ — ابن خرداذبة : (ت ٣٠٠ هـ) أبو القاسم عبد الله بن عبد الله : الممالك والممالك ، مكتبة المثنى بسفداد ، طبعة أبريل ١٨٨٩ .

٨ — ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ) عبد الرحمن بن محمد : المعبر وديوان البتدأ والخير ، د ٥ طبعة ١٢٨٤ هـ .

٩ — الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ / ١٢٤٧ م) شمس الدين أبي عبد الله محمد

بن أحمد بن عثمان : العبر في خبر من غير ، د ٣ الكويت ١٩٦١ ، د ٤ ، ١٩٦٣ .

١٠ - سبط بن الجوزي : (ت ٦٥٤هـ) أبو المظفر يوسف بن قزواغلي التركي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، د ١ ق ١ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند (١٣٧٠هـ - ١٩٥١م) .

١١ - أبو شامة : (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدس : الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، د ١ القسم الأول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٢ - ابن الشحنة : (ت ٨٩٠هـ) أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي النقاش الحلبي الحنفي : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق أبو الين البتروني (ت ١٠٤٦م) المطبعة الكاثوليكية : بيروت ١٩٠٩ .

١٣ - ابن شداد : (٦٨٤هـ) عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم : الأمل في ذكر أراء الشام والجزيرة ، د ١ ق ١ ، دمشق ١٩٥٣ .

١٤ - الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : تاريخ دولة آل سلجوق اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني . مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م .

١٥ - ابن العبري : (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) جريجوريوس أبي الفرج ابن هرون الطبيب الملقب : تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠ ، ١٩٥٨م .

١٦ - ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبدة الطلب من تاريخ حلب ، د ٢ ، نشر وتحقيق ملسي الدهلان ، (من ٢٥٧هـ إلى ٥٦٩هـ) .

١٧ - الفارقي : (عاش في القرن السادس الهجري) أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق : تاريخ الفارقي ، القسم الأول ، حققه د . بدوي عبد اللطيف ، القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .

١٨ - أبو الفدا : (ت ٧٣٢هـ) الملك أيوب عماد الدين اسماعيل أبي الفدا صاحب حياه : المختصر في أخبار البشر ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية د ٢ ، ٣ .

١٩ - أبو الفضائل محمد بن علي الحموي : التاريخ المنعصوري ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، نشره ووضع فهرسه بطرس غزيا زنيويج ، موسكو ١٩٦٠ .

٢٠ - ابن القلانسي : (ت ٥٥٥ هـ) حمزة بن يعلى : فيل تاريخ دمشق ، طبعة بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ .

٢١ - القرمطاني : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي : أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ .

٢٢ - القلقشندي : (ت ٨٢١ هـ) أبو العباس أحمد : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، طبعة أولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢٣ - ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : البداية والنهاية في التاريخ ، د ١٢ ، مطبعة السعادة .

٢٤ - أبو الحامس : (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو الحامس يوسف بن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، د ٥ ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م .

٢٥ - المقدسي المعروف بالبشاري : (ت ٢٧٥ هـ) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ .

٢٦ - مؤلف مجهول : أمثال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ .

٢٧ - ابن واصل : (ت ٦٩٧ هـ) جمال الدين محمد بن سالم : مفرح الكروب في أخبار بني أيوب ، د ١ (ينتهي بموت نور الدين محمود بن زنكي ٦٥٩ هـ) نشر وتحقيق د. جمال الدين الشبل ، مطبوعات إدارة أحياء التراث القديم ١٩٥٣ .

٢٨ - ابن الوردي : (٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس الوردي : المختصر في أخبار البشر ، د ٢ المطبعة الوهسية بمصر ١٢٨٥ هـ .

٢٩ - ياقوت الحموي : (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت .

٣٠ - يحيى بن سعيد الأنطاكي ، (من رجال القرن الخامس المعرجي) : تاريخ الذيل ، باريس ١٩٢٤ .

(ب) المخطوطات والميكروفيلم :

- ١ - ابن لبي السدم الحموى : (ت ٦٤٢ هـ) أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن بن شهاب الدين : التاريخ المظفرى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ١٦٦ تاريخ .
- ٢ - ابن دقماق المصرى : (ت ٨٠٩ هـ) صارم الدين ابراهيم بن محمد : نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٨٥١ تاريخ .
- ٣ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .
- ٤ - ابن الساعى : (ت ٦٧٤ هـ) على بن أنجب المعروف بابن السامى البغدادي : اخبار الخلفاء ، مخطوط رقم ٩٠٢ تاريخ تيمور .
- ٥ - سبط بن العجى الحلبي : (ت ٨٨٤ هـ) موفق الدين ابي ذر أحمد ابن ابراهيم : كنوز الذهب فى تاريخ حلب ، د ١ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٣٧ تاريخ تيمور .
- ٦ - ابن شلكر الكبي : (ت ٧٦٤ هـ / ١٢٦٣ م) محمد بن شلكر بن أحمد بن عبد الرحمن : عيون النوارس ، د ١٣ ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧٢ تاريخ .
- ٧ - ابن الشحنة : (ت ٨١٥ هـ) أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد : روص المناظر فى علم الأوائل والأواخر ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٥ تاريخ .
- ٨ - ابن الصديم : (ت ٦٦٠ هـ) : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٦٦ تاريخ .
- ٩ - العمى : (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) بدر الدين محمد محمود بن أحمد بن موسى : عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ، د ١٥ ، ٣ ، ٤ ، ١٦ م ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .
- ١٠ - الفارقى : ملخص تاريخ ميفارقين ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ١٢٤٩ تاريخ .
- ١١ - ابن الفرات : (ت ٨٠٧ هـ) محمد عبد الرحيم بن على بن أحمد بن محمد ابن عبد العزيز بن محمد : تاريخ الدول والملوك ، الاجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ : ٥ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١١٧ تاريخ .

١٢ — ابن قاضي شهبة : (ت ٨٧٤) بدر الدين أبي الففس محمد بن أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي دمشقي الشافعي : الدر الثمين في سيرة نور الدين محمود بن زنكي ، ميكروفيلم بمعهد الخطوط رقم ٢٣٧ (١) تاريخ .

١٣ — النويري : (ت ٧٣٢ هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب وفنون الأدب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة ج ٢٥ د ٢٦ .

١٤ — أبو الهيجاء : (كان معاصرا لصلاح الدين الأيوبي — ت ٥٨٩ هـ) : تاريخه — القسم الأول ، ميكروفيلم بمعهد الخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ .

(ج) المراجع العربية

١ — اسحاق تاوئروس عبيد : (الدكتور) : روما وبيزنطة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

٢ — أسد رستم : الدكتور : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالفن ، ج ٢ دار الكشوف ، بيروت لبنان ، ١٩٥٦ .

٣ — أغناطيوس أفرام الثاني : بطريرك السريان الانطاكي : مقاله في سورية ، طبع في بيروت المطبعة السريانية ١٩٢٦ .

٤ — حسن حبشي : (الدكتور) : نور الدين والصليبيين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٥ — زامبور : المستشرق . معجم الأسلوب والامرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، اخرج د . زكي محمد حسن ، د . حسن أحمد محمود ، د . سيدة اسماعيل كاشف ، مطبعة جامعة فؤاد الأول د ١ (١٩٥١) د ٢ (١٩٥٢) .

٦ — الطباخ الحلبي : محمد راغب بن محمود بن هاشم : اعلام النلاء بتاريخ حلب الشهباء الطبعة الاولى ، د ١ ، ٢ (١٢٤٣ — ١٢٩٢) .

٧ — عاشور : (الدكتور) سعيد عبد الفتاح :

١ — الحركة الصليبية : ، د ١ ، ٢ الطبعة الاولى ١٩٦٣ . الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

٢ — سلطنة المالك ومملكة أرمينية الصغرى ، محاضرة القيت بدار الجمعية السورية للدراسات التاريخية ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٨ .

٨ — عمر كمال توفيق : (الدكتور) : مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ١٩٦٦ .

٩ — الفزى : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البابي الحلبي : نهر الذهب في تاريخ حلب ، د ٣ ، الطبعة المارونية بحطب ١٢٤٥ هـ — ١٩٢٦ م .

١٠ — محمد كرد علي : خطط الشام — د ١ ، ٢ ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٣ هـ ، ١٩٢٥ م .

١١ — يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية الدنيوى والدينى د ٢ م ٣ — (١٨٩٨ م) د ٦ (١٩٠٢ م) ، الطبعة العمومية المارونية في بيروت .

١٢ — الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة : بقلم أحد رهبان دير السيدة بزموس في برية اثينا مقاريوس ، الجزء الاول الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ببولاق القاهرة ١٨٨٣ م .

د — المصادر والمراجع الأجنبية :

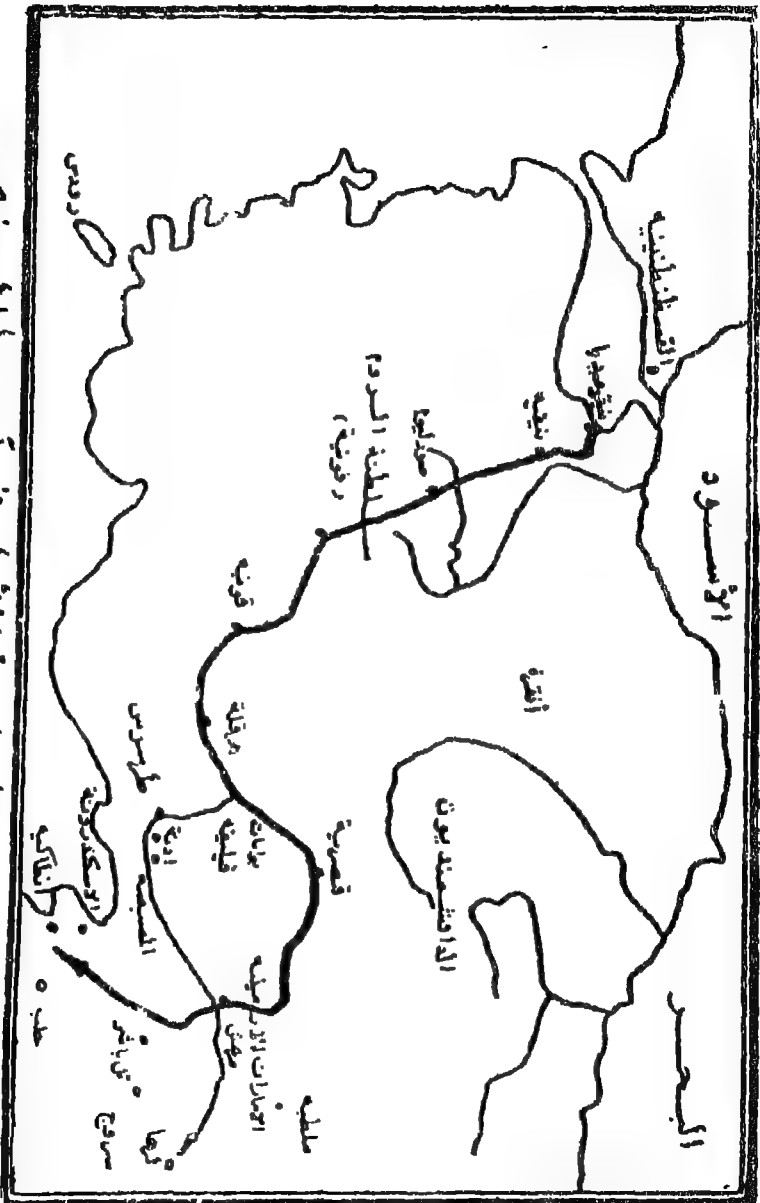
1. — Adams, (G.B.) :
Medieval and Modern history, New York 1905.
2. — Anna Comnena :
The Alexiad, Translated by Elizabeth, A.S. Dawas,
London, 1967.
3. — Archer (T.A.), Kingsford (C.L.) :
The Crusades, London, 1919.
4. — Aubert (R.) :
Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques, T. 14, Paris 1960.
5. — Bar Hebraeus :
The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1,
Englih translation, London, 1932.

6. — Bréhier (L.) :
 1. L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, les Croisades, Paris, 1921.
 2. Vie et Mort de Byzance, Paris, 1948.
7. — Burkitt (F.C.) :
Early Eastern Christianity, London : 1904.
8. — Cahen (C.) :
La Syrie du Nord à L'époque des Croisades et la principauté Franque D'Antioche, Paris, 1940.
9. — Cambridge Anc. Hist., V. XI - XII, Cambridge 1939
10. — Cambridge Med. Hist., V. IV, Cambridge 1936, V. IV Part 1, Cambridge 1966.
11. — Chalandon (F.) :
 1. Histoire de la première Croisade, Paris 1925.
 2. Essai sur le Règne d'Alexis 1er Comnène. (1081 — 1118), Paris, 1900.
12. — Chronique de Michel le Syrien : éditée et traduite en Français par J.B. Chabot, T. III, Fascicule II, Paris 1906.
13. — Deffrémery (M.) :
Histoire des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848.
14. — Der Nersessian (S.) :
Armenia and the Byzantine Empire, Cambridge, 1947.
15. — Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, T. 4, Part 2, Paris, 1921.
16. — Dussaud (R.) :
Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale, Paris, 1927.

17. — Duval (R.) :
Histoire Politique, Religieuse et Littéraire d'Edesse
jusqu'à la première Croisade, Paris.
18. — Fliche (A.) :
Histoire du Moyen Age, T. II, L'Europe Occidentale de
888 à 1125, Paris 1930.
19. — Gibb (H.A.R.) :
The Damascus Chronicle of the Crusades, London,
1932.
20. — Grousset (R.) :
 1. Histoire des Croisades et du Royaume Franc de
Jérusalem, V. 1, Paris, 1934, V. 2, Paris, 1935.
 2. L'Épopée des Croisades, Paris, 1939.
 3. Histoire de l'Arménie, Paris, 1947.
 4. L'Empire du Levant, Paris, 1949.
21. — Grumel (V.) :
Au Seuil de la IIème Croisade, Deux Lettres de Manuel
Comnène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T.III,
1945, Institut Français d'Etudes Byzantines, Bucarest,
1946.
22. — Hayes (E.R.) :
L'Ecole d'Edesse, Les Presses Modernes, Paris, 1930.
23. — Hefele (C.J.) :
Histoire des Conciles, T. II, Partie 2. (Paris 1908)
T.V. 1er Partie (Paris, 1912).
24. — Hulme (E.M.) :
The Middle Ages, New York, 1938.
25. — Iorga (N.) :
 1. Brève Histoire des Croisades, Paris, 1924.
 2. Brève Histoire de la Petite Arménie, Paris, 1930.
26. — Issaverdens (R.P.J.) :
Histoire de l'Arménie, T. II, Venise, 1888.

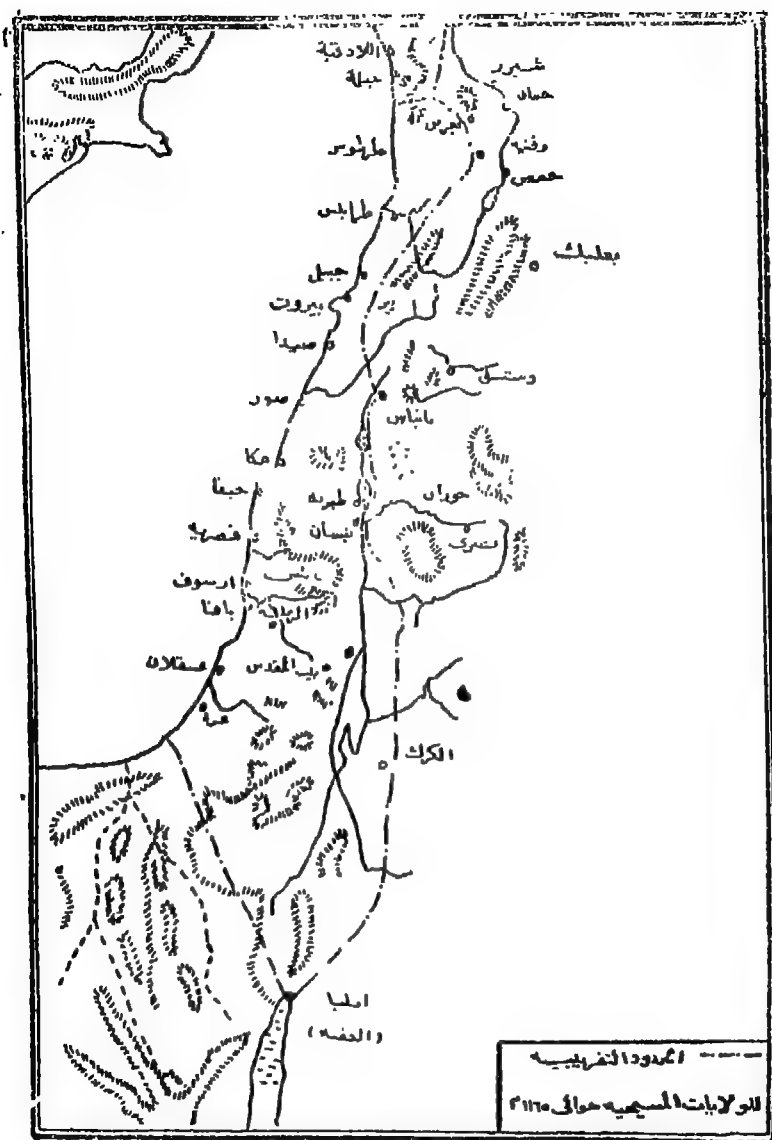
27. — Janin (R.P.) :
Les Eglises séparées d'Orient Paris, 1930.
28. — Jedn (H.) :
Brève Histoire des Conciles, traduit par A. Vidick ;
Belgium, 1960.
29. — Lamb (H.) : The Crusades, London, 1934.
30. — Lammens (H.) : La Syrie, V. 1, Beyrouth, 1921.
31. — Le Strange (G.) :
The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1930.
32. — Michaud (M.) :
Histoire des Croisades, V. 1, 2.
33. — Morgan (J.) :
Histoire du Peuple Arménien, Paris, 1918.
34. — Nansen (F.) :
L'Arménie et le Proche Orient, Paris, 1928.
35. — Oldenbourg (Z.) :
Les Croisades, Editions Gallimard, 1965.
36. — Ostrogorsky (G.) :
History of the Byzantine State, Oxford, 1956.
37. — Pasdermadjian (H.) :
Histoire de l'Arménie, Paris, 1964.
38. — Prawer (J.) :
Histoire du Royaume Latin de Jérusalem, Traduit de
l'hébreu par G. Nahon, T. 1, Paris, 1969.
39. — Recueil des Historiens des Croisades :
1. Documents Arméniens, T. 1, 2.
2. Historiens Occidentaux, T. 1, 3, 4, 5.

40. — Richard (J.) : Le Royaume Latin de Jérusalem, Paris 1953.
41. — Roux (F.C.) :
France et Chrétiens d'Orient, Paris; 1939.
42. — Runciman (S.) :
A History of the Crusades, Cambridge, V. 1, 1954,
V. 2, 1952.
43. — Schulmberger (G.) :
1. Recits de Byzance et des Croisades, Paris, 1922.
2. Sigillographie de l'Orient Latin, Librairie
Orientaliste, Paul Geuthner, 1943.
44. — Setton (K.M.) :
A History of the Crusades, University of Pennsylvania
Press, V. 1, Edited by Marshall W. Baldwin, 1955.
45. — Tixeront (L.J.) :
Les Origines de l'Eglise d'Edesse et la Légende
d'Abgar, Journal Asiatique, T. XII, Paris, 1888.
Novembre — Décembre.
46. — Tournebize :
Histoire Politique et Religieuse de l'Arménie, Paris,
1900.
47. — Vacant (A.), Mangenot (E.), Amann (E.) :
Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Partie 2,
Paris, 1923.
48. — Vasiliev (A.A.) :
History of the Byzantine Empire, V. 2, Madison, 1929.
49. — William of Tyre.
A History of Deeds Done Beyond the Sea, V. 1, 2
Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock
and A.C. Krey, New York, 1943.



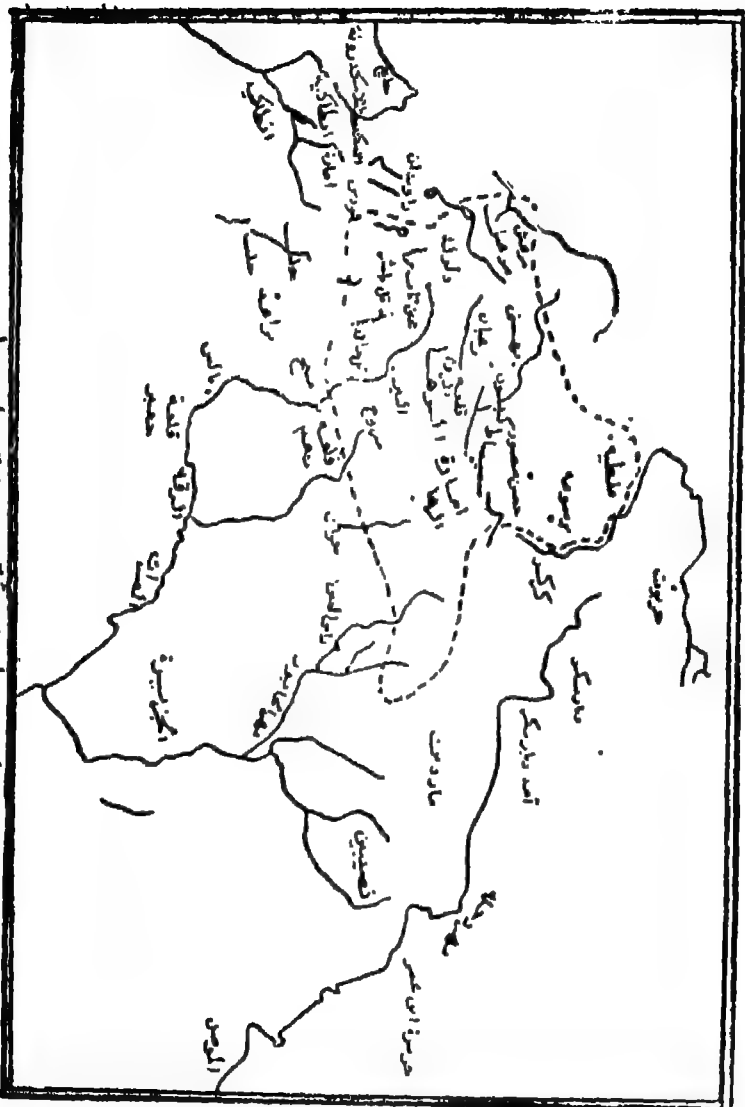
مسير الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى

عن: J. PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JERUSALEM, T.1, P 206



خريطة لجنوب سورية في القرن الثاني عشر الميلادي

S.RUNCIMAN: A HISTORY OF THE : عن
CRUSADES, V.2, P. 145



لإمارة الكرهها في أقصى رتساعها
 RGROUSSET: L'EMPIRE DU LEVANT, PP: 200-201
 عن

الموضوع	فهرس	الصفحة
تقديم	٧
مقدمة	٩
دراسة تحليلية لمصادر البحث	١٣
تمهيد	٢٣
تفسير اسم الرها	٢٣
تاريخ المدينة القديم	٢٨
مكانة الرها في ظل المسيحية	٢٩
دخول الرها في حوزة المسلمين	٣٥
دخولها تحت نفوذ البيزنطيين	٣٦
أهمية موقع الرها	٣٩
علاقة الرها بالأرمن	٤٠
وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن	٥١
انفصال بلدوين البولوني عن بقية الجيش الصليبي واتجاهه الى		
الرها	٥٢

الباب الأول

قيام أمانة الرها الصليبية وأحوالها الداخلية

حكم بلدوين البولوني منفردا للرها	٧١
بلدوين وحكم بيت المقدس	٨٨
امارة بلدوين دى بوج على الرها	٩٧

الموضوع	الصفحة
وضاع المسلمين فى الشرق قبيل موقعه حران	٩٩
الرها تحت حكم تنكريد	١٠٩
العلاقة بين بلدوين دى بوج وجوسلين	١١٦
أمارة جوسلين دى كورتناى على الرها	٢٢١
أسر جوسلين	١٢٥
جوسلين الثانى	١٢٣
الباب الثانى	
علاقة امارة الرها الصليبية بجيرانها	١٣٥
أولا : علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها	١٣٥
علاقة الرها بسلاجقة فارس	١٣٦
بسلاجقة قونية	١٦٥
بحلب وضواحيها	١٦٨
بأراتقة ماردين	١٩٠
بأراتقة ديار بكر	١٩١
بأمد	١٩٢
ببنى دانشمند	١٩٤
ببنى مزيد فى الحلة	١٩٥
ثانيا : علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشام	١٠٣
علاقة الرها بالصليبيين فى الدور الأول	١٠٣

الموضوع	الصفحة
علاقة الرها ببيت المقدس	١٩٩
بأنطاكية	٢١١
بطرابلس	٢٣٤
ثالثا : علاقة الرها بالأرمن خارجها	٢٤٤
رابعا : علاقة الرها بالدولة البيزنطية	٢٥٤
الباب الثالث	
نهاية اماره الرها	٢٦٦
جهود زنكى فى الجهاد وتكوين الجبهة الاسلاميه	٢٦٦
تصدع الحلف الفرنجى البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية	٢٧٩
سقوط الرها فى يد عماد الدين زنكى ١١٤٤ م	٣٠١
ردود الفعل المختلفه لاستيلاء زنكى على الرهام ١١٤٤ م	٣١٤
مقتل عماد الدين زنكى	٣١٨
ضياع الرها واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦ م	٣٢٠
جيران الرها ويقايا الاماره حتى أسر جوسلين الثانى	٣٢٩
سر جوسلين الثانى	٣٣١
اندثار اماره الرها بعد أسر جوسلين	٣٣٣
الباب الرابع	
أوضاع أماره الرها الداخليه والحضاريه	٣٣٧

الصفحة	الموضوع
٣٣٧	(أ) طبقات المجتمع
٣٣٧	(ب) الحياة الاقتصادية.....
٣٦٥	(ج) كنيسة الرها والحياة الدينية فيها
٣٨١	الخاتمة
٣٨٦	الملاحق
٤٠٢	مصادر البحث
٤١٢	خرائط

صدر فى هذه السلسلة

- ١- مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢،
١٩٩٤.
- ٢- على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.
- ٣- ثورة يونيو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.
- ٤- التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.
- ٥- شعارات أوروبا على الشواطئ المصرية
فى العصور الوسطى،
د . عليّة عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.
- ٦- هؤلاء الرجال من مصر جا،
لمسى المطيعى، ١٩٨٧.
- ٧- صلاح الدين الأيوبي،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.
- ٨- رؤية الجبريتى لأزمة الحياة الفكرية،
د . على دركات، ١٩٨٧.
- ٩- صفحات مطوية من تاريخ الأزيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.
- ١٠- توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
حمود فورى، ١٩٨٧.
- ١١- مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.
- ١٢- هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.
- ١٣- أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية
تاريخية،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٨، ط ٢،
١٩٩٤.
- ١٤- مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى
إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.
- ١٥- المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخريوطى، ١٩٨٨.
- ١٦- فصول من تاريخ حركة الإصلاح
الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور
الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.
- ١٧- القضاء الشرعى فى مصر فى العصر
العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.
- ١٨- الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.
- ١٩- مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.
- ٢٠- دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩:
المراسلات السرية بين سعد زغلول
وعبد الرحمن فهمى،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.
- ٢١- التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى،
جا،
د . توفيق الطويل، ١٩٨٨.

- ٣٥- أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة .
عبدالحميد ترفيق ركي، ١٩٩٠
- ٣٦- المجتمع الإسلامى والغرب ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بروبين، ترجمة . د. أحمد
عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠ .
- ٣٧- الشيخ على يوسف وجريدة المزيد : تاريخ
الحركة الوطنية فى ربع قرن ،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادية
والاجتماعى فى العصر العثمانى ،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان
(١٨٢٤-١٨٢٧) ،
د . حميل عبيد، ١٩٩٠ .
- ٤٠ - الأسلحة الماسدة ودورها فى حرب فلسطين
، ١٩٤٨ ،
د . عبداللهم الدسوقي الحميدى، ١٩٩٠
- ٤١ - محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية
عصرية ،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١ .
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق عبدال، ط ٢ ، ١٩٩٠ .
- ٤٣ - رحلة فى عقول مصرية ،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر ، فى
العصر العثمانى ،
د . محمد عفيفى، ١٩٩١ .
- ٤٥ - الحروب الصليبية ج ١ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم : د . حبيب
حنشى، ١٩٩١ .
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية -
(١٩٣٩ : ١٩٥٧) ،
ترجمة : د . عبدالرزاق أحمد عمر ،
١٩٩١ .

- ٢٢- نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى، ١٩٨٨
- ٢٣ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى
ج ٢ ، إمام التصوف فى مصر : الشحرانى ،
د ترفيق الطويل، ١٩٨٨ .
- ٢٤ - الصحافة الولدية والقضايا الوطنية
(١٩١٩-١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل، ١٩٨٩ .
- ٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون ج. هارولد بروبين ،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ،
١٩٨٩ .
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩ .
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج . بيلر، ترجمة : محمد فريد
أبو حديد، ١٩٨٩ .
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢ ،
تأليف : ألفريد ج . بيلر، ترجمة : محمد فريد
أبو حديد، ١٩٨٩ .
- ٢٩ - مصر فى عهد الإخشيديين ،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩ .
- ٣٠ - الموفلون فى مصر فى عهد محمد على ،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠ .
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى، ١٩٨٩ .
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٢ ،
لمعى المطلى، ١٩٨٩ .
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الإفريقى : نظرة على
الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د . خالد محمد الكومى، ١٩٨٩ .
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ
مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د . يرنان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠ .

- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث،
د. لطيفة محمد سالم، ١٩٩١.
- ٤٨ - الفلاح المصري بين العصر القبطي
والعصر الإسلامي،
د. ريبة عطا، ١٩٩١.
- ٤٩ - العلاقات المصرية الإسرائيلية
(١٩٤٨-١٩٧٩)،
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
(١٩٤٤-١٩٥٤)،
د. سهير اسكندر، ١٩٩٣.
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار
بالمجلس الأعلى للثقافة، في إبريل ١٩٩١)،
أعدّها للنشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والقناصل
الفرنسيين في القرن الثامن عشر،
د. إلهام محمد علي دعنى، ١٩٩٢.
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة
المماليك الجراكسة،
د. محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢.
- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني،
د. محمد عفيفي، ١٩٩٢.
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج٢،
تأليف: وليم الصوري ترجمة وتطبيق: د.
حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي:
دراسة عن إقليم المنوفية،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٢.
- ٥٧ - مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د. سيّدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢.
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة،
د. إبراهيم عبدالله المسلمي، ١٩٩٣.
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر، من
التصوير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١)،
د. عبد السلام عبدالعليم عامر، ١٩٩٣.
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحيد توفيق زكي، ١٩٩٣.
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث،
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج٣،
لمعى المطيعي، ١٩٩٣.
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ
مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيّدة إسماعيل كاشف، جمال الدين
سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدّها للنشر:
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٤ - مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة
والافتراء: دراسة وثائقية،
د. محمد نصمان جلال، ١٩٩٣.
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية
(١٨٩٧-١٩١٧)،
د. سهام نصار، ١٩٩٣.
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي،
د. نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣.
- ٦٧ - مساعي السلام العربية الإسرائيلية:
الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار
بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم
التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، في
إبريل ١٩٩٣)، أعدّها للنشر: د. عبدالعليم
رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٨ - الحروب الصليبية ج٣،
تأليف: وليم الصوري
ترجمة وتطبيق: د. حسن حبشي، ١٩٩٣.
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية
(١٨٨٦-١٩٥١)،
د. محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤.

٧٠- أهل الذمة في الإسلام،
تأليف: أ.س. نرتون

ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ط ٢، ١٩٩٤.

٧١- مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،

إعداد: تريفور ليفانر، ترجمة: د. عبد الرؤوف
أحمد عمرو، ١٩٩٤.

٧٢- رؤية الرحالة العاملين للأحوال المالية والاقتصادية
في العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ)،

د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.

٧٣- تاريخ جامعة القاهرة،

د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.

٧٤- تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج ١، في
العصر الفرعوني،

د. سمير يحيى العمال، ١٩٩٤.

٧٥- أهل الذمة في مصر، في العصر الفاطمي
الأول،

د. سلام شافعي محمود، ١٩٩٥.

٧٦- دور التعليم المصري في النضال الوطني
(زين الإختلال البريطاني)،

د. سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥.

٧٧- الحروب الصليبية ج ٤،

تأليف: وليم اللصوري، ترجمة وتعليق: د.
حسن حبشي، ١٩٩٤.

٧٨- تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥.

٧٩- تاريخ الطرق الصوفية في مصر، في
القرن التاسع عشر،

تأليف: فريد دى يونج، ترجمة: عبد الحميد
فهى الجمال، ١٩٩٥.

٨٠- قناة السويس والتنافس الاستعماري
الأوروبي (١٨٨٢-١٩٠٤)،

د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.

٨١- تاريخ السياسة والصحافة المصرية من
هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،

د. رمزي ميخائيل، ١٩٩٥.

٨٢- مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي
إلى قيام الدولة الطولونية،

د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٣- مذكراتي في نصف قرن ج ١،

أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٤- مذكراتي في نصف قرن ج ٢ - القسم
الأول،

أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.

٨٥- تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية
(١٩٣٤-١٩٥٢)،

د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٥.

٨٦- تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية
الاقتصادية (١٨٤٠-١٩١٤)،

د. أحمد الشربيني، ١٩٩٥.

٨٧- مذكرات اللورد كليرن، ج ٢، (١٩٣٤-
١٩٤٦)،

إعداد: تريفور ليفانر، ترجمة وتحقيق: د.
عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٥.

٨٨- التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى
المصرية،

عبد الحميد توفيق زكي، ١٩٩٥.

٨٩- تاريخ الموانئ المصرية في العصر
العثماني،

د. عبد الحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.

٩٠- معاملة غير المسلمين في الدولة
الإسلامية،

د. تريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٦.

٩١- تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،

تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبد الحميد فهمي
الجمال، ١٩٩٦.

٩٢- الصحافة الوليدية والقضايا الوطنية
(١٩١٩-١٩٣٦)،

ج ٢، د. نحوي كامل، ١٩٩٦.

١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في

مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢

د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ - رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره

د. علي دركات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين في مصر

(١٩١٤ - ١٩٥٢)

د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية

الديموقراطية ١٨٠٥ - ١٩٨٧ .

د. أحمد فارس عبدالمعصم

١٠٦ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد

(تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن).

د. سليمان صالح

١٠٧ - الأصولية الإسلامية .

تأليف: دليب هيرز؛ ترجمة: عبدالحميد مهي

الجمال .

١٠٨ - مصر للمصريين ج ٤ .

سليم النقاش

١٠٩ - مصر للمصريين ج ٥ .

سليم النقاش

١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية

(عصر سلاطين المماليك) ج ١ .

د. البيومي إسماعيل الشربيني .

١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية

(عصر سلاطين المماليك) ج ٢ .

د. البيومي إسماعيل الشربيني .

١١٢ - إسماعيل باشا صدقي

د. محمد محمد الحواري .

١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في

عصر الحكم المصري)

د. عز الدين إسماعيل .

١١٤ - دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي

تأليف أحمد رشدي صالح

٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري

(١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،

د. نبيه بيومي عبدالله، ١٩٩٦ .

٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية

(١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،

د. سهير إسكندر، ١٩٩٦ .

٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات

الأفريقية للمعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ

والأثار بالجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع

معهد النحوت والدراسات الأفريقية بجامعة

القاهرة) ،

إعداد: أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ - عبدالناصر والحرب العربية الباردة

(١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،

تأليف: مالكولم كبير، ترجمة د. عبدالرؤف أحمد

عمرو .

٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصري

في النصف الأول من القرن التاسع عشر،

د. إيمان محمد عبد المعصم عامر .

٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،

د. محمد سيد محمد .

٩٩ - تاريخ الطب والسيدة المصرية

(العصر اليوناني - الروماني) ج ٢ ،

د. سمير يحيى للجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور:

تاريخ مصر القديمة ،

أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار،

أ. د. محمد إبراهيم بكر، أ. د. إبراهيم نصحي،

أ. د. فاروق القاسمي ، أعدوا للنشر: أ. د.

عبدالعظيم رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،

اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير ، اللواء/

عبدالمجيد كفاقي ،

اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٣٠ - تاريخ نقابات الفنانين في مصر -
(١٩٩٧-١٩٩٧)

سمير فريد.

١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م

ترجمة/ د. عبدالرؤف أحمد عمر

١٣٢ - دار المندوب السامي في مصر ج١

د. ماجدة محمد حمود.

١٣٣ - دار المندوب السامي في مصر ج٢

د. ماجدة محمد حمود

١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط

عثماني للدارندلي

بقلم/ عرت حس أفندي الدارندلي

ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى

١٣٥ - اليهود في مصر المملوكية

(في ضوء وثائق الحيزة)

(١٦٤٨-١٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م) د. محاسن

محمد الوقاد

١٣٦ - أوراق يوسف صديق

تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ - غار التوال في مصر في العصر المملوكي

د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ - الإخوان المسلمون وجذور التطرف العنيف

والإرهاب في مصر

السيد يوسف

١٣٩ - موسوعة العناء المصري في القرن العشرين

بقلم محمد قابيل

١٤٠ - سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول

من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥هـ

١٨١١ - ١٨٤٨م

طارق عبد العاطي غليم بيومي

١٤١ - وسائل الترفيه في عصر سلاطين الماليك

لطفي أحمد نصر

١٤٢ - مذكراتي في نصف قرن ج٣

أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١١٥ - مذكراتي في نصف قرن -

أحمد شفيق باشا.

١١٦ - أدب اسحق (عاشق الحرية)

علاء الدين وحيد

١١٧ - تاريخ القضاة في مصر العثمانية

(١٥١٧ - ١٧٩٨)

عبد الرزاق إبراهيم عيسى

١١٨ - النظم المالية في مصر والشام

د. البيومي اسماعيل الشريبي

١١٩ - النقابات في مصر الرومانية

حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ - يوميات من التاريخ المصري الحديث

لويس جرجس

١٢١ - الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤)

د. محمد عبد الحميد الحلوي

١٢٢ - مصر للمصريين ج٦

سليم خليل النقاش

١٢٣ - السيد أحمد أبندوي

د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية في

نصف قرن

د. محمد نعمان جلال

١٢٥ - مصر للمصريين ج٧

سليم خليل النقاش

١٢٦ - مصر للمصريين ج٨

سليم خليل النقاش

١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ -

١٩٥٨)،

- إبراهيم محمد محمد إبراهيم -

١٢٨ - معارك صحفية،

نقلم/ جمال ندوي.

١٢٩ - الدين العام (وآثره في تطور الدين المصري)

(١٨٧٦-١٩٤٣)

د. يحيى محمد محمود

- ١٤٣ - دبلوماسية البطالة في القرنين الثاني والأول ق م
د. مغيرة محمد المهنري
- ١٤٤ - كشراف مصر الأفريقية في عهد الخديوي اسماعيل
د. عبدالمعطي حلاف
- ١٤٥ - النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م)
د. مغيرة محمد المهنري
- ١٤٦ - المرأة في مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
- ١٤٧ - حسن البنا متى كيف ولماذا؟
د. رفعت السيد
- ١٤٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزي
ترجمة / نعيم مجلى
- ١٤٩ - العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد الصلبي
- ١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الحمال
- ١٥١ - حمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة السيد يوسف
- ١٥٢ - الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الوقاد
- ١٥٣ - الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجدروري
- ١٥٤ - هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجدروري
- ١٥٥ - عصر محمد علي ولهذه مصر في القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ - ١٨٨٣ م)
د. عبد الحميد التطريق
- ١٥٦ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الثالث
في العصر الإسلامي
د. سمير يحيى الجمال
- ١٥٧ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الرابع
في العصر الإسلامي والحديث
د. سمير يحيى الجمال
- ١٥٨ - نائب السلطنة المملوكية في مصر (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د. محمد عبد الخى الأشقر
- ١٥٩ - حرب الورد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
- ١٦٠ - حزب الورد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)
الجزء الثاني
د. محمد فريد حشيش
- ١٦١ - السيف والنار في السودان
تأليف / سلاطين ناشا
- ١٦٢ - السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ - ١٩٥٣ م)
د. تمام همام تمام
- ١٦٣ - مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
- ١٦٤ - الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠٠٢ - ديسمبر ١٩٩٧.
- إعداد / د. عبدالستيم رمضان
- ١٦٥ - التعليم والتغير الاجتماعي في مصر (في القرن التاسع عشر)
سامى سليمان محمد المنهم
- ١٦٦ - مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ

أراء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم
١٧٨ - العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى
في القرن الثامن عشر
د. سحر على حنفي
١٧٩ - دور الحماية العثمانية في تاريخ مصر
(١٥٦٤ - ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد أحمد
١٨٠ - الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة
السويس
بقلم / د. عبدالعليم رمضان
١٨١ - الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد
ح-١)
ترجمة وتحقق وتعليق / أ. د. حسن حنفي
١٨٢ - الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد
ح-٢)
ترجمة وتحقق وتعليق / أ. د. حسن حنفي
١٨٣ - شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفي جمعة
١٨٤ - الموفية في القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محارب
١٨٥ - تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري
١٨٢٠ - ١٨٨٥ م
د. أحمد أحمد سيد أحمد
١٨٦ - العقائد الدينية في مصر الملكية بين الإسلام
والتصوف
د. أحمد صبحي منصور

مصر)
السيد يوسف
١٦٧ - الحركة العلمية والأدبية في القضاة منذ الفتح
العربي إلى نهاية الدولة الأخشيدي
د. صفى على محمد عبدالله
١٦٨ - مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
نصري عدد ألفي
١٦٩ - مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى
نهاية عصر الفاطميين (٢١١ - ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ -
١١٧١ م)
د. صفى على محمد عبد الله
١٧٠ - القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
محدثي عدد الرشيد بحر
١٧١ - تاريخ الحالية الأزمية في مصر
القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رستم
١٧٢ - تاريخ أهل الامة في مصر الإسلامية
(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)
لجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٣ - تاريخ أهل الامة في مصر الإسلامية
(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)
لجزء الثاني
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٤ - مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع
ق م
د. أحمد عبد الحليم درار
١٧٥ - محمد توفيق بسيم بابا ودوره في الحياة
السياسية
عادل إبراهيم الطويل
١٧٦ - الملاحاة البلية في مصر العثمانية
١٥١٧ - ١٧٩٨ م
د. عبدالحميد حامد سليمان
١٧٧ - سياسة مصر العسكرية

الشعبية المصرية
د. فتحي الصنغاري
١٩٥ - مجتمع أفريقيا في عصر
الولاة
د. نريمان عبدالكريم أحمد
١٩٦ - تاريخ تطور الري في
مصر (١٨٨٢ - ١٩١٤ م)
عبدالعظيم محمد سعودى
١٩٧ - القدس الخالدة
د. عبدالحميد زايد
١٩٨ - العلاقات السياسية بين
الدولة الأيوبيّة
والامبراطورية الرومانية
المقدسة زمن الحروب
الصليبية
د. عادل عبدالحافظ حمزة
١٩٩ - المعبد في الدولة الحديثة
في مصر الفرعونية
(تنظيمه الإدارى ودوره
السياسى)
د. بهاء الدين إبراهيم محمود
٢٠٠ - تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر
العصور (أعمال الندوة التى
أقامتها لجنة التاريخ
والآثار بالمجلس الأعلى
للثقافة بالاشتراك مع كلية
الآداب جامعة الإسكندرية
فى يومى ٢٢ ، ٢٣ ابريل
١٩٩٨ م) .
اعداد/ د. عبدالعظيم رمضان

١٨٧ - نيابة حلب فى عصر
سلاطين المماليك (١٢٥٠
- ١٥١٧م / ٦٤٨ - ٩٢٣
هـ) ج١
د. عادل عبد الحافظ حمزة
١٨٨ - نيابة حلب فى عصر سلاطين
المماليك (١٢٥٠ -
١٥١٧م / ٦٤٨ - ٩٢٣هـ)
ج٢
د. عادل عبدالحافظ حمزة .
١٨٩ - يهود مصر منذ عصر
الفرعون حتى عام ٢٠٠٠م
عرفة عبده على
١٩٠ - العلاقات السياسية بين
مصر والعراق (١٩٥١ -
١٩٦٣م)
د. عبدالحميد عبدالجليل أحمد
شلبى
١٩١ - اليهود فى مصر العثمانية
حتى أوائل القرن التاسع
عشر ج١
د. محسن على شومان
١٩٢ - اليهود فى مصر العثمانية
حتى أوائل القرن التاسع
عشر ج٢
د. محسن على شومان .
١٩٣ - الامام محمد عبده بين
المنهج الدينى الاجتماعى
د. عبدالله شحاته
١٩٤ - تاريخ الآلات الموسيقية

٢١٠ - قيرس والحروب الصليبية

د. سعيد عبدالفتاح عاشور

٢١١ - اماره الرها الصليبية

د. عليّة عبدالسميع الجنزورى

٢٠١ - إمارة الحج فى مصر

العثمانية (٩٢٣ - ١٢١٣ هـ

/ ١٥١٧ - ١٧٩٨ م)

سميرة فهمى على عمر

٢٠٢ - المندوبيون الساميون فى

مصر

د. ماجدة محمد حمود

٢٠٣ - الصراع الدولى على عدن

والدور المصرى

فتحى أبو طالب

٢٠٤ - العلاقات الاقتصادية بين

مصر وبريطانيا (١٩٣٥ -

١٩٤٥ م)

مرقت صبحى غالى

٢٠٥ - تاريخ الغربية وأعمالها

فى العصر الاسلامى (٢١ -

٥٦٧ هـ / ٦٤٢ - ١١٧١ م)

السيد محمد أحمد عطا

٢٠٦ - مصر للمصريين ج-٩

سليم خليل النقاش

٢٠٧ - الظاهر بيبرس

د. سعيد عبدالفتاح عاشور

٢٠٨ - الدور المصرى والعربى

فى حرب تحرير الكويت

ج١

لواء/ د. كمال أحمد عامر

٢٠٩ - الدور المصرى والعربى

فى حرب تحرير الكويت

ج٢

لواء/ د. كمال أحمد عامر

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٤٧٨ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7632 - X

يتناول هذا الكتاب تاريخ إمارة الرها في عصر الحروب الصليبية، وهي أولى الإمارات التي أسسها الصليبيون في العالم العربي في عام ١٠٩٨، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة في عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين في شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً في الحروب الصليبية



0334437

مطابع الهيئة المصرية

٦٢٥ قرشا